

سلسلة شروحات ومؤلفات معالي الشيخ (٢٣)

لقاءات وجلسات

لمعالي الشيخ

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته

تحقيق وعناية

عادل بن محمد مرسي رفاعي

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

الجزء الثاني





مكتبة دار الحجاز للنشر والتوزيع





عنوان المصنف: لقاءات وجلسات" جـ٢"

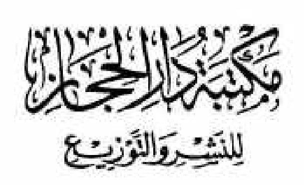
تـــأليـــف: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

رقـم الإيـداع: ٢٠١٤/٧٤٢٠

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٥٢٣٢-٥٢-٦

طبعة عام

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م



الإدارة والمبيعات جوال - ٠٠٩٦٦٥٦٧٣٣٣٤١٧ - ٠٠٢٠١١١٦٨٩٩١٠٠ - ٠٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣

الإسكندرية - ١٧٥ ش طيبة متفرع من ش مسجد القصبية هاتف: ٠٣/٥٤٦١٥٨٣ - جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥١

القاهرة - ٦ ش المرشدي متفرع من ش البيطار - خلف الجامع الأزهر الشريف - هاتف: ٠٢/٢٥١٠٧٤٧٢

جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥٠ - فاكس: ٠٠٢/٠٢٢٦٦٣٣٦٧٨

البريد الإلكتروني: dar_alhijaz@hotmail.com

سلسلة شروحات ومؤلفات معالي الشيخ (٢٣)

لقاءات وجلسات

لمعالي الشيخ

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته

تحقيق وعناية

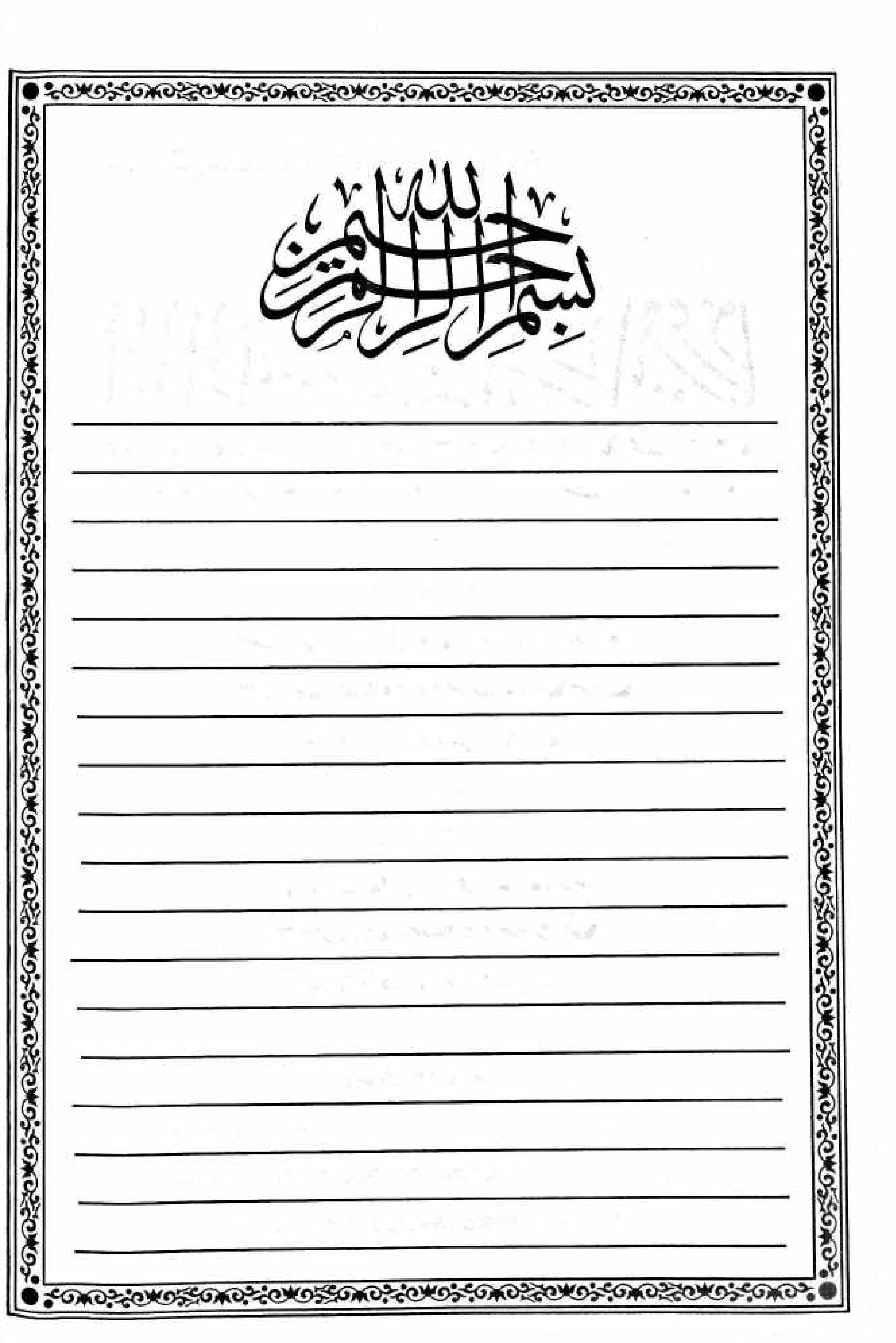
عادل بن محمد مرسي رفاعي

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

الجزء الثاني

مكتبة دار الحجاز

للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة معالي الشيخ

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

مع سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ

مفتي عام المملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء

في الحج ١٤٢٣هـ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله، وصحبه، ومن اهتدى بهداه.

سماحة شيخنا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، مفتي عام المملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء،

أصحاب الفضيلة العلماء، والإخوة الدعاة، والمشايخ الذين شاركوا في برنامج التوعية الإسلامية في الحج في هذا العام،

أيها الإخوة الحضور الكرام،

السلام عليكم، ورحمة الله، وبركاته.

وإني لأحمد الله ﷻ إليكم كثيرًا، كما أنعم كثيرًا بتجدد هذا اللقاء كل عام على إرث في هذا اللقاء من عمل مشايخ لنا سبقوا إلى رضوان الله ﷻ برحمته، وفضله، ومنته عليهم، وهذا اللقاء يتجدد للاستفادة من علوم سماحة المفتي كل عام، كما كان هذا اللقاء نستفيد

فيه من سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله، وسماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، والآن مع سماحة الشيخ عبد العزيز - رحم الله السلف، وبارك في الأحياء، ورفع درجات الجميع -.

ولا شك أصحاب الفضيلة أن الأعمال الإسلامية الأصل فيها أن يسدد الناس بعضهم لبعض فيها، وذلك لأنها لا تقوم على انفراد، والله ﷻ أمر بالتعاون في كل سبيل خير، فقال ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، وأمر بالتعاون في مجالات الخير، ووعد الجميع بالجنة؛ حيث جاء عنه ﷺ كما في السُّنن أنه قال: «**إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةَ: صَاحِبَهُ الذي يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ، والذي يُجَهِّزُ بِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، والذي يرمي بِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[1].

فحقيقة أنا أعني نفسي، ومن معي من الإخوة الإداريين في الوزارة، فنحن نباشر أعمال التوعية الإسلامية في الحج بالقول، وبإجابة السائل، وبإرشاد الناس، وبإلقاء المحاضرات، والكلمات، لكننا نرجو ألا نحرم الأجر، والثواب في تسهيل السبيل لكم أصحاب الفضيلة، والمشايخ في أن تقيموا هذه الندوات، والمحاضرات، والكلمات، وأن تجيبوا على الأسئلة، ونتواصل مع المشايخ، وقد بلغ مجمل ما ألقي في الأيام الماضية منذ بداية الموسم إلى الآن، بلغ إجمالي ما ألقي نحوًا من ستة عشر ألفًا من كلمة، ونشرة في التوعية الإسلامية في الحج.

أما المشاركون، فكان المرشحون في هذا العام ستمائة وأربعة

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥١٣)، والترمذي (١٦٣٧)، وابن ماجه (٢٨١١)، والنسائي في الصغرى (٣١٤٦)، وفي الكبرى (٤٣٣٩)، والدارمي (٢٤٤٩)، أحمد (٢٨/ ٥٣٢)، والحاكم (٢/ ١٠٤)، والبيهقي في الشعب (٦/ ١٤٨).

وسبعين من المشايخ، والدعاة، واعتذر منهم نحو من مائتين وخمسة عشر، وبقي أربعمائة وشيء، وهذا خلاف ما كنا نود من أن يشارك الجميع؛ لأننا نرى أن الحاجة ماسة، وفي ازدياد للدعاة، وطلبة العلم في هذا الموسم.

سماحة الشيخ، أصحاب الفضيلة،

الحج عبادة عظيمة لله ﷻ، وشعاره التوحيد: «لبيك اللَّهُمَّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد، والنعمة لك، والملك، لا شريك لك لبيك»، وكما قال جابر ﷺ: **«فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ لَبَّيْكَ، اللَّهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ»**[1].

فـ«لبيك اللَّهُمَّ لبيك»، نحن اليوم بحاجة إليها في الاستجابة لأمر الله ﷻ، وأمر رسوله ﷺ، في شأننا كله، وخاصة في شأن الدعاة، والمشايخ، وطلبة العلم، نحن بحاجة لـ«لبيك اللَّهُمَّ لبيك» في أن نقيم على طاعة الله ﷻ، وعلى توحيده، وسُنَّة رسوله ﷺ، وبنهج السلف الصالح مع هذه المدلهمات، ومع هذه التيارات الجارفة، والأوضاع المؤلمة، نحن بحاجة اليوم إلى أن نعي حقًا: «لبيك اللَّهُمَّ لبيك» في الاستجابة لله ﷻ، ولرسوله، وسنته، والإقامة على شرع الله، وعلى هدي السلف الصالح في أمرنا كله؛ حيث إدلهمت الأمور، وقد ظهر

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر ﷺ في صفة حجة النبي ﷺ، وفيه: **«فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ، حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ، نَظَرْتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ، مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ، فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ لَبَّيْكَ، اللَّهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ، وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ».**

الخلاف في الأمر كثيرًا مما يكثر من الأفكار، والآراء التي ـ كما ترون ـ تصرف عن التوحيد الخالص، وتصرف عن السُّنَّة، وتصرف عن نهج السلف الصالح، وتصرف عن الأمر العتيق الذي أوصى به أئمة الإسلام قاطبة؛ لأنه إذا اختلفت الأمور، وَعَلَيْكُمْ بِأَمْرِكُمُ الْعَتِيقِ[1]، فإن فيه النجاة.

نحن بحاجة أصحاب الفضيلة إلى «لبيك اللَّهُمَّ لبيك»، إذا ظهرت الأفكار تدور في أذهاننا مع المشتبهات، نحن بحاجة إلى أن نرجع إلى ما هو واضح، وبيِّن، ومحكم في شرع الله ﷻ؛ لأن في هذا تلبية أمر الله ﷻ، ولأن في هذا تلبية ندائه ﷻ.

لا شك أن الأفكار كثيرة، وأن الآراء متعددة، وأن الأقوال تكثر بكثرة الناس، سيما إذا ظهرت الأمور المشتبهة، لكن الظن بطلبة العلم، والمشايخ، وبالدعاة أن يتركوا ما اشتبه من الرأي إلى المحكم الذي يعلمونه من كلام الله ﷻ، وكلام رسوله ﷺ، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ

---

(١) أخرجه ابن وضاح في البدع (١/ ٦٠) أن مُعاذَ بْنَ جَبَلٍ ﷺ قَامَ بِالشَّامِ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ، أَلَا وَإِنَّ رَفْعَهُ ذَهَابُ أَهْلِهِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْبِدَعَ، وَالتَّبَدُّعَ، وَالتَّنَطُّعَ، وَعَلَيْكُمْ بِأَمْرِكُمُ الْعَتِيقِ». وأخرجه الدارمي (١٤٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٢٥٢)، والمروزي في السُّنَّة (ص٢٩، ٣٠)، والطبراني في الكبير (٨٨٤٥)، واللالكائي في اعتقاد أهل السُّنَّة (١/ ٨٧) عن ابن مَسْعُودٍ ﷺ قال: «عَلَيْكُمْ بِالعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ ذهابُ أهلِه بِالعِلْمِ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لا يَدْرِي مَتَى يُفْتَقَرُ إِلَيْهِ أَوْ يُفْتَقَرُ إلى مَا عِنْدَهُ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ أَقْوَامًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَكُمْ إلى كِتَابِ اللهِ، وَقَدْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، فَعَلَيْكُمْ بِالعِلْمِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّبَدُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقَ، وَعَلَيْكُمْ بِالعَتِيقِ».

﴿إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، فأكد ﷻ هنا أن الذين يتبعون المتشابه، ويتركون المحكم هم الذين في قلوبهم زيغ، وهل المتشابه سبب في الزيغ؟

ليس الأمر كذلك، فالله ﷻ بيَّن لنا في هذه الآية أن الزيغ يوجد أولًا، فيذهب أصحابه إلى المتشابه؛ ليستدلوا به على غير فهم، قال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾، وهذا الواجب فيه على أهل العلم، وعلى طلبة العلم، والمشايخ الذين يحملون نهج السلف الصالح، ويدافعون عنه في هذه الأرض التي عز فيها اليوم من يدافع عن السُّنَّة، وعن نهج السلف الصالح فيما تسمعون اليوم من صراع في القنوات الفضائية، وفي وسائل الإعلام في مذاهب، وآراء شتى تصرف عن السُّنَّة، وتصرف عن الحق.

والواجب الملقى علينا كبير كبير كبير، والظن ألا نخذل هذه الشريعة، بل أن نضحي، ونبذل في كل سبيل يكون معه نصرة لسُنَّة محمد ﷺ، والحفاظ على الأمانة التي وصلت إلينا سليمة، وهي نهج السلف الصالح، وعقيدة السلف الصالح، والسُّنَّة البيضاء.

فالله الله أن نقصر، فينصرف الناس، أو يؤثر على الناس شبابًا، وشيبة، وعامة، وخاصة فيما ليس موافقًا لهذا النهج.

أصحاب الفضيلة...

في هذه المناسبة نقدم الشكر الجزيل لسماحة شيخنا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ ـ حفظه الله تعالى ـ على تكرمه بالحضور لهذا الحفل، وإتحافنا بتوجيهاته، وعلى ما تلقاه هذه الوزارة منه من سعي دؤوب في كل ما فيه رفعة شأن هذه الوزارة، وتسديد للدعاة، والعمل الدعوي في كل ميدان من ميادينها.

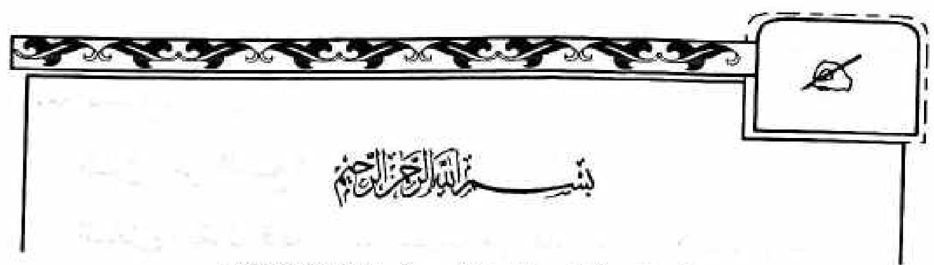
كما أني أشكر الجميع أصحاب الفضيلة، والمشايخ، والدعاة الذين شاركوا في برامج التوعية في هذا العام على ما يبذلون، ويعملون من عمل كبير، وكان معهم - إن شاء الله تعالى - النجاح للتوعية الإسلامية في الحج لهذا العام ألف وأربعمائة وثلاثة وعشرين من هجرة النبي ﷺ.

ولا يفوتني - أيضًا - أن أشكر زملائي، وإخواني في وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف، والدعوة، والإرشاد على جهودهم، سيما الوكلاء، والمدراء، والمشاركين، والجميع، والسادة الموظفين؛ لأن هذا العمل عمل جماعي، الجميع يجتهد فيه؛ لينجح العمل بمجمله، ولفضيلة أمين عام التوعية الإسلامية في الحج الشيخ جابر المدخلي، ولزملائه في الأمانة كل الشكر الخاص على جهودهم الكبيرة في هذا السبيل.

سائلًا الله ﷻ أن يوفق ولاة أمورنا لما فيه رضاه، وأن يجعلنا وإياكم من المتعاونين على البر، والتقوى، وأن يثبت خطى الجميع، وأن يصرف عن هذه الأمة الشر، وأن يقيها الفساد في أمر دينها، ودنياها، وأن يكفينا شر الأعداء، وأن يلهمنا الرشد، والسداد، وأن يعلي كلمة الله ﷻ خفاقة، وأن يكبت من فيه شر على الإسلام وأهله، إنه ﷻ جواد كريم، نعم المولى، ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم، ورحمة الله، وبركاته.

❁ ❁ ❁



جلسة خاصة بتاريخ ١٤٢٤/١/١٢هـ

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين؛ **أما بعد:**

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال: يا شيخ، هل رأيت تفسير أحمد شاكر (عمدة التفسير في اختصار ابن كثير) النسخة الكاملة؟

الشيخ: هو ما أكملها، يمكن كمَّلها أحد غيره.

السائل: يا شيخ، وقفوا على نسخة كاملة عند أبناء الشيخ، الشيخ نفسه كمله، وذكر الشيخ فيها: انتهيت من هذا التفسير يوم كذا، تاريخ كذا، مغرب كذا.

الشيخ: التي في مصر هذه التي تقول عليها.

السائل: نعم، لعلي أطلعكم عليها - إن شاء الله - عمدة التفسير.

الشيخ: أشك في هذا.

السائل: والله، أنا شككت كثيرًا، حتى وقفت على هذه النسخة.

الشيخ: لعلك تبني على ما كان، أقول: يستمر شكك.

السائل: إن شاء الله، نأتي بها؛ حتى يزول الشك باليقين، هي مقدمة للشيخ.

الشيخ: من الشيخ؟ المقدمة هذه في الأول.

السائل: يقول فيها: لقد انتهيت من هذا التفسير؛ ليكون عمدة.

الشيخ: من الذي طبعه؟

السائل: دار الوفاء ودار طيبة.

الشيخ: هذا كلام يحتاج إلى تثبت كثير وإعادة نظر.

السائل: يا شيخ، إنه أكملها بناءً على ما سبق من قطع الأجزاء أم أن هناك شيئًا آخر؟

الشيخ: لا، عن معرفتي أنه لم يكمله.

السائل: بناءً على الأجزاء المطبوعة؟

الشيخ: لا، هو معرفتي بالشيخ وبعمل الشيخ وبكتبه أنه ما أكمله، قد يكون أكمل قراءة ابن كثير والحذف منه، خطط، عمل خطوط، هذه مسألة ثانية، من غير الاختصار، ولكن يظهر أنه بعد ذلك أن الذي طبع الأجزاء الأولى دار المعارف في مصر، دار المعارف بمصر بينها وبينهم اتفاق.

السائل: ومكتبة التراث طبعت بعض الأجزاء.

الشيخ: ومكتبة التراث هذه فيها شكوك، ما أفهم الكلام هذا، كونها تتأخر طوال هذه المدة، وجاء من عند ابنه سعود أو من عند بيته الثاني.

السائل: الشيخ ما ذكر أسماء الأبناء.

الشيخ: ذكر واحدًا (سعود)، والبقية بنات، أنا عارفهم كلهم.

السائل: هل اقتنيت من عنده شيئًا من الكتب يا شيخ؟

الشيخ: حتى من عند ابنه سعود أخذنا مجموعة، وعندي معرفة بأسماء، وأخذنا بعض المخطوطات وبعض المصورات التي كان يحقق عليها، وعمدة التفسير أيضًا.

السائل: ومخطوط ابن كثير الذي اختصر الشيخ منه؟

الشيخ: هذه موجودة متوفرة، وليست نسخة مثالية، يوجد ما هو أمثل منها، ولكن هي التي اعتمد عليها الشيخ رشيد رضا في الطبع في التفسير، واعتمد عليها أصحابه الذين طبعوا عن مطبعة الشعب، الشيخ محمد البنا ومن معه.

السائل: النسخة الأزهرية؟

الشيخ: نعم، النسخة الأزهرية، طباعة الشيخ رشيد، وطبع معها البغوي، وطباعة الشعب، هذه اعتمدت على النسخة الأزهرية، وبقية الطبعات لا عن طبعات مختلفة، ابن كثير تختلف نسخه اختلافًا كبيرًا جدًا، خاصة ثمانية الأجزاء الأولى.

السائل: وأمثل النسخ المخطوطة في أي مكان؟

الشيخ: أمثلها كاملة الأزهرية كاملة، ولكن توجد قطع في تركيا أحسن منها وأقدم، توجد نسخة في تركيا محذوف منها قصة العتبي عند قوله ﷺ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، في النسخة الأزهرية موجودة، حكاية العتبي هذه، وتوجد نسخة هناك محذوفة، موجودة القطعة هذه في مكتبة في المدينة.

السائل: يمكن أن يُقال: إن الحافظ ابن كثير كان يهذب من حين لآخر؟

الشيخ: هو من أوله إلى الأنعام إلى قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠] هذا فيه الاختلاف كثير، الشيخ أحمد شاكر في أول العمدة ـ في المقدمة ـ ذكر القصة أن ابن كثير كان يفسر في المسجد، يفسر للطلاب الحاضرين، وما بدأ التدوين ـ يعني: انشرح صدره للتدوين ـ، إلا عند قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، وهنا بدأ ابن كثير يدون بنفسه، فيكتب التفسير، استقام له المنهج بعد ما مشى، ثم الطلاب نقلوا منه تفسيره من أوله، ثم هو عاد مرة ثانية في المسودة، وعاد الثالثة، فحصل اختلاف كبير جدًا؛ يعني: تفسير سورة (الفاتحة) فيه حذف وزيادة كثير، الجزء الأول من (البقرة) الصفحة أحيانًا تصير ناقصة؛ يعني: فيها سقط، فابن كثير يبقى فيه الإشكال قائمًا، ولكن ـ الحمد لله ـ متقارب.

السائل: هل طريقة الشيخ أحمد شاكر جيدة في الاختصار ـ إجمالًا جيدة ـ، أو يبقى الخلل في قضية حذف الأسانيد والحكم على الأحاديث؟

الشيخ: يبقى أنه عمل عملًا صالحًا في اختصاره، يؤجر عليه، ولكن هل هو يفيد، ولذلك من حين ألف عمدة التفسير ما أحد رجع إليه، كل من اختصر ابن كثير؛ لأن الأصل عليه نور، كلها نقول سلفية، حتى الإسرائيليات التي فيه إما أن يعلق عليها ابن كثير، وإما أن تكون موافقة لما قيل في رواية الإسرائيليات وحكاياتها.

سؤال: أحسن الله إليك! يا شيخ، الأمثل من المطبوع يا شيخ؟

الشيخ: طبعة دار الشعب، والطبعة الأخيرة هذه طبعة السلامة.

السائل: يا شيخ، هناك أحسن منها، وإن شاء الله سأريكم إياها، نسخة أولاد الشيخ.

الشيخ: أولاد الشيخ من؟

السائل: هكذا في مصر مكتبة اسمها مكتبة أولاد الشيخ.

الشيخ: طبعة السلامة جيدة، والخامسة عشرة أيضًا جيدة.

سؤال: السلامة اعتذر عن عدم استطاعته الحصول على كل النسخ؟

الشيخ: أصلًا ما يمكن الواحد يحصل كل النسخ.

السائل: أصحاب المكتبات يطبعون طبعة البنا غير عاشور في ثلاثة مجلدات.

الشيخ: نفسها محمد إبراهيم البنا؟

السائل: نفسها.

الشيخ: الله المستعان: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦] وفي الآية التي قبلها ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [محمد: ١٦]، فأثبت سمعًا، ونفى سمعًا، ما المثبت؟ وما المنفي؟ هذا مر عليكم جميعًا، ولكن من باب الفائدة.

طالب: ذكرتم في الواسطية أن السمع الأول في الآية معناه: إدراك المسموع، أما في الثانية: فهو سمع إجابة؛ فالسمع نوعان: إدراك المسموع، والثاني: إدراك فهم.

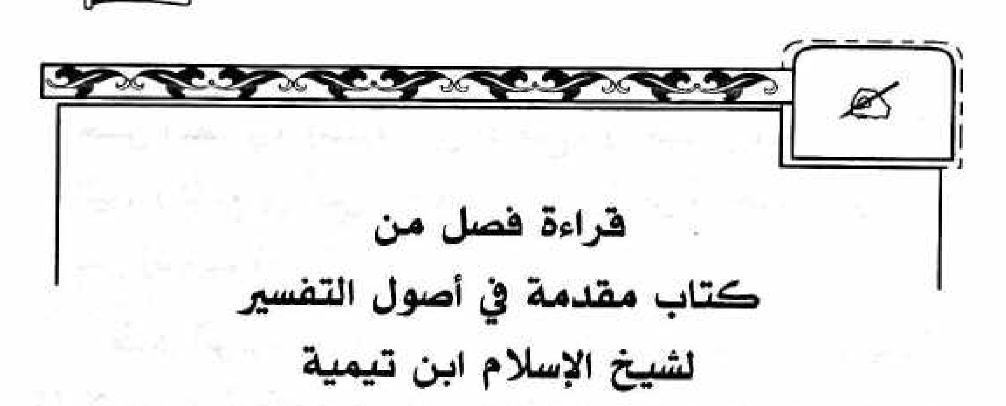
الشيخ: وفي قوله ﷻ: ﴿وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١] أيضًا المنفي هو ماذا؟ هل هناك إضافة؟ مثل: البصر: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]، فأثبت النظر، ونفى البصر، ومثل: إثباته عقلًا، ونفيه عقلًا، ومثل: إثباته قلبًا لهم، ونفيه قلبًا لهم، وهذا كله يرجع إلى أصل، وهو أن هذه الآلات والنعم التي أنعم الله بها على ابن آدم إذا لم يستفد منها في الغاية التي خُلق لها، فيصح نفيها عنه؛

يرى المعجزات، ولا يؤمن، يُقال: لا يُبصر. يسمع الآيات، ولا يؤمن، يُقال: لا يسمع. له عقل يُدرك به الأمور، ويفهم به المعاني، ثم لا يفهم، يُقال: لا يعقل. وهكذا؛ لأن ما تحقق الفائدة منها، والفائدة منها ليست هي الأمور الحيوانية، الفائدة منها تعظيم الرب ﷻ، وإذا كان له بصر، وهو لا يبصر الآيات والنذر، فكأنه ليس له بصر نافع، ليس له سمع نافع، ليس له عقل نافع له، فيصح نفيه عنه؛ باعتبار نفي الانتفاع، مثلما نفى الإنذار، وأثبت الإنذار أيضًا.

طالب: إذا أمر بها في القرآن، يكون المقصود بها الأمر الذي هو تحقيق الفائدة منه؛ مثل: قوله ﷻ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾ [عبس: ٢٤].

الشيخ: هذه نبه عليها ابن القيم في كتابين من كتبه، في «مفتاح دار السعادة»، وفي «طريق الهجرتين».

❁ ❁ ❁



قراءة فصل من كتاب مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية

فصل: في تفسير القرآن بأقوال التابعين

إذَا لمْ تَجِدِ التَّفسِيرَ فِي القُرْآنِ وَلا فِي السُّنَّةِ وَلا وَجَدْته عَن الصَّحَابَةِ فَقَدْ رَجَعَ كَثِيرٌ مِن الأئِمَّةِ فِي ذَلكَ إلى أقْوَال التَّابِعِينَ؛ كَمُجَاهِدِ بْنِ جَبْرٍ فَإِنَّهُ كَانَ آيَةً فِي التَّفْسِيرِ كَمَا قَال مُحَمَّدُ بْنُ إسْحَاقَ: حَدَّثَنَا أبَانُ بْنُ صَالِحٍ عَن مُجَاهِدٍ قَال: عَرَضْت المُصْحَفَ على ابْنِ عَبَّاسٍ ثَلاثَ عرضات مِن فَاتِحَتِهِ إلى خَاتِمَتِهِ أوقِفُهُ عِنْدَ كُل آيَةٍ مِنْهُ وَأسْألُهُ عَنْهَا.

وَبِهِ إلى التِّرْمِذِيِّ قَال: حَدَّثَنَا الحُسَيْنُ بْنُ مَهْدِيٍّ البَصْرِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَن مُعَمَّرٍ عَن قتادة قَال: مَا فِي القُرْآنِ آيَةٌ إلا وَقَدْ سَمِعْت فِيهَا شَيْئًا وَبِهِ إليْهِ قَال حَدَّثَنَا ابْنُ أبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عيينة عَن الأعْمَشِ قَال: قَال مُجَاهِدٌ: لوْ كُنْت قَرَأت قِرَاءَةَ ابْنِ مَسْعُودٍ لمْ أحْتَجْ أنْ أسْأل ابْنَ عَبَّاسٍ عَن كَثِيرٍ مِن القُرْآنِ مِمَّا سَألت.

وَقَال ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا أبُو كريب قَال: حَدَّثَنَا طَلقُ بْنُ غَنَّامٍ عَن عُثْمَانَ المَكِّيِّ عَن ابْنِ أبِي مُليْكَةَ قَال: رَأيْت مُجَاهِدًا سَأل ابْنَ عَبَّاسٍ عَن تَفْسِيرِ القُرْآنِ وَمَعَهُ ألوَاحُهُ قَال: فَيَقُولُ لهُ ابْنُ عَبَّاسٍ أكْتُبْ حَتَّى سَألهُ عَن التَّفْسِيرِ كُلِّهِ.

وَلهَذَا كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ يَقُولُ: إذَا جَاءَك التَّفْسِيرُ عَن مُجَاهِدٍ فَحَسْبُك بِهِ.

وَكَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَعِكْرِمَةَ مَوْلى ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، وَالحَسَنِ البَصْرِيِّ، وَمَسْرُوقِ بْنِ الأَجْدَعِ، وَسَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ، وَأَبِي العَالِيَةِ، وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، وَقَتَادَةَ، وَالضَّحَاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ، وَغَيْرِهِمْ مِن التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ.

فَتُذْكَرُ أَقْوَالُهُمْ فِي الآيَةِ فَيَقَعُ فِي عِبَارَاتِهِمْ تَبَايُنٌ فِي الأَلفَاظِ يَحْسَبُهَا مَنْ لا عِلمَ عِنْدَهُ اخْتِلافًا فَيَحْكِيهَا أَقْوَالًا، وَلَيْسَ كَذَلكَ فَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يُعَبِّرُ عَن الشَّيْءِ بِلازِمِهِ أَوْ نَظِيرِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنُصُّ عَلى الشَّيْءِ بِعَيْنِهِ وَالكُلُّ بِمَعْنَى وَاحِدٍ فِي كَثِيرٍ مِن الأَمَاكِنِ فَليَتَفَطَّنْ اللبِيبُ لذَلكَ وَاللهُ الهَادِي.

وَقَال شُعْبَةُ بْنُ الحَجَّاجِ وَغَيْرُهُ: أَقْوَالُ التَّابِعِينَ فِي الفُرُوعِ ليْسَتْ حُجَّةً فَكَيْفَ تَكُونُ حُجَّةً فِي التَّفْسِيرِ؟! يَعْنِي: أَنَّهَا لا تَكُونُ حُجَّةً عَلى غَيْرِهِمْ مِمَّنْ خَالفَهُمْ، وَهَذَا صَحِيحٌ أَمَّا إذَا أَجْمَعُوا عَلى الشَّيْءِ فَلا يُرْتَابُ فِي كَوْنِهِ حُجَّةً، فَإِنْ اخْتَلفُوا فَلا يَكُونُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ حُجَّةً عَلى بَعْضٍ، وَلا عَلى مَنْ بَعْدَهُمْ وَيُرْجَعُ فِي ذَلكَ إلى لُغَةِ القُرْآنِ أَوْ السُّنَّةِ أَوْ عُمُومِ لُغَةِ العَرَبِ أَوْ أَقْوَال الصَّحَابَةِ فِي ذَلكَ.

الشرح:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه؛ وبعد:

سبق فيما مضى الكلام عن طرق التفسير، وقد ذكر أن القرآن يُفسر بالقرآن، ثم القرآن يُفسر بالسُّنَّة، ثم يُفسر بأقوال الصحابة ﵃، والآن انتقل إلى تفسير القرآن بأقوال التابعين، والتابعون في مأخذهم في التفسير أخذوا من عدة اتجاهات أو مدارس:

الأولى: هي مدرسة ما سمعوه من الصحابة ﭫ، وهي الأكثر؛ فإنك تجد أن الملازم للصحابي يُفسر بتفسيره، فالملازم لابن مسعود ﭬ يفسر بتفسيره، والملازم لأُبي بن كعب ﭬ يفسر بتفسيره، الملازم لعلي يفسر بتفسيره ﭬ أجمعين، وكذلك من لازم ابن عباس ﭭ؛ فإنه يفسر بتفسيره، كما أطال هنا الكلام على مجاهد، فهو من أوضح الصور في التزام مدرسة ابن عباس ﭭ في التفسير، وهذا هو المأخذ الأول.

المأخذ الثاني: أن يجتهد التابعي في التفسير، فيفسر باجتهاده، وهذا الاجتهاد راجع إلى نظره في الآيات، أو نظره في السُّنَّة، أو إلى ما سمعه، وَتَكَوَّنَ لديه من علوم مختلفة، وهذا كثير عند التابعين باعتبار ما سمعوه، أو باعتبار اللغة، أو ما شابه ذلك. ولهذا كثر اختلافهم؛ لأجل كثرة اجتهاداتهم.

القسم الثالث ـ أو النوع الثالث: من مأخذهم هو حال التابعي في التفسير ـ يعني: في أثناء تفسيره ـ، فهو تارة يفسر، فيختصر بكلمة؛ لأنه سُئل عنها، وتارة يُفسر، فيطيل؛ لأن المقام يقتضي ذلك، ولهذا تستغرب من أن التابعين حينما فسروا، تجد أن من تفاسيرهم ما هو مقتضب جدًا، ومنه ما هو مطول، فتجده يسهب في تفسير الآية، وسبب ذلك اختلاف الحال التي فسر فيها، وهذه الأحوال في الغالب لا تُنقل لنا، وإنما يُنقل لنا القول الذي قاله، دون الحال الذي جعل التابعي يطنب أو يختصر؛ كما هو أيضًا في حال الصحابة ﭫ.

وذكر هنا عددًا من أسماء مفسري التابعين ممن نُقل عنهم التفسير، وهؤلاء مشاهير، وتفاسيرهم منقولة بكتب التفاسير بالأثر، وهذه المدرسة: مدرسة تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسُّنَّة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة، تفسير القرآن بأقوال التابعين، هذه تسمى مدرسة

التفسير بالأثر، ويعني بالأثر: أن مَنْ نقل عن الصحابي، فإنه يكون قد فسر بالأثر، ومن نقل عن التابعي، فإنه يكون قد فسر بالأثر، حتى ولو كان تفسير الصحابي اجتهادًا منه في اللغة، أو كان تفسير التابعي اجتهادًا منه في اللغة، وليس مما نقله.

وتفسير القرآن فيه مدرستان مشهورتان:

١ ـ مدرسة التفسير بالأثر.

٢ ـ ومدرسة التفسير بالرأي.

ومدرسة التفسير بالرأي لها عدة مدارس في داخلها، منها: مدرسة التفسير باللغة، والصحابة ﷺ اجتهدوا في التفسير باللغة، وكما ذكرنا أمثلة فيما سبق، وكذلك التابعون فسروا بالأثر، وفسروا باللغة، ولكن ما نُقل عنهم حتى ولو كان تفسيرًا لغويًا، لا يصنفهم في مدرسة التفسير باللغة، بل هي مدرسة التفسير بالأثر، وسبب ذلك أن اجتهادهم في التفسير ليس راجعًا لاجتهادهم في اللغة، ولكن لأن اللغة العربية هي اللغة التي يتكلمون بها، وهي سليقتهم وفطرتهم، لم يأخذوها بالتطبع؛ مثلما جاء في مدرسة التفسير بالرأي؛ حيث فشا اللحن، وفشا الفساد في اللغة، فيكون تفسير العالم باللغة يكون مما تعلمه من اللغة، وليس مما طُبع عليه، ولهذا لم يعد العلماء تفاسير التابعين ولا تفاسير الصحابة من التفاسير اللغوية، حتى ولو كانوا ما اجتهدوا فيه لغويًا لهذا السبب، وهو أن تفسيرهم باللغة كان عن طبع، وليس عن اجتهاد؛ ولذلك لا تجد في تفسيرهم باللغة التفسير بالنحو، كما لا تجد فيه التفسير البلاغي، كما لا تجد فيه تفسير ألفاظ اللغة عن طريق الاشتقاق الذي شاع عند المتأخرين، وإنما هو بالسليقة، فعامة ما ينقلون عن الصحابة أو عمن أدركوه من أصحاب السليقة العربية.

وتفاسير التابعين قد يكون فيها اختلاف، وقد ذكر المصنف الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله أن ما اختلفوا فيه يُنْدر، أو يقل أن يكون فيه اختلاف تضاد في التفسير الواحد، وإنما يكون تنوعًا في العبارات، والمآل واحد، إما أن يكون بعضهم جاء بالعموم، وبعضهم خص، وبعضهم جاء بفرد من الأفراد، والآخر أتى بكله، أو بعضهم جاء بالكل، والآخر جاء بالجزء، وهكذا.

المسألة الثالثة التي طرقها مسألة خيالية والمصير إليها متعذر، وهي مسألة الإجماع في التفسير، والتابعون لا أذكر أن أحدًا من أهل العلم قال: أجمع التابعون على أن تفسير هذه الكلمة هو كذا، ولكن شيخ الإسلام فيما ذكر هذا بناءً على تنذير المعتاد، أنهم إن أجمعوا على شيء، فالحجة فيما أجمعوا عليه، ولكن في الواقع فإنهم لم يُنقل عنهم الإجماع في تفسير آية، بينما الصحابة رضي الله عنهم نُقل عنهم، أما التابعون، فإنهم لم يُنقل عنهم أنهم أجمعوا في تفسير كلمة أو آية على أنها تُفسر بكذا، ولهذا صار خلاف المفسرين والأئمة في التفاسير لتفاسير التابعين سائغًا؛ لأنهم اختلفوا، وإذا كان كذلك، فيرجع فيه المجتهد في التفسير إلى الحجة من القرآن، أو الحجة من السُّنَّة، أو طرق التفسير الأخرى.

فتفاسير التابعين ليست حجة إلا في حال إجماعهم، وهذه حال خيالية؛ كما قال الإمام أحمد: «من ادَّعى الإجماع فقد كذب»[1]؛ لأن الإجماع في المسائل الفرعية متعذر، فكيف بالمسائل العلمية؛ كالتفسير

(١) كلمة الإمام أحمد هذه، ذكرها غير واحد من أهل العلم عنه، منهم: ابن حزم الظاهري وقد رواها بسنده في المحلى (٥/ ٥٠)، وفي الإحكام (٤/ ٥٧٣)، وانظر: الإحكام للسيف الآمدي (١/ ٢٥٦)، والاعتصام للشاطبي (١/ ٣٥٦)، والمسودة (١/ ٢٨٣)، وإعلام الموقعين (١/ ٣٠)، والمدخل (١/ ١١٥)، وإرشاد الفحول (١/ ١٣٤).

عند التابعين؟ سيما وأن مدارس التابعين في التفسير مختلفة متباينة، فهناك: مدرسة مكة، ومدرسة المدينة، والكوفة، والبصرة، والشام، وهي تفاسير لا شك أنها عرضة للاختلاف الكبير.

ويمكن أن نقول هنا: **أن تفسير التابعين يتميز بأمور:**

الأولى: أنه لا خلط فيه من حيث النواحي العقدية، بل تفاسيرهم فيما يتعلق بالاعتقاد صحيحة، وهذا الذي جعل عددًا من أئمة السُّنَّة ينقلون بعض تفاسير التابعين في كتب العقيدة والسُّنَّة، مثل: ما يُروى عن عكرمة وعن مجاهد في بعض المسائل التي منها مسألة الإجلاس ونحوها، فالأصل أنه لا يقع عندهم خلل فيما يذكرونه في أبواب الغيبيات، وهذه ميزة لتفاسيرهم. نعم، قد يكون هناك نزاع بين أهل السُّنَّة في مسألة مما نُقل عنهم، ولكن الأصل فيما نقلوه في مسائل الاعتقاد السلامة؛ لأنهم مؤتمنون على ذلك بما أثنى الله عليهم به، وأثنى عليهم به رسوله ﷺ.

المزية الثانية: أن كلامهم قليل في الألفاظ كثير المعاني؛ كسمة تفاسير الصحابة ﵃، فإنك تجد أن تفاسير التابعين إذا تأملتها يمكن أن تُخرِجَ من التفسير إشارة أو معنى كبيرًا جدًّا، يتطرق له الداعية والعالم أو الواعظ، وهكذا في كلمات وجيزة كثيرة المعاني.

المزية الثالثة: أن تفاسيرهم لا تخالف اللغة، فهي متفقة مع اللغة، بخلاف تفاسير من أتى بعدهم؛ فإنه قد فشا اللحن، وقد يقع الخلل في التفسير اللغوي عندهم.

المزية الرابعة: أن تفاسير التابعين دُوِّنَ كثير منها، وأصبحت تُنقل من طريق صحف، أو من طريق أسانيد ثابتة، عرفت تفاسير التابعين بها،

فتفسير مجاهد منقول بإسناد معروف عنه، وصحيفة مجاهد نفسها منقولة بإسناد واحد، وكذلك المشاهير الآخرون من التابعين، إما أن يكون عنده صحيفة في التفسير مكتوبة، أو يكون هناك جادة في الإسناد واحدة منقول عنها في التفسير، فيكون الأسانيد الأخرى التي نقلت عنه في التفسير قليلة، وهذا بخلاف تفاسير الصحابة؛ فإن الكتابة عنهم غير موجودة، إلا ما ذكر عن كتابة قليلة عن ابن عباس وعلي وابن مسعود ﷺ، ولكنها ليست شاملة كتفاسير التابعين، والأسانيد أيضًا متنوعة عن الصحابة، بخلاف أسانيد التابعين، هذا بعض ما يتعلق بمزايا تفسير التابعين رحمهم الله تعالى.

أسئلة:

سؤال: قد يكون التفسير واحدًا مع التغاير في العبارة، هذا كثير جدًا في كلام التابعين، فهل هذا يعتبر إجماعًا أو خارجًا عنه؟

الشيخ: لا، هذا لا يعتبر إجماعًا؛ لأن الإجماع: أن يكون كل من عرف بالتفسير من التابعين نُقل تفسيره للآية، فاتفقوا عليه، نحن نجد أن المقول في الآية يُنقل عن واحد أو اثنين فقط، فلا يسوغ أن نقول: إن البقية الذين لم ينقل كلامهم متفقون معهم في ذلك.

سؤال: وكذلك في تفاسير الصحابة ﷺ أيضًا؟

الشيخ: كذلك؛ يعني: عدم ذكر الخلاف لا يعني الإجماع، هذا بعض العلماء يسميه إجماعًا سكوتيًا، وبعضهم يقول: لم يُعلم لهم مخالف. فكان إجماعًا، وهذه كلها فيها تجوز، وليست موافقة لشروط الأصوليين في مسألة الإجماع.

سؤال: ما معنى قول مجاهد: (لَوْ كُنْتُ قَرَأْتُ قِرَاءَةَ ابْنِ مَسْعُودٍ لَمْ

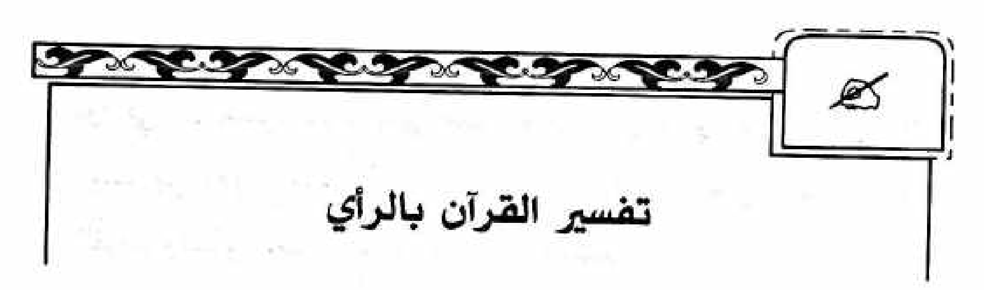
أَحْتَجُ أَنْ أَسْأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْقُرْآنِ مِمَّا سَأَلْتُ)؟[(١)].

الشيخ: لأن قراءة ابن مسعود ﷺ مفصلة، ابن مسعود ﷺ قراءته قراءة مفصلة، ابن مسعود يقرأ الآية، ويقرأ معها التفسير؛ يعني: يضيف كلمات فيها التفسير، ولذلك اشتبه هذا على عدد من المتأخرين بأنهم يعتقدون أن هذه الزيادات في قراءة ابن مسعود ﷺ، وهذا ليس بصحيح، إنما هي من تفسيرات ابن مسعود ﷺ؛ مثل: الآية المشهورة، قال ﷻ: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ [النساء: ١٢]، هذه في قراءة ابن مسعود ﷺ، وهي تفسيرية، ليست في قراءته، ولكن يُقال بالتجوز: إنها في قراءة ابن مسعود، ولكن ابن مسعود ﷺ كان يفسر؛ يعني: يقرأ ويفسر، ولها أمثلة كثيرة، وقد ذكر كثيرًا منها الحافظ ابن أبي داود في كتابه (المصاحف)؛ يعني: أطنب في هذه المسألة، تعرفون كتاب (المصاحف) لابن أبي داود كتاب مشهور بالأسانيد نقل كثيرًا من هذا.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٠٠)، كما أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٧/ ٢٨)، والذهبي في السير (٤/ ٤٥٤).



تفسير القرآن بالرأي

فَأَمَّا تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ بِمُجَرَّدِ الرَّأْيِ، فَحَرَامٌ، حدَّثنا مُؤَمَّلٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الأَعْلى، عَن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَال: قَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ قَال فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِن النَّارِ»**.

وَعَن وَكِيعٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَن عَبْدِ الأَعْلى الثَّعْلبِيِّ، عَن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَال: قَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ قَال فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِن النَّارِ»**[١].

وَبِهِ إلى التِّرْمِذِيِّ قَال: حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حميد، حَدَّثَنِي حَسَّانُ بْنُ هِلالٍ، قَال: حَدَّثَنَا سُهَيْلٌ أَخو حَزْمٍ القطعي، قَال: حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الجوني عَن جُنْدُبٍ، قَال: قَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ قَال فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ»**[٢]. قَال التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وَقَدْ تَكلمَ بَعْضُ أَهْلِ الحَدِيثِ فِي سُهَيْل بْنِ أَبِي حَزْمٍ.

---

(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. أخرجه الترمذي (٢٩٥٠، ٢٩٥١)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٣١)، وفي فضائل القرآن (ص١٣٥)، وأحمد (١/ ٢٣٣، ٢٦٩)، والرافعي في أخبار قزوين (١/ ٢٠١)، وقال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح).

(٢) من حديث جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه. أخرجه أبو داود (٣٦٥٢)، والترمذي (٢٩٥٢)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٣١)، وفي فضائل القرآن (ص١٣٥)، وأبو يعلى في مسنده (٣/ ٩٠)، وفي المفاريد له (١/ ٤٢)، والروياني في مسنده (٢/ ١٤٥)، والطبراني في الكبير (١٦٧٢)، والأوسط (٥/ ٢٠٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣١/ ٦)، من طرق عن سهيل بن أبي حزم عن أبي عمران الجوني، عن جندب مرفوعًا به. قال الترمذي: (وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم). =

وَهَكَذَا رَوَى بَعْضُ أَهْلِ العِلمِ مِن أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهُمْ شَدَّدُوا فِي أَنْ يُفَسَّرَ القُرْآنُ بِغَيْرِ عِلمٍ. وَأَمَّا الذِي رُوِيَ عَن مُجَاهِدٍ وقتادة وَغَيْرِهِمَا مِن أَهْلِ العِلمِ أَنَّهُمْ فَسَّرُوا القُرْآنَ، فَلَيْسَ الظَّنُّ بِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي القُرْآنِ وَفَسَّرُوهُ بِغَيْرِ عِلمٍ أَوْ مِن قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُمْ مَا يَدُلُّ عَلى مَا قُلنَا أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا مِن قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ بِغَيْرِ عِلم، فَمَنْ قَال فِي القُرْآنِ بِرَأْيِهِ، فَقَدْ تَكَلفَ مَا لا عِلمَ لهُ بِهِ، وَسَلكَ غَيْرَ مَا أُمِرَ بِهِ، فَلوْ أَنَّهُ أَصَابَ المَعْنَى فِي نَفْسِ الأَمْرِ لكَانَ قَدْ أَخْطَأَ؛ لأَنَّهُ لمْ يَأْتِ الأَمْرَ مِن بَابِهِ؛ كَمَنْ حَكَمَ بَيْنَ النَّاسِ عَلى جَهْلٍ، فَهُوَ فِي النَّارِ، وَإِنْ وَافَقَ حُكْمُهُ الصَّوَابَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ؛ لكِنْ يَكُونُ أَخَفَّ جُرْمًا مِمَّنْ أَخْطَأَ وَاللهُ أَعْلمُ.

وَهَكَذَا سَمَّى اللهُ تَعَالى القَذَفَةَ كَاذِبِينَ، فَقَال: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النور: ١٣]، فَالقَاذِفُ كَاذِبٌ، وَلوْ كَانَ قَدْ قَذَفَ مَنْ زَنَى فِي نَفْسِ الأَمْرِ؛ لأَنَّهُ أَخْبَرَ بِمَا لا يَحِلُّ لهُ الإِخْبَارُ بِهِ وَتَكَلفَ مَا لا عِلمَ لهُ بِهِ، وَاللهُ أَعْلمُ.

وَلهَذَا تَحَرَّجَ جَمَاعَةٌ مِن السَّلفِ عَن تَفْسِيرِ مَا لا عِلمَ لهُمْ بِهِ؛ كَمَا رَوَى شُعْبَةُ عَن سُليْمَانَ عَن عَبْدِ اللهِ بْنِ مُرَّةَ عَن أَبِي مَعْمَرٍ قَال: قَال أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: «أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي وَأَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي إِذَا قُلت فِي كِتَابِ اللهِ مَا لمْ أَعْلمْ؟».

وَقَال أَبُو عُبَيْدٍ القَاسِمُ بْنُ سَلام: حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ يَزِيدَ عَن العَوَّامِ بْنِ حوشب عَن إِبْرَاهِيمَ التيمي أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ سُئِل عَن قَوْلِهِ:

= وانظر: مقدمة ابن كثير لتفسيره (٦/١).

﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ فقال: «أيُّ سَماءٍ تُظلُّني وأيُّ أرضٍ تُقِلُّني إنْ أنا قُلت في كِتَابِ اللهِ مَا لا أعْلمُ؟» مُنْقَطِعٌ.

وَقَال أبُو عُبَيْدٍ أيْضًا حَدَّثَنا يَزِيدُ عَن حميد عَن أنَسٍ أنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ قَرَأ عَلى المِنْبَرِ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ فَقَال: «هَذِهِ الفَاكِهَةُ قَدْ عَرَفْنَاهَا فَمَا الأبُّ؟» ثُمَّ رَجَعَ إلى نَفْسِهِ فَقَال: «إنَّ هَذَا لهُوَ التَّكَلُّفُ يَا عُمَرُ».

وَقَال عَبْدُ بْنُ حميد حَدَّثَنا سُليْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَال: حَدَّثَنا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَن ثَابِتٍ عَن أنَسٍ قَال: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ وَفِي ظَهْرِ قَمِيصِهِ أرْبَعُ رِقَاعٍ فَقَرَأ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ فَقَال: «مَا الأبُّ؟ ثُمَّ قَال: إنَّ هَذَا لهُوَ التَّكَلُّفُ فَمَا عَليْك ألا تَدْرِيه».

وَهَذَا كُلُّهُ مَحْمُولٌ على أنَّهُمَا رضي الله عنهما إنَّمَا أرَادَا اسْتِكْشَافَ عِلم كَيْفِيَّةِ الأبِّ وَإلا فَكَوْنُهُ نَبْتًا مِن الأرْضِ ظَاهِرٌ لا يُجْهَلُ؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضۡبًا ۝٢٨ وَزَيۡتُونًا وَنَخۡلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبًا ۝٣٠﴾ [عبس: ٢٧ - ٣٠].

وَقَال ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنا يَعْقُوبُ بْنُ إبْرَاهِيمَ قَال: حَدَّثَنا ابْنُ عُليَّةَ عَن أيُّوبَ عَن ابْنِ أبِي مُليْكَةَ: أنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ سُئِل عَن آيَةٍ لوْ سُئِل عَنْهَا بَعْضُكُمْ لقَال فِيهَا فَأبَى أنْ يَقُول فِيهَا. إسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

وَقَال أبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنا إسْمَاعِيلُ بْنُ إبْرَاهِيمَ عَن أيُّوبَ عَن ابْنِ أبِي مُليْكَةَ قَال: سَأل رَجُلٌ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ: ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [السجدة: ٥] فَقَال لهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَمَا: ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾؟ فَقَال الرَّجُلُ: إنَّمَا سَألْتُك لتُحَدِّثَنِي. فَقَال ابْنُ عَبَّاسٍ: «هُمَا يَوْمَانِ ذَكَرَهُمَا اللهُ فِي كِتَابِهِ اللهُ أعْلمُ بِهِمَا». فَكَرِهَ أنْ يَقُول فِي كِتَابِ اللهِ مَا لا يَعْلمُ.

وَقَال ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ يَعْنِي ابْنَ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ عَنْ مَهْدِيِّ بْنِ مَيْمُونٍ عَن الوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَال: جَاءَ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ إلى جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ فَسأَلهُ عَن آيَةٍ مِن القُرْآنِ. فَقَال: «أُحَرِّجُ عَليْك إنْ كُنْت مُسْلمًا لمَا قُمْت عَنِّي أوْ قَال: أَنْ تُجالسَنِي».

وَقَال مَالكٌ عَن يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَن سَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا سُئِل عَن تَفْسِيرِ آيَةٍ مِنَ القُرْآنِ قَال: «إنَّا لا نَقُولُ فِي القُرْآنِ شَيْئًا».

وَقَال الليْثُ عَن يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَن سَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ: أَنَّهُ كَانَ لَا يَتَكَلمُ إلا فِي المَعْلُومِ مِن القُرْآنِ.

وَقَال شُعْبَةُ عَن عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ قَال: سَأل رَجُلٌ سَعِيدَ بْنَ المُسَيَّبِ عَن آيَةٍ مِن القُرْآنِ فَقَال: «لا تَسْألنِي عَن القُرْآنِ وَسَل مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ لا يَخْفَى عَليْهِ مِنْهُ شَيْءٌ»، يَعْنِي عِكْرِمَةَ.

وَقَال ابْنُ شوذب: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي يَزِيدَ قَال: كُنَّا نَسْأَلُ سَعِيدَ بْنَ المُسَيَّبِ عَن الحَلال وَالحَرَامِ وَكَانَ أَعْلمَ النَّاسِ فَإِذَا سَأَلنَاهُ عَن تَفْسِيرِ آيَةٍ مِن القُرْآنِ سَكَتَ كَأَنْ لمْ يَسْمَعْ.

وَقَال ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي أَحْمَد بْنُ عبدةَ الضَّبِّيُّ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ قَال: لقَدْ أَدْرَكْت فُقَهَاءَ المَدِينَةِ وَإِنَّهُمْ ليُعَظِّمُونَ القَوْلَ فِي التَّفْسِيرِ، مِنْهُمْ سَالمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَالقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَسَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ، وَنَافِعٌ.

وَقَال أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالحٍ عَنِ الليْثِ عَن هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ قَال: مَا سَمِعْتُ أَبِي تَأَوَّل آيَةً مِن كِتَابِ اللهِ قَطُّ.

وَقَال أَيُّوبُ وَابْنُ عَوْنٍ وَهِشَامٌ الدَّسْتَوَائِيُّ عَن مُحَمَّدِ بْنِ سيرين قَال

سَأَلت عَبيدَةَ السلمانيَّ عَن آيَةٍ مِن القُرْآنِ فَقَال: ذَهَبَ الذِينَ كَانُوا يَعْلمُونَ فِيمَا أُنْزِل مِن القُرْآنِ فَاتَّقِ اللهَ وَعَليْك بِالسَّدَادِ.

وَقَال أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا مُعَاذٌ عَنِ ابْنِ عَوْنٍ عَن عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مُسْلمِ بْنِ يَسَارٍ عَن أَبِيهِ قَال: إِذَا حَدَّثْتَ عَنِ اللهِ فَقِفْ حَتَّى تَنْظُرَ مَا قَبْلهُ وَمَا بَعْدَهُ.

حَدَّثَنَا هشيم عَن مُغِيرَةَ عَن إِبْرَاهِيمَ قَال: كَانَ أَصْحَابُنَا يَتَّقُونَ التَّفْسِيرَ وَيَهَابُونَهُ.

وَقَال شُعْبَةُ عَن عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي السَّفَرِ قَال: قَال الشَّعْبِيُّ: وَاللهِ مَا مِن آيَةٍ إلا وَقَدْ سَأَلتُ عَنْهَا وَلكِنَّهَا الرِّوَايَةُ عَن اللهِ.

وَقَال أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا هشيم، أَنْبَأَنَا عُمَرُ بْنُ أَبِي زَائِدَةَ، عَن الشَّعْبِيِّ عَن مَسْرُوقٍ قَال: اتَّقُوا التَّفْسِيرَ فَإِنَّمَا هُوَ الرِّوَايَةُ عَنِ اللهِ.

فَهَذِهِ الآثَارُ الصَّحِيحَةُ وَمَا شَاكَلهَا عَن أَئِمَّةِ السَّلفِ مَحْمُولةٌ على تَحَرُّجِهِمْ عَنِ الكَلامِ فِي التَّفْسِيرِ بِمَا لا عِلمَ لهُمْ بِهِ، فَأَمَّا مَنْ تَكَلمَ بِمَا يَعْلمُ مِن ذَلكَ لُغَةً وَشَرْعًا فَلا حَرَجَ عَليْهِ؛ وَلهَذَا رُوِيَ عَن هَؤُلاءِ وَغَيْرِهِمْ أَقْوَالٌ فِي التَّفْسِيرِ وَلا مُنَافَاةَ؛ لأَنَّهُمْ تَكَلمُوا فِيمَا عَلمُوهُ وَسَكَتُوا عَمَّا جَهِلُوهُ، وَهَذَا هُوَ الوَاجِبُ على كُل أَحَدٍ؛ فَإِنَّهُ كَمَا يَجِبُ السُّكُوتُ عَمَّا لاعِلمَ لهُ بِهِ فَكَذَلكَ يَجِبُ القَوْلُ فِيمَا سُئِل عَنْهُ مِمَّا يَعْلمُهُ؛ لقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وَلمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ المَرْوِيِّ مِن طُرُقٍ: «مَنْ سُئِل عَن عِلمٍ فَكَتَمَهُ أُلجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلجَامٍ مِن نَارٍ».

وَقَال ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا مُؤَمَّلٌ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَن أَبِي الزِّنَادِ قَال: قَال ابْنُ عَبَّاسٍ: التَّفْسِيرُ عَلى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: وَجْهٌ

تَعْرِفُهُ العَرَبُ مِن كَلامِهَا، وَتَفْسِيرٌ لا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ، وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ العُلَمَاءُ، وَتَفْسِيرٌ لا يَعْلَمُهُ إلا اللهُ. وَاللهُ ﷻ أَعْلَمُ.

📖 **الشرح:**

هذا ختام هذا الكتاب العظيم المفيد جدًا المسمى «**مقدمة في أصول التفسير**»، وذكر فيه مسألة التفسير بالرأي، والتفسير بالرأي معناه: أن يُفسر القرآن بلا حجة ولا دليل يرجع إليه، وإنما بمجرد رأي رآه هو، فليس له ما يدل على كلامه من القرآن، ولا من السُّنَّة، ولا من أقوال الصحابة، ولا من اللغة، ولا من السياق، وإنما هو رأى رأيًا، ففسر به، وهذا قول بلا علم، والله ﷻ جعل القول عليه بلا علم قرينة الشرك به؛ لأن الشرك ـ أيضًا ـ قول على الله بلا علم، فلا يحل لأحد أن يفسر القرآن بمجرد رأيه؛ لأن التفسير بالرأي المجرد مذموم ومنهي عنه؛ لأنه داخل في القول على الله ﷻ بلا علم، فالذي يُفسر بالرأي، ويقول: إن معنى قول الله هو كذا. بغير دليل يستدل عليه، وإنما لمجرد شيء بدر له، وظهر بدون حجة ـ لا نقلية، ولا لغوية ـ، فهو داخل فيما جاء في الروايات الكثيرة المتعددة في النهي عن تفسير القرآن والوعيد الشديد في تفسير القرآن بغير علم؛ حيث إنه قد جاء لفظان: «**من قال في القرآن بغير علم**»، وفي رواية: «**مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[1]، فالمراد بالرأي هنا الرأي الذي ليس عليه علم، وهو الذي صار إليه شيخ الإسلام في آخر الكلام بعد النقول الكثيرة عن السلف:

أولًا: عن أبي بكر ﷺ، بعد أن ساق الأحاديث فيمن قال في القرآن بغير علم، ذكر عن أبي بكر وإسنادها عن أبي بكر حسن، ووردت

(١) سبق تخريجه (ص٢٥).

أيضًا عن عمر[١] في قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ وفيها التحذير الشديد من أن يُقال في القرآن بغير علم، أما إذا احتج بعلم ـ إما بآية، أو بسُنَّة، أو بلغة ـ، فإن هذا علم يصح أن يُفسر بناءً على فهم فهمه من آية أو حديث أو لغة، وهذا هو الذي جرى من الصحابة رضوان الله عليهم؛ فقد اجتهدوا بناءً على فهم فهموه، فيُحمل ما روي عنهم عن الخلفاء أو عن الصحابة ﷺ من النهي عن تفسير القرآن بالرأي أو أن يقول قولًا في القرآن بأن هذا القول المقصود به الذي لا يستند إلى حجة ولا دليل، أما ما يستند إلى حجة أو دليل عند صاحبه، فهو مأذون له به؛ كما هو شائع في تفاسير العلماء في هذا الصدد.

---

(١) قال ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٢٧١): (عن إبراهيم النخعي قال: قرأ أبو بكر الصديق: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ فقيل: ما الأب؟ فقيل: كذا وكذا، فقال أبو بكر: إن هذا لهو التكلف أي أرض تقلني أو أي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله بما لا أعلم. وهذا منقطع بين النخعي والصديق، وأخرج من طريق إبراهيم التيمي أن أبا بكر سُئل عن الأب ما هو؟ فقال: أي سماء تظلني. فذكر مثله، وهو منقطع لكن أحدهما يقوي الآخر).

وإسنادها أيضًا صحيح عن عمر: أخرجها ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١٣٦)، في فضائل القرآن، من كره أن يفسر القرآن، برقم (٣٠١٠٥)، وسعيد بن منصور في سننه (١/ ١٨١)، فضائل القرآن، برقم (٤٣) عن يزيد بن هارون، قال أخبرنا حميد عن أنس أن عمر قال على المنبر: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ [عبس: ٣١] ثم قال: هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر.

وهذا إسناد متصل صحيح، وقد صح سماع حميد من أنس ـ وإن كان قد قيل في ترجمته ـ: كان يدلس، وإنما سمع من أنس ثمانية عشر حديثًا ـ وقيل غير ذلك ـ والباقي دلسها عن ثابت، والجواب أنه وإن دلسها عن ثابت ـ إن ثبت ذلك ـ فإن الذي دلسه ثقة جبل من أثبت الناس في أنس وهو ثابت البناني ﵀. هذا مع أن ابن عدي قال في الكامل (٢/ ٢٦٨): (وأما ما ذكر عنه أنه لم يسمع من أنس إلا مقدار ما ذكر وسمع الباقي من ثابت عنه فإن تلك الأحاديث يميزها من كان يتهمه أنها عن ثابت عنه لأنه قد روى عن أنس وقد روى عن ثابت عن أنس أحاديث فأكثر ما في بابه أن الذي رواه عن أنس البعض مما يدلسه عن أنس وقد سمعه من ثابت، وقد دلس جماعة من الرواة عن مشايخ قد رأوهم).

إذا تبين ذلك فهناك أمران:

الأول: يجب الحذر الشديد من أن يُقدم على تفسير القرآن بغير علم، كأن يكون الإنسان غير حافظ للقرآن، بحيث يحمل بعض الآيات على بعض في فهم لمعانيها أو معرفة بالسُّنَّة أو معرفة باللغة، وإنما هو يفسر بحسب رأيه أو ما يطرأ له، وحينئذٍ فالعلم هو الذي تكون معه النجاةُ في هذا الأمر بحيث يستطيع أن يفسر بعلم، وأنه إذا اجتهد في التعبير يكون مقبولًا، كذلك ينبغي أن يراجع التفاسير الأثرية أولًا؛ كتفسير الإمام عبد الرزاق الصنعاني رحمه الله، وكتفسير الإمام أحمد فيما نُقل عنه، وكتفسير سعيد، وتفسير ابن جرير، وتفسير ابن مردويه، وتفسير ابن المنذر، وما أشبهها من التفاسير الأثرية، وكذلك ما لخصت فيه هذه التفاسير كتفسير ابن الجوزي، وتفسير الحافظ ابن كثير وغيرها، ثم هو مع ذلك يكون عنده بصر بالعقيدة الصحيحة التي قررها أئمة الإسلام أئمة السُّنَّة حتى يفهم القرآن عليها، ويكون عنده أيضًا بصر بمواقع التفسير من اللغة، حتى يعرف الإعراب المتقدم والمتأخر، ويعرف طرفًا من علم المعاني حتى يعرف فائدة التقديم والتأخير وفائدة الحصر، وفائدة التأكيد، وفائدة تنوع الحروف، وأشباه ذلك مما هو مقرر في علم المعاني، فإذا كان عنده طرف من علوم اللغة هذه مع معرفة بالقرآن والسُّنَّة والمراجعة في كتب التفسير فإنه إذا اجتهد يُرجى أن يكون اجتهاده ليس فيه تجاوز لقول النبي ﷺ: «**مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**».

الأمر الثاني: فيما ذكر أن تفسير القرآن بالرأي المذموم له أشكالٌ، وله أنحاء:

أولًا: هو مذموم في المسائل الغيبية كمسائل صفات الله عز وجل

أو الجنة والنار أو ما يحصل يوم القيامة، والقرآن مملوء بالآيات التي فيها ذكر للغيبيات فالإقدام على تفسير هذه الغيبيات بما يخالف قاعدة: **«أمروها كما جاءت»**[١]، هذا تفسير بالرأي إلا ما كان فيه علم مقتفى، فإن هذا يصار إليه؛ كتفسير الكرسي بأنه موضع القدمين[٢]، وتفسير الميزان بأنه له كفتان، وأشباه ذلك.

ثانيًا: إن التفسير بالرأي يكون بحمل القرآن على ما يخالف ما علم من الآيات الأخرى؛ كصنيع أصحاب المذاهب الردِيَّة والفِرَق المنحرفة في تفسير بعض الآيات بما يخالف آيات أخر، مع وجود آيات فيها ثناء على الصحابة ﵃، فلا يأخذون بها، بل يفسرون آيات أخر بتفسير يُضاد هذه الآيات، وهكذا في مسائل الحلال والحرام فإن تفسيرها بما يناقض غيرها، هذا يُعد من التفسير بالرأي المذموم.

الشكل الثالث للتفسير بالرأي المذموم: هو التفسير بالتأويل المردود؛ فالتأويل قد يكون صحيحًا، وقد يكون باطلًا، والباطل هو ألا يكون هناك حجة لصرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه، فهذا أيضًا يكون تفسيرًا بالرأي، مَنْ صرف لفظًا عن ظاهره إلى غيره دون قرينة، أو دون حجة تدل على ذلك، فهذا من التأويل المذموم؛ كما هو صنيع أصحاب المذاهب والفرق المختلفة.

---

(١) أخرجه الخلال في السُّنَّة (١/ ٢٥٩)، وابن بطة في الإبانة (٣/ ٢٤١)، واللالكائي في اعتقاد أهل السُّنَّة (٣/ ٥٢٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢)، والأسماء والصفات (٢/ ١٩٨)، والاعتقاد (ص١١٨)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٤٩)، وابن قدامة في ذم التأويل (ص٢٠)، والذهبي في العلو (ص١٣٩، ١٤٠).

(٢) أخرجه: الطبراني في الكبير (١٢٤٠٤)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٨٢، ٥٨٤)، والخطيب في تاريخه (٩/ ٢٥١)، وابن أبي شيبة في العرش (١/ ٧٩)، وشيخ الإسلام الهروي في الأربعين (١/ ٥٧)، والضياء في المختارة (١٠/ ٣١٠).

إذا تبين هذا، فمدارس التفسير بالرأي عند علماء التفسير وعلماء علوم القرآن تنقسم إلى قسمين شهيرين:

القسم الأول: التفسير بالرأي المقبول على ما ذكرنا.

القسم الثاني: التفسير بالرأي المذموم المردود، وهو القول على الله بغير علم.

أما التفسير بالرأي المقبول، فيسمونه بالرأي، وصحته أن يُقال بالاجتهاد، وهو ما كانت عناصر الاجتهاد فيه تامة أو متوفرة، وهذا له عدة مدارس في داخله، منها:

المدرسة الأولى: المدرسة الفقهية في التفسير: فكل أصحاب مذهب فسروا القرآن تفسيرًا فقهيًا خاصة في الآيات التي لها صلة بالفقه أو بأصول الفقه، وهذا كثير، فالحنابلة لهم تفاسير فقهية، والمالكية لهم تفاسير فقهية، والحنفية لهم تفاسير فقهية، والشافعية لهم تفاسير فقهية، والظاهرية لهم ـ أيضًا ـ تفسير فقهي، وهكذا، وهذا تفسير بالاجتهاد الفقهي الذي له دليله، فهم لم يفسروا القرآن من حيث هو، ولكن فسروه بما يوافق المذهب الفقهي.

المدرسة الثانية: مدرسة التفسير بالاجتهاد النحوي، وهذا كثير ويدخل فيها الكتب المسماة: «إعراب القرآن»، كـ«إعراب القرآن» للزجاج، و«إعراب القرآن» للزجاجي، و«إعراب القرآن» للفراء، والتفاسير التي اعْتُنِي فيها بالإعراب كـ«إعراب القرآن» للعكبري، و«تفسير البحر المحيط» لأبي حيان، وأشباه هذه الكتب.

المدرسة الثالثة: مدرسة التفسير بالاجتهاد اللغوي، ويدخل فيه التفصيل في المفردات أو في البلاغة، وهناك عدد من الكتب اعتنت بهذا التفسير، وقد تشترك مع غيرها في مدرسة، كمدرسة فقهية أو مدرسة

عقدية أو نحو ذلك، وهذه لها أمثلة متعددة؛ كتفسير ابن الجوزي، وتفسير البحر المحيط، وكتفسير السمعاني، وتفسير السمين الحلبي، وتفاسير كثيرة في هذا الصدد، ومن المتأخرين كتفسير الألوسي وما شابهه، وهذه قد يكون فيها عناية بالبلاغة أو عناية بالاشتقاق والمفردات.

المدرسة الرابعة: التفاسير العقدية، وهي التي اعتنت بالاجتهاد، ولكنها مالت إلى تقرير العقيدة، وهذه يصلح أن نقول: إن ما يدخل في هذه المدرسة ـ مدرسة الاجتهاد المقبول ـ هي التفاسير العقدية السلفية، أو التي تكون تبعًا لأئمة الحديث ـ رحمهم الله تعالى ـ، والتي توافق ظاهر القرآن، وهذه يصح أن يُقال فيها: إنها تفسير بالاجتهاد المقبول.

والمدرسة الأخيرة: هي المدرسة الإشارية، والمدرسة الإشارية هي مدرسة للتفسير بالاجتهاد، ولكن بذكر الإشارة، ومنها ما هو مقبول، ومنها ما يدخل في الرأي المذموم، والتفسير بالإشارة سبق الكلام عليه، ولكن نعيده باختصار، فنقول: يصح التفسير الإشاري[1] بأربعة شروط، ذكرها ابن القيم رحمه الله في (التبيان في أقسام القرآن)[2]، جَمْع قَسَمٍ، ويصح أن يُقال: في إقسام القرآن، وهو قَسَم القرآن.

وأما النوع الثاني، وهو التفسير بالرأي المذموم: فهو كل ما كان

---

(١) انظر: مناهل العرفان (٢/٥٦). وقد نقل فيه عن فتاوى ابن الصلاح قوله: «وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر أنه قال: صنف أبو عبد الرحمٰن السلمي حقائق في التفسير، فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر. قال ابن الصلاح وأنا أقول: الظن بمن يوثق به منهم إذا قال شيئًا من ذلك أنه لم يذكره تفسيرًا ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة؛ فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية، وإنما ذلك منهم تنظير لما ورد به القرآن؛ فإن النظير يذكر بالنظير، ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإبهام والالتباس!».

(٢) انظر: التبيان في أقسام القرآن (١/٧٩).

الاجتهاد فيه غير متوافر الشروط، ويدخل فيه كل التفاسير التي يذهب إليها أهل البدع؛ مثل: تفاسير غلاة الصوفية، وتفاسير الشيعة التي ينحون فيها منحى التأويل والرأي الذي لا حجة فيه، ومثل: تفاسير الباطنية، وتفاسير المعتزلة والخوارج، وما أشبه ذلك من التفاسير.

وعلى أية حال فإن تقسيم المدارس يحتاج إلى تفصيل أكثر، ولكن سبق أن أشرنا إليها، وقد انتقل ابن تيمية رحمه الله في آخر الكلام إلى ما سبق أن ذكرناه، وهو أن التفسير بالاجتهاد إذا توافرت الشروط، فإنه لا حرج منه، وأما إذا كان قولًا بمجرد الرأي، فهو مذموم، فليحذر منه؛ لأن القول على الله بلا علم شديد جدًا، وكبيرة من الكبائر، وقد يكون كفرًا إذا كان متعلقًا بإباحة ما لم يأذن به الله، وقد ذكر في آخر بحثه أن من سُئل عن علم، أو من سُئل عن آية، ولديه علم، فإنه يجب عليه أن يجيب، أو أن يبين المعنى، وهذا ليس على إطلاق، وإنما يجب عليه إذا كان ليس هناك من يعلمها إلا هو[1]، أما إذا كان غير مسؤول عن الفتيا، فإنه يجوز له أن يمتنع عن الجواب، وأن يحيل إلى غيره؛ كما كان الصحابة رضي الله عنهم يحيل بعضهم إلى بعض[2]، أما إذا تعينت عليه، فإنه يجب

---

(١) أخرج البخاري (١١٨، ٢٣٥٠)، ومسلم (٢٤٩٢) وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لولا آيتان في كتاب الله ما حدثت أحدًا بشيء أبدًا»، ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٥٩] إلى آخر الآيتين.

(٢) أخرج الدارمي في مقدمة سننه (١٣٥)، وابن المبارك في الزهد (١/ ١٩)، وابن سعد في الطبقات (٦/ ١١٠)، وأبو خيثمة في كتاب العلم (١/ ١٠)، والفسوي في المعرفة (٣/ ١١٥)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٥١)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ٤١٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٦/ ٨٦)، والبيهقي في المدخل (١/ ٤٣٣) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي ـ أراه قال: في هذا المسجد ـ فما كان منهم محدث إلَّا ودَّ أن أخاه كفاه الحديث، ولا مفتٍ إلَّا ودَّ أن أخاه كفاه الفتيا».

عليه أن يُبيِّن، ولا يجوز له الكتمان، وإذا لم تتعين عليه لوجود من يجيب غيره، أو بوجود من يبين غيره، فإنه حينئذٍ له في ذلك مندوحة، وهذا ختام بيان ما يتعلق بهذه الرسالة النفيسة، أسأل الله ﷻ أن يرحم مؤلفها وكاتبها شيخ الإسلام ابن تيمية، وأن يجزيه عنا وعن الموحدين خير الجزاء، وأن يجمعنا به في دار كرامته، وأن ينفعنا بعلومه؛ إنه سبحانه جواد كريم، كما أسأله سبحانه أن ينوِّر قلوبنا جميعًا، وأن يفيض علينا من الفهم الصحيح، وأن يقينا العثار، ويجنبنا الزلل، وأن يلزمنا في كل تقوى وطاعة البدار؛ إنه سبحانه خير مسؤول، وهو المعطي قبل السؤال، والمنيل قبل استحقاق النوال ﷻ، تعالى اسمه، وتقدست أسماؤه لا إلٰه إلا هو، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

هذه من حسناتك يا شيخ عادل؛ يعني: لو تركتنا وأنفسنا يمكن ما نشطنا للإتمام، جزاك الله خيرًا، لك أجرها إن شاء الله.

🕮 الأسئلة:

سؤال: يا شيخ، الله ينفعنا بعلومكم! هل يدخل في التفسير الإشاري قول مجاهد رحمه الله: إن الله أنزل من الكتب أربعة عشر كتابًا، وعادت علومها إلى التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، ثم عادت علوم أربعة إلى القرآن، ثم عادت علوم القرآن إلى المفصل منه، ثم عادت علوم المفصل منه إلى الفاتحة منه، ثم عادت علوم الفاتحة إلى البسملة منه، ثم عادت علوم البسملة إلى الباء فيها.

الشيخ: هذا لا يدخل في التفسير الإشاري؛ لأن الإشارة ـ كما ذكرنا ـ فيها أربعة شروط لصحتها، وهي غير موجودة هنا، الإشارة أن يكون هناك لفظ يُقال: إنه إشارة إلى كذا، إشارة إلى معنى، هذا يصح

بشروطه؛ مثل: (الماء) تقول: الماء إشارة إلى الوحي، في بعض الآيات الماء وإحياء الأرض الميتة إنه إشارة إلى الوحي، ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحديد: ١٧]، الإحياء هنا إشارة إلى إحياء القلوب، هذا نقول: صحيح. من قال هنا: هذا إحياء القلوب. نقول: صحيح. لماذا؟ لأنه اجتمعت الشروط:

أولًا: لا يشتمل على عقيدة باطلة.

ثانيًا: اللفظ المنقول منه ثابت؛ يعني: الأرض الميتة ثابت المعنى، وفيها إشارة مزيدة على ذلك إلى القلب، والقلب أرض، والإحياء صحيح، فهذا الربط صحيح، مثلما فسَّر أيضًا فُسِّر الحديث: «**لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ**»[(١)]، قال ابن تيمية في تفسيرها: (وكذلك لا يدخل النور قلبًا)، البيت جعله قلبًا، وهو صحيح، القلب بيت، قال: (لا يدخل النور قلبًا قد ملئ بكلاب الشبهات وصور الشهوات)[(٢)]، وهذا صحيح، الربط هذا صحيح، أما الأثر الذي ذكرته، فأنا في ظني - إن كان حفظي صحيحًا - أنه لا يصح، وأنه مما نقله بعض المتصوفة، وسيما وأن الباء ليس فيها سر، وقد يُحمل فيه تكلف؛ يعني: إذا قلنا: إن المقصود بالباء هنا يرجع إلى معنى واحد، وهو الاستعانة، وهذه الاستعانة لا ترجع لها علوم كتب الله ﷻ، الاستعانة بالربوبية وهي مفتاح كل خير، ولكن لا ترجع إليها علوم القرآن جميعًا، وعلوم الفاتحة جميعًا.

سؤال: أمثال هذا الحديث يرد إلى أي مدرسة من مدارس التفسير؟

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٢٦، ٣٣٢٢، ٤٠٠٢، ٥٩٤٩)، ومسلم (٢١٠٦).
(٢) انظر: المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/ ١٧١)، ومدارج السالكين (٢/ ٣٩١).

الشيخ: هذا تفسير بالاجتهاد؛ يعني: بالرأي. إذا استوفى الشروط، فهو مقبول، أو يكون مذمومًا.

سؤال: قلت - يا شيخ -: إن التفسير بالإشارة له أربعة شروط، وفي الدرس الماضي ذكرنا ثلاثة شروط فقط.

الشيخ: ثلاثة؟ ما أذكر.

الأول: أنه لا يشتمل على عقيدة باطلة؛ يعني: نعلم إنها باطلة.

الثاني: أن يكون المعنى الأصلي ثابتًا.

الثالث: أن يكون المعنى المنقول إليه أيضًا صحيحًا في نفسه أو في اللغة.

والرابع: أن لا يكون هناك دليل يبطل هذه الإشارة.

على العموم أنا أذكر من كتاب ابن القيم (التبيان) هي موجودة فيه، التبيان طبعًا كتاب مهم مهم جدًا، التبيان قل يمكن من يطالعه ويمر عليه، ولكن فيه علوم كثيرة، خاصة ما يتعلق بالقرآن وتفسيره، فيه فوائد كبيرة جدًا.

سؤال: هل يُشترط في التفسير صحة الإسناد، وما معنى قول الإمام أحمد: ثلاثة ليس لها أصول؟

الشيخ: ثلاثة ليس لها أصول: السير، والمغازي، والتفسير؛ يعني: ليس لها أصول أسانيد، أكثرها تنقل بدون أسانيد[1].

السائل: إذًا لا تصح إذا لم يكن لها سند؟

---

(١) قال الزركشي في البرهان بعد ذكر هذه المقولة: «قَالَ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ: وَمُرَادُهُ أَنَّ الْغَالِبَ أَنَّهَا لَيْسَ لَهَا أَسَانِيدُ صِحَاحٌ مُتَّصِلَةٌ وَإِلَّا فَقَدْ صَحَّ مِنْ ذَلِكَ كَثِيرٌ». انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٥٦).

الشيخ: لا تكون صحيحة من حيث التفسير أو من حيث النقل؟ لا بالتفسير ليس لها علاقة. فقد يكون الإسناد ضعيفًا والتفسير صحيحًا؛ بمعنى: الإسناد: هو نقل الكلام إلى قائله، طيب، إذًا نقول: هذا النقل إلى القائل الإسناد ضعيف، ولا يعني كون الإسناد ضعيفًا أنه يكون ضعيفًا في نفس الأمر؛ لأن الضعيف قد يحفظ، ولكن من باب الاحتياط قلنا: إنه ضعيف، ولذلك في الحلال الحرام نتشدد في مسألة الأسانيد، ولكن في أسانيد التفسير لا ينبغي التشدد **أولًا**.

ثانيًا: ليس كل راوٍ يُحكم عليه في باب الحلال والحرام بأنه ضعيف أن يكون ضعيفًا في التفسير، هناك رواة كثيرون ضعاف في حفظ أحاديث الأحكام، ولكن هم أصحاب قرآن، هذا كيف أضعفهم فيما هو صنعتهم؟ مثلًا نجده في التقريب يقول: ضعيف. نراجعه، نجد أنه ضعيف في الروايات، ولكنه صاحب قرآن، إذا كان صاحب قرآن، نضعفه في التفسير؟! ففيه نظر، إذا كان الإسناد ضعيفًا، ولكن التفسير في نفسه عن ابن عباس رضي الله عنهما مستقيم؛ يعني: لا يُستغرب أن يقول عن ابن عباس؛ لأنه يوافق تفسير الآي، مثلًا: فسر الأب بكذا، نقول: إسناد ضعيف، نقول: ما يصح عن ابن عباس رضي الله عنهما، ليس فيه ما يُستغرب، فلذلك مسألة اللجوء إلى أن الإسناد في التفسير نقول: ضعيف. ليس هو الأصل، الأصل أن نقبل ما جاء في التفسير، إلا إذا كان هناك غرابة في تفسير الآية، ويكون لها مستندها، لهذا التفسير مستنده، بخلاف ما إذا كان الإسناد منكرًا، أو الإسناد موضوعًا أو نحو ذلك، هذا يجب صده، مثل: إسناد الكلبي المشهور، الذي يروى به تفسير ابن عباس الطويل المسمى «تنوير المقباس»، هذا في إسناده الكلبي، والسدي الصغير محمد بن مروان.

سؤال: هل هناك كتاب ذكر أجود الأسانيد في التفسير؟

الشيخ: نعم، ما أحفظ كتابًا ذكرها، ولكن ممكن تلقاها؛ يعني: تطالع جزءًا من تفسير ابن جرير، تطلع لك كلها؛ لأنها فيه، كلها تكرر.

سؤال: المقولة المشهورة عن الإمام أحمد: ثلاثة علوم لا أصول لها. هذه تكلم في إسنادها؟

الشيخ: لا، ثلاثة ليس لها أصول: السير، والمغازي، والتفسير.

السائل: ولكن بعض الباحثين الذين لهم دراسة في ما يتعلق بالتفسير والمفسرين يقول: ما ثبتت؟

الشيخ: يقولون: ما ثبتت. ولكني أظنها في أحد المسائل، مسائل الإمام أحمد لطلابه، مر علي، ولكن في أي واحدة لا أدري.

طالب: هذه ما تفرد بها الإمام أحمد.

السائل: مسألة الترجيح يا شيخ.

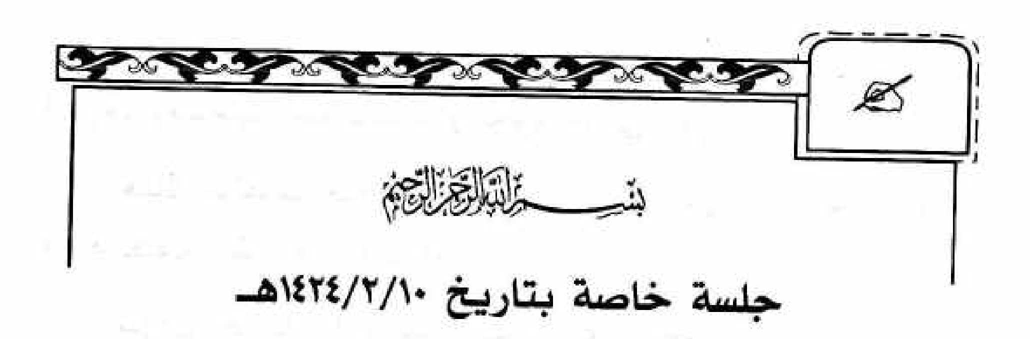
الشيخ: مسألة الترجيح هذه صنعة أخرى، الترجيح غير الاجتهاد في التفسير، الترجيح يحتاج آلة، آلة غير مجرد الاجتهاد؛ يعني: ليس كل من أجزنا له الاجتهاد، نقول: أجزنا له الترجيح. الترجيح هذه صنعة الأئمة والمحققين، قد يجتهد هو في التفسير، ولا يكون فيه مخالفة في تفسير، طالع تفسير ابن كثير، ما معنى اجتهد؟ يعني: مثلًا طالع تفسير ابن كثير، وفهم من كلام السلف، وتفسير ابن كثير أن معنى الآية هو كذا، وراح فسرها، فسرها، وطول في الآية، استمر ـ ما شاء الله ـ عشر دقائق يفسرها، لكن فحوى كلامه يرجع إلى كلامهم، ولكن يفسر، يعظ معها، يدخل كذا، يدخل تفصيلات، يربطها بأحاديث أخرى، يزيد مسألة، ولكن كلها ماشية، هذا داخل في الاجتهاد، يكون فيه نقطة ما تعرض لها في تفسير ابن كثير، مثلًا: هو يعرفها، زادها، تستقيم

معه، ولكن هذا لا يعني أنه هو أهل لأن يرجح عند الاختلاف، الترجيح هذا يحتاج آلة قوية للمحققين من أهل العلم، ليس سهلًا الترجيح.

وصلى الله وبارك على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم تسليمًا مزيدًا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





جلسة خاصة بتاريخ ١٠/٢/١٤٢٤هـ

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين؛ **أما بعد:**

سؤال: ما نصيحة فضيلتكم بالنسبة لقراءة كتب المنطق؟

الجواب: إذا كان كامل القريحة، إذا كان طالب علم لم يبق عليه غير فهم بعض أساسيات المنطق، فلا بأس.

لكن كونه يكون مثل عمل أهل البدع والأشاعرة وأشباههم؛ يعني: يدرسونه كما يدرسون أي علوم للآلة، فلا يصح، الواحد إذا مشى في العلم، وعرف من الأصول شيئًا كثيرًا، وعرف كلام المتقدمين، ودرس، يحتاج أن يفهم بعض مصطلحاتهم، ولو لم تكن كل المنطق؛ مثل: البلاغة ما يحتاجها كلها، يحتاج بعضها.

سؤال: ما معنى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ما يحتاج إليه ذكي، ولا ينتفع به البليد؟

الجواب: قصده المنطق الكامل، أنت الآن تدرس في الأصول، لازم تحتاجها.

هناك صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي، في المجلد الأخير الرابع عشر فيه مناظرات بين العلوم، كل العلوم عمل مناظرات

بينها، صاحب التفسير يذكر فضائل التفسير، وأنه هو يفوق غيره من العلوم، وصاحب الفقه كذلك، والنحو، حوالي مائتي صفحة.

هناك مؤلفات خاصة، عندي جزء خطي في مناظرات العلوم، مجلد لطيف خطي لمناظرات العلوم.

سؤال: هل تدل إيرادات القلقشندي على سعة علمه؟

الجواب: تدل على معرفة بالجميع، إذا كان هو الذي حررها، وأما إذا كان لا، هو أخذها؛ لأن في عدد من الكتب مؤلفه في هذه المناظرات تشجع الطالب أن يعرف محاسن كل علم، رحمهم الله تعالى.

مداخلة: يا شيخ يقول الزمخشري يقول في مقدمته: اعلم أنّ متن كلّ علم وعمود كل صناعة ـ طبقات العلماء فيه متدانية، وأقدام الصناع فيه متقاربة أو متساوية، إن سبق العالم العالم لم يسبقه إلا بخطى يسيرة، أو تقدّم الصانع الصانع لم يتقدّمه إلا بمسافة قصيرة وإنما الذي تباينت فيه الرتب، وتحاكت فيه الركب، ووقع فيه الاستباق والتناضل، وعظم فيه التفاوت والتفاضل، حتى انتهى الأمر إلى أمد من الوهم متباعد، وترقى إلى أن عدّ ألف بواحد ـ ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر، ومن لطائف معان يدق فيها مباحث للفكر، ومن غوامض أسرار، محتجبة وراء أستار، لا يكشف عنها من الخاصة إلا أوحدهم وأخصهم، وإلا واسطتهم وفصهم[1].

الجواب: صحيح، هذا ما فيه شك؛ يعني: في التدريس يمكن تتساوى، هذا يدرس، وهذا يدرس، لكن إذا صار هناك الاجتماع،

---

(١) انظر: الكشاف (المقدمة/ ٢).

وصار هناك مناظرات أو إيراد للمسائل في حضرة أكثر من عالم أو طالب علم، هنا يظهر التمايز؛ كما ذكر.

معالي الشيخ: هذا في أي كتاب؟

المداخل: هذا في مقدمة الكشاف قبل أن يدخل في سورة الفاتحة.

معالي الشيخ: هو له كلمات حسنة تحفظ في كتابه، الذي كله أمثال وحكم (أساس البلاغة)، له حكم، وهو أعجمي ليس عربيًا، ومع ذلك أورد كلمة من الكلمات، التي تحفظ، وفيها متانة، يقول: فرقك ما بين العرب والعجم هو فرقك ما بين الرطب والصمع، يعني ماذا؟

يعني: يقول: الحلاوة والثمرة وكذا وكذا، هذه في أي شيء؟ في الرطب. لكن استخراج النبات والاستمداد هو في الصمع نفسه، فالعرب هم الثمرة يأخذون الشيء الأخير.

مداخلة: يقصد المدح أم الذم يا شيخ؟

معالي الشيخ: لا، هي مدح، هي مدح للجانبين، لكن يقول: الذي يأخذ النهاية، الذي يأخذ الحلاوة، ويفهم الشيء هم العرب، لكن الأساس الذي يعطي ويتعب وكذا هم العجم.

يقول فيها أيضًا: الزيت مخ الزيتون، والحواشي مخخة المتون[1].

المخخة؛ يعني: جمع المخيخ، جمع التصغير للتعظيم. له كلمات نفيسة فيه، نفيسة جدًا، هي أطباق الذهب وحكم وبدائع.

مداخلة: له بيت لطيف يقول:

يا من يحاول بالأماني رتبتي ... كم بين مستفل وآخر راق

---

(١) انظر: أساس البلاغة (١/٤٢٧).

أأبيت سهران الدجى وتبيته   نومًا وتبغي بعد ذلك لحاقي(١)

معالي الشيخ: التوفيق بيد الله، ليس بالتعب.

الزمخشري كان أبتر الرجل، ويضع خشبة، وكان الناس ما يقبلونه، إذا أتى بلدًا، ما يقبلونه، يرون رجله مبتورة، يخشون أنها في حد أو في سرقة، أو في شيء، فلما رأى أن الناس ما أرادوه، فحدث بقصته.

يقول: إنه كان في إحدى بلاد الثلج، وكان الثلج كثيرًا وكثيفًا، وهو مرتحل من بلد إلى بلد، فأصابه الثلج، وهو نائم، كثر كثر جدًّا، جمدت أطرافه، يقول: حتى أحسست بأن رجلي انتهت، ما عادت فيها حياة. يقول: أضربها أحركها، ما عادت فيها حياة. يقول: لما أردت في الصباح أن أمشي، فإذا بالرجل ميتة. فيقول: تحاملت على نفسي، ومشيت، ومشيت، لكن وجدت أنها صعبة. يقول: فأخذتها، فخلعتها.

يقول: لأنها تعطله في الرحلة؛ يعني: أكيد قال لواحد معاه: اخلعها؛ لأنه لا يقدر أن يخلعها؛ يعني: أمر غيره بذلك.

مداخلة: يا شيخ، التعبير للسيوطي على عقود الجمان في سطرين إذا أردتم، أقول: هل يفهم من هذا أنه يقول بقول الأشاعرة في تأويل المجيء؟

معالي الشيخ: أكيد هو يقول هذا.

السائل: لكن أريد أن أفهم كلامه، يقول: وهكذا كلامه: قوله ﷻ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]؛ أي: أمر ربك.

المتن: (ثم التناسب قد يكون ظاهرًا؛ كما في قوله ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣]،

---

(١) انظر: غرائب الاغتراب (١/ ٢٩).

فإن اللطف يناسب ما لا يدرك بالبصر، والخبرة تناسب من يدرك الشيء؛ لأن المدرك للشيء يكون خبيرًا به، كذا قالوا، ونظر السبكي فيه بأن اللطف المناسب لعدم إدراك البصر هو من اللطافة بمعنى صغر الحجم، وليس مرادًا هنا، وإنما المراد اللطيف من اللطف الذي هو الرحمة، فينبغي أن يعد هذا من إيهام التناسب ـ الذي سيأتي ـ، لا من التناسب).

معالي الشيخ: هذه ألفاظ بيانية، كلها في علم البيان، ما نحتاجها، وأنا ذكرت لكم عدة مرات أن البلاغة ثلاثة أمور: المعاني، والبيان، والبديع.

المعاني: جيد وسليم؛ لأنه من باب لطائف الكلام، وهو معروف عند العرب، ومقر عند أئمة أهل السُّنَّة.

والبديع: محسنات لفظية؛ مثل: الجناس، والطباق، إلى آخره، وهذه أيضًا لا إشكال فيها، وإن كان قد غلا فيها الأعاجم، فحولوا الكلام إلى محسنات بديعية متكلفة، فحرفت الكلام عن وجهته اللغوية الغضة اللينة إلى تكلف في الكلام لا ينبغي؛ لذلك انحط كلام المتأخرين، سيما من الأدباء، انحط إلى تكلف في الصناعة البديعية، حتى صار الكلام صعبًا فهمه، صار الكلام لا يستلذ له سامع.

بقي **البيان**: البيان قائم على ثلاثة أشياء: قائم على التشبيه، والكناية، والمجاز. التشبيه صحيح، ولكنه ليس من المجاز، التشبيه مستقل، تشبيه الشيء بشيء آخر. المماثلة بين الشيئين، أو تشبيه الشيء بشيء آخر، نقول: هذا صحيح، والعرب تشبه، وفي القرآن أمثال كثيرة وتشبيهات كثيرة، وهو حق في نفسه، وله فوائد ـ أيضًا ـ كثيرة في اللغة وفي البلاغة.

الكناية: هو أن تكني عن شيء بشيء آخر، أيضًا صحيح من

جهتين: من جهة أن العرب أحدثت ألفاظًا مفردة؛ لتكني باللفظ عن شيء آخر؛ كما أحدثوا لفظ الغائط، مع أنه المكان المنخفض؛ ليكنوا به عن قضاء الحاجة. وكذلك كنُّوا عن جماع الرجل لأهله بإتيان الرجل أهله، أتى الرجل أهله. وأشباه ذلك مما هو معروف، فالكناية صحيحة. باقي المجاز.

المجاز: مبناه على في تعريفهم على أن الألفاظ فيها حقيقة، وفيها مجاز، وأن الحقيقة هي إرادة الوضع الأول باللفظ، والمجاز إرادة الوضع الثاني باللفظ، فإذا نقلنا اللفظ من حقيقته الأولى لحقيقته الثانية؛ لقرينة، سموا هذا مجازًا.

وهذه القرائن، القرينة هذه يعدونها في علم البيان إلى نحو من ثلاثين أو أكثر من أنواع القرائن، التي يحكم بها المجاز، منها: الزيادة، والحذف، . . . إلى آخره مما هو معلوم.

نحن ذكرنا لكم في عدد من الشروح في الماضي أن المجاز ليس صحيحًا، اللغة العربية على التحقيق كلها حقيقة، ليس فيها مجاز، وهذا البحث بحث بلاغي، وليس عقديًا، قلت لكم عدة مرات: لا يحول مبحث المجاز إلى مبحث عقدي، هو أصله مبحث بلاغي، المجاز لفظًا استعمل، فاستغلته المعتزلة جعلوه خادمًا لهم في مسائل الاعتقاد، لكن أصله بحث بلاغي.

هنا الحقيقة أو المجاز في لغة العرب على التحقيق كلها حقيقة، لكن الحقيقة تارة تفهم من أول الأمر، أو من أول ما تسمع الكلمة، وتارة تفهم من التركيب، فهي في تركيب الكلام ما يفهم، ما يسمونه الوضع الثاني، فهم ما أرادوه من الأمثلة التي في القرآن، أو في كلام العرب.

نقول: صحيح أن هذا ما أرادوه مما هو معروف؛ يعني: في كلام الناس. نقول: هذه صحيح، هذه نقل للفظ إلى وضعه الثاني، لكن هذا الوضع الثاني مدرك بالتركيب، وليس مدركًا بما تسمونه المجاز في هذا.

الخلاصة: أن هذه ذكرناها عدة مرات، أن المجاز غير صحيح، لكن من قال: إن هناك مجازًا. نقول: لا بأس، سواء كان في اللغة أو في القرآن، هذا شيء فيه الخلاف، والعلماء يقولون به، ما نتشدد ونقول: لا، إن هذه مسألة عقدية، لكن ما نتشدد في هذا الأمر، وإنما إذا دخل المجاز في الأمور الغيبية، هنا صار الكلام على أمور عقدية، نقول: لا، ليس صحيحًا، حتى ولو قلت بوجود المجاز في اللغة، جعل المجاز في الأمور الغيبية ليس صحيحًا، لماذا؟ لأن مبنى المجاز على أنه فيه نقل للفظ من الحقيقة من الوضع الأول الذي هو الحقيقة إلى وضع ثان، لماذا نقله؟ لأجل عدم مناسبة الحقيقة الأولى أو الوضع الأول ما ناسبت عنده، فلذلك نقلها إلى الثاني للقرينة، والأمور الغيبية من يقول: إنها لا تناسب؟! الأمر الغيبي - أمر الجنة، أمر الميزان - من يقول: إنه لا يناسب؟! الميزان حقيقي، الصراط، من يقول: إنه لا يناسب أن يكون صراطًا حقيقيًا؟!

فهم إذًا جعلوا هذه كلها من باب المجاز، والجنة وما فيها من نعيم، وإلى آخره جعلوها؛ لأجل أنها غير مدركة بالعقل؛ لذلك جعلوها مجاز.

القائلون بالمجاز في الأمور الغيبية يتباينون؛ فالمعتزلة ينفون بالمجاز الكثير من الأمور الغيبية، فينفون الصراط، وينفون الميزان، وينفون، وينفون، وينفون.

الأشاعرة يقولون: لا، هذه لا يدخلها المجاز؛ لأن هذه ممكنة أن

تكون عقلًا: الميزان، والآخرة، ونعيم الجنة، ووجود ما فيه. فحتى الذين قالوا بالمجاز تناقضوا في الأمور الغيبية: هل هذه يدخلها المجاز أو لا يدخلها المجاز؟

وإذا كان هم أصحاب هذا القول، وهو القول بالمجاز، وهم الذين أصلوه، وقالوا به، تناقضوا في بعض المسائل، فنقول: الأصل أن نجري الباب بابًا واحدًا، وأن نجعلها حقيقة، وأن كل ما فيه غيب لا يدخله المجاز؛ لأنه لا دليل عندنا يمنع من إرادة الحقيقة أو إرادة الوضع الأول، ليس هناك ما يمنع.

والتناقض دليل على ضعف التأصيل في هذا الباب.

مداخلة: يا شيخ يعني يقال: يكفي في رد المجاز أن المعايير ليست صحيحة فيه؟

معالي الشيخ: هذا كلام دارج، لكن عندما يأتي التحقيق، هذا الرد الذي أصله وقرره في المجاز الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ أن المجاز يصح نفيه... إلى آخره، لكنهم لهم أجوبة عليه، على هذا لهم أجوبة، فما يستقيم من كل جهة، لكن الذي ذكرته لك أقعد في ذلك.

سؤال: هل المشاكلة من القول بالمجاز؟

الجواب: نعم، المشاكلة من القول بالمجاز، يقولون: إنه يأتي بلفظ يشاكل لفظًا آخر، وهو لا يريد هذا اللفظ، يريد شيئًا آخر مثل:

قالوا: اقترحْ لونًا نُجِدْ طبيخَه ... قلت: اطبخوا لي جُبّةً وقَميصا[1]

فهو يريد جبة وقميصًا، يريد لباسًا، لكن استعمل لفظ الطبخ

---

(١) انظر: خاص الخاص (١/١٣٨)، وسمط اللآلي في شرح أمالي القالي (٢/٢٧)، ولباب الآداب (ص١٩٥).

بما لا يناسب، اطبخوا لي جبةً وقميصًا؛ يعني: اكسوني جبةً وقميصًا، استعمله؛ لأنهم استعملوا لفظ الطبخ في كلامهم.

ومثل هذا يدخلونه في قوله ﷻ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦﴾ [الطارق: ١٥، ١٦]، يقولون: كل هذه وأمثالها إنما جاءت لمشاكلة اللفظ، وليس المراد بها الصفة، والمشاكلة نوع من المجاز.

بقي إيراد المشاكلة في حديث الهرولة، وهو إيراد مهم، يريدونه، وهم من أقعد المتكلمين إيرادات على السُّنَّة الرازي في كتابه «تأسيس التقديس»، ومن أقعدهم ابن فورك، مرة يجود على أصوله، ومرة لا يجود، لكن الرازي في كتابه «تأسيس التقديس» كان قويًا جدًا في الإيرادات، ومن ضمنها جاء ذكر الهرولة، قال: معلوم أن الله ﷻ يقول: **«وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»**(١)، الله ﷻ ما يقرب ذراعًا ولا يقرب باعًا، الله ﷻ أجل من ذلك، وهذا بالاتفاق، وأن الذراع والباع غير مرادة.

فهل يدخل هذا في المشاكلة والمجاز، أو التأويل، أو لا يدخل؟

وهذا الحديث هل هو من أحاديث الصفات، أو ليس من أحاديث الصفات؟

فيه تنازع، من أهل العلم من يعده من أحاديث الصفات، من أهل السُّنَّة يعتبرون فيه إثبات الهرولة، ومنهم من لا يعده؛ لأن ما جاءت

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥، ٧٥٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

الهرولة إلا في هذا الحديث. وهنا بحث فيه من جهة المجاز والتأويل إلى آخره، وأن الشيء يأتي بمقابله، فهنا قال: «وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا»، حديث أبي هريرة ﷺ المشهور في الصحيحين، «وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»، هنا الأول الشبر والذراع، العبد ما يتقرب إلى الله ﷻ شبرًا، بما ظاهره المساحة، فظاهر المساحة ما يتقرب هنا الأساس، الله ﷻ قال: «تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا» هذه نتيجة لأي شيء؟

نتيجة لتقرب العبد شبرًا، هل تقرب العبد شبرًا ظاهره التقرب بالمساحة؟ إن كان ظاهر الأول التقرب بالمساحة، فما ترتب عليه يكون تقربًا بالمساحة؛ لأن هذا ظاهر الكلام، ولما كان الأول ليس التقرب فيه ظاهره المساحة، كان ما رتب عليه ليس ظاهره المساحة. وهل هذا تأويل؟ لا، هذا هو الظاهر؛ لأن الأول ظاهره ليس المساحة، فما ترتب عليه من الصفة ليس ظاهره المساحة، وكذلك «وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً».

الله ﷻ لا يأتي العبد لذاته العلية يمشي مرة، يهرول مرة، يأتي إلى الله ﷻ؛ فلذلك وجب حمل الحديث هنا، والظاهر ليس فيه إثبات لصفة من العبد حتى ما ترتب عليها، هذا قول شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على الرازي، وهو قول صحيح، ومتفق مع القواعد في تعريف الظاهر والحقيقة والمجاز، ومتسق معه.

هنا هل تثبت الصفة، أو ما تثبت الصفة؟ هذا بحث آخر لأدلة أخرى، وإن كان هذا الحديث لا يكفي بمفرده لإثبات الصفة، لكن من أثبتها، نقول: أثبتها بعض أهل السُّنَّة، ويعني على أساس أنه قال: «وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»، في الحديث هنا من قال: إن فيه مشاكلة؟

نقول: لا، هذه ليست مشاكلة؛ لأن الأول هو مثل الثاني، وليس الأول مختلفًا عن الثاني، مثل هذا قالوا ماذا؟

السائل:

قالوا: اقترحْ لونًا نُجِيدُ طبيخَه قلت: اطبخوا لي جُبَّةً وقَميصًا

معالي الشيخ: هم عندهم هذا البيت، يستدلون به، طبعًا الأول طبخ، والثاني ليس بطبخ، لكن في الحديث، «**وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا...**» هنا هل الواحد يتقرب شبرًا؟ إذا الظاهر هنا أن الأول ليس على الحقيقة، فما رتب عليه ليس على الحقيقة، فلا يدخل في المشاكلة، فإدخالهم أصلًا في المشاكلة لا ينطبق على تعريف البلاغيين للمشاكلة أصلًا، فهذا الحديث ليس فيه مشاكلة، وليس فيه تأويل، وليس فيه مجاز، بل هو جار على ظاهره، الأول ظاهره والثاني، «**تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا**»، ليس هو الظاهر الذي هو الشبر المعروف، وإنما هو الظاهر التركيبي له، وهو التقرب إلى الله ﷻ بشيء من التقرب غيره أعظم منه، والله ﷻ رتب العباد في أنواع التقربات لأمثلة، مثل وشبه، فجعل المتقرب بشيء يسير متقربًا بشبر، والمتقرب بشيء أكبر متقربًا بذراع، والمتقرب بهذا ممن أتاه يمشي، فجعلها مراتب، فهذا هو الظاهر، فما رتب عليه من الصفات يكون ليس من باب المشاكلة، ولكن من باب الظاهر الذي يقابله ظاهر.

مسائل المجاز كثيرة جدًا التي جرى عليها تأويل الصفات في القرآن والسُّنَّة، وكلها لها أجوبة واضحة في بابها إن شاء الله تعالى.

سؤال: يا شيخ، أحسن الله إليك! بالنسبة للمقابلة هل هي ذات المشاكلة، أم تختلف؟

معالي الشيخ: لا، المقابلة صحيحة، المقابلة بمعنى قابل هذا بهذا، صحيحة، لكن هذا تعريف المجازيين، المقابلة منها ما يدخل في

المجاز، ومنها ما لا يدخل، لكن المشاكلة أن يكون اللفظ شكلًا مشاكلًا مماثلًا للفظ، وليس مرادًا به هذا اللفظ، مثل: اطبخوا لي جبة وقميصًا، فهذا واضح، وذلك: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، قالوا: الله ﷻ ليس له نفس، لماذا؟ قالوا: لأن هذا جاء من قبيل مشاكلة اللفظ للفظ، وهكذا.

سؤال: قوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا**»(١)، هل هذا من باب المشاكلة؟

الجواب: عندهم إن هذا من قبيل المشاكلة، ونحن نقول: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ١٦﴾ [الطارق: ١٦]، إنها من قبيل المقابلة، لكن على تعريف إنها ليست بالمقابلة المجازية، المقابلة ما معناها؟ هل هي مقابلة اللفظ باللفظ أم مقابلة الفعل بالفعل؟ فإذا جعلت المقابلة للألفاظ، أدخلتها في المجاز، وإذا جعلت المقابلة للأفعال، صارت حقًا؛ يعني: قابل هذا الفعل بهذا الفعل؛ مثل: «**إِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا**»، ففعله ﷻ مقابل لفعلهم، كذلك: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، هذا قابل فعلهم بفعل، أما إذا قال اللفظ، وهو يريد المجاز؛ يعني: صرف اللفظ أو نقل اللفظ إلى شيء آخر.

القارئ: قال: المشاكلة هي لغة: المماثلة، واصطلاحًا: أن يذكر الشيء بلفظ ليس له، بل لغيره، فيشمل الجناس التام والمجاز.

معالي الشيخ: الجناس ليس فيه إشكال، لكن المجاز هو الذي فيه، لكن قوله: المشاكلة هي المماثلة. ليس صحيحًا؛ لأن المشاكلة هي مأخوذة من الشكل، والشكل هو الوصف؛ يعني: أطلق عليها مشاكلة

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٦١)، ومسلم (٧٨٢).

لماذا؟ لأن صفات اللفظ حروفه (طبخ)، هذه حروف، وهي صفات اللفظ، صار مشاكلة من جهة أن الصفات اجتمعت، ولكن الشكل أصلها راجع إلى الصفات، وقد تكون الصفات للذات، وقد تكون الصفات للمعاني، بذلك يقال: شاكلة فلان كذا؛ يعني: صفاته، شاكلته العجلة، شاكلته العقل. ومنه قول الله ﷻ: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤]، والشاكلة هنا الصفة؛ يعني: كل يعمل على صفته.

تعريف المشاكلة بأنها هي المماثلة لا يصح.

سؤال: أحسن الله إليك! مسألة المجاز، فرع من فروع المجاز في القرآن، يقول: لعلها أهم شيء في المجاز يتطرق إليه، خاصة عند أهل السُّنَّة وردود أئمة الدعوة بعد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إلى علمائنا في هذا العصر، هل لهم قاعدة أو منهج أو رأي موحد متفق عليه؟

معالي الشيخ: لا، هم يتبعون كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم في هذا الباب، ما لهم فيه اجتهادات خاصة، والمجاز في القرآن خلاف لغوي بلاغي، ليس عقدي، قلت لكم كم مرة: عندما تناقشون أحدًا لا تحولوا مسألة المجاز إلى قضية عقدية، لا. لكن إذا دخل في الغيبيات، مثلًا: قال: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، قال: وهذا مجاز حذف. لا تعارض، أكثر المفسرين على هذا، وليست محل نزاع قوي في المسألة، نقول: الصحيح هو كذا، لكن لما يقول: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]: وجاء أمر ربك. هذا دخل في الغيبيات، فآيات القرآن التي فيها ذكر للغيبيات إذا حذفنا منها المجاز، ورفعنا عنها المجاز، بقي الخلاف لغويًا سهلًا، مع أن هناك أجوبة عن كل ما أوردوه من قبيل المجاز، هناك أجوبة عنه.

سؤال: قول بعض أهل العلم: المجاز موجود في القرآن، إلا في الصفات، هل هذا صحيح؟

معالي الشيخ: هذا قول أهل السُّنَّة والجماعة الذين يثبتون المجاز، يقولون: هو موجود في القرآن. تعرفون التحقيق في مثل هذه المسائل، المسائل التي مثل هذه شاعت، لما تأتي مسألة شاعت عند طلبة العلم وعند أهل العلم، صعب أن يحقق فيها، ويتخلص منها، وهناك مسائل أشنع من هذا، حتى إن الكلام فيها شائع، وصعب أن تقول فيها شيئًا خلاف هذا؛ لأنها خلاف ما شاع، وذكرت لكم مرة أنه من المهمات لطالب العلم أنه يرقي نفسه في معرفة حركة العلوم على مدى التاريخ.

إن العلم مثل الكائن الحي، يتنقل من قوته وشبابه، فقط تكون فيه الصفات، تطبع وهو شاب بطبع بصفة، وهي ليست حميدة، الصفة خلاص تطبع على كذا، ثم شب، ويشيخ، وهذه الصفة فيه، وهي ليست حميدة ولا يقر عليها. العلوم هذه كلها استنتاجية استقرائية، وليست علوم تقول: ما عليها نقاش. الصحابة ﷺ ما قعدوا عندهم العلوم، **لما تأتي لعلم الفقه، علم الفقه فيه إشكالات، وإشكالات كبيرة جدًا**، إذا جاء المجتهد ينظر فيها، لا يسلم للفقهاء من جميع المذاهب ما هم عليه، لكنها مشت، وترعرعت، فنقل الناس عنها ليس حميدًا؛ لأنه يسبب مردودات سيئة. عندك ـ مثلًا ـ الأشياء التي يستعملها الفقهاء مع ما أحدثوه من الاصطلاحات، الاصطلاحات التي أحدثوها ـ وهي ليس لها أصل ـ سبب إشكالات كثيرة؛ مثل: الشرط، والركن، مثل: لفظ الحد. المصطلحات التي استخدموها، مثل ماذا في الفقه؟ الألفاظ التي يستخدمونها في الفقه؛ مثل: ستر العورة، مثل: المخيط في الحج، ألفاظ كثيرة جدًا في الفقه استعملها الفقهاء، ومشت، لكن لما تأتي

وتقول: لا. تجدها تطورت، مشت، وتحركت، تحركت حتى وصلت، وصارت حقائق، وهذا ليس بصح.

وكذلك في الحديث عندك في الحديث أشياء تقول: إنها سليمة. يعني: مثلًا: عندك الآن حديث في الصحيحين، لكن لا يعني أن كل لفظ في الصحيحين يسلم به من كل جهة؛ يعني: عندك مثلًا: الأيام هذه قنوت الفجر، تعرفون الأحاديث، كلها واردة على الفجر، متفق عليه أن النبي ﷺ قنت، وهو ما قنت للنازلة إلا مرة واحدة، بعد قتل القراء في بئر معونة، ما قنت غيرها في النازلة النبي ﷺ.

فهذه جاء فيها حديث أنه قنت الفجر فقط، قنت الغداة شهرًا، وفي رواية أخرى عن البراء في مسلم قنت المغرب والفجر[(١)]، وفي مسلم: جاء زيادة حديث أبي هريرة رضي الله عنه، حديث أبي هريرة الروايات كلها نقلت في الفجر. وفي مسلم زيادة أنه قنت الفجر والعشاء[(٢)]، ولكن ليست في الأصول التي أوردها مسلم، جاء في آخر الباب هذا، وفي إسنادها شيء من حيث التحقيق. وفي خارجه في سنن أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما[(٣)]،

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧٨): عَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: «قَنَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْفَجْرِ، وَالْمَغْرِبِ».

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٤٣): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «قَنَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَهْرًا مُتَتَابِعًا فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَصَلَاةِ الصُّبْحِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ، إِذَا قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ، يَدْعُو عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، عَلَى رِعْلٍ، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ، وَيُؤَمِّنُ مَنْ خَلْفَهُ».

(٣) أخرجه مسلم (٦٧٦): عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، يَقُولُ: «وَاللهِ لَأُقَرِّبَنَّ بِكُمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقْنُتُ فِي الظُّهْرِ، وَالْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، وَصَلَاةِ الصُّبْحِ، وَيَدْعُو لِلْمُؤْمِنِينَ، وَيَلْعَنُ الْكُفَّارَ».

ابن عباس رضي الله عنهما كان في وقت القنوت صغيرًا، ما أدركه هو بنفسه؛ لأنه كان في حجة الوداع ناهز الاحتلام، وفي بئر معونة كان في الرابعة، إلى السنة العاشرة ست سنوات، معناها كان في هذا الوقت تسع سنوات، يقول: قنت الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر. والحديث فيه ضعف في إسناده، المهم، هنا الحديث مشى عند الفقهاء، مشت ـ خاصة الحنابلة وغيرهم من بعض أهل العلم ـ، مشت، يقنت لماذا؟ لأنه في الصحيح، قنوته في الفجر، قنوته في العشاء، وإلى آخره، لكن عند التحقيق هو قنت مرة واحدة؛ يعني في حالة واحدة، كيف تختلف فيها على اختلافات، في بعض المسائل تعرف إنك لو حققتها، صار خلاف ما هو موجود، لكن إذا حققتها.

الأيام المعدودات والمعلومات.

خذ مثلًا في المصطلح، في المصطلح مشى، تحرك، وصل إلى حال، ويحكم على العلل به، لهذا تمشي فيه إلى حد، لكن ليس هو تحقيق العلوم، والاجتهاد فيها.

تدخل في أصول الفقه، أصول الفقه تمشي فيها، مشت، إلى أن دخلت صنعة الأعاجم في القرن السادس الهجري، وانتقلت من أصول فيها اللغة، وفيها الفهم، وفيها مدرك النص في الأصول لغرض الإدراك، إلى أنها صنعة منطقية، دخلتها عقائد الناس، ودخلها المنطق، ودخلها الحدود، ودخلها التعريفات، . . . إلى آخره، تستغرب: كيف هذا؟! حتى في التعاريف (الواجب) تجد هذا يعرف، وهذا يعرف، لماذا؟ لأن هذا مذهبه العقدي، وهذا مذهبه العقدي كذلك.

مثل: الأمر، مثل: الاسم، الاسم هل هو من السمو؟ والأمر ماذا فيه؟ والعلة؛ يعني: كلها تدخل، أثرت فيها.

قالوا في العلم: إذا درس علم الآلة والعلوم الأصلية، لا بد يرى كيف كان تطورها؟ كيف مشت مع الزمن؟

ما يقتنع بأول نظرة؛ يعني: أول نظرة هذه صحيحة للتعلم، لازم تتعلم على هذا النحو، وتدركها على هذا النحو، ثم بعد ذلك توطن نفسك على التحقيق في المسائل شيئًا فشيئًا، وأنه ليس كل ما يقال: إنه ضرورة. أنه مسلم به من كل وجه، ليس كذلك.

عندك ما شاع عند المفسرين، عندك علوم القرآن، النحو حدث ولا حرج. النحو مثلًا: النحو الكوفي بالقرن الخامس تقريبًا انتهى. يعني: ضعف من أواسط القرن الرابع، ثم بدأ النحو البغدادي: ابن جني، وابن فارس، ومجموعتهم، ثم بعد ذلك راح النحو الكوفي، جاء النحو البصري، أَلَّف فيه، وبدأ التأليف فيه، أَلَّف ابن معطي فيه، الزمخشري أَلَّف المفصل، دخل فيه، ثم أَلَّف ابن مالك الألفية خلاص، وصار كأنه ما قيل. طيب إنك تفهم هذا الشيء، وتضبط الألفية وشرحها، وتضبط هذا، لكن ليس هذا هو المنتهى، المنتهى ما يأتي واحد يخطئ العلماء، أو يخطئ القراءة بكلام المتأخرين فيها، يخطِّئ الإمام أحمد ولا كذا؛ من أجل صنعة المتأخرين، ليس كذلك، هذا تطور للعلوم، وأنت الآن تشوفها في نفسك، إذا أردت أن تؤلف أنت ستعتمد على مؤلفات، تأتي بمراجع، وتجمعها، وتكتبها من المراجع، لكن هل أنت ستنشط إلى التحقيق في كل مسألة؟ لا.

لا أحد يدَّعي هذا، تجد العالم يريد أن يؤلف في كتاب في فن، يؤلف، تجد مسألتين ثلاث، أربع عنه ما يحققها، وكذا، لكن البقية يمشي فيها على منوال من سبق في ذلك؛ ليكمل كتابه.

مثلًا من أشهر المسائل مسألة بناء الضمير، أو اسم الإشارة، اسم الإشارة (هذا)، أما في (هذان وهاتان)، هل يصح أن نقول: هذان

وهاتان مبنيان؟ طبعًا مذهب البصريين نقول: هذان وهاتان، (ذان وتان)، لكن على التحقيق ليس هناك شيء اسمه تان، ليس في لغة العرب (تان) أصلًا، كلها تين، وهذه (هذان أو هاتان) بناؤها على الألف، وليست ملحقة بالمثنى، و(تين) بناؤها على الياء: ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣] على قراءة من شدد (إن)، (إن هذان) هنا مبنية، ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾ [القصص: ٢٧]، هذا مبنية على الياء، هذا مذهب الكوفيين، لكن شاع عند البصريبن خلافه، طبعًا أن هذه مبنية ومشت، ثم لما جاؤوا يؤولون القراءة الثانية، أبو عمرو البصري ماذا قال؟ قال: أخطأ الكاتب أصلًا، ما حطها هذا، انظر الغلو في نحوه، مع أن من القراء من قرأها (إن هذين)، قرأها على خلاف الرسم، قالوا إنها مرسومة، ما يجوز مخالفة الرسم. قالوا: أخطأ.

فبداية العلم الذي أصلوه عنده خطًأ به رسم الصحابة، وخطًأ به، فهذا كيف في القرن الثاني، أبو عمرو البصري في القرن الثاني.

فكيف بعد خمسة قرون؟! وكيف بعد سبعة قرون؟!

العلوم لها تطور، اكتسب أشياء، لازم المحقق يعرف: هذه صح، هذه غلط، هذه جيدة، هذه ليست بجيدة، . . . إلى آخره.

إذا أتيت للتاريخ، فحدث ولا حرج، التاريخ نقل فيه من باب التبع، يأتي المؤلف، وينقل عمن قبله شيئًا ليس صحيحًا، وأنا سبق قلت لكم عن كتاب مفيد جدًا في هذا الباب اسمه مصطلح التاريخ، للدكتور أسد رستم. وهو أستاذ تاريخ في الجامعة الأمريكية في بيروت، وعمل هذا الكتاب، وطبق ما يناسب التاريخ من المصطلح، مصطلح الحديث طبقه على التاريخ لنقد المتون التاريخية المنقولة، لكن ما أحد تتبع، ما أحد تبنى كلامه، وأنشأ فيه مدرسة.

التاريخ غرائب، دخلته الأهواء، لما جاء الأمويون، كثير من الروايات المنقولة أثرت فيما حدث بين الصحابة، الشيعة فيما ينقلون أثر. لما جاء العباسيون، جاء النقل عن ما كان الأمويون عليه وما فيه من فساد وإلى آخره لمصلحة الدولة العباسية، لما جاءت الدول بعد ذلك، راحوا ذموا هارون الرشيد، وذموا فلانًا، وعملوا، وبالغوا في الأمور، وهكذا إلى آخره.

التاريخ منه ما تدونه الدولة في وقتها، هذا تزيد فيه لصالحها، ومنه ما يدونه أعداؤها عنها، هذا يزيدون فيه ضدها، وقلما تجد المؤرخ، فجاء المؤرخون ما كتبوا شيئًا استقلاليًا، كلهم نقلوا، حتى ابن جرير ذكر في أول تاريخه ـ كما تعلمون ـ في المقدمة يقول: إن ما نقلته في هذا التاريخ ليست عهدته علي، وإنما عهدته على من نقل إلي، وأنا أذكر لك الإسناد[١]. يعني: هو ذكر الإسناد، روى عن لوط، وأبي مخنف، وجماعات من الشيعة، ومحمد بن حميد، روايات ليس لها أساس، فيها بلاء كثير.

جاء بعد القرن الثالث آخر القرن الثالث لما ألَّف ابن جرير كتابه، من ألَّف في التاريخ بعد ذلك وجد عنده مراجع، هذه المراجع لم تستند إلى أصول صحيحة، وجد المراجع، كل من ألَّف يعتمد على من؟ على هذه المراجع، فحدث، يأتي واحد مؤرخ يقول: والله، قالوا كذا، وعملوا كذا.

فلذلك نحن نقول: الآن طالب العلم يعرف أن العلم ليس له نهاية، من قال: أنا عالم. فهو جاهل بلا شك، لماذا؟ لأنك ترى أن العلوم فيها من الكثرة والتعقيد وتشابك المسائل ووجود بعض المسائل

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (١/٧).

تحتاج إلى نظر، سواء في العلوم الأصلية، أو في علوم الآلة والعلوم المساندة ما يجعلك تقول: لن تدرك آخر العلم، ولكن تمشي فيه مهما كان بقدر ما عندك من الهمة، قبلها توفيق الله ﷻ لعبده.

التوحيد: كذلك التوحيد والعقيدة، كذلك درج فيه أشياء، ما يصح أن تتابع كل التفاصيل، وأنا أذكرها لكم عدة مرات، هي أشياء ظهرت في وقت، في وقت السلف، ظهرت لغرض، ألفاظ من الأئمة، قواعد، لكن بعد ذلك انتهت الحاجة إليها، فما يصح أن نجعلها قواعد أو ألفاظ نمشي بها إلى الأبد.

الأصل هو دائمًا ألا يتجاوز القرآن والحديث، يأتي الحاجة في الزيادة عن هذا بحسب مقام الرد، بحسب مقام الإيضاح في كل بلد، في كل زمن بقدره، لكن الإيضاح للناس في العقيدة ليس هو إيضاح تفاصيل الردود وهذا الجواب، لا.

إيضاح ما جاء في القرآن والحديث فقط هذا الذي تعلمناه، أما الردود والقيل والقال، وهذا ليس هو الأساس.

جاءت ألفاظ في العقيدة، مشت، نحن ما نسلم بها، لكن يوجد منها مسائل لو قلنا بها، لأصبحنا نخطّئ بعض كبار أهل العلم والأئمة الذين قالوا بها، وهذه مفسدة أكبر.

لذلك نقول: تحقيق المسائل في هذا الأمر دون أن نخطّئ بعض المتقدمين وبعض أئمتنا في بعض المسائل التي ذهبوا إليها؛ لأن ليس فيهم العصمة، ما ندعي لكل واحد منهم العصمة في ذلك، لكن نقول: والله، هناك مسائل؛ يعني: ما كل مسألة هم أصابوا فيها، لكن ما أجمعوا عليه هذا لا شك أنه صواب. لكن ما تفرد به شخص، تجد عن ابن تيمية كلمة ما أحد قالها، نقول: والله، قالها ابن تيمية، امش

عليها. مثل قوله ـ أنا أضرب مثالًا ـ: إن أسماء الله ﷻ منها ما هو حسن، ومنها ما هو أحسن، فالأسماء الحسنى تعني، الأحسن، وهذا يدل على وجود الأحسن يدل على أن هناك حسن، وليس فيه فصل، هذا كلام لا يصح نقوله للناس، لكن فيه نظر، نظر ظاهر، لا دليل عليه إلا بفهم حسن.

يأتي مثلًا يقول: من أسماء الله ﷻ (البرهان)، من أسماء الله ﷻ كذا وكذا، الأسماء التي ذكرها.

نقول: والله، ماشي، قالها ابن تيمية، من اقتدى به في هذا الباب لا حرج عليه، لكن طالب العلم متحقق، ما يقلد دينه في كل المسائل، ويقول: ما أصاب فيه. ليس بصحيح.

تعرفون ما من إمام إلا وله في ذلك شيء في مسائل الاعتقاد، وهناك مسائل لا يكون قوله فيها هو الأصوب، لكن ما أجمع عليه الأئمة، وتتابعوا عليه هو الحق لا شك، وهكذا في غيرها من العلوم الأخرى.

سؤال: يا شيخ، كان الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب النحو يقول: إذا جاءت قاعدتان، اختر الأيسر منهما، هذا أطلقه كثيرًا ـ رحمه الله تعالى ـ.

الجواب: عمومًا الرسول ﷺ ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما[1].

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٥٦٠، ٦١٢٦، ٦٧٨٦، ٦٨٥٣)، ومسلم (٢٣٢٧): عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: **«مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا»**.

مداخلة: لكن تصنيفه بين هذا الكلام وبين.

الجواب: هذا للعمل.

مداخلة: لكن قصدي أنه خالف الدارج الذي سار عليه أهل العلم.

سؤال: هل يقتضي هذا - نفع الله بعلمكم - أن ينظر الإنسان فيما حقق من الأئمة الذين يرى أنهم حققوا ودققوا أن ينظر ما يقررونه من الأصول التي يريدون أن يضبطوا بها هذه الأمور؛ لأن المتأخرين الذين يعالجون هذا الفن...؟

الجواب: طيب، لا يغلُ الواحد في هذا الأمر؛ لأن الغلو في تحقيق المسائل يجعل مسائل أكثر من العلوم والفنون يفوت عليك، تروح تبحث عن تحقيق، وتجد عندك - ما شاء الله - عشر عشرين مسألة محققها، والباقي هذا لا، هذا خلاف العلم.

العلم إنك تدرس جميع العلوم، وتضبطها وكذا، لكن لا توطن نفسك أن كل ما قيل، فهو حق.

مثل: أبي حيان مع شيخ الإسلام، قال: تقول: إن سيبويه أخطأ في كتابه. لا أكلمك أبدًا. كيف سيبويه يخطئ؟! ما تحملها أبدًا.

هذا الذي يجعل التقليد يمشي في أهل العلم وفي تصنيف الفنون، عندك الآن البلاغة من بعد السكاكي انتهى، جاء بعده القزويني، وراح، صارت من القرن السادس الهجري إلى الآن، وهي كأنها كتاب ملزم. هذا ليس بصحيح.

مداخلة: يعني النظر - مثلًا - في اللغات، وهل ينفع طالب العلم فيما يتعلق بمسائل الاعتقاد عندما ينظر مثلًا إلى مبدأ لغات من حضر من المتكلمين في هذا الباب، ويريد أن يضبطه مع الأصول التي قررها أهل

السُّنَّة، ويركب من هذا حكمًا يطرق معه في أفراد المسألة وما ذكروه في هذا الباب.

الجواب: طيب، لكن أيضًا لا يبالغ فيه، فاللغة - مثلًا - بالسماع، ليست قوانين، حتى ابن فارس في المقاييس لما حاول أن يجعل لها أصولًا، ما استقامت له في كثير من الأمور، فاللغة سماع، صعب إنك تجد لها قواعد، وتقيس عليها في كل المسائل.

سؤال: أحسن الله إليك، في مسائل العقيدة نأخذ من الردود؟

الجواب: أو لا: هو يجتهد؛ حتى في مسائل الاعتقاد يجتهدون، لكن هنا اجتهاده لظرف اقتضاه في زمانه، فأنت تنظر هل هو موافق للقرآن والحديث، فنستمر عليها، أما إذا كان لا، وهناك زيادة لا نوردها؛ يعني: مثل: كلمة (بائن من خلقه)، (بائن من خلقه) صحيحة، (مستو على عرشه بائن من خلقه) صحيحة؛ لأنه هو مقتضى العلو مقتضى الاسم، جاء من زاد ماذا؟ (بحد)، أما (مستو على عرشه بائن من خلقه) هذا مقتضى العلو، مقتضى التوضيح صحيح، لكن جاء من قال ماذا؟ (بحد). هذه ليس لها أساس، اقتضاها وجود الجهمية والحلول ومن قال بالحلول والاتحاد والمخالطة، وأنه في كل مكان... إلى آخره، (بحد) تنفي هذا القول، لكن نحن يأتي واحد الآن يقول: مستو على عرشه بائن من خلقه بحد. لا.

ولو قالها بعض الأئمة لأنه لا حاجة إليها، الزيادة على ما جاء في النصوص هذا بمقتضى الحاجة، مقتضى الحاجة للرد على المخالف، مقتضى الحاجة للإيضاح، لكن الأساس هو الالتزام بما نتعبد الله به: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [التغابن: ١٢]، الكتاب والسُّنَّة، الكتاب والحديث وفهم السلف.

سؤال: بالنسبة للسؤال السابق، هل يمكن أن نقول: إن مذهب أهل السُّنَّة الذين يثبتون الهرولة لله ﷻ أنه ما نتقرب إلى الله ﷻ بالمساحة، ولكن لأن العبد متصف بهذه الصفة، التي هي المشي، كذلك الله ﷻ يكون متصفًا بهذه الصفة، وإن لم يكن التقرب بالمساحة، فلماذا لا تطلق عليه؟

الجواب: لكن عندك شيئين: «**وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»، الإتيان والإتيان ثابت، لكن المشي والهرولة، عندنا أمران، ما دام أن في العبد إتيان، أتيته هذا ثابت، لكن يمشي، هذا زيادة صفة في الإتيان، والهرولة صفة في الإتيان، فلما كانت الأولى ليست بالمساحة، فهمنا أن الثانية ليست كذلك.

السائل: هي ليست للمساحة، لكن المشي في أصله موجود الآن، كذلك الهرولة، هو يمشي.

معالي الشيخ: لكن هل يمشي إلى الله؟

السائل: لا يمشي إلى الله، لكن أصل الصفة موجودة.

معالي الشيخ: نعم؛ يعني: معناه: تقول أن الهرولة موجودة، لكن لا يهرول إلى أحد، هذا يأتي به إشكال ثان، الأحسن هناك من أثبتها، فلا ندخل في دقتها.

سؤال: يا شيخ، إذا نظر إلى مسألة اللفظ المفرد، هل ننظر إلى معاجم اللغة؛ ليتوصل الباحث أن هذا اللفظ لا يستطيع أن يجزم به، وهل هو مشترك، أو بين حقيقتين؛ كما تفضلتم ألا يكون هذا موردًا يورد على المتكلمين في مسائل المجاز عندما نسحبه على مبدأ اللغة؟

معالي الشيخ: نعم، هذا صحيح، هو أصلًا الآن اللغة كيف نشأت اللغة؟ كيف تكونت هذه الألفاظ وهذه المعاني إلى آخره؟ هذا أيضًا

علم، هناك عدة كتب في نشأة اللغات وتطورها، وممن درسها جيدًا ـ على خلل عنده في المنهج، لكن في الجملة ـ المستشرقون، عملوا بحروف، المهم أن اللغات نشأت، واللغات يستفيد بعضها من بعض؛ يعني: وجدت لغة بالاتفاق مع الإنسان، لكن هنا كيف تفرعت اللغات؟ يكون هناك تأثيرات في التفريع ولغة الإنسان، نقول نحن: لغة آدم عليه السلام محدودة، ليس فيها، ثم كثرت الألفاظ، وكثرت المعاني بحسب الحاجات. وهذا صحيح، تجد مَن عند السهل عندهم ألفاظ ومعان ليست تتعلق بالجبال، وأهل الجبال عندهم أشياء وألفاظ ومعان تتعلق ببيئتهم، أهل الصحراء عندهم ألفاظ تتعلق بالصحراء، ليست موجودة عند أهل الأنهار، وهذا مقتضى الحاجة، ولدت هذا الفرق.

هنا المعاني الموجودة، المعاني في الواقع معان تخصيصية؛ يعني: معان إضافية، مثلًا: تأخذ العقل، السمع، الشجاعة، وتأخذ الكرم، وتأخذ الطول، وتأخذ الضخامة، تأخذ المشي، تأخذ الغنى، هذه كلها ماذا؟ ألفاظ لها معان، لكن معانيها هنا تختلف باختلاف الإضافات، تختلف، فلما نأتي مثلًا نقول: والله، العقل. نقول: عقل ماذا؟ تختلف، فلذلك يتوجب أن نقول: إن هناك معاني كلية، هي أساس اللغة التي تجمع الكلمات، وإن كان أصحاب اللغات استعملوها إضافية.

يعني مثلًا: عندك الآن السمع، تقول: أنت مدرك ماذا؟ إن السمع هو، مباشرة، السمع جاء في بالك الأذن، هو الحاسة التي تدركها بالأذن، لكن هذا ليس بالسمع، السمع أكبر؛ لذلك لما نعرف السمع، نقول: إدراك ماذا؟ إدراك المسموع، لكن كيف تكون الحاسة هذه كيف؟ ما تعرفها بالضبط.

فإدراك المسموع هو السمع، يختلف سمعك عن سمع العصفور،

سمع الصغير، سمع البعوض، سمع النملة. والكلام، لا تقل النملة لا تتكلم، الإنسان يتكلم، النملة تتكلم بنص القرآن: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨]، ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦]، منطق، هل النملة حينما تكلمت، هل سمعتها، أو رأيت شفاهها تتحرك ولسانها؟ فلذلك لما نثبت لله ﷻ صفة الكلام، ليس هناك عاقل يعرف اللغة ومدركات النصوص يقول: إنه يلزم منه إثبات اللهاة واللسان. دعونا من الكلام هذا، نحن نثبت الصفة على ما وردت، لكن كيف الاتصاف بهذه الصفة؟ لا نعلم، وكل ما خطر ببالك الله ﷻ بخلافه تعالى.

فالمعاني كلية، لكن الإنسان هو الذي جعلها مخصصة، لماذا؟

لأنه لا يدرك منها إلا التخصيص، فلما يأتي مثلًا: يقول: والله، لما نأتي نقول لواحد قبل ثلاثمئة سنة أو مئتي سنة أو مئة سنة، تقول له: حرب النجوم، ماذا؟! هو عارف حرب النجوم، اللفظ من حيث استيعاب اللغة له صحيح، اللغة مستوعبة لكلمة حرب النجوم، بدلالاتها، لكن الأول ما استوعبها؛ لأنه لا يمكن أن يستوعب لفظ إلا بوجود مخصص عنده رآه حوله، جئنا نحن وقلنا: والله حرب النجوم عرفنا ما معناها؛ لأجل تفسير الإنسان لها بهذا التفسير.

إذًا فالصفات والغيبيات غلط إنك تحدها، في اللغة معان كلية، جاء تخصيص الإنسان للطير إلى آخره.

ابن الوزير رحمه الله **ذكر في المجاز القرائن هذه الثلاث، واستفاض فيها في العواصم**، وذكرها في الإيثار في الرد على المعتزلة، أتى بها، ونقل كلامًا.

السائل: في مسألة القرينة النقلية.

معالي الشيخ: التي يسمونها المنفصل، الظاهر المنفصل؛ يعني:

نقلًا آخر منفصلًا ليس متصلًا؛ لأن الظاهر منه ليس متصلًا، ومنه ما هو منفصل، يسمونه القرينة المتصلة والقرينة المنفصلة.

مداخلة: يا شيخ، بالنسبة للمشترك هذا واضح، والترادف كذلك، ولكن التواطؤ والتخالف والمشكك، تواطؤ تخالف، توافق، والاشتراك عكسه الترادف، في السلم هذا.

معالي الشيخ: نعم معروفة هذه الأربعة أو الخمسة، الترادف واضح، والتوافق واضح.

السائل: يا شيخ، التخالف والتواطؤ والمشكك.

معالي الشيخ: لا، التخالف واضح، لكن الإشكال في المشكك.

السائل: هل يحد بمثال؟

معالي الشيخ: المشكك تعرفون شيخ الإسلام ينازع فيه؛ لأن الذين دخلوا في الصفات، دخلوا البحث المشكك فيه. لكن نكمله إن شاء الله تعالى.

مداخلة: فمكث هذا الكتاب عنده فترة من الزمن، ثم دارت عليه الدوائر، واحتاج إلى أن يبيع هذا الكتاب، وقد شري منه من قبل بثلاثمائة مثقال، فلما احتاج باعه بأربعين مثقالًا، فلما أرادوا أن يذهبوا بالكتاب، نادى بالكتاب، فكتب عليه:

أنست بها عشرين حولًا وبعتها ... لقد طال وجدي بعدها وحنيني

وما كان ظنّي أنني سأبيعها ... ولو خلّدتني في السجون ديوني

ولكن لضعف وافتقار وصبية ... صغار عليهم تستهلّ عيوني

فقلت ولم أملك سوابق عبرة ... مقالة مكويّ الفؤاد حزين

وقد تخرج الحاجات يا أمّ مالك كرائم من مولى بهنّ ضنين[(١)]

معالي الشيخ: أحسنت.

هذه القصة لأبي الحسن الفالي، وتورد في الكتب القالي تصحيفًا، فليس لأبي علي القالي، وإنما هي لأبي الحسن الفالي، بالفاء، وهو أبو الحسن، وليس أبا علي، ذكرها عنه - عن أبي الحسن - عدد من أهل العلم، وترجم لأبي حسن الفالي كثير، وهو من علماء الأندلس المعروفين. وممن ذكرها صاحب المنتظم ابن الجوزي، والقصة في الصحيح مشهورة.

معالي الشيخ: العرب رجالهم يحسن الكلام ويحسن الخطاب، ويعرف إذا أراد أن يفصح عن حاجته أو أن يقنع، كلام جزل عظيم، موزون، وكلمات معدودة، لها معان، وهذه راحت مع الزمن، وصار كلام الناس سهلًا رخيصًا.

دائمًا صاحب الحكمة يصير قليل الإيراد، قليل الكلام، تطلع كلماته التي ينشئها هو، تكون محدودة، بليغة، تحفظ، ويصير لها رونق، الآن مع الأسف.

سؤال: يا شيخ، بالنسبة لقول أهل الأهواء: إن الله ﷻ منزه عن الأعراض والأبعاض والأغراض، العرض هو الذي يقوم بالغير؟

معالي الشيخ: ما لا يقوم بنفسه بخلاف الجوهر، والأبعاض التي هي يد بالنسبة للكل؛ أي: الأجزاء.

والتعليل، يفعل لغرض كما في قول في النونية لابن القيم رحمه الله:

---

(١) انظر: مرآة الجنان (٣/ ٤٤)، وشذرات الذهب (٥/ ١٧١)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٠٦).

وكذاك قَالُوا مَاله من حِكْمَة   هِيَ غَايَة للأمر والإتقان
مَا ثمَّ غير مَشِيئَة قد رجحت   مثلًا على مثل بِلَا رُجْحَان[1]

لأنها مبنية على أنهم يقولون: إن الله يفعل لا لغرض، ولكن لمحض مشيئته، فتعليل أفعال الله ﷻ عندهم غير وارد.

مداخلة: هناك كتاب - يا شيخ - لمحمد المدخلي، (الحكمة والتعليل في أفعال الله) بسيط، وسهل، وجيد.

معالي الشيخ: طيب، وأحسن من تكلم عن هذه المسائل غير ابن القيم ابن الوزير في (إيثار الحق)؛ يعني: استوعب التعليل استيعابًا جيدًا في إيثار الحق.

سؤال: يا شيخ هل ابن الوزير عليه ملاحظات في العقيدة؟

معالي الشيخ: أولًا: السؤال عن عقيدة فلان أنا ما أحبه، إلا إذا كان اقتضاها المقام في شيء، ابن الوزير زيدي، ثم تحول إلى السُّنَّة، وصار من أهل الحديث، لكن بقيت أشياء، ويكفيه أنه تحرر في بلده من مذهب الزيدية ومذهب المعتزلة، الذي هو أساس قام عليه مذهب الزيدية في المسائل، وذهب إلى الحديث في جو صعب، هو في وقته هو من أوائل أو أول من ذهب إلى هذا المذهب، وأدَّى إلى هجره، وألَّف كتابه الهجر، واعتزل، ومات رَحِمَهُ اللهُ، وهو معتزل في الجبل، منفي من أهل اليمن، وكتابه نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وأثنى عليهما، ونقى كلام ابن القيم، خاصة في الحكمة والتعليل، وابن حجر لما ترجم لمحمد بن إبراهيم بن الوزير، قال: وبلغنا عنه أشياء سارة من مخالفة. . . وانتهاجه للحديث.

---

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ٦٤ - ٦٥).

سؤال: يا شيخ في تعارض الحقائق اللغوية مع الشرعية ما الضابط في الأمر؟ هل هناك شيء يضبط هذا لو رجعت إليه مثلًا؟

معالي الشيخ: كيف هذا التعارض؟

السائل: مثلًا إذا تعارضت حقيقة شرعية مع لغوية.

معالي الشيخ: ترجيح الشرعية، دائمًا نرجح الخاص.

واللغات غير العرف، هي عندك تخصيص اللغة عامة، أخص منها العرف.

العرف: هو حمل اللفظ العام الذي في اللغة له دلالة عامة، أو له دلالة واسعة على شيء أخص؛ مثل: الدابة، ثم يمثلون بالدابة، وفي اللغة يدل على الدابة ذوات الأربع، والدابة في اللغة: ما دب على الأرض.

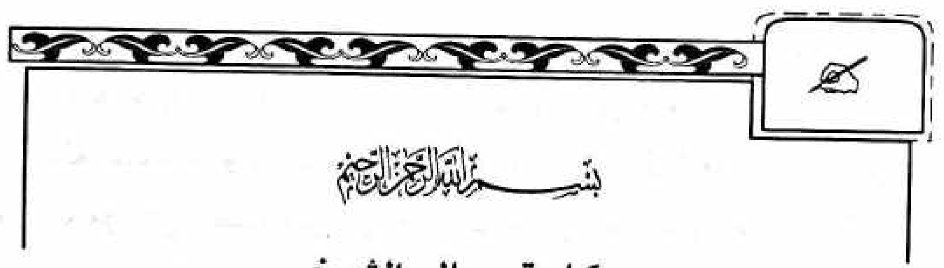
ما يكون كذلك هذا أخص، إذا خصص هنا، يأتيك التعارض، أو ما التقديم؟ أما إذا كان لغة بلد، ولغة بلد هذه ما تدخل في المسألة.

نحن في ابن عمر رضي الله عنهما، ما الذي قال لنافع: لا تكذب عليك، ما كان يكذب عكرمة على ابن عباس رضي الله عنهما، أليس ابن عمر رضي الله عنهما الذي قال هذا الكلام؟

لغة ابن عمر رضي الله عنهما هي لغة قريش، استعمال الكذب بمعنى الخطأ هذه لغتهم، وهم الأمثلة كثيرة على استعمالهم.

يعني: كثير قال: كذب؛ يعني: فهي تحمل على الخطأ.





كلمة معالي الشيخ
صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ
وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
في الغرفة التجارية ١٣/٢/١٤٢٤هـ

سؤال: في بداية هذا اللقاء، نود أن تحدثنا عن هذه الاتفاقية؛ حيث نتطلع إلى مزيد من الخير من خلال هذه الاتفاقية.

معالي الوزير:

أولًا: أحب أن أؤكد أن التعاون القوي، والمتين، والصلات الأكيدة العالية بين الدولتين الشقيقتين: المملكة العربية السعودية، والجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية كامل في جميع المجالات، ومستمر دائمًا في جميع الأطر، وهذه الاتفاقية نوع، ومثال من أمثلة التعاون القوي، والأكيد بين جهتين دينيتين في البلدين الشقيقتين، وهما: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف، والدعوة، والإرشاد في المملكة العربية السعودية، ونظيرتها في الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

فهذه الاتفاقية مشتملة على بنود من التعاون في تعزيز الرسالة الأم، وتنظيم الأوقاف بها، وتبادل الخبرات فيها، وعلى تشجيع التعاون الثقافي في المجالات الإسلامية بين البلدين، وكذلك في رعاية رسالة المسجد، والحرص على تجنيب الأمة ما فيه ضرر لها.

ولا شك أن وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف في المملكة

العربية السعودية، ووزارة الشؤون الدينية، والأوقاف في الجمهورية الجزائرية حريصتان على أن تسير الدعوة الإسلامية، والإرشاد الإسلامي، ورسالة المسجد وفق مبادئ الإسلام، ووفق أصول العقيدة الإسلامية، وما يجعل كل المستفيدين من خدمات هاتين الوزارتين يحصلون الخير، ويبتعدون عن كل ما فيه نوع من أنواع الضرر لهم، أو للمسلمين.

وتأصيل هذه الاتفاقية، وتوقيعها اليوم - إن شاء الله - سيكون بداية لتعاون كبير بين الوزارتين الشقيقتين، وأن يكون - إن شاء الله - في ذلك الخير للمسلمين بعامة، في التعريف بالإسلام، والدعوة إليه، وكما اطلعت أن وزارة الشؤون الدينية، والأوقاف في الجمهورية الجزائرية لها جهود في ترجمة بعض الكتب التاريخية في الإسلام، والاهتمام بدعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وهذه كلها من الإطارات التي نهتم بها جميعًا، والتي اشتملت عليها هذه الاتفاقية في تعزيز التعاون الثقافي الإسلامي في جميع المجالات التي تعمل من خلالها أجهزة الوزارتين.

سؤال: معالي الوزير، هل تتضمن هذه الاتفاقية الملتقيات الإسلامية هنا، وهناك؟

معالي الوزير:

ليس هناك شك أن كل أشكال التعاون مطلوب، سواء في المجال الثقافي، أو في مجال الإعلام، أو المطبوعات، والندوات، والحوار، وجميعًا نحن مقتنعون بأن فتح باب الحوار مع الموافق، ومع المخالف هذا ميدان دعا إليه الله ﷻ في القرآن، ودعا إليه الرسول ﷺ في السُّنَّة، فوجود مثل هذه الندوات، هذا أمر مطلوب، وسيكون - إن شاء الله - التعاون في هذا المجال على أبلغ صعيد - إن شاء الله -.

سؤال: وهل سيكون هناك لجان تنبثق من تفعيل تلك البنود؟

معالي الوزير:

ليس هناك شك أن الاتفاقية سَتُفَعَّل - إن شاء الله - بآلية معينة في المستقبل، ونرجو - إن شاء الله - أن يكون التفعيل على أعلى مستوى قريبًا - بإذن الله -.

سؤال: معالي الوزير، ما يتعرض له الإسلام في الوقت الحاضر من هجمات شرسة، وضالة من أعداء الإسلام ضد الإسلام، هل هناك تنسيق بين وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف، والدعوة، والإرشاد في المملكة، ووزارة الشؤون الدينية في الجزائر؛ لصدها من خلال عمل، وتنسيق مشترك؟

معالي الوزير:

أولًا: نحن نعمل في إطار ثنائي مشترك في إطار هذه الاتفاقية، وفي إطار التشاور المستمر بيني، وبين معالي أخي الدكتور أبو عبد الله نعم الله، في مجال صد الهجمات، وهذا الإطار مستمر، والإطار الثاني عبر قرارات مؤتمر وزراء الأوقاف، والشؤون الإسلامية الذي عقد المؤتمر الأخير فيه في ماليزيا في كوالمبور، واشتمل على قرارات مهمة تتعلق بالتعريف بالإسلام، وضبط الدعوة للإسلام، والدعوة إلى الله ﷻ، وشروطها، ونشر الإسلام عبر الإنترنت، وموضوعات أخر، هذا الموضوع يهمنا جميعًا؛ لأن الهجمة على الإسلام ليس المقصود منها بلدًا معينًا، بل المقصود منها دين الأمة، المقصود بها: عقيدة الأمة؛ حتى تتخلخل في نفوس أهلها.

ونحن نرى أن هذا من أهم، وأعظم الواجبات علينا بصفتنا من المنتسبين إلى العلم أولًا.

وثانيًا: بصفتنا مسؤولين عن هذا القطاع المهم، وهو: قطاع الشؤون الدينية، والأوقاف، **هذا يحتاج إلى نوعين من العمل:**

النوع الأول: وقائي.

والنوع الثاني: تقدمي.

بمعنى أن وقاية أهل الإسلام من التأثر، والثاني: الدفاع عن الإسلام برد شبهات غير المسلمين، وأعداء الإسلام التي يثيرونها، ووسموا الإسلام بالإرهاب، والتطرف مذموم في القرآن، والسُّنَّة، والله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١]، ويقول - أيضًا - ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فهذه الأمة هي أمة الاعتدال، والوسطية، وسيرة النبي ﷺ مع أصحابه ﷺ، ومع أعدائه، ومع من معه في المدينة من اليهود، والنصارى، كلها كانت سمتها العدل، والإحسان، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]، فالظالم يعاقب بقدر ظلمه، والمعتدي يعاقب بقدر اعتدائه، فلسنا أمة ضعيفة، بل أمة قوية بعقيدتها، أمة قوية بمبادئها، أمة قوية بمقدرتها، وبنصر الله ﷻ لها أولًا، وأخيرًا، ولكن نحن ندعو إلى الحوار، ندعو إلى فتح الآفاق، وندعو إلى حضور المنتديات، وإلى المشاركة بجميع ما يمكن المشاركة فيه من المؤتمرات العالمية، أو في وسائل الإعلام للمتمكنين في جميع المجالات، وفي جميع البلدان؛ لكي يمكن أن نوضح الصورة الحقيقية للإسلام، ودفع هذه التهم الكبيرة التي ربما أن أهلها يعلمون أنها ليست تهمًا صحيحة.

الإرهاب ليس منسوبًا للإسلام، ولا للمسلمين، فالإسلام، والمسلمون بُرءاء مما يوصَفُون به، والاعتداء على الناس بما يسمى الإرهاب، هذا شذوذ إنساني حصل في جميع الديانات: حصل عند المسيحيين، وحصل عند اليهود، وحصل عند المجوس، وعند فئات

كثيرة في العالم، إذا أحسوا بنوع من الظلم عليهم، سلكوا هذا المسلك، فليس الإرهاب، أو التطرف إسلاميًا، بل هو سلوك إنساني منحرف، وتأثر بهذا السلوك بعض المسلمين، كما تأثر به غيرهم.

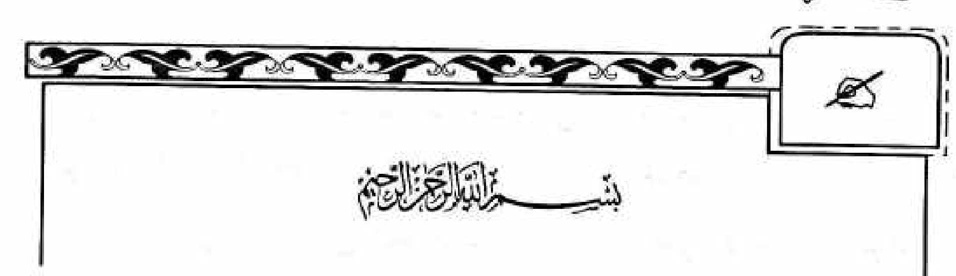
ونحن في الوزارتين نتعاون بصد الهجمة على الإسلام، وتوضيح عقيدة الإسلام، والحفاظ على رأس المال، وهم المسلمون، وتقدم في دعوة غير المسلمين للإسلام، وإيضاح الجواب الصحيح عن الشبه.

سؤال: هل سيتم إنشاء القناة الفضائية الإسلامية؟

معالي الوزير:

القناة الفضائية الإسلامية هي - إن شاء الله - تحت الدراسة، ونرجو أن يكون انطلاقها قريبًا، وهي تشتمل على كل ما فيه قوة للإسلام، والمسلمين، والدفاع عن المسلمين، وإيضاح الحقائق، ومن ضمن ذلك المقابلات مع من عاشوا في الغرب، أو تعرضوا لبعض الضغوط؛ لأن هذا يؤثر على الناس، ويوضح الحقيقة، وهو أن المسلمين يستهدفون بسبب تمسكهم بدينهم، والذي يجب علينا هو التعاون في المجال الإعلامي لجميع من عنده قدرة في المجال الإعلامي، سواء الصحافة، أو الإذاعة، أو في التلفاز، والقنوات الفضائية؛ لإيضاح الصورة الصحيحة؛ حتى لا نظلم في زمن لا يوجد فيه إلا صوت واحد، وهو صوت القوي، فيجب أن نوضح الصورة، ونحن نعلم أن القوة هي في الحق، وإذا كان الحق واضحًا، ومعنا، فإن القوة لصاحب الحق دائمًا مهما كان مستهدفًا في وقت، أو في زمان.

وصلى الله، وسلم، وبارك على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

كلمة معالي الشيخ
صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ
في حفل وقف السلام الخيري في الرياض السبت ١٤٢٤/١/٢٦هـ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أيها الإخوة إنني في هذه الساعة جد فرح ومسرور ومغتبط بهذا الخير العميم الذي نراه متتابعًا متواترًا في هذا الجامع المبارك، ولا شك أن كل مؤمن يحب الله ﷻ، ويحب رسوله ﷺ، ويحب هذا الدين ليفرح أولًا بكل خير يراه، ثم يسعى في دعم هذا الخير، وفي تشجيعه وانتشاره، وذلك لأننا نرى أن هذا الزمن مليء بالصوارف عن الحق ومليء بالأمور التي قد تصرف الناشئة والشباب عن ما أوجب الله ﷻ عليهم فوجود مثل هذه الحلق وهذه الدورات تبعث الهمة بالاقتداء وتنشر الخير في البيوت ويتأثر منها الآباء والأمهات قبل أن يتأثر الطلاب والناشئة، وهذا الترتيب الذي رأيناه يحملنا على شكر القائمين على هذه الحِلق والدورات الشرعية وفي مقدمتهم الأخ الشيخ أحمد بن محمد بن عثمان المنيعي جزاه الله خيرًا هو وجميع الإخوة القائمين على هذا الوقف، والقائمين على هذا المسجد والحِلق والدورات ونطلب منهم البذل والمزيد في نشر هذا الخير في هذا الحي والأحياء المجاورة له،

ونحن بخصوصنا في وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد نضع كل ما لدينا من إمكانيات ومن تسهيلات ومن عون مادي أو معنوي في سبيل إنجاح هذه الحِلق والدورات ومهمة هذا الجانب، نسأل الله ﷻ للجميع التوفيق والسداد وأن يبارك في الجهود.

أيها الإخوة القرآن العظيم هو ذكر هذه الأمة، أُنزل القرآن وليس لهذه الأمة شأن وليس لها منار فجعل الله ﷻ هذا القرآن شأن هذه الأمة، وجعله منار هذه الأمة، قال ﷻ: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ⑩﴾ [الأنبياء: ١٠] ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾؛ يعني: فيه ذكر هذه الأمة بعد أن لم تذكر، وفيه رفعتها بعد أن كانت موضوعة، وفيه علو شأنها بعد أن كانت ضعيفة مبعدة بين الأمم، وقال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ⑨﴾ [الحجر: ٩]، وهذا فيه الشأن العظيم، فالواجب علينا أن نحفل بهذا القرآن، وأن نقبل عليه تلاوة وحفظًا وتدارسًا، وقد سرَّنا ما سمعت من جملة من الحفظة من الشباب والصغار، والقرآن حفظه سهل ميسر ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ⑰﴾ [القمر: ١٧]، وليس الشأن في الحفظ فحسب بل الشأن في المراجعة والمعاهدة كما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: **«تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا»**[1].

هذا القرآن أعطانا العلم النافع في حق الله ﷻ في توحيده، وفي أمور الغيب، وفي الحلال والحرام، وفي القصص والأمثال، وفي الرقائق، فهذا القرآن منهج متكامل، من أقبل عليه يريد العقيدة الصحيحة البريئة المتخلصة من آفات المتكلمين وانتحال الفلاسفة والضالين

---

(١) أخرجه مسلم (٧٩١).

فسيجدها ماثلة أمامه وما بيَّنه أهل العلم في ذلك، ومن أقبل عليه يريد الحق فيما اختلف الناس فيه فسيجده في هذا القرآن، فيه الحلال بيِّن وفيه الحرام بيِّن، وفيه قصص الأنبياء التي فيها العظة والعبرة ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]، فيه الخير كله ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] ولكن الشأن في أن نأنس بهذا القرآن، وأن نقبل عليه، وأن نربي الناشئة عليه، فحريٌّ بنا أن نربي هذا الجيل والناس جميعًا على هداية القرآن: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

فإذا سمعنا الله ﷻ يقول في كتابه: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، ويقول ﷻ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، فنربي الناشئة على هذا الأصل الذي أمر الله ﷻ به، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، واجتناب الطاغوت كما أمر به ﷻ.

إذا سمعنا الله ﷻ يقول في كتابه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٣٢﴾ [آل عمران: ١٣٢] علمنا أن سبب الرحمة التي يفيضها الله ﷻ على عباده طاعة الله ﷻ وطاعة رسوله ﷺ، فندعو الناس ونحثهم إلى طاعة الله ﷻ، وطاعة رسوله ﷺ بما في سُنَّته، وبما عمله السلف الصالح.

إذا سمعنا الله ﷻ في كتابه يأمر بطاعة ولاة الأمر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، فإن تنشئة الناس على هذا الأصل هو امتثال لما أمر الله ﷻ به، وازدلاف وقربى له ﷻ.

إذا سمعنا الله ﷻ في كتابه يأمر بالصبر على كيد الكائدين، وعلى

عداوة الأعداء، فإن أمر الناس بالصبر والأناة والحكمة امتثال لأمر الله ﷻ، ليس ضعفًا ولا خضوعًا ولا شرودًا عن منهج الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾ [الروم: ٦٠]، **وهنا وقفة عند هذه الآية**، وهي مناسبة هذه الأحداث التي تجري الآن، وما يُكاد للمسلمين، وما نال طائفة من المسلمين من أذى وقتل ودمار من قبيل طائفة من أعداء الله ﷻ، فإن الشأن في هذا الأمر أن نمتثل القرآن الكريم، وأن نراه أمام أعيننا في كل ما يجري من أحداث، وذلك وفقًا لآيات كريمات منها: قول الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ٤٥﴾ [النساء: ٤٥]، فعداوة أعداء الله ليست مجهولة لأهل الإسلام بل هي مبينة في القرآن في سورة (البقرة) مبينة عداوة طائفة من اليهود، وفي سورة (آل عمران) مبينة عداوة طائفة من أهل الكتاب من النصارى وأمثالهم، وفي سورة (النساء) و(التوبة) وغيرها مبينة عداوة طائفة من المنافقين، وفي سورة (المائدة) مبينة عداوة المشركين، وفي سورة (الأنعام)، وهكذا فأعداء الله ﷻ معلومون نعلمهم من القرآن الكريم، هذه الأحداث تحتم علينا أن ننظر إلى وجوب موالاة المؤمنين، موالاة المؤمنين بمحبتهم ونصرتهم بما يُستطاع من النصرة وبالدعاء لهم بأن الله ﷻ يرحم المستضعفين، وينصر أولياءه، ويجعل كلمته عالية، ويجعل كلمة الذين كفروا السفلى، إنه ﷻ جواد كريم، فالدعاء أمضى سلاح، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول في معرض كلام له: (القلوب الصادقة والدعوات المخلصة هي العسكر الذي لا يُغلب).

والوقفة الثانية: مع هذه الأحداث ومع هدي القرآن فيها أن نعلم أنه لا يجوز أن نجعل الذين لا يوقنون يستخفوننا كما قال ﷻ: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾ [الروم: ٦٠]، والذين

لا يوقنون لهم مؤسسات ولهم هيئات ولهم ربما أقوام ومن ذلك الكثير مما يجري في وسائل الإعلام ويُقال، فهل يكون المسلم مُستخفًا بما يُقال، ومُستخفًا بما يُنشر فيتصرف تصرفات ليست وفق الشرع لأجل أنه قيل كذا ونشر كذا، ونحن نعلم أن كثيرًا من وسائل الإعلام هي ليست في أيدي المخلصين من المؤمنين، إنما قد يُراد بأهل الإسلام أشياء تبثها وسائل الإعلام، ومن ذلك الشحناء فيما بينهم والتفريق في كلمتهم، وهذا يجب علينا أن نرعاه في أن المؤمن يأخذ بالقواعد المحكمة في كتاب الله ﷻ؛ لأنها من الله وليس له أن يسير وفق استخفاف الذين لا يوقنون، فعليه بالصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وعليه بأن يكون صاحب أناة وحكمة ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

نرى أيضًا أن في القرآن الحث على اجتماع الكلمة والنهي عن الفرقة بأنواعها، قال ﷻ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وهذه الآية تدل على وجوب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة أولًا، ثم النهي عن التفرق بجميع أنواع التفرق، التفرق في الدين، والتفرق على الولاة، والثالث أن نتذكر النعمة بالاجتماع والائتلاف، فمن سعى بأي نوع من أنواع السعي في أن يضعف شأن الاجتماع والائتلاف والاتفاق فإنه سعى في رفع هذه النعمة، بنص القرآن ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٣] أَلَّف بين القلوب، فمن سعى في زعزعة هذا الإلف بين الناس فيما بينهم، وبين العامة وعلمائهم، وبين العامة ورعاتهم وولاة أمرهم فإنه سعى في سلب هذه النعمة بنص القرآن الكريم، وهذه الشدائد التي تأتي يجب علينا أن نعمل فيها وفق هدي القرآن الكريم، هذه كلمة اقتضتها هذه المناسبة.

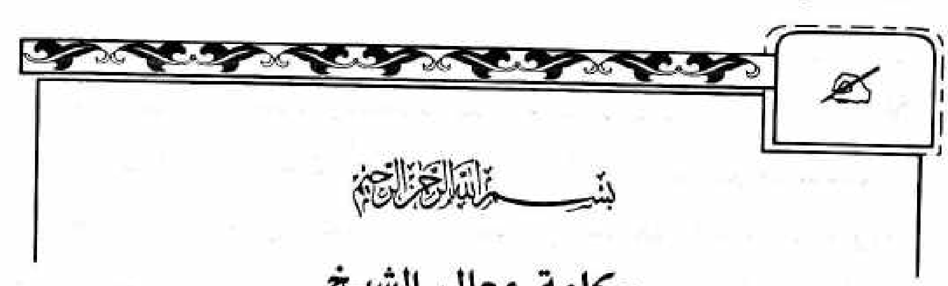
هذا الحفل أشكر القائمين عليه مرة أخرى، وجميع من حضره تشجيعًا لهذه الناشئة، وتشجيعًا لهؤلاء الطلاب وأخص بالشكر الآباء والأمهات الذين لا شك أعانوا أولادهم وأعانوا شبابهم وناشئتهم على الالتحاق بهذه الحِلق، كما أشكر أيضًا من دعم هذه الحِلق ماديًا ومعنويًا والمدرسين القائمين عليها، سائلًا الله ﷻ أن يوفق الجميع لما فيه السداد، وأن يُرينا عزًا لهذه الأمة وأن يُرينا رجوعًا إلى هذا المنهج القويم، منهج السلف الصالح المنهج الذي أقره أئمة الإسلام وجاهدوا في سبيله، جاهد في سبيله الإمام أحمد رحمه الله، وجاهد في سبيله أئمة الحديث كالبخاري ومسلم وأبي داود وغيرهم وجاهد في سبيله شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وجاهد في سبيله الإمام محمد بن عبد الوهاب وأبناؤه وتلامذته وجاهد في سبيله جمع كثير من علماء الأمة في أصقاع كثيرة من الأرض ليبقى ما وعدنا الله ﷻ به على لسان رسوله ﷺ بقوله: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»**[1] وفي لفظ آخر: **«لَا يزالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ ﷻ»**[2]، وهذا من فضل الله ﷻ على هذه البلاد أن هيأ لها هذه الدعوة وهيأ لها من ينصرها من ولاة الأمر.

أسأل الله الكريم أن يوفقنا جميعًا لما فيه الرشد والسداد، وأن يقينا العثار والزلل في القول والعمل إنه ﷻ أكرم مسؤول، وصلى الله، وسلم، وبارك على نبينا محمد.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٩٢٠) من حديث معاوية رضي الله عنه، وقد أخرجاه من حديث جابر وثوبان والمغيرة بن شعبة وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بألفاظ متقاربة.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ ابن ماجه (١٠، ٣٩٥٢)، وابن حبان (١٠٩/١٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٠٥/٩).



كلمة معالي الشيخ
صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ
في مسابقة الأمير سلمان للقرآن في قاعة الملك فيصل
في الرياض في يوم السبت ١٤٢٤/٢/٢٤هـ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين، وبعد:

صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض، صاحب الجائزة وراعي هذا الحفل، سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء، أصحاب السمو الأمراء والمعالي، أصحاب الفضيلة، أصحاب السعادة حفظة القرآن الكريم والمتنافسون فيه، أيها الحفل الكريم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وإني لأحمد الله ﷻ كثيرًا كما أنعم علينا كثيرًا بأن جعلنا نتنافس ونتسابق في دعم القرآن الكريم وحملته، في دعم حملة القرآن بالجوائز السخية، وفي دعم القرآن الكريم بما أُنزل له بالحكم به والتحاكم إليه، والأخذ بمنهاجه، ولقد عزَّت هذه الأمة بعد أن لم تكن عزيزة، وارتفعت بعد أن كانت وضيعة بهذا القرآن العظيم، قال الله ﷻ لنبيه ﷺ وللعرب: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾ [الأنبياء: ١٠]، وحقًا كان بهذا القرآن الذكر لهذه الأمة بعد أن كانت منسية، فأنشأ النبي ﷺ بهدي القرآن جيلًا كان رعيلًا أول

مقتدى به، وأقام الخلفاء الراشدون ﭫ دولة الإسلام مطبقة لهذا القرآن، وفتحوا البلاد بهداية القرآن، ولم يفتحوها بالسيف والسنان، فدخلت القلوب وأشرأبت الأعناق إلى هذه الهداية، وإلى هذا الدين، فانتشرت الحضارة القرآنية والمدنية الإسلامية في أرجاء الأرض رحمة وهداية وسعة فيما ينفع الناس، وبعدًا عن ما يضرهم في أمورهم الخاصة، وفي الأمور العامة لقد رفع الله ﷻ هذه الأمة لما رفعت رأسًا لهذا القرآن، ولما آل الزمن إلى أن خفض فئام من هذه الأمة رأسًا بهذا القرآن، انخفضوا وخفضوا أقوامهم ومجتمعاتهم، وكان مما هيأ الله به ﷻ لهذا البلد بخصوصه أن قام الإمام الملك الصالح عبد العزيز بن عبد الرحمٰن ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة ـ، فأقام المملكة العربية السعودية على هداية القرآن، والناس في ذلك الزمن يتلفتون يمينًا وشمالًا، ويتلفتون شرقًا وغربًا في طلب دساتير تحكمهم، وفي طلب حضارات يقتبسونها، فكان الحل هو المعادلة الصحيحة بين هداية القرآن، وبين معطيات المدنية التي أقرها القرآن الكريم، ولما كان الأمر كذلك، كانت سمة المملكة العربية السعودية منذ ذلك الحين إلى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز أيَّده الله، كان هذا العهد، وهذه السمة بارزة في التوازن الكامل الذي دعا إليه القرآن، فلما ادْلَهمَّت الخطوب في هذا الوقت وفيما قبله رجعنا إلى هداية القرآن، فلم نهن ولم نحزن؛ لأن الله ﷻ يقول لنا: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩]، ادْلَهمَّت الخطوب فرجعنا إلى هدي القرآن فوجدنا الصبر هو المثال، ووجدنا عدم الاستخفاف بما يُقال ويُنشر هو الأمر الحتمي امتثالًا لقول الله ﷻ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم: ٦٠]، فكان الصبر والحكمة لما يُقال ولما يُنشر كان هو الحق، وأن لا نقول هجرًا، وأن لا نسارع في أمر تكون مضرته على البلاد والعباد، فضلًا على أن المسارعة في أمر

ليس في مصلحة الدين، وفي مصلحة الناس ليس منهجًا يقره القرآن الكريم، وفي الآية التي ذكرنا قول الله ﷻ: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]، فكان منهجًا لقادة هذه البلاد، وكان منهجًا لأهل العلم في هذه البلاد، وكان منهجًا لأهل الفكر والقدوة الصالحة، ولحملة القرآن ولأهل الدعوة ولخطباء المساجد أنهم لم يكونوا مستخفين بما يُنشر في وسائل الإعلام أو بما تقوله الوسائل التي تتربص بأهل الإيمان سوءًا في أن تضطرب الأفئدة مع ما يُنشر أو مع ما يُقال، فإذا انخبثت الأمور رجعنا إلى القرآن فوجدنا فيه الطمأنينة، وجدت هذه البلاد بحكمها بالقرآن الكريم وجدت الطمأنينة في منهاجها في التعامل مع الناس في جميع شؤونهم، فلهذا دعت إلى الاعتصام بحبل الله ﷻ، وعدم التفرق امتثالًا وإقتداءًا بقول الله ﷻ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ويقوله ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣] وأخذت بمنهج الوسطية لأن الله ﷻ يقول لأهل القرآن ويقول لهذه الأمة: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١] فالغلو مذموم بجميع صوره، وبجميع تصرفاته؛ لأن الحق في الوسط ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

اتسمت هذه الدولة بجميع أفرادها بجميع قادتها وعلمائها ومؤسساتها ودعاتها اتسمت بأنها تحمل القرآن قولًا وعملًا، فلذلك كانت مطمئنة لما خاف الناس، وكانت ناعمة بالأمن لما خاف الناس، وكانت ميسرة أمورها لما تعقدت الأمور وكانت في سياستها تتخذ الرفق مثالًا امتثالًا لقول نبينا ﷺ: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**»(١)، والرفق كما يكون في التصرفات، يكون في السياسات ويكون في

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٧)، ومسلم (٢١٦٥).

الألفاظ، ويكون في التعامل، فكان الرفق سمة من سمات المملكة العربية السعودية في تعاملها مع الموافق، وفي تعاملها مع المخالف.

صاحب السمو، أيها الحفل الكريم إن هذه الجائزة التي تفضل بها سموكم على أبناءكم حفظة القرآن الكريم في جميع مناطق المملكة في دورتها الخامسة هذه أحرزت تقدمًا كبيرًا فيما شاهدنا، ولله الحمد في مستوى الأداء والحفظ، وفي مستوى العناية بالقرآن في التلاوة والتجويد، وفي معرفة التفسير فللّه الحمد والمنة، ولقد قابل سموكم في مكتبكم الكريم قابل جميع المتسابقين، وكان عددهم خمسة وخمسين من المتسابقين من جميع مناطق المملكة بلا استثناء، وكانت هذه سمة لكي ينظر سموكم إلى أن هذه الجائزة شملت جميع مناطق المملكة ولم تغادر منها شيئًا، وكان التنافس فيها عظيمًا لكي يحظى المتسابق بفضل الله ﷻ عليه بهذا القرآن أولًا وأخيرًا.

صاحب السمو إنا لنشكر لكم هذه الجائزة وهذا الاعتناء، وهذا الاهتمام مني ومن جميع زملائي في وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ومن جميع منسوبي الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم في المملكة جميعًا، وما عملكم هذا الدؤوب في هذه الجائزة إلا مثالًا لما توليه حكومة خادم الحرمين الشريفين، وسمو ولي عهده الأمين، وسمو النائب الثاني من العناية الفائقة بالقرآن الكريم وبحملته.

حفظة القرآن الكريم إن القرآن الكريم له حق عليكم ولا شك، بأن تكونوا ممتثلين له فحامل القرآن يحمل في صدره أعظم ما يُحمل بل هو آيات بينات في صدور الذي يورث العلم، فحامل القرآن تجده دائمًا موحدًا لله ﷻ مخلصًا لربه ﷻ؛ لأن الله ﷻ يقول للناس ولحامل القرآن: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، حامل القرآن تجده

مطيعًا لله ولرسوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران: ١٣٢] حامل القرآن بار بوالديه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، حامل القرآن نافع غير ضار؛ أي: كما كان يأخذ بالنافع ويدع ما يضر الفرد أو يضر المجتمع؛ لأنه طيب ومعه الطيب، والله ﷻ يقول لنبيه ﷺ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣] حامل القرآن عفو في تصرفاته، نافع في جميع مجالاته، قدوة صالحة، وخذوا بذلك وامتثلوا القرآن في أقوالكم وأعمالكم، ثم إني لأشكر جميع الذين أسهموا في إنجاح هذه المسابقة من أمانة المسابقة، وأصحاب الفضيلة في لجنة التحكيم، وجميع أصحاب الفضيلة ورؤساء الجمعيات لتحفيظ القرآن الكريم، ومن أسهم في ذلك من الجهات التأمينية وزارة المعارف وغيرها، فللجميع مني الشكر والتقدير لما قدموه لإنجاح هذه المسابقة على مدى عدة أشهر كان حصادها الأسبوع الماضي فيما تسابق فيه من رُشّح لهذه المسابقة، أشكر جميع من حضر الحفل وأجاب الدعوى من أعضاء السلك الدبلوماسي ومن جميع أصحاب الفضيلة، ومن جميع المشاركين لنا مهما كانوا.

أسأل الله ﷻ للجميع التوفيق والسداد، وختامًا أسأل الله ﷻ أن يجزي سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتي عام المملكة خير الجزاء على ما أفادنا به من هذه الكلمة ورقق به قلوبنا، نسأل الله أن يوفقنا جميعًا لما فيه رضاه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





محاضرة بعنوان: (العناية بالمساجد ومنسوبيها) الأربعاء ١٤٢٤/٣/١٤هـ وقد قام معاليه بإلقائها في حفل ختام الدورة العلمية المكثفة للأئمة والخطباء، التي أقيمت في جامع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، في الدلم

أحمد ربي خير حمد وأشكره على جليل نعمه وتواتر آلائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا؛ **أما بعد:**

أيها الإخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وإنها لمناسبة جد سعيدة بالنسبة لي، ولجميع زملائي في وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد أن نحضر هذا الحفل الختامي، الذي هو ثمرة من ثمار جهود أصحاب الفضيلة في هذه المنطقة ضمن برنامج العناية بالمساجد ومنسوبيها.

ولا شك أن تأهيل الخطيب والإمام والمؤذن وتقوية مهاراته وتأصيل علومه الشرعية من الأساسيات لكمال أدائه لعمله الشرعي، والمساجد بوظائفها الخطابة والإمامة والأذان هي وظائف شرعية يحتسب فيها أهلها مع ما يأخذونه من رزق من بيت المال لذلك، وهذا العمل الجليل الذي يقوم به أئمة المساجد وخطباؤها والمؤذنون هذا العمل

الجليل يحتاج إلى تعاهد ورعاية لهم ليعيننا ويعينهم على أنفسهم.

ولذلك جاء هذا البرنامج (برنامج العناية بالمساجد ومنسوبيها) الذي انطلق في أواخر شهر شعبان من السنة الماضية وسيستمر - بإذن الله تعالى - ثلاث سنوات، انقضى الآن منها ما يقارب من ثمانية أشهر، هذا البرنامج استهدف فيه النظر في أحوال المساجد من جهة بنائها، وحالتها العمرانية، وحالة مرافقها ما يحتاج إلى هدم وإعادة بناء، وما يحتاج إلى ترميم وما يحتاج إلى إصلاح، هذا من جانب الصيانة أو الإنشاء وكذلك من جانب منسوبي المساجد والأئمة والخطباء والمؤذنين اعتنى هذا البرنامج بهم فكونت اللجان الشرعية الكثيرة في مناطق المملكة ومنها اللجنة الشرعية في هذا البلد لرعاية هذا البرنامج وتتبع أحوال القائمين على المساجد.

ولا شك أن ما أتانا من نتائج لهذا البرنامج كان مبشرًا بالخير من تعاون الجميع على أن يكون مستوى الإمام والمؤذن وفق ما تبرأ به الذمة؛ لأن النبي ﷺ قال: «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ**»[1]، وإذا كان كذلك فإن الأقرأ هو الذي يؤم وكذلك في الأذان فالنبي ﷺ أمر فقال: «**وَاتَّخِذْ مُؤَذِّنًا لَا يَأْخُذُ عَلَى أَذَانِهِ أَجْرًا**»[2]، ومعنى الأجر أنه لا يأخذ مقابل أذانه كما يأخذ الأجير أجره، وإنما الذي يأخذه المؤذن هو رزق، ومكافأة من بيت المال لإعانته على أداء هذه الوظيفة الشرعية وفي قوله ﷺ: «**وَاتَّخِذْ مُؤَذِّنًا لَا يَأْخُذُ عَلَى أَذَانِهِ أَجْرًا**» فيه تنبيه على أن المؤذن

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٣١)، والترمذي (٢٠٩)، وأحمد (٢٦/ ٢٠٠)، وابن خزيمة (١/ ٢٢١)، والحاكم (١/ ١٩٩)، والبيهقي في السنن (١/ ٤٢٩)، والطحاوي في شرح معاني الآثار(٤/ ١٢٨)، والطبراني في الكبير (٨٣٦٥)، والبغوي في شرح السُّنَّة (٤١٧).

يقوم بالعناية بهذه الوظيفة الشرعية العظيمة، فالمؤذن مؤتمن على الوقت، ومؤتمن على العورات، ومؤتمن على أداء مهامه.

لاحظ البرنامج أن هناك ضعفًا في عدد من الأئمة والمؤذنين، أو من يحتاج إلى زيادة علم منهم، ولذلك وضع لهم البرنامج الدورات التدريبية، والحلقات العلمية، التي فيها تفصيل للأحكام التي يحتاجون إليها، وكان منها هذه الدورة العلمية التي أقيمت في هذا المسجد.

أيها الإخوة لا شك أن المسجد مهمته بما يقوم فيه الإمام، والخطيب، والمؤذن، وأهل المسجد مهمة عظيمة، ولذلك النبي ﷺ أول ما بدأ لما هاجر للمدينة ببناء المسجد، والله ﷻ يقول عن المساجد: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧]. هذه المساجد أذن الله أن ترفع، ويذكر فيها اسمه ومعنى أذن يعني أمر شرعًا أن ترفع ببنائها والاهتمام بها، وأن يذكر فيها اسمه.

وذكر الله ﷻ فيها بإقامة الصلاة المفروضة فيها، وإقامة النوافل، وإقامة حِلَق العِلم فيها، كما كان على عهد النبي ﷺ وعهد صحابته ﭫ، فكانت حِلَق الرسول ﷺ لنشر العلم بالمسجد، وكانت حِلَق الصحابة ﭫ بالمسجد، وهكذا كان شأن المسجد عظيمًا.

وكذلك كان شأن المسجد ومن فيه أنهم يقومون بإرشاد الضال، وفي بيان الحق، والأخذ على يد السفيه، والتعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فالمسجد مكان عظيم لأداء الواجبات الشرعية المختلفة، كما أنه مكان عظيم للتعبد لله ﷻ بالإخوة الإسلامية بين الناس، وإذا كان الأمر كذلك فإننا نرى أن الواجب على جميع طلبة العلم وعلى جميع المتسببين

إلى الخير أن يجعلوا المساجد، كما أذن الله ﷻ لها أن تكون وأمر وشرع بأن تكون مكانًا لنشر العلم الذي هو مقتبس من كتاب الله ﷻ، ومن سُنَّة رسوله ﷺ، ومن كلام السلف الصالح، وأئمة الإسلام، لا من كلام أهل البدع والمخالفات أو أهل الأهواء والفرق؛ لأن المساجد إنما بنيت على السُّنَّة فيجب أن يكون منهاجها السُّنَّة، وما فيها موافق لما أجمع عليه علماء السُّنَّة، أما الآراء والأهواء والنزاعات فليس مكانها المسجد، وإنما يجب أن تطهر المساجد منها بل يكون المسجد بمن فيه من أهل العلم والصلاح وخطباء المساجد، وأئمة المساجد ومؤذنيها من كان منهم مؤهلًا لذلك أن يكونوا ناصحين للأمة في بيان الحق في المسائل التي تشتبه أو قد يضل فيها الناس أو قد تحدث في الأمة من شبه وأقوال، أو من آراء مختلفة ليست مبنية على كتاب الله ﷻ وسُنَّة رسوله ﷺ، ولا على ما أجمع عليه أهل العلم، ولهذا نرى أن المساجد يجب أن تنهض بواجبها في رد الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن لا تكون ميدانًا للمجاملة، ولا ميدانًا للسكوت عن المنحرفين المنتسبين للإسلام، فإن الانحراف كما أنه يكون في البعد عن تعاليم الدين، في الشهوات، وفي الكبائر والمنكرات، كذلك يكون في الغلو والزيادة عما أمر الله ﷻ به، والله ﷻ نهى عن الغلو بقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١].

والنبي ﷺ نهى عن الغلو فقال: «**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ**»(١)، والغلو هو الزيادة في الأمر عما شُرِع، الغلو هو الزيادة عن ما أمر به شرعًا، فمن زاد في أمر ما في إنكار

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٠، ٥/ ٢٩٨)، والنسائي (٣٠٥٩)، وابن ماجه (٣٠٢٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

المنكر، أو في التدين عما أذن به شرعًا، فهو من أهل الغلو[1]، ولذلك أنكر السلف على من زاد في التعبد بل أنكر النبي ﷺ على ثلاثة من الصحابة ﭫ كما في الحديث عَنْ أَنَسٍ ﭬ قَالَ: «**جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا بِهَا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَأُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ الآخَرُ: إِنِّي أَصُومُ الدَّهْرَ فَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ الآخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ وَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ ﷻ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[2]، فأنكر عليهم النبي ﷺ مع أنهم في ظاهر أعمالهم على خير لأنهم يقومون الليل كله، أو يصومون كل يوم ولكن ما لم يكن الأمر على وفق السُّنَّة، وعلى وفق الشريعة كان مردودًا على صاحبه، ولو كان يريد به الخير، كما روى الدَّارِمِيُّ قال: أَخْبَرَنَا الْحَكَمُ بْنُ الْمُبَارَكِ، أنبأَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «**كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﭬ، قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ، مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ﭬ فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قُلْنَا: لَا، بَعْدُ. فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ، قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ - وَالْحَمْدُ للهِ -**

---

(١) انظر معنى الغلو لغة في: العين (٤/٤٤٦)، ولسان العرب (١٥/ ١٣٢)، وتهذيب اللغة (٨/ ١٦٧)، ومقاييس اللغة (٤/ ٣٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

إِلَّا خَيْرًا. قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ. قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصًا، فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ أَوْ انْتظار أَمْرِكَ. قَالَ: أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ، ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَصًا نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ. قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَوْ مُفْتَتِحُوا بَابِ ضَلَالَةٍ. قَالُوا: وَاللهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ. قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَايْمُ اللهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ»[1].

وهكذا كان الأمر في عهد السلف، وأئمة الإسلام، فليس كل من جاء على سبيل خير يكون موافقًا للسُّنَّة، أو موافقًا للمنهج الصحيح، أو موافقًا لما أمر الله به ﷻ.

ولذلك كما أنه ينكر على أهل الشهوات من الذين يجاهرون

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه (٢٠٤)، وبحشل في تاريخ واسط (ص١٩٨، ١٩٩).

بالمعصية أو يسلكون سبل الردى من أمور المخدرات والمسكرات، أو أمور الشهوات، أو إتيان الموبقات من الشرك بالله ﷻ وغيرها.

فكذلك ينكر على من غلا في الدين وينصح ويبين له، ويقام في وجهه لأن الله ﷻ أمر بهذا وهذا ومن قصر في بيان الحق في مسائل الغلو هو مقصر كالمقصر في بيان الحق في مسائل الشهوات والمنكرات بل ربما كان هذا أشد؛ أعني ترك الإنكار في مسائل الشبهات لأن السلف أجمعوا على أن ترك الشبهات في الناس وتأثير الشبهات في الناس في دينهم أعظم من تأثير الشهوات فالشبهات تستقر، والشهوات تذهب وتجيء بحسب توبة صاحبها.

وجاء في السنن أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ حَجَزَ - أَوْ قَالَ: حَجَبَ - التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ**»[1]، وقال في أهل البدع: «**أَنَّهُ سَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلَبُ بِصَاحِبِهِ لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ**»[2]، بل لما ذكر الخوارج قال ﷺ: «**يَحْقِرُ أحدكم صَلَاتَهُ مع صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مع صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ من الدِّينِ كَمُرُوقِ السَّهْمِ من الرَّمِيَّةِ**»[3].

وقال ﷺ: «**فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، لَئِنْ لَقِيتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**»[4]، وثبت عنه ﷺ أنه قال في أهل الأهواء ومنهم الخوارج قال:

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤/٢٨١)، وابن أبي عاصم في السُّنَّة (١/٢١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/٥٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٨٩): (ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروي وهو ثقة). وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١/٤٥): (إسناده حسن).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٥٩٧)، وأحمد (٤/١٠٢) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٣٦١١، ٥٠٥٧، ٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦) من حديث علي رضي الله عنه، وفيه: «**فَإِنَّ في قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

«لَا يَزَالُونَ يَخْرُجُونَ حَتَّى يَخْرُجَ آخِرُهُمْ مَعَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»[(١)]، وهذا يفيد أن هذه النحلة، أو هذه الفرقة لا تزال تخرج في الأمة حتى زمن الدجال فلا يقال إنهم ذهبوا وانقطعوا.

فلذلك الواجب عظيم في أداء رسالة المسجد في تثبيت السُّنَّة، وفي رد الأهواء والفرق وهذه البلاد بخصوصها وبلاد المسلمين عامة قد طهرها الله ﷻ وأصلحها الله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [الأعراف: ٥٦].

قال جمع من السلف منهم أبو العالية وغيره: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ لا تفسدوا في الأرض بالشرك[(٢)]، والمجاهرة بالمنكرات بعد إصلاحها بالتوحيد والمعروف، وذلك لأن البعد عن الدين بأي شكل من أشكاله سواء في ميدان الشبهات، أو في ميدان الشهوات هذا إفساد بعد إصلاح، والواجب على أهل العلم أن يتنبهوا إلى الخطر الذي يأتي من قبل الدين؛ لأن صاحب الشبهة يؤثر باسم الدين، وأما صاحب الشهوة فالنفوس تنفر من المنكر، ومن الموبقات ومن الكبائر حتى لو عمل المسلم كبيرة، فإنه تؤنبه نفسه ويتوب فيتوب الله ﷻ عليه، كما قال ﷻ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ۝٨٢﴾ [طه: ٨٢].

= وأخرجه البخاري (٣٣٤٤، ٤٣٥١، ٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ».

(١) أخرجه النسائي (٤١٠٣).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/١٥٠١، ٥/١٥٢٠). وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/٤٧٦، ٤٧٧) لأبي الشيخ في التفسير.

هذه الأمور واجب أن ينتبه لها أهل العلم، وطلبة العلم وأن لا يكونوا متساهلين في وجود الأفكار المنحرفة، أو الفرق التي تكون على نسق الفرق الضالة السابقة، وتأخذ بمآخذه من الذين يستبيحون الدماء، أو يستبيحون قتل من لا يجوز قتله شرعًا، أو يقتلون أنفسهم والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]. والله ﷻ بيَّن في كتابه أنه لما أراد أن يخلق آدم عليه السلام، وذكر ذلك للملائكة أول ما قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ [البقرة: ٣٠].

فجعلوا من الصفة العظيمة التي لا تستحق أن يجعل في الأرض، من يفسد في الأرض ويسفك الدماء فأنكرت الملائكة ذلك والله ﷻ بيَّن لهم أنه يعلم ما لا يعلمون فهو يخلق آدم عليه السلام ليكون مكلفًا يحمل أمانة الله ﷻ، وقال ﷻ في بيان الذين يفسدون في الأرض قال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٠٤]، وربما يأتي تأويله، وربما يأتي ببعض كلام أهل العلم، لكنه ليس على نهج الصحابة رضي الله عنهم ولاعلى نهج علماء الإسلام، ولا على نهج السلف الصالح في صواب ما يقول، قد يكون عنده شبهة لكنها ليست صائبة، كما كان الأوائل من الذين انحرفوا يحتجون ولكن الشأن ليس في إيراد الدليل، الشأن في أن يكون الإيراد صحيحًا موافقًا لفهم سلف هذه الأمة، يقول الله ﷻ في طائفة من هؤلاء ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٦]، وقال الله ﷻ في وصف المحاربين: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ

وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ [المائدة: ٣٣]. أجمع العلماء على أن هذه الآية تسمى حد الحرابة، وحد الحرابة سمي الحرابة لماذا؟ يحاربون الله ورسوله بماذا؟

قال أهل العلم: إنهم يحاربون الله ورسوله إذا أخافوا السبيل، فإذا أخافوا السبيل وقتلوا، فقد حاربوا الله ورسوله وإذا أخافوا السبيل وأخذوا المال فقد حاربوا الله ورسوله لماذا؟

لأنه لا يرضى الله ورسوله بالفساد، وإنما أمر الله ﷻ بالأمن أمر الله ﷻ بأن يكون المال محفوظًا والنفس محفوظة، والعِرض محفوظ، وكما قال ﷺ: «... **كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**»(١).

ولذلك هذه الأحداث التي جرت، هذه التفجيرات الفاجرة الأثيمة التي جرت منذ أيام ليلة الثاني عشر في مدينة الرياض، هذه مشابهة لما جرى قبل سنوات في حي العليا، وقد أفتت هيئة كبار العلماء فيها سابقًا وأفتت هيئة كبار العلماء في هذا الحادث، وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في حينها، في فتوى له فيما يتعلق بالتفجير السابق قال: (إذا كان من يخيف السبيل ويسرق عشرة ريالات يعد مفسدًا في الأرض ومحاربًا لله ورسوله فكيف بمن يخيف السبيل بقتل الأنفس التي لا يجوز قتلها وترويع الآمنين، وبث الخوف في الناس، والتسبب في انعدام الأمن وهذا أمر عظيم).

هذه التفجيرات التي حصلت جمعت بين أمورًا منكرة عظيمة:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

الأمر الأول: قتل النفس، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

الأمر الثاني: قتل للمسلمين فقد مات من جراء هذه التفجيرات أو من التصويب المباشر مات فيها من المسلمين أكثر مما مات من غيرهم، والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا﴾ [النساء: ٩٣]، والنبي ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول: «... **وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ**»[1]، والنبي ﷺ يقول: «... **فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، وَأَبْشَارَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ. قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّهُ رُبَّ مُبَلِّغٍ يُبَلِّغُهُ لِمَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ**»[2]، دم المسلم الواحد عظيم.

الأمر الثالث: قتل النفس المعاهدة غير المسلمين، ممن يأتون إلى هذه الديار جاءوا بأمن وعهد إما أن يكون الذي أمنهم ولي الأمر، أو جاءوا وأمنهم كفيل لهم من المسلمين، والنبي ﷺ يقول: «**الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ. يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ، وَمُتَسَرِّيهِمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ**»[3]، وكون بعض الجنسيات التي

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٧٥١)، وابن ماجه (٢٦٨٣)، وأحمد (١١/ ٤٠٢)، والحاكم (٢/ ١٥٢)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٥١، ٥٢)، وفي الصغرى (٢/ ٢٠٦)، والبغوي في شرح السُّنَّة (١٠/ ١٧٢)، وابن أبي شيبة (٥/ ٤٥٩).

حصل فيها القتل أو بعض الجنسيات محاربًا، لا يعني أن الجميع محاربون، فيهتك دم الجميع، وهذا لا يجوز، فالمحارب له حكم، والمعاهد والمستأمن له حكم آخر، فالمعاهد قال النبي ﷺ فيه كما في فتوى سماحة الشيخ، وفي فتوى هيئة كبار العلماء السابقة: **«مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ»**(١)، وهذا أمر عظيم.

الأمر الرابع: من المنكر العظيم والجرم الأثيم الذي وقع بسبب هذه التفجيرات أن فيها إتلافًا لأموال المسلمين، هذه المجمعات التي أنفق عليها مئات الملايين هي ملك لمن؟ ليست ملكًا لهذه الشركات، هي ملك لمسلمين أجّرَت على هؤلاء، ففيها إتلاف لأموال المسلمين، والنبي ﷺ يقول: **«... كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»**(٢).

وهذا يبين لك شناعة هذا الجرم وشناعة هذه الأفعال وأنه يجب على الجميع التكاتف، في أن لا ينتشر هذا الشر؛ لأنه كون يأتي جماعة في هذا البلد لأول مرة يفجرون أنفسهم ليقتلوا مسلمًا، وكافرًا في ذلك بحسب ما عندهم، هذا جرم عظيم، وعمل آثم، وشبهة عظيمة.

كيف يأتي على بال المسلم أن يفعل مثل ذلك؟ فهذا لا شك أن الذي أدى إليه أفكار وأقوال وآراء يجب أن تصد، ويجب أن يبين لأهلها، أو لمن تأثر بها، بعض الناس يفرح أعوذ بالله كيف؟

هذا من نقص العلم، ومن نقص فهم هدي الكتاب والسُّنَّة، وهدي السلف الصالح، وقواعد الشريعة، الشريعة جاءت بتأصيل خمس قواعد: الحفاظ على النفس والدين والعقل، والمال، والعرض، هذه كلها مستقاة

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٦).
(٢) سبق تخريجه (ص٩٨).

من أدلة الشرع، فإذا كان الأمر كذلك، كيف يقدم على مثل هذه الأعمال؟ وكيف يأتي إلى خاطر شاب أو مسلم فرح بمثل هذه الأعمال، هذا أمر منكر، والله تعالى جعل الفرح بالجرم والمنكر مثل فاعله، وهذا مما يجب أن تكون المساجد بمنسوبيها وطلبة العلم فيها، والأئمة والخطباء أن يقوموا بالواجب في هذا الأمر، لأن هذا الأمر إذا انتشر فإن عاقبته عظيمة على الجميع، لا يفرق بين أحد وأحد، ولا تدري ما الذي يحصل في المستقبل، الله ﷻ منَّ على هذه البلاد مِنَّة عظيمة بأن هيأ لها الاجتماع والائتلاف بتأسيس المملكة العربية السعودية بعد فرقة وشتات على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمٰن رحمه الله، ووفق ذريته إلى ما فيه الخير، وعشنا في ذلك إلى هذا الوقت، وكونه يأتي من يحرم هذا الأمر، ويسعى في الأرض بالفساد ويبعث الخوف، لا شك أن هذه من بث الفساد في الناس، والتخريف في الآمنين ويصدق عليه كل الآيات التي ذكرنا سالفًا، فالله، الله في عدم التساهل في هذا الأمر، والمرء لا يأمن على دينه، إذا فرح في منكر، أو جاءت نفسه وجاءها خاطر بالتساهل في هذا الأمر وهو يعلم الأحكام الشرعية أو هو لا يعلمها فإن الأمر عظيم عليه في دينه، والشاعر يقول:

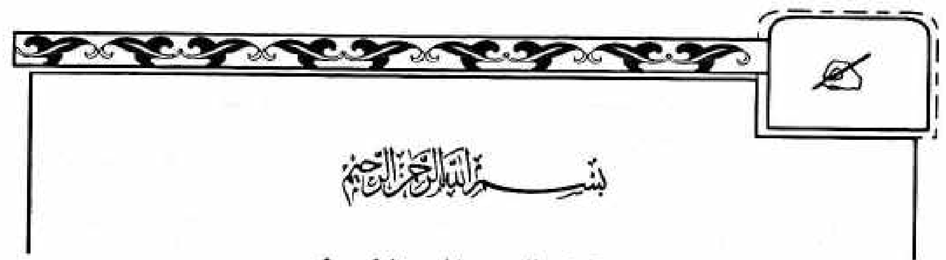
إن كنت تدري فتلك مصيبة ... وإن كنت لا تدري فالمصيبة أعظم

أسأل الله ﷻ أن يجنب هذه البلاد من كل مكروه، وأن يحفظ عليها دينها، وعقيدتها، وأمنها، وأمانها، وأن يوفق ولاة أمورها لكل خير، وأن يجعلنا من المتعاونين على البر والتقوى، وألا يجعلنا من المتعاونين على الإثم والعدوان، كما أسأله ﷻ لنا جميعًا أن نكون ممن يعلم الحق، ويحرص عليه، ويقف عنده، وأن لا يتساهل في ذلك أمام شبهة أو قول أو ضعف، قد لا يكون موافقًا للشرع، فالواجب علينا أن

ننتبه لهذه الأصول الشرعية التي ذكرنا، ومن الآيات الكريمة المحكمة، ومن كلام النبي ﷺ، ومن القواعد الشرعية التي ذكرناها عن أهل العلم، فإن الأمر جد خطير، يحتاج للمساجد فيه من رسالة عظمية تؤدَّى فكل على مسؤولية، فالله الله أن يؤتى الإسلام من قبله.

أسأل الله للجميع التوفيق والسداد وأن يجعلنا وإياهم دائمًا مباركين معانين على الحق، وأن يرينا الحق حقًا ويمن علينا باتباعه، وأن يرينا الباطل باطلًا، ويمن علينا باجتنابه، وأن يلهمنا كلمة الرشد والسداد، وكلمة الحق في الغضب والرضا، وفي جميع أحوالنا، إنه ﷻ جواد كريم، كما أسأله ﷻ أن يوفق ولاة أمورنا لما فيه رضاه، وأن يجعل التوفيق حليفهم، وأن يجنبهم طرق الردى، وأن يؤمننا في ديننا وفي دنيانا، إنه ﷻ جواد كريم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.





كلمة معالي الشيخ
صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ
وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
في البرنامج الإذاعي: «ضيف وحوار» ١٤٢٥/٤/٣هـ

المقدم:

بارك الله فيكم معالي الوزير، تقوم المملكة العربية السعودية بدور مهم في خدمة الشباب من الجنسين، وكذلك في خدمة القرآن الكريم، كيف تنظر إلى هذا الدور الذي تقوم به المملكة، وخاصة أن وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف، والدعوة، والإرشاد تتشرف بإقامة المسابقات المحلية، والدولية - أيضًا -؟.

معالي الوزير:

أولًا: لا شك أن المملكة العربية السعودية أسست من أول يوم على كتاب الله ﷿، وعلى سُنَّة رسوله ﷺ، فالقرآن هو المنهج، وهو الحياة، هو المنهج في الحكم، والتحاكم، وهو - أيضًا - الحياة في تربية الناس، والأفراد، سواء في البيوت، أو في مناهج التعليم، أو في المناهج المختلفة؛ لهذا نجد الحرص من ولاة الأمور في المملكة العربية السعودية على نشر هداية القرآن الذي حثنا على الالتزام بما جاء فيه بوسطية، واعتدال، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، القرآن الذي هو مصدر

الهداية، وهو المنهج الذي قامت عليه المملكة العربية السعودية يحث الناشئة، والشباب من الجنسين، وكذلك يحث جميع المسلمين على الأخذ بهدايته، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، لكن لا بد من أنواع من المرغبات، وأنواع من التنظيمات التي تشجع، وتحث الناس على الإقبال على القرآن؛ لذلك جاء دور الجمعيات الأهلية لتحفيظ القرآن الكريم في جميع مناطق المملكة، وجاء دور إدارات التعليم للبنين، والبنات في جميع أنحاء المملكة، وجاء دور القطاعات العسكرية في الحرس الوطني، والداخلية، ووزارة الدفاع، وغيرها، وجاء دور الجمعيات الخيرية في الاهتمام بذلك، فجاءت المسابقات في جميع القطاعات، ووزارة الشؤون الإسلامية تعنى بالمسابقة المحلية على مستوى المملكة: مسابقة الأمير سلمان بن عبد العزيز، وفيها جوائز سخية جدًا، وهناك مسابقة دولية على مستوى العالم الإسلامي، وفي القطاعات العسكرية هناك جائزة الأمير سلطان، وهناك جائزة الأمير عبد الله، والحرس الوطني له مسابقة تقام في وقت مهرجان الجنادرية، وهكذا.

إضافة إلى النشاط العام في ذلك؛ لذلك نجد أن الفرصة تكون قوية جدًا لمن أراد أن يقبل على القرآن، من حفظ، أو تلاوة، أو تجويده، فالأبواب مفتوحة أمامه، والوسائل، والطرائق مفتوحة، ومسهلة، وموحدة له.

إذا تقرر هذا، فلا شك أن هذا الاهتمام بالقرآن له الأثر الكبير على الناشئة، والأثر:

أولًا: في صلتهم بالله ﷻ، فالقرآن نور للصدور، وشفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون، القرآن يؤثر في الناشئة بعلاقة

الناشئ بربه ﷻ، ثم علاقته ببيته بوالديه، ثم علاقته بزملائه، فالقرآن مصدر هداية في جميع أبعادها؛ لذلك نجد أثر القرآن على الناشئة، والشباب الذين ينضمون إلى هذه الحلقات ـ حلقات تحفيظ القرآن ـ في الغالب الأكثر، نجد أنه أثر فيهم في الاهتمام بذلك، وأعطاهم روحًا من عند الله ﷻ، وقوة، ونجد أن مساجد المملكة العربية السعودية ـ الآن ـ الأكثر، بل كلها يقوم بالإمامة فيها من حفظة القرآن، أو من حفظة أكثره، وهذا من أثر الجمعيات، ومن أثر هذه المسابقات، ومن أثر الاهتمام بالقرآن الكريم، بعد أن كان قبل عشرين سنة قل أن تجد من السعوديين من يهتم بذلك، فجاء أثر ذلك في النواحي العملية، وسد الحاجة.

أيضًا: القرآن له أثره في الناشئة في تجنيبهم هذه الفتن التي انتشرت في هذا العصر، من فتن: المخدرات، والأمور التي أضرت بالشباب، وجعلتهم عناصر سلبية في مجتمعهم، نلحظ ـ أيضًا ـ أنه في خضم هذه الموجات الكبيرة، أن جمعيات تحفيظ القرآن، والشباب، والذين درسوا القرآن لهم الأثر في مناصحة بعضهم بعضًا في البعد عن طرق الغلو، والتحذير من الإرهاب، وأن القرآن إنما هو حجة على كل من أزهق نفسًا بالباطل، وحجة على من اعتدى على مسلم، أو على غير مسلم بغير حق، وحجة على كل من خالفه من هؤلاء الذين يدعون أنهم يصلحون، وهم في الحقيقة يفسدون، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة: ١١، ١٢]؛ ولذلك نجد أن هذه المسابقات جزء من كم كبير من عناية الدولة بالقرآن الكريم منهجًا، وتطبيقًا.

أيضًا: تشجيع الناشئة لما للقرآن الكريم من أثر في العبادة، وأثر

في العقيدة، وأثر في السلوك، والتعامل، والوسطية، والاعتدال في سلوك الناس، وهذه المسابقة بخصوصها مسابقة بجائزة سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز، تحظى باهتمام كبير، والمتنافسون فيها عدد كبير، وعلى مدى العام كله في جميع مناطق المملكة تهيأ المرشحين للمسابقة النهائية، وعدد الذين رشحوا للنهائي يقرب من تسعين، وهؤلاء لهم النهاية في التسابق، والترتيب، ولكن الذي شارك فيها آلاف من جميع مناطق المملكة، وهذا يعني أن الأسر، والبيوت، والناس يهتمون بالقرآن، وجعلوا أولادهم من الذكور والإناث، يحرصون على دخول هذه المسابقة، والتنافس في هذا الميدان الذي يشرف التنافس فيه.

فإذًا؛ في الحقيقة الجائزة، وإن كان آخرها أيامًا محدودة، ولها ختام، ولكن هي نهاية رصيد عدة أشهر في جميع مناطق المملكة؛ حيث بيوت، وحِلَق، وتنافس، واختبارات، وما أشبه ذلك، ولذلك وبهذه المناسبة نشكر للأمير سلمان هذه العناية بهذه الجائزة التي أثرت كثيرًا على مستوى الدخل، وتبرع لها تبرعات سخية جدًا، جعلت التنافس عظيمًا في هذا الميدان، كما أحب أن أشكر جميع الجمعيات الخيرية، وإدارات التعليم للبنين والبنات، الذين تعاونوا معنا، وكذلك كل الجهات المشاركة التي أثْرَتْ هذه المسابقة، وهذا التنافس؛ بحيث أصبح مضرب المثل في الحقيقة في إدارته، وحسن تنظيمه، ومستوى المشاركين فيه.

المقدم:

بارك الله فيكم معالي الوزير، لا شك أن في الوقت الحاضر يتعرض شباب الأمة لكثير من الأفكار الهدامة، كيف برأيكم معالي الوزير، نحمي هؤلاء الشباب، ونقوي عزائمهم بالقرآن الكريم، وبالسيرة النبوية المطهرة؟

معالي الوزير:

لا شك أن الدين الصحيح إذا أخذ به المربون، أخذ به الدعاة، أخذ به طلاب العلم، ونشئوا الناشئة في تربيتهم، ودعوتهم، سواء عبر الجامعات، أو عبر المدارس، أو عبر الدعوة، عبر المساجد، عبر المواعظ، عبر الخطب، إلى آخر ذلك، عبر المخيمات، إذا نشئوا الناشئة وفق الكتاب، والسُّنَّة، فإنه لن يكون هناك أي مدخل لغلو، أو تطرف، أو إرهاب عبر الشرع، كيف والشرع المطهر الكتاب، والسُّنَّة، وسيرة النبي ﷺ تنفي الغلو بجميع أبعاده، في جانبه العقدي، وفي جانبه العبادي، وجانبه السلوكي، والاجتماعي، حتى في علاقة الإنسان مع نفسه، فالإنسان لا يتصرف مع نفسه، فالغلو مع النفس - أيضًا - مرفوض، فالنبي ﷺ يقول: «**لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[1]، حتى على المستوى الشخصي، فكيف بعلاقة الإنسان مع من حوله، مع والديه، مع المجتمع، فنحن نهيب، وندعو الجميع: من العلماء، والدعاة، وطلبة العلم، وخطباء المساجد، والأساتذة في الجامعات، الأساتذة في مدارس التعليم العام للبنين والبنات، الذين يشرفون على حِلَق تعليم القرآن أن يهتموا بهذا الجانب، وأن يجعلوا فعلًا القرآن، والسُّنَّة، والسيرة في التربية مصدر اعتدال هؤلاء الشباب، ويبعدوهم عن الغلو بجميع أنواعه، ومن خالف ذلك، فإنه يكون خالف مقتضى الشرع المطهر.

المقدم:

معالي الوزير اختتمت مؤخرًا ندوة في المدينة المنورة نظمتها وزارة

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣).

الشؤون الإسلامية، والأوقاف، والدعوة، والإرشاد تُعنى بالسُّنَّة، والسيرة النبوية، فكيف رأيتم هذه الندوة، وما أهميتها؟

معالي الوزير:

الحقيقة: الندوة عظيمة، وذلك أنه قد شارك فيها أكثر من ثمانين عالمًا من المتخصصين في السُّنَّة، والسيرة النبوية من المملكة، وخارجها، وقدم فيها ثمانون بحثًا، وقد نوقشت هذه البحوث بحضور مكثف جدًا، حتى أن الحضور لم يجدوا أماكن، وكانوا واقفين في جميع الجلسات على مدى عدة أيام، وهذا مما يجعلنا نطمئن إلى التفاعل الإيجابي الحاصل من الناس مع هذه الندوة التي أوضحت السُّنَّة النبوية في جانب علمي، وكذلك الجانب الأثري السلوكي، والتعاملي، وكذلك ردت على طعون المستشرقين التي كانت في الماضي، وكذلك بعض الإعلاميين اليوم التي تورد في بعض القنوات الإعلامية، وبعض الصحف العالمية الذين استغلوا الأحداث المؤخرة للطعن في الإسلام، وفي الرسول ﷺ، فكانت في الحقيقة مثمرة جدًا، ونحن راضون عنها بجميع المستويات، وقد صدر عنها بيان قوي، وواضح في التعليق على هذه الأعمال التي حصلت، وإنكارها، ووجوب مواجهة هذه الأعمال، وصدر عنها توصيات كثيرة بلغت تسعًا وعشرين توصية، كلها قوية، ومركزة، وهذه التوصيات سنعلنها على الجهات المختصة، فما يختص بالوزارة سننفذه، وما يختص بالجامعات سينفذ، وما يختص بدور البحث، والمراكز العلمية، وما يختص بالمستشرقين سينفذ؛ لأنه في الحقيقة كان مستواها عاليًا جدًا من حيث مكانة المشاركين فيها.

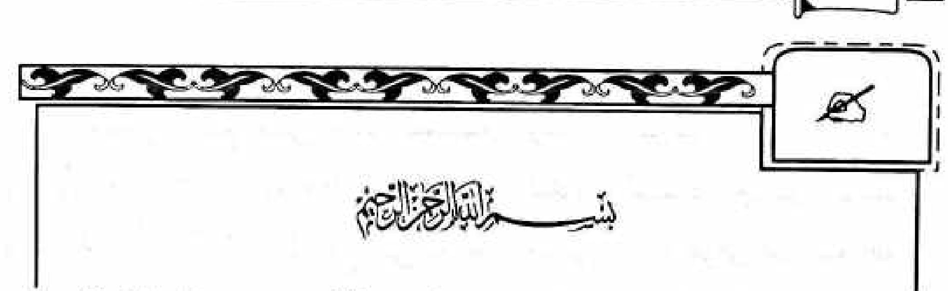
المقدم:

في الختام نسأل الله ﷻ أن ينفع بكم، وأن يجعل ذلك في موازين حسناتكم.

معالي الوزير:

شكرًا لكم على هذه التغطية، وهذا الحرص على الحضور، ونسأل الله ﷻ أن يوفقكم لما فيه الرشد، والسداد، ونشر الهداية، ومتابعة الأعمال التي تحتاج إلى تفاعل إعلامي كبير، موفق إن شاء الله.





محاضرة: كيف نفكر على وفق منهج السلف؟

لمعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ
وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

ألقاها معاليه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٢٤/١/١٣هـ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده، ورسوله، وصفيه، وخليله، نشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، فصلى الله، وسلم، وبارك على نبينا محمد كفاء ما أرشد وعلم، وكفاء ما هدى من الضلالة، وعلى آله، وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فيا أيها الإخوة الكرام: السلام عليكم، ورحمة الله، وبركاته.

وإني في فاتحة هذا اللقاء الذي تاقت إليه النفس منذ زمن، لأشكر لمعالي أخي الكريم الدكتور صالح العُبُود، مدير الجامعة على دعوته الكريمة لإلقاء هذه الكلمة لطلاب الجامعة.

ولا شك أن الوقت ـ أعني: وقتكم ـ مشغول بأشياء؛ ولكن هي إشارات لأمور مهمة في هذا الوقت بالذات.

نظرتُ فيما أتكلم عنه، ووجدتُ أن المسائل، والعلوم كثيرة،

والدعوة، والتوجيهات متنوعة الجوانب، فتأملت، فإذا أمثلها أن نتدارس في منهج التفكير في القضايا، والواقع المستقى من كلام السلف، وسيرتهم، أو لك أن تقول: كيف نفكر على وفق منهج السلف؟

ومن المعلوم أن العلوم الشرعية الأصلية: التفسير، والحديث، والفقه، واللغة العربية، والسيرة النبوية، وأشباه ذلك، والتوحيد، والعقيدة لكل منها أصول، من سار عليها أمن من الزلل في ذلك العلم، فمن عرف مصطلح الحديث، أمِنَ من الزلل فيما يرويه من الأحاديث النبوية من حيث الرواية، والدراية، ومن علِمَ أصول التفسير، وعلوم القرآن، أدرك الطريقة التي بها يُفسر بها القرآن، ومن علِمَ النحو، والبلاغة ـ وهما علمان يُفهم بهما الكلام العربي ـ، فإنه يأمن، ويصل إلى الصواب في فهم اللغة العربية، وكذلك أصول الفقه، وكذلك مصطلح التاريخ، وهكذا في علوم كثيرة.

ومما تأملته ورأيت أن الحاجة ماسة له أن يكون هناك تدارس للتفكير؛ لأن الناس اليوم أكثر ما يكونون يفكرون في أمورهم، وفيما حولهم، وفي واقع الأمة، وفي واقع الناس، وفي الواقع العلمي، والواقع الدعوي، والواقع السياسي، والواقع الحركي، والواقع كذا، وكذا، وأكثر ما تكون مجالس الشباب في هذا الصدد، فلهذا كان من العلوم المهمة التي ينبغي أن تؤصل اليوم؛ لإدراك الصواب، وللوقاية، والعلاج أن يُوضع منهج للتفكير، وكما كان الأوائل يقولون: إن العقل الصريح يوافق النقل الصحيح، والعقل الصريح يؤدي إلى الصواب في الفهم، أو كما قال اليونان لما ذكروا المنطق، قالوا: هو علمٌ، أو قواعد السلوك عليها يعصم العقل من الغلط في تناول العلوم، فكذلك التفكير يحتاج إلى منهج، وقواعد يكون فيها على بينة، ويُعصم معها من الزلل،

والتفكير أخطر، وأخطر؛ لأن منه تُتبنى المواقف، وتُتخذ الأمور، ويحصل أشياء كثيرة في حياة المسلم في نفسه، وكذلك في حياته، وفي أسرته، وفيما حوله، ومجتمعه، بل وفي أمته.

ولذلك كان لزامًا أن أدعو عبر هذه الجامعة العريقة المتميزة أن يكون هناك تدارس من ذوي العلم، والحكمة، والدعوة لهذا العلم ـ إن صحت التسمية ـ وهو: منهج التفكير لدى المسلم في واقع الأمور.

لماذا نبحث في المنهج؟

أولًا: لأن التقعيد يسهل معه إدراك الصواب دائمًا، فبدل ما إذا كان كل ما وقع شيء، صار هناك اضطراب، وسؤال كيف نعمل؟ ما الموقف الصحيح؟ ماذا نعمل؟ إلى آخره، فإنا نحتاج إلى منهج؛ لتكون مواقفنا متقاربة دائمًا، وعلى وفق العلم النافع، وهدي السلف.

فإذًا؛ من فوائد وضع المنهاج أن يكون هناك ثبات في المواقف، وتقارب فيها.

الأمر الثاني: أن يقل الخلاف في الأمة تجاه القضايا، والوقائع، ومعلوم أن العقول كثيرة، ولذلك صارت الاتجاهات كثيرة، والفئات كثيرة، والجماعات كثيرة، والمواقف كثيرة، وهذا مُنْذِرٌ بشر؛ لهذا قال النبي ﷺ فيما صح عنه لحذيفة ﷺ في حديث طويل معروف قال: **«فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا»**[1]؛ لأن هناك عددًا من الأقوال، والآراء، والأفهام، ووجود المنهج يجمع.

الثالث: أنه يقيم التصور الصحيح الذي هو غاية المسلم، فغايتنا

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٣٦٠٦، ٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧) من حديث حذيفة ﷺ.

أن نكون على بيِّنة فيما نأتي، وفيما نذر، وأن يكون التصور، والحكم على الأشياء صحيحًا نزلف به إلى مرضاة الله ﷻ؛ لأن القصد ليس هو إبراز النفس، وليس القصد ما هو أقوى من فلان، أو فلان، أو أبلغ من فلان، القصد القربى إلى الله ﷻ بأن يكون العمل، والقول، والموقف صوابًا في نفسه على وفق السُّنَّة، ومعلوم أن الاختلاف وقع؛ ولهذا قال النبي ﷺ مبينًا ضرورة وجود الهدي، والطريقة، والمنهج: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ**»[1].

فبين بقوله: «**فَعَلَيْكُمْ**»، وعليكم هنا من ألفاظ الوجوب، «**بِسُنَّتِي**»، وهو: الهدي، وطريقة النبي ﷺ، فإن السُّنَّة الهدي، والطريقة، «**وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ**» كذلك.

من فوائد وضع المنهج أن تقل الفتن في الأمة، ومعلوم أن الفتن إنما ظهرت بكثرة الآراء التي لا مستند لها، أو لا حجة راجحة مع أصحابها، فإذا كان هناك منهج للتفكير، والوصول إلى الحق، فإنه يكون حينئذٍ بعد عن الفتن.

والأخير: أنه بوجود المنهج نفرق بين الحقيقة، وضدها، وما بين المحق، والمبطل، وما بين المسارع في الفتنة، وما بين الحكيم الذي يطلب نجاة نفسه، ونجاة من حوله.

نرى أن السلف ﷺ من الصحابة ﷺ، فمن تبعهم بإحسان تقلبت بهم أمور كثيرة من الأحوال، والفتن، والأقوال، والحروب، والقتال إلى

---

(١) جزء من حديث أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وأحمد في المسند (٢٨/ ٣٧٣) من حديث العرباض بن سارية ﷺ.

آخره، لكن كان المنهج متقاربًا؛ لأنهم صدروا عن منهج في التفكير متقارب.

لهذا نطوي بعض التفاصيل، **ونذكر شيئًا من المعالم المؤثرة في هذا المنهج:**

أولًا: الأصل في هذا المنهج هو: الحرص على الاعتصام بالكتاب، والسُّنَّة، وهدي سلف الأمة، والكتاب، والسُّنَّة، كل فئات الأمة تدعيه، كل يقول: نحتج بالكتاب، والسُّنَّة، لكن الشأن فيمن فهم فهمًا، فاحتج بفهمه، فنقول له: هل كان هذا الفهم معروفًا عند السلف؟ فإذا لم يكون معروفًا، دل على اطراحه.

ولذلك لما جاءت مسائل في العلم من مثل: مسألة التبرك بالصالحين في حياتهم، عرض لها عدد من أهل العلم، منهم الشاطبي في الموافقات، وفي الاعتصام[١]، وذكر أن مقتضى الإيمان أن يكون في المؤمن بركة، كما جاء في الحديث: **«مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ»**[٢]. وكما قال النبي ﷺ: **«إِنِّي لَأَعْرِفُ شَجَرَةً بَرَكَتُهَا كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ: النَّخْلَةُ»**[٣].

قال الشاطبي: **«إِلَّا أَنَّهُ عَارَضَنَا فِي ذَلِكَ أَصْلٌ مَقْطُوعٌ بِهِ فِي مَتْنِهِ، مُشْكِلٌ فِي تَنْزِيلِهِ، وَهُوَ أَنَّ الصَّحَابَةَ ﵃ بَعْدَ مَوْتِهِ ﵇ لَمْ يَقَعْ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ خَلَفَهُ، إِذْ لَمْ يَتْرُكِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَهُ فِي**

---

(١) انظر: الاعتصام (١/ ٤٨٣).

(٢) جاءت هذه اللفظة من قول أسيد بن حضير ﵁ في قصة تشريع التيمم.
أخرجها البخاري (٣٣٤، ٣٦٧٢، ٣٦٠٧)، ومسلم (٣٦٧) من حديث عائشة ﵂.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٩/ ٤٧)، واللفظ له، وابن حبان في صحيحه (١/ ٤٨٠) من حديث ابن عمر ﵄.

الْأُمَّةِ أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ، فَهُوَ كَانَ خَلِيفَتَهُ، وَلَمْ يُفْعَلْ بِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا عُمَرَ ﷺ وَهُوَ كَانَ فِي الْأُمَّةِ بَعْدَهُ، ثُمَّ كَذَلِكَ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، ثُمَّ سَائِرُ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ لَا أَحَدَ أَفْضَلَ مِنْهُمْ فِي الْأُمَّةِ، ثُمَّ لَمْ يَثْبُتْ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ مَنْ طَرِيقٍ صَحِيحٍ مَعْرُوفٍ أَنَّ مُتَبَرِّكًا تَبَرَّكَ بِهِ عَلَى أَحَدِ تِلْكَ الْوُجُوهِ أَوْ نَحْوِهَا، بَلِ اقْتَصَرُوا فِيهِمْ عَلَى الِاقْتِدَاءِ بِالْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ وَالسِّيَرِ الَّتِي اتَّبَعُوا فِيهَا النَّبِيَّ ﷺ، فَهُوَ إِذًا إِجْمَاعٌ مِنْهُمْ عَلَى تَرْكِ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا»[١]. هذا المنهج في التفكير.

كذلك في النظر للواقع تأتي قضايا كثيرة نعتصم فيها بالكتاب، والسُّنَّة، وبسلف الأمة، جاءت الفتنة في وقت عثمان ﷺ، وفي وقت علي ﷺ، وجاء الخوارج واحتجوا، هل هناك كتب من كتب أهل العلم؟ ما كان، هل كان هناك مؤلفات؟ لم يكن، إنما كان عندهم الاحتجاج بالقرآن، أو بحديث النبي ﷺ، فاحتجوا بالمتشابه منه، وتركوا الرجوع للصحابة في ذلك، فضلوا، وكما شهد النبي ﷺ بأنهم كلاب أهل النار[٢]، وكيف وقد قتلوا عثمان، وعليًا ﷺ.

فإذًا؛ في المواقف التي حصلت ضلوا بأنهم رجعوا إلى القرآن، والسُّنَّة بالاستدلال بالمتشابه، لا بالمحكم، ولم يستضيئوا من العلم الموروث لدى الصحابة ﷺ بنور، ولم يأووا إلى ركن وثيق، وهكذا في حالنا اليوم المنهج قائم، لا بد من الاعتصام بالكتاب، والسُّنَّة على

---

(١) انظر: الاعتصام للشاطبي (١/ ٤٨٢).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه (١٧٦) عَنْ أَبِي غَالِبٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ: «شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، وَخَيْرُ قَتِيلٍ مَنْ قَتَلُوا، كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ، قَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ مُسْلِمِينَ فَصَارُوا كُفَّارًا» قُلْتُ: يَا أَبَا أُمَامَةَ، هَذَا شَيْءٌ تَقُولُهُ؟ قَالَ: بَلْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فهم سلف الأمة، والعلماء الربانيون يدلون على هذا الفهم.

المعلم الثاني: أن الله ﷻ يبتلي الأمة بالفتن، والشبهات: الشبهات العلمية، والشبهات ـ أيضًا ـ العملية، وكذلك الفتن العملية، وهنا ما الموقف من الشبهات العلمية، وكذلك من الفتن العملية؟

هنا أن نعلم أنه كما جاء في الكتاب، والسُّنَّة متشابه، قال الله ﷻ في القرآن: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، فإذا كان كلام الله ﷻ فيه محكم، وفيه متشابه، فكذلك كلام النبي ﷺ فيه محكم، وفيه متشابه، ضلت الخوارج المرجئة القدرية المعتزلة الفئات؛ لأنهم استدلوا بالمتشابه، وتركوا المحكم في ذلك.

كذلك كلام أهل العلم فيما دونوه في الكتب من باب أولى ـ لعدم إحاطتهم، وعِلمهم بكل شيء ـ أن يكون في كلامهم محكم، ومتشابه، فليس الشأن حينئذٍ في الخروج من الشبهات العلمية، والمآزق التي ترى اليوم الكثير ممن يأتي، ويؤلف، ويقول، وينشر بأقوال يستدل فيها ربما بالقرآن، والسُّنَّة، وربما استدل بكلام السلف، وربما استدل بكلام العلماء في كتبهم، لكن هل الشأن وجود النقل، أو الشأن في دلالة النقل على المراد، وإرجاع المتشابه من كلام أهل العلم إلى محكمه؟ أما إذا أتينا في كل مسألة، وأخذنا كلام العلماء، في أي مسألة تريد أن نملأ عددًا من الصفحات، ونؤلف، وننقول عن أهل العلم.

فإذًا؛ منهجك في التفكير إذا جاءت الشبهات العلمية، أو المسائل المختلفة هي ألا تنظر إلى وجود النقول فحسب، بل تنظر إلى أن هذه النقول في فهمها قد دل الراسخون في العلم على أن هذا هو فهم السلف لها؛ لأن التعبد قائم علينا بأن نكون مجتنبين للشبهات في كلام الله ﷻ؛

لهذا في القرآن تجد أن الله ﷻ بيَّن أن الشبهات ليست هي سبب الزيغ قال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧].

فإذًا؛ الشبهات هي سبب الزيغ، أو الزيغ وُجد أولًا، ثم صاحبه بحث عن الشبهات؟ قال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧].

وهكذا اليوم في النقول من كلام أهل العلم نجد أن الذي عنده زيغ في الأصل؛ لأنه لم يستق علمه الصحيح من مصدره الصحيح، ويتبرأ من الهوى العلمي، ويأخذ من معدنه، ويصبر على ذلك، تجد أنه وجد الزيغ عنده، والاشتباه، وهوى النفس، فبحث عما يستدل به، فتجده ينقل عن الإمام أحمد، ينقل عن الصحابي كذا، أو من العمل، أو ينقل عن الفقيه الفلاني، أو عن ابن تيمية، أو عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أو عن فلان، وفلان إلى آخره. فليس الشأن في هذا، الشأن في أن يكون ما تنقل محكمًا، أو المتشابه يرد إلى المحكم بفهم أهل العلم؛ لهذا منهج للتفكير مهم في أنك تنتبه في ألا تقع في مشتبهات كلام أهل العلم.

أيضًا: الفتنة العملية تقع، الفتنة منها الاختلاف، اختلف الناس في أقوالهم، اختلف الناس في مواقفهم، اختلف الناس، تقاتلوا، حصل، وقعت أمور الفتنة، فهنا إذا حدثت هذه الفتن فما المنهج فيها؟

كما قال النبي ﷺ لما سأله حذيفة قال ﷺ: **«وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ. قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ؛** أي: إذا رأيت جزء من أعمالهم أعجبك، وأشياء أخرى تنكرها، **قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا.**

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا. قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»[1].

لزوم جماعة المسلمين يعني: القول العام في المسلمين؛ لأن يد الله مع الجماعة.

فإذًا؛ هذا منهج عام، لزوم جماعة المسلمين، جماعة أهل العلم؛ لأن الشاذ من الأقوال مطّرح، وكما هو معلوم لا يزال هناك طائفة تقوم بالحق، وتبينه، وهي المنتصرة بالحجة، والبيان بموافقتها لكلام السلف.

المعلم الثالث: أن الواقع في الأمة اليوم يحمل معه النفوس على أن تسير في اتجاه يضر بها، أو مخالف لمقتضى العقيدة، ومنهج أهل السُّنَّة والجماعة، وذلك بسبب الضيق ـ ضيق النفس ـ من هذا الواقع المظلم الصعب، فمن منهج التفكير لدى المسلم أن يغلب جانب التفاؤل، ويحذر من القنوت، واليأس الذي يحمله على عمل أشياء منكرة، التفاؤل، والإيجابية هذه تعطيك انطلاقة، فإذا نظرت إلى الواقع اليوم ثق أن الإسلام سينتصر وسيعود عزيزًا كما كان؛ لأن الله ﷻ يقول لنا: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح: ٢٨]، فمن الذي شهد بهذه الشهادة؟ هو الله ﷻ.

فإذًا؛ الزمن لا ننظر إليه، مر خمس سنين، عشر سنين، عشرون، خمسون سنة، لا يهمنا، ولا أكثر، المهم أن يوافق علمنا الصواب

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦، ٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧)، واللفظ له من حديث حذيفة رضي الله عنه.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، لو كان النصر، والفتح ينزل على أحد لما معه من الحق، لنزل مباشرة على نوح عليه السلام، لكن نوح عليه السلام كم مكث في قومه؟ تسعمائة وخمسين سنة؛ ألف سنة إلا خمسين عامًا، هنا انتصر بعد ذلك بالله عز وجل، وهنا نلحظ في سورة العنكبوت قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت: ١٤، ١٥]. هنا السؤال: لماذا ذكرت قصة نوح عليه السلام في آيتين في سورة العنكبوت؟

وهذا المأخذ لا بد لطلبة العلم أن يتأملوه، وورود قصص الأنبياء في القرآن مرة طويلة، ومرة مختصرة، مرة قصيرة، مرة لغرض واحد في آية، أو في آيتين، مرة في خمسين آية، لماذا؟ هذا له أسبابه المعروفة عند أهل العلم، ومنها: أن إيراد القصة، والقدر المورود منها إنما هو لعبرة ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١]؛ لتوافق المقصد من السورة؛ لأن كل سورة من القرآن لها مقصد.

سورة العنكبوت ما المقصد منها؟ التحذير من الفتنة ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ١ - ٣]، فتنة الإنسان بوالديه ذكرها، ثم فتنته بمن حوله.

نوح عليه السلام أي فتنة في قصته؟ فتنة الزمن، وتطاول الزمن، كيف يصبر واحد يريد الحق، يضايَق، يرى ما فيه، يصبر ألف سنة إلا خمسين عامًا؟ نعم، إن لم تصبر فقد أدركتك الفتنة؛ لأنه لا بد أن يكون المنهج صحيحًا، والطريق صوابًا، وإلا فالزمن لا عبرة به ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.

هنا تأمل في أنه لا نستعجل، ولا يستخفنا الذين لا يوقنون، انظر لما جاء الأمر بالصبر، جاء معه التحذير من الاستخفاف، قال الله ﷻ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الروم: ٦٠]؛ أي: مهما عملوا اصبر إن وعد الله حق، اصبر حتى يأتي إذن الله ﷻ، ثم قال بعدها: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠] والآية مكية.

المشركون في مكة حصروا النبي ﷺ في الشعب سنة، هل هناك أعظم من هذا؟ يصلي، فيُلقى عليه سَلَى الجزور، ضايقوه مضايقات نفسية، حرب، وضعوا الشوك، كل أنواع الأذى، ومع ذلك قال: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾، بعض الصحابة ﷺ قالوا: «**وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَئِنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ عَلَى أَهْلِ مِنًى غَدًا بِأَسْيَافِنَا**». لاحظ أثر الاستخفاف فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَمْ أُومَرْ بِذَلِكَ**»[١].

فإذًا؛ التحذير من الزمن، والزمن يؤثر، وواقع الأمة، أو الواقع المؤلم، أو الذي يعمل ضنكًا يؤدي إلى أي شيء؟ يؤدي إلى الاستخفاف، من الذي يستخف الآن الناس؟ الذين لا يوقنون، يريدونهم أن يعملوا أعمالًا، ولكن الصبر نصف الإيمان؛ لأن الإيمان نصفان: نصف شكر، ونصف صبر.

فإذًا؛ التفاؤل مطلوب، تفائل دائمًا، أُدْعُ، أَثِّر في الناس بالدعوة إلى الله ﷻ بالحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، كن متفائلًا، لا بد أن تحسن الظن بربك ﷻ، قال النبي ﷺ: «**قَالَ اللهُ ﷻ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ**»[٢].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٥/ ٩٤)، والآجري في الشريعة (٤/ ١٦٦٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢٥/ ٣٩٨).

وهذا يعطيك أوسع أبواب التفاؤل الذي له الأثر في الطمأنينة، والنفسية، وله الأثر في العمل الإيجابي المثمر في الناس؛ لذلك تجد هدي السلف كيف كان؟ حصلت فتن، وأمور، وفساد، هل توقفوا عن التأثير النافع في التعليم، في التأليف، في الدعوة؟ لا.

الدولة الفاطمية في مصر، وما فيها من البلاء، وما أصاب العلماء فيها من أفعال، انظر المؤلفات التي ألَّفها العلماء في وقت وجود الدولة الفاطمية في مصر، تجد أنهم أقبلوا على العلم، والتعليم، والدعوة، والخير بحسب الممكن لهم.

إذًا؛ التفاؤل يعطيك حسن الظن بالله ﷻ، وحسن الظن بالله ﷻ يحملك على أن تبذل ما فيه الخير.

المعلم الرابع: من المعالم للتفكير الصحيح في واقع الناس، واقع الدول، واقع العلماء، واقع الدعاة، من المعالم: أن تنظر أنه ما من أحد يعمل عملًا إلا وعنده ـ أعني: من المسلمين ـ إلا وعنده خير يحمد عليه، وذنب يذم به، حسنات وسيئات، ذنوب وأعمال صالحة؛ لهذا لما جاء في قصة معاوية رضي الله عنه مع المسور بن مخرمة رضي الله عنه، فعَنْ عُرْوَةَ، **«أَنَّ المِسْوَرَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: يَا مِسْوَرُ! مَا فَعَلَ طَعْنُكَ عَلَى الأَئِمَّةِ؟ قَالَ: دَعْنَا مِنْ هَذَا وَأَحْسِنْ فِيمَا جِئْنَا لَهُ. قَالَ: لتكلمنِّي بِذَاتِ نَفْسِكَ بِمَا تَعِيبُ عَلَيَّ؟ قَالَ: فَلَمْ أَتْرُكْ شَيْئًا إِلَّا بَيَّنْتُهُ، فَقَالَ: لَا أَبْرَأُ مِنَ الذَّنْبِ، فَهَلْ تَعُدُّ لَنَا مِمَّا نَلِي مِنَ الإِصْلَاحِ فِي أَمْرِ العامَّة، أَمْ تَعُدُّ الذُّنُوبَ وَتَتْرُكُ الإِحْسَانَ؟ قلت: نعم. قَالَ: فَإِنَّا نَعتَرِفُ للهِ بِكُلِّ ذَنْبٍ، فَهَلْ لَكَ ذُنُوبٌ فِي خاصَّتك تَخْشَاهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قال: فما يجعلك الله برجاء المغفرة أحق مِنِّي، فَوَاللهِ مَا أَلِي مِنَ الإِصْلَاحِ أَكْثَرَ مِمَّا تَلِي، وَلَا أُخَيَّر بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ غَيْرِهِ إِلَّا اخْتَرْتُ اللهَ عَلَى سِوَاهُ، وَإِنِّي لَعَلَى دِينٍ يُقْبَلُ فِيهِ العَمَلُ، وَيُجْزَى**

فِيهِ بِالحَسَنَاتِ، قَالَ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ خَصَمَنِي، قَالَ عُرْوَةُ: فَلَمْ أَسْمَعِ المِسْوَرَ ذَكَرَ مُعَاوِيَةَ إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ»[١].

الخيال أنه سيكون شيء صواب كامل لا غلط فيه، فيه حسنات كاملة دون سيئات، في مجتمع، في دولة، أو في عالم، أو في إنسان، أو في صديق، أو في نفسك، غير ممكن، ولذلك من المنهج الحسن أننا نشيع الخير، والحسنات في الناس؛ ليتأثروا بها، وتعظم في أنفسهم، ونقلل من الشر في الناس بتلك السيئات حتى لا يزيدوا شرًّا؛ لذلك ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ**»[٢]؛ أي: هم أشدهم فسادًا، وفي الضبط الثاني: «**فَهُوَ أَهْلَكَهُمْ**»؛ لأنك إذا قلت: الناس فسدوا، وهؤلاء فسدوا، وهؤلاء فيهم، وفيهم، سيزداد الفساد لن ينقص، ولذلك في كثير من الأمور إذا تداولها الناس بالأمور السيئة تزيد لا تنقص، بخلاف الحسنات، فإنك إذا ذكرتها، فإنها تزيد ـ أيضًا ـ من الخير؛ ولهذا أننا نرجو هنا أن يكون النظر صوابًا في وجود الحسنات، والسيئات.

فإذا كان كذلك، فموقفنا مع وجود السيئات في مكان، في مجتمع، في فئة إلى آخره، أن نُناصح، نبذل الدعوة، نبذل النصيحة، نبذل الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر على أصول الشريعة، لكن نكتم وجود هذه الأشياء، أما الحسنات، فننشرها؛ لكي يتأثر الناس بذلك.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٤١٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: **إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ**». قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: «لَا أَدْرِي، أَهْلَكَهُمْ بِالنَّصْبِ، أَوْ أَهْلَكُهُمْ بِالرَّفْعِ».

المعلم الخامس: من المنهج في النظر إلى الواقع، واختلافات الناس: تحرّي العدل في الأقوال، والحذر من المبالغات.

اليوم إذا استقرأت أحوال الناس فيما ينقلونه في الواقع، فتجد أن العدل، والإنصاف قليل، والمبالغة، والكذب كثير، تجد أن فلانًا أنا، وأنت، والثاني، والثالث إذا أراد أن يذكر شيئًا يزيد فيه، ما يتحرى اليقين فيما نقل، والمبالغات هذه نوع من الكذب، بل هي كذب، ربما تكون افتراء؛ ولهذا في مقدمة صحيح مسلم النبي ﷺ قال: «**كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**»[1] يأتي واحد يقول، الثاني ما الأخبار؟ ماذا فيه؟ والله حصل كذا، وعمل كذا، سمع، صحيح ما هو صحيح، وهذا الثاني يصدق قليلًا، ويمشي، ويزيد عليها، تنتشر أشياء لا حقيقة لها.

وفي الحديث الآخر في مقدمة صحيح مسلم: «**مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ، فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ**»[2] أحدث بحديث أنا ما أتوقع أنه صحيح، لكن تقوله، فحينئذ أنت أحد الكاذبين بنص كلام النبي ﷺ.

ولذلك في الحديث: «**وَهَلْ يُكَبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟**»[3].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «**إِن كَانَ السمُوم فِي شَيْء فَفِي اللِّسَان، وَوَالله مَا على وَجه الأَرْض شَيْء أَحَق بطول سجن من اللِّسَان**»[4].

---

(١) أخرجه مسلم في مقدمة الصحيح (١/ ١٠).

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة الصحيح (١/ ٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد في المسند (٣٦/ ٣٤٥)، واللفظ له، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٤) انظر: أدب المجالسة وحمد اللسان (١/ ٨٣)، ونضرة النعيم (٧/ ٢٦٤١)، ودليل الواعظ (١/ ٣٩٨).

اللسان يرفع مقامك بالتوحيد، وذكر الله ﷻ، وعبادته، أو يجعلك تهوي في النار سبعين خريفًا ـ والعياذ بالله ـ.

لذلك المبالغات الحذر منها، فإذا كان منهج التفكير عندنا التصديق بالمبالغات، أو أن ننقل كل شيء، فحينئذ فالمنهج فيه خلل، وحينئذ الحكم على الأشياء سيكون خللًا محضًا ولا شك؛ لأن الله ﷻ أمرنا بالعدل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥]، فإذا أمرنا الله ﷻ أن نكون قوامين بالقسط؛ أي: بالعدل في الأقوال، والأعمال، والأحكام، المبالغة ـ أيضًا ـ تضل، وتؤثر. وقـال ﷻ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]. العدل سبيله أن تكون قليل الكلام متجنبًا للمبالغات، ما تحدث بكل ما تسمع.

المعلم السادس: من معالم المنهج في التفكير الصحيح في الواقع: أن يكون لدى المسلم محبة الخير لإخوانه المؤمنين، ولا يدخر عنهم خيرًا؛ بل يحب لهم الخير، ويسعى في ذلك أشد السعي.

ومن أجمل ما يُروى في ذلك عن الإمام أحمد أنه قال: **«وَدِدْتُ أَنَّ هَذَا الْخَلْقَ أَطَاعُوا اللهَ وَأَنَّ لَحْمِي قُرِضَ بِالْمَقَارِيضِ»**(١).

انظر محبة الخير لأهل الإيمان؛ أي: حتى ولو أطاعوا الله ﷻ في تعب، وفي مرض، فإن هذا مما أوده، وأحبه. والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] ويقول: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

---

(١) هذا القول لزهير بن نعيم البابي السلولي ـ ويقال: العدلي ـ أبو عبد الرحمٰن السجستاني، نزيل البصرة، توفي في خلافة المأمون. انظر: حلية الأولياء (١٠/ ١٥٠)، وصفة الصفوة (٤/ ٨، ٩)، وتهذيب الكمال (٩/ ٤٢٧)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٠٤). انظر: البداية والنهاية (١٠/ ٣٢٩).

فإذًا؛ المنهج العام للتفكير المستقيم وسط بين الذين لا يهتمون بالأمة، ولا بالمسلمين، ولا يرعون لهم بالًا أصلًا، وبين أولئك الذين يكرهون أهل الإسلام، ويكرهون المسلمين، ويقولون: هؤلاء أهل المصائب. فتُفَكِّر في أنك تحب الخير لهم، وإذا أحببت الخير لهم، فإنك ستسير فيهم على ضوء القواعد التي ذكرنا أولًا، أو الضوابط، والمنهج بأنك تدعوهم إلى الاعتصام بالكتاب، والسُّنَّة على وَفق منهج السلف، تحذرهم من الفتن، تنتبه لما ينفعهم، ولما يضرهم، تنشر حسناتهم، تستر سيئاتهم، محبة الخير للمسلمين تعطيك اندفاعًا، وعملًا صالحًا، وانشراحًا في النفس، ونورًا في الصدر، وتوفيقًا في القول، والعمل.

المعلم السابع: من معالم المنهج أن الواقع ـ كما ترون اليوم، وكما سيأتي ـ أنه مضطرب، ويكون فيه أمور منكرة في الحال، وربما في المآل، وهنا لا بد من وجود الغيرة على الدين؛ لأن الغيرة على الدين تحمل المسلم على أن يستمسك بالذي أوحي إليه، وإذ لم يكن عنده غيرة على توحيد الله، لم يكن عنده غيرة على العقيدة الصحيحة، لم يكن عنده غيرة على منهج أهل السُّنَّة والجماعة، لم يكن عنده غيرة على دماء المسلمين التي تسفك، على أموالهم، على أعراضهم، لم يكن عنده غيرة على علماء المسلمين، لم يكن عنده غيرة على أمة الإسلام، لم يكن عنده غيرة على حرمات الله، وعلى شعائر الله، فإذًا؛ سيكون باردًا ضعيف الإيمان، وربما لا يثبت على الإيمان؛ أعني: على إيمان كامل.

فالغيرة سبيل للثبات، لكن الغيرة قد تعصف، فلذلك نحتاج إلى غيرة منضبطة بضوابط الشرع، الغيرة التي تحمل على التقدم، والعلم، والعمل، والحميّة، لكن منضبطة بضوابط الشرع، غيرة لا تحمل على

سلوك منهج الفرق الضالة في الموقف من الدول، أو من ولاة الأمور، أو من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أو ممن خالف المسلم. فإذًا؛ معالم هذه الضوابط في الغيرة يضيق المقام عن بسطها.

المعلم الثامن: من معالم المنهج في التفكير: أن الأمور تشتبه، ويكون فيها معضلات، أمور سياسية صعبة، أمور علمية مشكلة كبار، أمور دعوية، ترجيح بين المصالح، أولويات ماذا يُقدم؟ هنا كيف نفكر في حال وجود هذه الأشياء العظام؟

نجد أن حال الكثيرين: أنه لا أحد يقول عن نفسه: إنه قاصر عن تناول هذه المسائل العظام في الأمة، بل كل أحد يقول: أنا أفهم فيها، أفهم في العلم بجميع أنواعه، أفهم في السياسة، أفهم في الأمور، أعرف مكائد الأعداء، أعرف المصالح، والمفاسد، أعرف الأولويات، أعرف ماذا يقدم، كل شيء يعرفه كل أحد، وهذا من الخلل الكبير في التفكير.

فإذًا؛ منهج التفكير في هذه الأمور أن نقتنع بأن لكل فن، أو علم، أو تخصص، أو ميدان أهله، وخاصته، وهذا في القرآن في قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٌ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [النساء: ٨٣]، أولو الأمر، كلٌ في ميدانه، في ميدان الولاية العامة، وقيادة الأمة، ولاة الأمر الحكام، في العلم الشرعي وما يأتي الإنسان، وما يذر، والقضايا العلمية في العقيدة، في الجهاد، في الأحكام، أهل العلم الراسخون فيه، في القضايا العملية، في التخصصات، فهنا نرجع، ونؤمن بضرورة مثل هذه التخصصات.

أما إذا كان الشاب مثل ما ننظر اليوم تسعة عشر سنة، عشرين

سنة، اثنتين وعشرين سنة يسفه من هم أعلم، وأحكم منه في هذه الأمور، فهذا خلل في المنهج.

هنالك أن تستشكل، تسأل، تطلب الصواب، وهذا يعطيك ملكة مع المستقبل مع الزمن؛ لتكون عالمًا حكيمًا تدرك الأمور، لكن أن تعارض من أول الأمر، ولا تريد الرجوع إلى أهل العلم، والثقة بأقوال الراسخين في العلم، وأنهم أعلم بالمصالح، والمفاسد في الأمور الشرعية، وما يأتون، وما يذرون من توجيه للأمة.

هناك معالم بالمقابل لهذه المعالم سلبية مؤثرة سلبًا في تعاطي المنهج السليم في التفكير، والنظر في الواقع، ذكرناها فيما سبق، لكن **أعدها باختصار.**

الأول: المبالغات، وذكرناها.

الثاني: تصديق الشائعات ـ ذكرت ـ.

الثالث: من المؤثرات السلبية على التفكير السليم: التأثر بالشعارات، والألفاظ الرنانة، يأتي واحد، ويقول، يأتي بشعار جميل: إنقاذ الأمة، برنامج لإنقاذ الأمة، الإصلاح، الجهاد، إصلاح مناهج التعليم، التحذير من كذا، في ألفاظ مختلفة.

هنا المنهج السليم في التفكير يقول لك: العبرة بما تحت الألفاظ، لا بالألفاظ، لا تغتر بشعار لا تدري ما تحته. واحد يقول لك: الإصلاح، الإصلاح كيف؟ وآخر يقول مثل ـ الآن ـ: إصلاح مناهج التعليم. بأي شيء؟ ما تفاصيل ذلك؟ إذا كان تعديلًا بما يوافق الصواب، ويقوي الحق، ويعصم من الفتن والانحرافات، فهذا طيب، إذا المراد منه شيء آخر، فيكون فيه حذر.

لذلك يقول بعض الحكماء: كم نفذت أمور هي من الخُرْق بمكان

في ظل ألفاظ حسنة الانتقاء؛ أي: الواحد يأتي يريد أن يصرف الناس إلى شيء، لا بد أن يأتي بلفظ جميل يجعله شعارًا له حتى يتبع الناس؛ لأن أكثر الناس ما يفكر في التفاصيل، وليس أكثر الناس برهانيًا يتبع الدليل، ويفكر تفكيرًا منهجيًا صحيحًا، إنما يصدقون بالشعار، هذا كذا، نعم، فيأخذ، فهذا يقول: كم نفذت من أمور هي من الخرق بمكان في ظل ألفاظ حسنة الانتقاء.

فإذًا؛ نحذر حتى ولو كانت اللفظ صحيحًا، لكن ربما يكون تحته أشياء فسرها أصحابها بتفسير مخالف للصواب، فيقود الناس إلى تفسير مخالف للصواب.

الرابع: من المؤثرات السلبية على التفكير السليم: اعتقاد أن الأشد، والأغلظ، والأقوى من المواقف هو: الدين، والحكمة في كل حال، وليس الأمر كذلك.

يأتي الآن بعض الناس كيف يفكر؟ أي: يؤثر على تفكيره الصحيح؛ لأنه يرى هذا الموقف أقوى، يقول: ما دام أنه أقوى هذا الحق، يرى القول الأشد، يقول: ما دام هذا القول أشد في الدين معناه أنه هو الأصح، وهكذا.

ولو كان الأمر كذلك، لكان الحكم واضحًا حينما قال عمر ﷺ للنبي ﷺ في الحديبية لما قال ﷺ لِعَلِيٍّ ﷺ: **«اكْتُبْ، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا بِاسْمِ اللهِ، فَمَا نَدْرِي مَا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مَا نَعْرِفُ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فَقَالَ: اكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ، قَالُوا: لَوْ عَلِمْنَا أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ لَاتَّبَعْنَاكَ»**[1]، فغضب عمر ﷺ وقال

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٤) عن أنس ﷺ، «أَنَّ قُرَيْشًا صَالَحُوا النَّبِيَّ ﷺ فِيهِمْ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، =

للنبي ﷺ: «أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَهُمْ عَلَى البَاطِلِ؟ أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الجَنَّةِ، وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ، وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا، فَقَالَ: يَا ابْنَ الخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللهُ أَبَدًا»[١].

فهنا كان عمر ﷺ في هذا الموقف هو الأشد، وعنده العزة الظاهرة التي يعجب بها الإنسان؛ لكن لم يكن الصواب معه، كان الصواب مع قول النبي ﷺ فيما كشط، وفيما عمل حين طلب المشركون، فأجابهم إليه؛ لأن الحكمة تقتضي ذلك، والله ﷻ سمى الفعل من فعل النبي ﷺ في الصّلح سماه فتحًا مبينًا، فكانت الشدة في هذا المكان مخالفة، بل تؤدي إلى عدم حصول هذا الفتح المبين.

يأتي اختلاف الفتاوى في العلماء، يأتي هذا، ويقول: نعم الحق كذا، ويأتي بالقول الأشد، ويأتي واحد يفكر: كيف ما ينظر للدليل، ما ينظر للقواعد العامة، ما دام أن الأشد هو الصواب، ليس قاعدةً، النبي ﷺ كما صح عنه في سنته: «مَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا أَيْسَرُ مِنَ الآخَرِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ»[٢].

= فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَلِيٍّ: اكْتُبْ، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا بِاسْمِ اللهِ، فَمَا نَدْرِي مَا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مَا نَعْرِفُ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فَقَالَ: اكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ، قَالُوا: لَوْ عَلِمْنَا أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ لَاتَّبَعْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبِ اسْمَكَ وَاسْمَ أَبِيكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، فَاشْتَرَطُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكُمْ، وَمَنْ جَاءَكُمْ مِنَّا رَدَدْتُمُوهُ عَلَيْنَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَكْتُبُ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ سَيَجْعَلُ اللهُ لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا».

(١) أخرجه البخاري (٤٨٤٤)، ومسلم (١٧٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٦٠)، عَنْ عَائِشَةَ ﵂.

وقال ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ»[(١)].

الخامس أيضًا: من المؤثرات في التفكير: تصديق القنوات الفضائية.

فتنة اليوم أخبر بها النبي ﷺ كما في صحيح البخاري، وهي فتنة القنوات الفضائية، قال ﷺ: «**مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَقِلَّ العِلْمُ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ**»[(٢)].

والجهل اليوم فينا في الناس من أسباب بثه أن يُجعل هناك خلل في تفكيرنا، كيف نتلقى الأمور؟ ما عاد هناك مرجعية، الواحد ما يسأل، ما يكون ملازمًا للجماعة مع علمائه يسأل، ويستفسر، لا.. أصبح هناك بث للجهل بأن الإنسان يكون مجتهدًا في كل شيء، ويختار ما يشاء، ويترك ما يشاء، وهلُم جرًا.

فإذًا؛ وجود القنوات الفضائية فيما تبثه من أخبار، وإشاعات، وأقوال، لا تستطيع أن تميز الصحيح منها من غير الصحيح، لا من جهة الأخبار السياسية، ولا من جهة الفتاوى الشرعية، ولا من جهة كذا، وكذا، ولا من جهة البحوث، ولا اللقاءات، ولا الحوارات.

فإذًا؛ تحذر من هذه أن تجعل عندك خللًا في التفكير، وأن تكون مستفيدًا منها عند الحاجة بشرط ألا يؤثر ذلك على منهج التفكير الصحيح المقرر بالاستقراء في منهج السلف.

على العموم: المسائل كثيرة، ولدي ثلاث عشرة نقطة لم أتحدث عنها، وقد تحدثت عن ست عشرة نقطة، وباقي ثلاث عشرة، الجميع

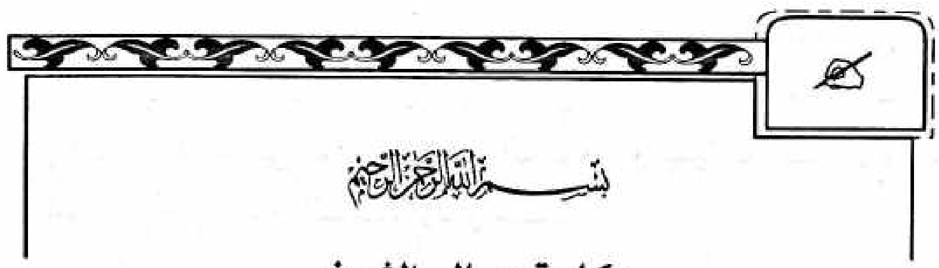
---

(١) أخرجه البخاري (٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٨١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

تسع وعشرون لضيق المقام، وأنتم في أيام اختبارات عن التفصيل في كل ذلك، لكن لعله يكون هناك ميدان للتفصيل في هذا المنهج منهج التفكير في أمور، بقيت في تفاصيل: فقه المنهج، وكيفية تعاطيه، وكيفية دراسته، وأصوله عند السلف، ونحو ذلك.

وأسأل الله ﷻ لي ولكم التوفيق، والسداد، وأن يجعلنا مسدَّدين فيما نأتي، وفيما نذر، وأن يجعلنا ممن رضي عنه، فأصلح له القول، والعمل، اللَّهُمَّ اغفر لنا، ولولاة أمورنا، ولوالدينا، ولمن له حق لدينا، اللَّهُمَّ وفق علماءنا، وارحم الأموات منهم، ووفق الأحياء واجعلنا جميعًا وإياهم من المتعاونين على البر، والتقوى، إنك على كل شيء قدير، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله، وسلم، وبارك على نبينا محمد.





كلمة معالي الشيخ

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

في لقائه بمديري مكاتب الدعوة في حائل ١٤٢٥/٥/١١هـ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله، ورسوله، وصفيه، وخليله، صلى الله عليه، وعلى آله، وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإني لأحمد الله ﷻ على تيسر هذه الزيارة لمنطقة حائل، وعلى تنظيم هذا اللقاء بخطباء، وأئمة المساجد - جزاهم الله خيرًا -.

ولا شك أيها الإخوة أن وظيفة المسجد ليست وظيفة سهلة، وعمل المسجد عمل في الشرع عظيم، إنما يقوم به من هو مستحق له شرعًا؛ ولذلك نستحضر أن نبينا ﷺ مع انشغاله بأمور الناس، وعظم شأن الوحي المنزل عليه، فهو النبي الرسول ﷺ، وهو الإمام الأعظم ولي الأمر، وهو القاضي، وهو المفتي، وهو المعلم، والمرشد، وكذلك كان إمامًا للصلاة، وخطيبًا في مسجده ﷺ.

والخلفاء من بعده تولوا هذه المسؤولية، مسؤولية إمامة المسجد، وخطبة الجمعة، وذلك لعظم شأنها شرعًا من جهة امتثال أمر الله ﷻ في

ذلك، ومن جهة أثرها في التوجيه، توجيه الناس، وما ينبغي عليهم في ذلك، كما ظهر لكم أن النبي ﷺ تولاها، والخلفاء الراشدون تولوا ذلك.

فإذًا؛ خطباء، وأئمة المساجد في الحقيقة هم نواب في أداء هذه العبادة العظيمة، وممتثلون لسُنَّة النبي ﷺ في هذه العبادة العظيمة، فليس الشأن فيها أنها وظيفة تؤخذ عليها مكافأة، أو رزق من بيت المال، وإنما الشأن في أنها أمانة عظيمة يجب أن تُرعى فيها الأمانة، **وكونها أمانة من عدة جهات:**

الجهة الأولى أنها أمانة: لأنها متعلقة بأعظم أركان الإسلام العملية، وأعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، ألا وهي الصلاة، وهذا يجعل الإمام، والخطيب مؤتمنًا على أعظم أركان الإسلام العملية، فالشأن من هذه الجهة عظيم.

الجهة الثانية في عظم شأن الأمانة فيها: أن الإمام، والخطيب يتذكر أن الذي قام بهذه المهمة هو نبي الله ﷺ، فلم يكن في زمنه ﷺ، ولافي زمن أبي بكر، ولا في زمن عمر، ولا في زمن عثمان، ولا في زمن علي ﷺ في المدينة من يخطب الناس يوم الجمعة، ويؤمهم للجمعة إلا النبي ﷺ، ثم الخلفاء من بعده، وأما مساجد الصلوات، والفروض، فهذه كثيرة.

فإذًا؛ المسألة أمانة؛ لأنك تعلم من ترث في هذه الوظيفة الشرعية، والمسألة عظيمة عند من يعظم في قلوبهم توقير الله ﷻ، والخوف منه، ومراقبة الرب ﷻ في هذه الأمانة.

الجهة الثالثة في كونها أمانة: أن ولاية المسجد يليها الإمام في مساجد الفروض، ويليها الخطيب في الجمعة نيابة عن من له الأمر في

ذلك، فهو أعني: الإمام، والخطيب يقوم في الحقيقة بأداء أمانة أوكلت إليه من ولي الأمر، أو من الجهة المسؤولة، فإذا علم ذلك يقينًا لم تبرأ ذمته إلا بأن يتصرف فيها تصرف النائب عن من أنابه، أو من ولاه هذه الولاية في المسجد، تصرف الأمين الذي يراقب الله ﷻ، ثم يراقب الأمانة، ومن وكله بتلك الأمانة.

هذه هي الجهات الثلاث، فهذا يجعل المسألة عظيمة في أن الإمام، والخطيب ليست مسألة اجتهادات فردية، يقول: أنا أرى كذا، والذي يصلح كذا، وما يأتيه من تعليمات لا يراها، لا تبرأ ذمته، ولا يكون مؤديًا للأمانة بأن يجعل اجتهاده الذي قد يكون معذورًا فيه، لكن لا يجعل اجتهاده مقدمًا على ما رآه ولي الأمر، أو ما رأته الجهة التي أوكلت إليه هذه المهمة؛ لأن ولايته بالتفويض، وولاية التفويض لا بد أن يلتزم فيها المولى بما فوض فيه بإجماع أهل العلم، **وهذا يعني أن المسألة كبيرة**.

الأمر الثاني: أن واجب الخطيب في المسجد أن يكون مقتفيًا للسُّنَّة في خطبه، وطلاب العلم يراجعون، ويبحثون في خطب النبي ﷺ، وخطب الخلفاء، وهذه موجودة محفوظة في كتب الحديث، وكتب السُّنَّة، وكتب أهل العلم، محفوظ شيء كثير منها، ستجد أن الأساس في خطبة الجمعة ـ كما ذكر المحققون من أهل العلم الذين درسوا تلك الخطب ـ أنها معتمدة على أربعة أمور:

الأمر الأول: تمجيد الله، والثناء عليه بما يستحقه ﷻ من نعوت الجلال، وأسماء الجمال، وما له ﷻ من حق الربوبية، والألوهية، وهذا هو توحيده ﷻ، فالخطبة لإعلان الثناء على الله ﷻ، وإقرار توحيده،

وتكرار ذلك[١]؛ لهذا كان من شروط صحة كل خطبة، أو من الأركان لدى كثير من أهل العلم: أن تكون مشتملة على الشهادتين، كما ثبت في المسند، وفي غيره أنه ﷺ قال: «**كُلُّ خِطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُّدٌ، فَهِيَ كَالْيَدِ الْجَذْمَاءِ**»[٢]؛ أي: مكروهة منبوذة ينفر منها من له طبع سليم.

فيعظم الخطيب في خطبته الرب ﷻ، ويلين القلوب بالمحبة لله ﷻ، وبالثناء عليه، وتعظيمه، وإذا كان هو يعيش ذلك، فإن الناس سيعيشون معه ذلك، لكنه إذا كان خاوي الوفاض من هذا الأمر، فإن الأثر سيكون أقل.

الأمر الثاني من أسس الخطبة في السُّنَّة: أن الخطبة فيها الموعظة، خطب النبي ﷺ فيها الموعظة بالتذكير بما في الدار الآخرة، والتذكير بهوان الدنيا، والتذكير بالإقبال على الله، والموعظة: ترغيب، وترهيب؛

---

(١) ولهذا كان يكرر كل جمعة: «**إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ الله فلا مُضِلَّ له، وَمَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ له، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ...**».

خطبة الحاجة التي كان يقولها النبي ﷺ بين يدي حاجته، أخرجها مسلم مختصرة من حديث جابر رضي الله عنه (٨٦٧)، ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما (٨٦٨)، ووردت مطولة ومختصرة من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند الإمام أحمد في المسند (١/ ٣٩٢، ٣٩٣)، وأبي داود في سننه (١٠٩٧)، والترمذي في سننه (١١٠٥)، والنسائي في الكبرى (١/ ٥٥٠)، (٣/ ٤٤٩)، وابن ماجه (١٨٩٢)، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله شرح لها في جزء لطيف، طبعته دار الأضحى بالأردن.

كما ورد في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه الذي أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣، ٤٤)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، والدارمي (٩٥)، والطبراني في الكبير (٦٢٣)، وابن حبان (١/ ١٧٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٧٦)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١١٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٤١)، والترمذي (١١٠٦)، وأحمد (١٣/ ٣٩٢)، وابن حبان (٧/ ٣٦)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٢٩٦)، وابن أبي شيبة (٥/ ٣٣٩).

ولهذا أكثر خطب النبي ﷺ مشتملة على هذا الأمر، وذلك لأن الغرض من الخطبة أن يكون فيها تذكير الناس بالآخرة، وأنا أرى اليوم أن كثيرين تركوا الوعظ، ولذلك قست القلوب؛ لأن في خطب كثير من الخطباء الوعظ الذي يرقق القلوب، ويذكر بالآخرة قلَّ، أو صار فيه ضعف، وبالتالي أثر الناس فيه ضعف.

الكثير يخاطب العقول، يخاطب الحماسات، يخاطب الشعور، لكن لا يخاطب القلوب، والصدور بالمواعظ التي ترقق، ننظر إلى عدد، ونسمع عددًا من الخطب الكثير، ثم الكثير، ثم الكثير، تجد أن الوعظ قليل فيها، وخطب النبي ﷺ مشتملة على الوعظ، فلذلك أن تكون الخطب فيها كل ما يعن للخطيب، ويكون مقصرًا في هذا الباب، فإنه قد فاته نصيبه من سُنَّة النبي ﷺ.

الأمر الثالث، أو الأصل الثالث: أن الخطب فيها دعوة الناس للتوبة، والاستغفار، وتقوى الله ﷻ؛ لذلك نجد أن خطب النبي ﷺ مشتملة على الوصية بالتقوى، إما أن يقرأ فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾ [الأحزاب: ٧٠]، وإما أن يوصي بالتقوى مباشرة: «أيها الناس اتقوا الله».

وتعظيم التقوى تعظيم الأمر، والنهي، وأمر الناس بالتوبة، والإنابة إلى الله، هذا زبدة الرسالات، فالرسل أجمعت على أمر الناس بالاستغفار، والإنابة: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [هود: ١ ـ ٣]، هذا أصل عظيم، وسليم، وهو: طلب التوبة من الناس؛ لأن إصلاح الناس كيف يكون؟

بأن تطلب منهم أن ينيبوا إلى ربهم، أن يتقوه، كل واحد في مجاله، فما أعظم الوصية بالتقوى، والوصية بالتوبة، والاستغفار.

الرابع من الأصول التي جاءت في سُنَّة النبي ﷺ في الخطب: أنه ربما عرض فيها لبعض الأخطاء، وهذه قلة محفوظة في بعض خطبه ﷺ على ما يقع من الناس من أغلاط، وأحيانًا يأتي بها في خطبة الجمعة، وأحيانًا يأتي بها في خطبة مستقلة، يرى الأمر، فيصعد المنبر، فيخطب، ويقول.

وكان إذا تعرض لشيء لا يفصح عن من يقع فيه، وإنما يذكر الأمر بالعموم؛ لأن الخطب لا يصلح فيها التنصيص، لا يصلح فيها إلا ما فيه رفعة في القول، ورفعة في الأسلوب، فكان يقول: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا، لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ، مَنِ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ، فَلَيْسَ لَهُ، وَإِنِ اشْتَرَطَ مِائَةَ مَرَّةٍ**»[1]، كما في الحديث الذي في الصحيح، حديث عائشة رضي الله عنها في قصة عتق بريرة رضي الله عنها، وجانب آخر: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا**». وذلك لأن خطبة الجمعة هي لإصلاح الوضع، لإصلاح الخطأ، فتكون بقدرها، ما نلحظ أنه في كل خطبة يأتي بشيء ما مما يقع فيه الناس، وإنما كان لمامًا، يأتي بذلك على هذا الأسلوب.

فالذين يصرحون بأسماء، يصرحون بأشياء، هؤلاء لا شك أنهم على خلاف السُّنَّة في ذلك، وليس لهم من الحجة، لا حجة صحيحة،

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٥٥)، ومسلم (١٥٠٤) عن عَائِشَةُ رضي الله عنها: «**دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اشْتَرِي وَأَعْتِقِي، فَإِنَّمَا الوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ، ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ العَشِيِّ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: مَا بَالُ أُنَاسٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ، مَنِ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَإِنِ اشْتَرَطَ مِائَةَ شَرْطٍ شَرْطُ اللهِ أَحَقُّ وَأَوْثَقُ**».

ولا حجة ضعيفة من سُنَّة النبي ﷺ، بل كان ﷺ، وهو الهادي البشير، كان يقول القول العظيم المختصر الذي فيه نفع للعباد، وليس فيه جرح لأحد؛ لأن الناس شيء واحد، إذا كان في باب الغيبة، والنميمة قال الله ﷻ: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال ـ أيضًا ـ: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]، جعل الذي ينبذ أخاه قال له: لا تنبذ نفسك ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا أَنفُسَكُمْ﴾، وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

هنا: الأمة، الناس، المجتمع شيء واحد، فإذا صارت الخطبة مكانًا لطعن هذا في هذا، وما أشبه ذلك، فإذًا؛ تكون طعنًا في النفس، وهذا باطل، وخلاف السُّنَّة، بل خلاف مقتضى الشريعة التي جاءت بتحصيل المصالح، وبتقليل المفاسد.

الأمر الثالث: المجتمع يحتاج إلى كثير من التبصير، والتوجيه، المسلمون يحتاجون إلى الإرشاد في خطبة الجمعة، أو من إمام المسجد، أو نحو ذلك فيما يجد من أمور، إما أمور عقدية، أو أمور اجتماعية، أو أمور أخلاقية، وهذا لا بد من أن الخطيب يأتي بذلك، ويرشد الناس إلى هذا الأمر؛ لأن هذا من أغراض الخطبة الشرعية أن يؤتى بذلك بما ينفع، لكن على وفق الأصول التي ذكرتها آنفًا.

وغالبًا الإنسان ينظر، طالب العلم المتعلم ينظر، يجد أعظم ما يبتلى به الناس إما تفريط في واجب، وإما انتهاك محرم، وامتثال الواجبات أعظم من الانتهاء عن المحرمات، كما قال بعض أهل العلم: إن جنس الامتثال للأمر أعظم شأنًا من جنس الانتهاء عن النهي، ودليلهم في ذلك: أن إبليس أُمر بالسجود، فلم يمتثل للأمر، فحلت عليه اللعنة إلى يوم الدين، وآدم عليه السلام نُهي، فلم يمتثل للنهي، فوقع في الخطيئة، ثم غفر الله له.

ولذلك الخطيب في اهتمامه للناس برعاية جنس المأمورات، هذه أهم من جنس المنهيات، فالتركيز على جنس المأمورات: الأمر بالتوحيد، الأمر بالصلاة، الصدقات، الزكاة، الصيام، الحج، الأمر بأداء الأمانة، بصدق الحديث، بالوفاء بالعهود، صلة الرحم، بر الوالدين، الأوامر الشرعية، وأداء الحقوق، حقوق الرجل، حقوق الأهل على الرجل، حقوق الناس، حقوق ولاة الأمر، ونحو ذلك، أداء حقوق المسلمين بعامة.

هذه الأوامر جنسها أعظم من جنس امتثال النواهي، فيكون التركيز عليها أعظم؛ لأنها إذا صلحت الناس انتهوا عن المنهيات، وصارت أدعى لذلك، كذلك يأتي إلى ما نهي عنه، ويهتم به، ويرشد الناس إلى ترك المحرمات، والحذر من الموبقات، وأشباه ذلك بقدر الأمر.

أيضًا: الأمور تقسم إلى قسمين:

هناك شهوات، وهناك شبهات، شهوات الناس حبهم للدنيا، وأشباه ذلك، هذه كما قال النبي ﷺ: **«حُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ»**[1].

الشهوات ذكرنا بأنها إتيان الشهوة، وقد يكون بالتفريط في واجب، أو بانتهاك محرم، لكن هناك ما هو أعظم شأنًا فيما يقع في الناس، وفي أحوال الناس أعظم شأنًا، وهو الشبهات؛ لأن بإجماع أهل العلم أن الشبهة أخطر من الشهوة، والشبهات أخطر من الشهوات، وهناك خمس أدلة لهذه القاعدة معلومة عند أهل العلم.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٢/٤٩٧)، واللفظ له، وابن حبان في صحيحه (٢/٤٩٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

فإذا كان الأمر كذلك، فإن إزالة الشبهات، والكلام عن الموضوعات التي تحتاج إلى بيان في هذه المسائل هذا مهم جدًا.

ومن أمثلته: ما حصل في هذه السُّنَّة من فتنة، وزيغ الفئة الضالة المكفرة المفجرة، أهل التكفير، والتفجير، قد يروج بعض الأشياء التي يقولونها، يقولها بعضهم في مواقع في الإنترنت، قد تروج على بعض الجهلة، لكن الواجب أن تزال هذه الشبه، وأن يبين حكم الشرع وضوحًا، وقام الخطباء ـ ولله الحمد ـ، وفي هذه المنطقة بالخصوص قاموا بواجب كبير، وبينوا، وأوضحوا، كل بحسب ما آتاه الله ﷻ، لكن ـ أيضًا ـ لا بد من مواصلة هذه المسائل؛ حتى لا تنبت نابتة جديدة، والحذر من أن يكون عندنا شبهات أخرى جديدة، ونوابت جديدة تعتمد على الأهواء، والشبهات، وهذا واجب عظيم: إزالة الشبهة، والتحذير، هذا أمره عظيم جدًا، والنبي ﷺ بيَّن أن الخوارج[1] هم الذين تلاعبت بهم الأهواء، وأن أهل الأهواء هم أهل الزيغ، والله ﷻ يقول في سورة آل عمران: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران: ٧]، هنا من يجد هذه الفتنة، ويحذر منها؟ هذا واجب الخطيب، ولا يكفي مرة.. مرتين؛ لأن الخطأ من تأثر وجودها أعظم، الشهوة عابرة تأتي، وتزول، والإنسان إذا ذُكر بها استغفر، وأناب،

---

(١) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي ﷺ حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة، وفيهم قال النبي ﷺ: «يَحْقِرُ أحدكم صَلَاتَهُ مع صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مع صِيَامِهِمْ يَمْرُقُونَ من الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ». أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. انظر: مقالات الإسلاميين (ص٤، ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص٥٤)، والملل والنحل (١/ ١١٤).

والصلاة إلى الصلاة مكفرة لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر[1]، وأشياء كثيرة في هذا الأمر، ولكن الشبهات تتأصل في النفوس، وقد ينشأ عليها أناس، ويعظم الخطب بهم.

إذًا؛ المسألة لا بد من مواجهة الانحراف عامة، وفتنة التكفير، والتفجير، وهذه الأهواء مواجهتها بقوة، وهذا دور الخطيب، ودور إمام المسجد.

وليس فقط المواجهة بالكلمة، أيضًا: الإمام عليه أن يضع بالتعاون مع جماعة المسجد أن يضعوا أيديهم في أيدي بعض في التعاون على البر، والتقوى في أن يلحظوا الناس، يلحظوا الجماعة، هل منهم أحد متأثر، هل منهم أحد عنده شيء من الأفكار، ولا بد من الحماية، وهذا أعظم نصيحة إلى المسلمين، إذا كنا ننصح في أمر من الأمور التي ربما لم يكن شأنها هذا الشأن، فهذا الشأن العظيم الذي يترتب عليه انحراف في العقيدة، وتكفير، أو ارتكاب موبقات عظيمة من القتل، والإفساد في الأرض، والمحاربة، والحرابة، هذه مسائل تحتاج منا إلى أن نكون معًا، فإمام المسجد يلحظ المسجد، وينظر، ويعرف الجماعة، ويعرف الشباب، هل من تصرفات يأتيها أحد، وينصح له، ويبين له النصيحة التي تردعه، أو ينبه والده، أو ينبه قرابته؛ حتى يجتمع الجميع على كلمة سواء في صد هذا الافتتان؛ لأن المساجد عليها الدور الأعظم في المحافظة على السُّنَّة، المحافظة على العقيدة، المحافظة على منهج السلف، منهج أهل السُّنَّة، والجماعة في

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٣٣) من حديث أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ**».

التحذير من فتن التكفير، والتفجير، والأهواء، والضلالات، والغلو في الدين.

لهذا أيها الإخوة: أنا أعلم أنكم تقومون بواجب كبير في هذا الصدد، لكن لا بد من المواصلة، لا بد من عدم أن يقول واحد: والله أنا من شهرين من ثلاثة شهور عرضت بالموضوع.

لا.. لا بد من المواصلة؛ لأنك لا تدري ما الذي يأتي للناس، خاصة بعض الفئات يأتون يذهبون إلى الإنترنت، ويطالعون فيها شبهات ترسخ في ذهنهم، فإذا كان هؤلاء لا يحضرون دروسًا لأهل العلم، ولا يستشيرون أهل العلم فيما أشكل عليهم، فكيف تزول الشبهات عنهم؟ لن تزول إلا بفضل الله ﷻ أولًا، ثم بما يقوم به أئمة، وخطباء المساجد من جهد في هذا الأمر؛ لأنهم هم يصلون، ويأتون للمساجد.

فلا بد من الاهتمام بهذا الأمر جدًا، وأن يتعاون فيه الخطباء، والأئمة، وعلى طلبة العلم، والدعاة، والعلماء بعامة في كل مكان أن يرعوا الأمانة، ومن الأمانة على أهل العلم أن يبيِّنوا، والبيان في كل مقام بحسبه، بحسب المصلحة الشرعية، وهنا يأتي أنه لا بد من المواصلة؛ حتى لا تتكرر المشكلات، لا يتكرر البلاء، لا تتكرر الفئات الضالة، لا يتكرر المروق، والخروج من المنهج الحق.

المقام يضيق عن أن نفصل في كل ما نحتاج إليه، لكن هذه كلمات يسيرات لعل الإخوة أن ينتفعوا بها، وبأن نكون يدًا واحدة، وقلبًا واحدًا في أداء واجبنا، وأمانتنا، فالمسألة عظيمة، والمساجد بيوت الله، والإمام، والخطيب له ولاية بالتفويض على هذه البيوت - بيوت الله -، فإذا لم يرعها بحسب ما جاءه ممن فوضه بذلك، وولاه عليها، فإن رعايته للأمانة ينقص منها بمقدار نقصه في ذلك.

المسألة تحتاج إلى مراجعة للنفس شرعية، والحذر من المخالفة لما أمر الله ﷻ به في ذلك.

بعض الإخوة يقول: أنا عندي شهادات، وأنا أرى أن الصحيح كذا.

نقول: نعم، لا حجر على اجتهادك، لكن اجتهادك فيما يخصك، لكن الاجتهاد في المساجد، والاجتهاد في الخطب، هذا ليس لك، تلقي على أولادك، تلقي على أسرتك، هذا اجتهد، لكن الولاية لك، وأنت محاسب أمام الله ﷻ، لكن ما هو متعلق بالمسجد، فليس لك أن تجتهد بما يخالف ما عليه أهل العلم، ما يخالف ما عليه المرجع، ما يخالف ما عليه الوزارة، وما تبلغ به؛ لأنه حينئذٍ تقوم أنت بولاية تامة، وهذا لا قائل به.

اجتهاد المرء في نفسه فيما ينوبه هذا لا يُلاحق الناس في اجتهاداتهم إلا إذا تعدى ضررها، لكن فيما تعلق بالمساجد، ليس له أن يجتهد، لا بد أن يتقيد بما يأتيه من أوامر؛ لأن هذا هو الواجب عليه شرعًا، والاجتهاد الخاص ـ كما هو معلوم ـ لا يقضي على الاجتهاد العام؛ لأن الاجتهاد العام هذا لأهله، والاجتهاد الخاص أقل رتبة منه.

أسأل الله ﷻ للجميع التوفيق، والسداد، وأن يجعل عاقبتنا إلى خير، اللَّهُمَّ إنا نسألك أن توفقنا إلى ما فيه صلاح القول، وصلاح العمل، اللَّهُمَّ وفق ولاة أمورنا لما فيه الخير، والسداد، واجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر، والتقوى، إنك على كل شيء قدير، اللَّهُمَّ وهب لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة، ويعافى فيه أهل المعصية، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله، وسلم، وبارك على نبينا محمد.

سؤال: نود من فضيلتكم الكلام عن موضوع القنوت باختصار؟

الجواب: موضوع القنوت باختصار هذا شرط صعب؛ لأن بعض الإخوان فيه إشكالات عندهم، لا بد من التفصيل فيه، لكن نزولًا على الرغبة، والوقت:

القنوت عند النازلة أصل شرعي معروف، سواء كان فيه القنوت على الكفار، أو القنوت لرفع الفتن، والدعاء على من أثار في المسلمين فتنة عامة، والنبي ﷺ قنت على أحياء من العرب قنوت نازلة[1]، والصحابة ﭫ لما جاءت فتنة الخوارج وبعض الفتن قنتوا لهذه النازلة على المسلمين.

وإذا كان الأمر كذلك، فالقنوت قال فيه أهل العلم: إنه لولي الأمر؛ لأن النبي ﷺ هو الذي تولى القنوت بنفسه، مساجد المدينة، مسجد العالية، مسجد قباء، مسجد بني جريج، المساجد التي في الأحياء، ما قنتت مع قنوت النبي ﷺ، قنت هو ﷺ في مسجده فقط، ولم يأمر الآخرين أن يقنتوا؛ لهذا الذي عليه أهل التحقيق من المحدثين، وغيرهم؛ كالإمام أحمد، وغيره: أن هذا مختص بالإمام، فإذا رأى أن يقتصر به على نفسه فله، إذا أراد أن يقتصر على المسجد الأعظم فله، يقول: بعض المساجد هذا له؛ لأن الحق له، وهو الذي يريد ذلك، وهذا منوط بالأصل، وهو أن تقدير النازلة ليس للأفراد، تقدير النازلة لولي الأمر، إما بنفسه، أو بمن يستشيره من أهل العلم، هذا من جهة القنوت في الصلاة.

أما القنوت في صلاة الجمعة، والدعاء في صلاة الجمعة، وأشباه

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٢٨١٤) من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﭬ، قَالَ: «دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الَّذِينَ قَتَلُوا أَصْحَابَ بِئْرِ مَعُونَةَ ثَلَاثِينَ غَدَاةً، عَلَى رِعْلٍ، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ عَصَتِ اللهَ وَرَسُولَهُ».

ذلك، أو في المحاضرات، هذا أمره واسع، ليس فيه شرط، لكن قنوت الصلاة، وإدخال هذه العبادة - القنوت - في الصلاة لا بد لها من دليل شرعي واضح، والدليل دل على أن النبي ﷺ فعلها، ولم يفعلها غيره، وأن الصحيح أنه لولي الأمر؛ ولذلك يجب على الإمام شرعًا أنه إذا أتى أمر بأن يقنت، فإن هذا من مقتضى الولاية، وعلى من وليها أن يمتثل، وإذا لم يمتثل لذلك، فإنه مخالف بذلك، مفتئت، سواء في عدم القنوت عند طلبه، أو في قنوت لم يطلب منه؛ لأن هذه متعلقة بالنوازل.

بعض الإخوة يقول: ما تتركونا ندعو؟

لا.. ادع بما تشاء في صلاة الجمعة، ادع بعد الصلاة، ألق كلمة، وادع بما يناسب المقام، لكن القنوت الذي هو في الصلاة لا يجوز أن تدخل عبادة في الصلاة إلا بدليل شرعي واضح، وإلا تكون الصلوات لعبًا، هذا يزيد، وهذا ينقص، وهذا يدخل فيها ما ليس منها، وهذا المسجد يقول: أنا والله أرى أن هذه نازلة، وسوف أقنت. والمسجد الثاني ما قنت، وقال: ما أرى أنها نازلة. والثالث يقول: هؤلاء قنتوا لأمر معين، ثم تأتي أهواء، وهذا لا يجوز أن نجعل الصلاة ميدانًا للأهواء، وضبطها بالرجوع إلى كلام أهل العلم المحققين في هذه المسألة.

سؤال: عفا الله عنك، ما معنى تفريغ الوظائف؟

الجواب:

أولًا: تفريغ الوظائف، بمعنى أن يكون إمام المسجد، أو خطيب المسجد مفرغًا، ليس عنده إلا هذه الوظيفة، هذه لسنا معها في هذه الوزارة، وأنا شخصيًا لست معها؛ لأنها خلاف السُّنَّة، وخلاف عمل أهل العلم. فالذي يلي الصلاة، ويلي الخطابة هو الأقرب، والأمثل، إذا كان الأقرب، والأمثل، فهو قد يكون القاضي، قد يكون أستاذًا في

الجامعة، قد يكون موظفًا في الجهة الفلانية، قد يكون، قد يكون، فوجود العمل بحيث يمنعه من أن يكون إمامًا للناس، فلا أصل له؛ لذلك الذي يلي صلاة الناس، ويلي الخطبة هو الأمثل الأقرب الأفقه؛ كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ»[1] أما التفريغ، فهو إن طبق في بعض الدول، لكنه غير ظاهر شرعًا.

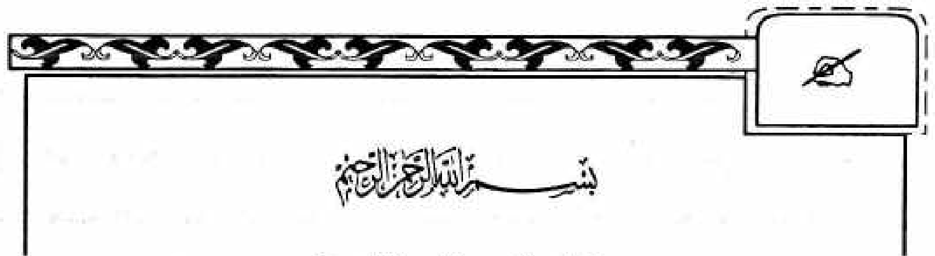
المسألة الثانية: أن الذي نطمح إليه أن تكون العلاقة ما بين الجهة الإدارية، أو الوزارة، وأئمة الخطباء، والمساجد أنها علاقة شراكة، نحن جميعًا شركاء في أداء الواجب، شركاء في أداء الأمانة، شركاء في الحرص على المساجد، على أداء الأمانة فيها، شركاء في بث الدعوة، والإرشاد، والإعانة على الخير، وتكثير الخير، وتقليل الشر، الجميع شركاء، ليس كل واحد في موقعه مختلفًا عن الثاني، لا . . لكن الجهات، أنا في الوزارة، والإخوة الوكلاء، ومدير الفرع، والمسؤولين إلى آخره، نحن نعين على هذا الأمر: أداء الأمانة، والشراكة في هذا الأمر، ونشر الخير، وتقليل الشر، وإعانة الإمام، والخطيب على أداء الواجب، كذلك على الأئمة، والخطباء أن يعوا هذه المسؤولية، وأن المسألة بيننا اشتراك في أداء هذا الواجب، ورعاية الأمانة، فلا يمكن أن يكون هناك، أو لا نرضى أن يكون هناك منافرة، وبعد بين الإدارة، وما بين الإمام، والخطيب.

هذا يحتاج إلى كثير من التواصل، وكثير من اللقاءات؛ حتى يشعر الجميع أنهم شيء واحد يسعون لبراءة الذمة.

وصلى الله، وبارك على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧٣) من حديث أبي مسعود ﷺ.



كلمة معالي الشيخ
صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ
ألقاها فضيلته في لقائه بالأئمة، والخطباء بجدة ١٤٢٥/٥/١٨هـ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله، ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله، وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا؛ **أما بعد:**

فيا أيها الإخوة الكرام، والزملاء في أداء مهمة الدعوة إلى الله، والقيام بواجب أمانة المساجد التي هي بيوت الله في أرضه،

السلام عليكم، ورحمة الله، وبركاته.

إني لمسرور بتجدد هذا اللقاء مع الإخوة الذين يحملون رسالة المسجد، ويؤمون الناس فيه، وهي الرسالة، والأمانة، والمهمة التي ما تركها رسول الله ﷺ لأحد من أصحابه في مسجده ﷺ، بل كان على جلالة، وعظم شأنه ﷺ، وما كان عليه من أمر النبوة، والوحي، وإمامة المسلمين، وولاية الأمر، والقضاء، والفتيا، كان - أيضًا - يلي المسجد إمامة للناس، وخطابة يوم الجمعة فيه، وإلقاء للكلمات، والدروس فيه.

فإذًا؛ المسجد بيت الله، وإمام المسجد، وخطيبه يقوم بمهمة، وأمانة قام بها رسول الله ﷺ، ومن هنا يعظم الخطب؛ لأن حقيقة الخطيب، والإمام أنه يخلف صاحب الولاية في إمامة الناس، والخطابة؛

لتوجيههم؛ ولهذا وكما هو معلوم للجميع أن النبي ﷺ لم يكن في زمنه في المدينة مسجد يصلّي فيه الجمعة إلا مسجده ﷺ، ولم يكن ثم خطيب إلا هو، وهكذا في عهد أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ﷺ، ثم لما توسعت المدن، وكثرت، وضاقت المساجد، ووسعت، ثم وسعت، احتاج الناس إلى الفتيا بتعدد الجمع، وأما المساجد للصلاة، فالنبي ﷺ أمر ببناء المساجد في الدور، وأن تنظف، وتطيب؛ كما جاء في الحديث الصحيح عن عائشة ﷺ[1]، والدور بمعنى: الأحياء.

فإذًا؛ مسألة الإمامة، وخطابة الجمعة مسألة من حيث الشرع عظيمة جدًا، والأمانة فيها صعبة؛ لأن النبي ﷺ تولاها بنفسه، وكفى بذلك عظم شأن لها من جهة الأجر، والثواب، ومن جهة الولاية، والأداء.

وهذا اللقاء نريد منه تجدد التواصل، والتذاكر في أداء هذه المهمة التي هي واجب علينا جميعًا، واجب عليكم من حيث الولاية الخاصة كل في مسجده، وواجب علينا ـ أيضًا ـ أن نبين لكم بموجب ما لنا من الولاية الشرعية التي خولنا إياها ولي الأمر برعاية هذه المساجد، والمسؤولية عليها، وعنها، وعن الأئمة، والخطباء.

لا شك أن كل مسلم يريد، ويرغب في أن يكون مؤديًا للأمانة، بريئًا من جهة الذمة فيما بينه، وبين الله ﷻ، وهذا أمر عظيم؛ لأن الإنسان المسلم يحرص على كثير من الأمور التي فيها أجر، وثواب، من جهة الطاعات، ونوافل العبادات، والأذكار إلى آخره، ومن أعظم ما يعتني به أداء الأمانة، ولهذا قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٤٥٥)، والترمذي (٥٩٤)، وأحمد (٦/ ٢٧٩) من حديث عائشة ﷺ، ولفظه: **«أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبِنَاءِ ٱلْمَسَاجِدِ فِي ٱلدُّورِ، وَأَنْ تُنَظَّفَ، وَتُطَيَّبَ»**.

إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، والنبي ﷺ سئل: متى الساعة؟ فانصرف عنه، ثم انصرف عنه، ثم قال: «**فَإِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ، فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ**»(١)، وهذا يعني شدة الأمر في عظم شأن الأمانة لأداء ما اؤتمن عليه الإنسان، ولهذا أحببنا التذاكر فيما يتعلق بواجبات الإمام، والخطيب في مسجده؛ لأن هذا إعانة، وتعاون على البر، والتقوى، وهذا الذي نرجوه جميعًا ـ أعاننا الله، وإياكم على الحق، والهدى ـ.

الأمر الأول: مما يجب أن يحرص عليه الإمام، والخطيب: أن يكون حريصًا على السُّنَّة فيما يقوم به من واجب.

فالصلاة فيها سنن، والخطبة فيها سنن مروية، ومعروفة عن النبي ﷺ، وقد تكلم على ذلك أهل العلم، وقرروه، هذه السنن المنقولة، منها: ما هو واجب، ومنها ما هو شرط، ومنها ما هو ركن، أو مستحب، فمعنى السُّنَّة في المعنى الأوسع: ما نُقل عن النبي ﷺ من قولٍ، أو فعل، أو تقرير، نلحظ أن السُّنَّة هي التي فيها صلاح العباد من جهة أداء العبادة، ومن جهة ـ أيضًا ـ رعاية المصالح؛ ولهذا يظهر لنا أن سنن النبي ﷺ في الصلاة بعامة، وفي الخطبة بخاصة أنه كان ﷺ يراعي حال المأمومين، وقد قال ﷺ: «**فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ، وَالضَّعِيفَ، وَذَا الْحَاجَةِ**»(٢)، وثبت عنه أنه ﷺ قال: «**إِنِّي**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩، ٦٤٩٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: أَيْنَ ـ أُرَاهُ ـ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ».

(٢) أخرجه البخاري (٩٠)، ومسلم (٤٦٦) عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: =

لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ»[١]؛ يعني: من أن تلهو في صلاتها، أو تنشغل، أو لا تخشع، وهذا فيه أن ما كان من جنس بكاء الصبي مما يشغل، كأهل المتاجر في متاجرهم، أو الأطباء في عياداتهم، أو أهل المسؤوليات في مسؤولياتهم، فإن هذا مما يشرع له التخفيف؛ لأن قول النبي ﷺ: «**فإن فِيهِمْ الصَّغِيرَ، وَالْكَبِيرَ، وَالضَّعِيفَ وَالْمَرِيضَ، وَذَا الحَاجَةِ**»، يشمل كل من له حاجة تقضي بتخفيف الصلاة، كذلك الخطبة السُّنَّة العامة فيها من حيث الوقت: أن النبي ﷺ كان يقصر الخطبة، ويطيل الصلاة؛ يعني: إطالة نسبية، فكان يقرأ بـ«سبح»، و«الغاشية»[٢]، وكان يقرأ بسورة «الجمعة»، و«المنافقون»، ونحو ذلك[٣].

= «**قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ، لَا أَكَادُ أُدْرِكُ الصَّلَاةَ مِمَّا يُطَوِّلُ بِنَا فُلَانٌ، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِئِذٍ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مُنَفِّرُونَ، فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ المَرِيضَ، وَالضَّعِيفَ، وَذَا الحَاجَةِ**».

(١) أخرجه البخاري (٧٠٩)، ومسلم (١٩٢) (٤٧٠) من حديث أنس ﷺ.

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (١١٢٢)، واللفظ له، والنسائي (١٥٦٨)، وابن ماجه (١٢٨١) من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ، وَيَوْمِ الْجُمُعَةِ: بـ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١﴾، وَ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١﴾، قَالَ: وَرُبَّمَا اجْتَمَعَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَقَرَأَ بِهِمَا**».
وأخرج ابن ماجه (١١٢٠)، واللفظ له، وأحمد في المسند (٣٣/٣٢٥) من حديث أَبِي عِنَبَةَ الْخَوْلَانِيِّ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «**كَانَ يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ بـ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١﴾ وَ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١﴾**».

(٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ: الم تَنْزِيلُ السَّجْدَةِ، وَهَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ سُورَةَ الْجُمُعَةِ، وَالْمُنَافِقِينَ**». وانظر: زاد المعاد (١/٤٠٨ ـ ٤٠٩).

وأما الخطبة، فكانت قصيرة، فنحن نعلم أن إطالة الخطب بحيث إن كلام الخطيب ينسي بعضه بعضًا أنه بلا شك خلاف السُّنَّة؛ ولذلك تجد الناس ينصرفون اليوم من الخطب، ولو قلت لهم: ماذا قال الخطيب؟ يتذكر الموضوع، ولكن ما في الموضوع من الاستدلالات، أو ما فيه من المؤثرات لا يتذكر، بل يتذكر الشيء العام في الخطبة، وهذا خلاف السُّنَّة، إذا استطاع الخطيب أن يدون خطبته، أو أن يستعد لها بتحضير، أو أن تكون قصيرة، دقائق، خمس دقائق، سبع دقائق، عشر دقائق، ما تكون طويلة بحيث إن الكلام فيها يكون بعيدًا عن السُّنَّة؛ لذلك قالت عائشة رضي الله عنها لعُبيد بن عمير لما دخل عليها: **«فَقَالَتْ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَنَا عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ. قَالَتْ: قَاصُّ أَهْلِ مَكَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: خَفِّفْ فَإِنَّ الذِّكْرَ ثَقِيلٌ»**[1]؛ ولذلك لما أطال الناس الخطب صار المسلمون يتأخرون في الحضور؛ وهذا من آثار إطالة الخطبة، صار يعرف، ويقول الخطيب تأخذ خطبته ساعة، أو ساعة إلا ربعًا، وهذا كاف لنحضر الصلاة في آخر الخطبة، ولكن لو كانت الخطبة قصيرة، فإنه يخشى أن تفوته الصلاة، فإنه سيبكر، وبالتالي فإنه لما فوت الناس سُنَّة، وأيضًا: حرموا من سُنَّة، وهي التبكير للصلاة، وأنا صليت في عدد من المساجد يأتي إلى قريب من دخول الخطيب، أو مع دخول الخطيب، والصف الأول لم يمتلئ، وهذا معناه: أن الناس إذا توافدوا للصلاة، والخطبة طويلة، فإنه لن يمسك الموضوع، خاصة أن بعض الموضوعات يكون مترابطًا، ويطيل في ذلك.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٦/ ١٦)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٨٤) عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: «دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَنَا عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ. قَالَتْ: قَاصُّ أَهْلِ مَكَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: خَفِّفْ فَإِنَّ الذِّكْرَ ثقيل. تَعْنِي: إِذَا وَعَظْتَ».

فإذًا؛ مسألة تقصير الخطبة هذا مهم، نركز على الخطابة في بقية حديثنا.

الأمر الثاني: ما عرف عن النبي ﷺ من سُنَّة في خطبه ﷺ.

فالنبي ﷺ في خطب الجمعة كان له سُنَّة، وهدي في خطبته، سبق من حيث الوقت، ولكن من حيث المحتوى:

أولًا: كان فيها تعظيم الله ﷻ، والثناء عليه، وتذكير الناس بما يجب لله ﷻ من الاعتقاد الصحيح، والوحدانية؛ ولهذا كان يكرر كل جمعة: **«إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ الله فلا مُضِلَّ له، وَمَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ له، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ...»**[1].

وقد قال أهل العلم: إن من أعظم ما يقال في خطبة الجمعة تعظيم الله ﷻ في الخطبة؛ لهذا كان من شروط صحة خطبة الجمعة على الصحيح أن يكون فيها الشهادة لله بالوحدانية، ولنبيه بالرسالة؛ أي: الشهادتين، كما جاء في المسند بإسناد صحيح أنه ﷺ قال: **«كُلُّ خِطْبَةٍ**

(١) خطبة الحاجة التي كان يقولها النبي ﷺ بين يدي حاجته، أخرجها مسلم مختصرة من حديث جابر رضي الله عنه (٨٦٧)، ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما (٨٦٨)، ووردت مطولة ومختصرة من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند الإمام أحمد في المسند (١/ ٣٩٢، ٣٩٣)، وأبي داود في سننه (١٠٩٧)، والترمذي في سننه (١١٠٥)، والنسائي في الكبرى (١/ ٥٥٠)، (٣/ ٤٤٩)، وابن ماجه (١٨٩٢)، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله شرح لها في جزء لطيف، طبعته دار الأضحى بالأردن.

كما ورد في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه الذي أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣، ٤٤)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، والدارمي (٩٥)، والطبراني في الكبير (٦٢٣)، وابن حبان (١/ ١٧٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٧٦)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١١٤).

لَيْسَ فِيهَا تَشَهُّدٌ، فَهِيَ كَالْيَدِ الْجَذْمَاءِ»[١]، وبالتالي قد قال أهل العلم: لا بد أن يكون في الخطبة قول: **«أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله»**، وتعظيم الله ﷻ بالتوحيد، وبيان ذلك، وترقيق قلوب الناس بتوحيد الله ﷻ، وما له ﷻ من الحق في توحيد ربوبيته، وألوهيته، وذكر ذلك، هذا أصل؛ لأن به ترق القلوب، وتعظم الله ﷻ، بأسلوب يناسب الناس، فلا نوغل في الأساليب العلمية، بأن نذكر هذه الأصول كأننا في جامعة، أو في محاضرة، أو في درس علمي، لا، بل بما يناسب الناس، ويحدث عندهم تعظيم الرب ﷻ؛ لأنه أحيانًا بعض الخطباء يوغل في التفاصيل كأنه في درس، أو كأنه في حلقة علم، أو كأنه في جامعة في تخصص عقيدة، وهذا ليس المقصود، النبي ﷺ كان يقرر ذلك بأسلوب مختصر، ويعظم الرب ﷻ حتى يكون في النفوس تعظيم الله ﷻ، الذي هو القصد من الاجتماع، فالقصد هو تجدد تعظيم الله ﷻ، الذي هو أصل الإخبات لله ﷻ، والإنابة إليه، وعبوديته ﷻ.

الثالث: من سمات هدي النبي ﷺ في الخطبة: أنها كانت مشتملة على الوصية بتقوى الله ﷻ، والاستغفار.

لا بد أن يكون في الخطبة الأمر بتقوى الله ﷻ، والحث على الاستغفار، والتوبة؛ لأن هذا من مقاصد الخطبة، فتذكير الناس من الجمعة إلى الجمعة، وكلنا ذاك الرجل، فالمسلم يقترف ذنوبًا، منهم من يقترف صغائر، ومنهم من يقترف كبائر، فلا بد من التذكير بالتوبة التي هي الإنابة إلى الله ﷻ، ولا نصعب التوبة، بل نسهل التوبة على الناس، فالتوبة: ما هي؟

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٤١)، والترمذي (١١٠٦)، وأحمد (١٣/ ٣٩٢)، وابن حبان (٧/ ٣٦)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٢٩٦)، وابن أبي شيبة (٥/ ٣٣٩).

اترك الذنب، وارجع إلى ربك، واطلب الاستغفار، والله ﷻ يمحو بالاستغفار، ولا أصر من استغفر؛ أي: كثير الاستغفار، ما يعتبر مُصرًا كثير الاستغفار، والإنابة، فليذكر بذلك.

الرابع: من سمات هديه ﷺ: أنه ﷺ كانت خطبه مواعظ.

كما قال جابر رضي الله عنه في صحيح مسلم، وفي غيره، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: **«كَانَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ خُطْبَتَانِ يَجْلِسُ بَيْنَهُمَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَيُذَكِّرُ النَّاسَ»**[1]، المقصود من الخطبة الموعظة؛ ولذلك جمهور أهل العلم على أن الموعظة في الخطبة شرط، لا بد أن يكون فيها موعظة، وإذا كان كذلك، فإذا تأملنا خطب النبي ﷺ الموجودة بين أيدينا في كتب السُّنَّة، وفيما نقله أهل العلم، وجدنا أنها مواعظ، تذكير بحق الله، بالإنابة، بالآخرة، بالقدر، بلقاء الله ﷻ، بالاستعداد للقاء الله، والاستعداد لما بعد الحياة، وأن يكون المرء على يقظة من أمره، وألا تأخذه الغفلة، فيحذر من الغفلات، التحذير من الركون للدنيا، ونحو ذلك؛ لتحيا القلوب بالمواعظ، وهذا أمر قل اليوم، هذا ما يصلح، اليوم قل، وأصبح الكثير من الخطب تخاطب العقول بأمور معاصرة، وأمور فكرية، وأمور سياسية، وأمور طبية، وأمور اجتماعية، وأمور فلسفية، إلى آخره، والموعظة التي هي أن يخرج الناس من الخطبة قد لانت قلوبهم، ويحاسبون أنفسهم، الذي هو مقصود الخطبة، نجد أنه قل أن يرتبط به، وهذا خلاف الأصل، أصل السُّنَّة، وهدي النبي ﷺ أنه تكون خطب الجمعة مواعظ، وقد يحتاج إلى غير ذلك مما تمس الحاجة إليه، ولكن ليس هو الأصل، ينقلب الأمر اليوم أن فلانًا من الخطباء أكثر خطبه في غير الموعظة، ولا يذكر الناس، هذا ليس من هدي النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٢).

لذلك لا بد من المواعظ، ويحتاج - أيضًا - من الخطيب أن يعيش الموعظة هو حتى إنه إذا نقلها للناس، وذكر الناس أن ترق قلوبهم، قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: **«حضرنا عند شيخنا أبي عبد الله»** - أحد مشايخ ابن الجوزي - يقول: **«وكنا نستفيد من بكائه أكثر من استفادتنا من علمه»**، لم؟ لأن العلم نجده عند أكثر من عالم، ولكن البكاء، والرقة التي أصلحت النفوس وجدناها عند هذا الشيخ، لا بد أن يكون الخطيب متأثرًا بالموعظة، وأن يصلح نفسه، ثم بعد ذلك يلقي المواعظ للناس حتى يتأثروا بها، أليس المقصود أن يعود الناس إلى ربهم، وأن يخبتوا، وأن ينيبوا، وأن يتوبوا، وأن يكون ما بينهم، وبين ربهم ﷻ عامرًا؟ بلى، هذا المقصود.

إذًا؛ لا بد أن نحرك القلوب بذلك، لا بد من تحريك القلوب؛ ولهذا ما أحسن كلمة الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ في إصلاح النفس قبل إصلاح الآخرين، قال: **«عاملنا القلوب بالتفكر»**، التفكر في الحال، وفي المآل، وما عليه الإنسان من تقصير في واجباته، كيف يصلح الخلق، كيف يهديهم، وكيف يؤثر فيهم، التفكر في عظمة الله ﷻ، **«فأورثها التذكر، فرجعنا بالتذكر على التفكر، وحركنا القلوب بهما، فإذا القلوب لها أسماع وأبصار»**[1]. هذه كلمة عظيمة، إذًا؛ لا بد من العناية بالموعظة، وأن تكون الخطب فيها عناية بجانب المواعظ؛ وذلك لأجل السُّنَّة، والأمر الثاني لأجل أن نصلح، وأن تكون الخطب مفيدة.

السمة الخامسة: أن النبي ﷺ ربما عرض في خطبه على قلة، بعض ما يحصل من مخالفات في مجتمع المدينة.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى(١٢/٤٠٤)، والفتاوى الكبرى (٦/٥١٧)، والاستقامة (١/٢١٠) لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، ومدارج السالكين(١/٤٤١)، ومفتاح دار السعادة (١/٢١٣) لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

إما مخالفات في البيع، وإما مخالفات في السلوك، وإما في كذا، ربما عرض لذلك على قلة، ولكن كان هديه إذا عرض لهذه الموضوعات أن يكون بالتلميح لا بالتصريح، فمثلًا: لما بلغه عن أناس أنهم اشترطوا شروطًا ليست صحيحة، خطب الناس، وقد تكون خطبة جمعة، وقد تكون خطبة أخرى، فقال كما في صحيح البخاري وغيره: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا، لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ، مَنِ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ، فَلَيْسَ لَهُ، وَإِنِ اشْتَرَطَ مِائَةَ مَرَّةٍ**»[1]، لاحظ الأسلوب، وفي حديث آخر قال ﷺ: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ، فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ، حَتَّى قَالَ: لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ**»[2]؛ أي: لم يصف الرجال بما يحدد المقصود من هم هؤلاء الرجال، المدينة كان فيها منافقون، وكان فيها من فيها، وكان فيها من يعاند، ومن يحصل منه فسوق، ولكنه لم يحدد؛ بحيث أن الناس يقولون: هؤلاء، بل عمم، «مَا بَالُ رِجَالٍ»، «مَا بَالُ أَقْوَامٍ»، فيشمل الجميع، وذلك لأن الغرض من ذكر هذا الأمر هو الإصلاح، والتنبيه، والتشخيص يغري بأشياء أخرى غير صحيحة.

الأمر الثاني: أن المقصود بخطبة الجمعة، ومن أهدافها أنها تجمع المسلمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٥٥)، ومسلم (١٥٠٤) عن عَائِشَةَ رضي الله عنها: «**دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اشْتَرِي وَأَعْتِقِي، فَإِنَّمَا الوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ، ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ العَشِيِّ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: مَا بَالُ أُنَاسٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ، مَنِ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَإِنِ اشْتَرَطَ مِائَةَ شَرْطٍ شَرْطُ اللهِ أَحَقُّ وَأَوْثَقُ**».

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٠).

لكن أن يخرج الناس في خطبة الجمعة، وبعضهم في محن مع البعض الآخر، فقد خالف الخطيب حينئذٍ أصلًا شرعيًا، وهو قول الله ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فقد يكون مقصده سليمًا من حيث التنبيه على أمور غير جيدة، أو أمور منكرة، أو ممارسات، ولكنه يقع في مخالفته للسُّنَّة، أو في مخالفة لأصل شرعي، وهو أن المسجد لجمع الناس، وليس لتفريقهم، المسجد لجمع الكلمة أعظم ما نتعبد الله ﷻ به من حيث المصالح العليا، هو أن نكون في المساجد نجمع الكلمة، ولا نفرق الناس، فإذا كانت المساجد ستكون ميدانًا للتفريق، فإننا خالفنا الأمانة التي هي أن يكون الناس في المساجد مجتمعين على كلمة سواء.

إذا نظرنا إلى خطب النبي ﷺ - وهي موجودة -، وخطب الصحابة ﭫ، خطب أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ﭫ، وخطب أئمة المسلمين، وعلماء المسلمين، وقد اطلعت على الكثير منها، وهي موجودة مدونة، لا تجد فيها هذه المبالغات التي وقع فيها الكثير، حتى الأئمة في كلماتهم بعد الصلاة، لا نجد فيها هذه التصنع، فهذا ليس من صنيع الصحابة، ولا من صنيع الأئمة، من مثل المبالغة في الخطب في ذكر الواقع العام، ألم يكن في عهد النبي ﷺ أمور، ومساجلات ما بين أهل الإسلام، وأهل الشرك، والكفر؟ هل كان لهذه نصيب كبير من خطبه ﷺ؟ لا، ليس كذلك، ألم يكن بينه، وبين المنافقين ما قص الله علينا خبره في القرآن؟ بلى، ولكن أكان ﷺ يشهر بهم، ويذكر شأنهم في الخطب؟ لا، ليس كذلك، بل كانوا يفشون بسر النبي ﷺ للأعداء من اليهود، والنصارى إلى آخره، كما هو معروف في السِّيَر.

هل كان من هدي الخلفاء الراشدين أنهم يذكرون الأمور العظمى

في الدولة يذكرونها على المنابر؟ ليس الأمر كذلك، فإذًا؛ لا بد من اتِّباع السُّنَّة.

بعض طلبة العلم، وبعض الخطباء يظن أن المصلحة تقتضي ذكر هذا الأمر، وهنا إذًا لا بد من الرجوع إلى أصل شرعي مهم، وهو المسجد الولاية فيه لمن؟ أي: هل الإمام، والخطيب له ولاية مطلقة في المسجد، أم هي ولاية مقيدة للتقويم؟

أهل العلم قرروا بأن الولاية مبناها على الأمانة، والولاية نوعان:

ولاية مطلقة؛ أي: مطلقة بحسبها، وهي ولاية ولي الأمر، مطلقة فيما اقتضته البيعة، وهي أن أمور الناس إليه.

وولاية مقيدة؛ وهي ولاية التقويم، ولاية وزير، ولاية أمير بلد، ولاية إمام مسجد، ولاية رئيس كذا.. إلى آخره، فهذه ليست مطلقة يتصرف كما يريد، هي ولاية مقيدة بالتفويض، فإذا جعل نفسه له الولاية المطلقة، يقول: أنا لا يهمني ما يأتيني من صاحب الولاية الأكبر مني الذي له الولاية، وإنما أنا صاحب الولاية المطلقة. فليس له مستند شرعي، يكون هو لم يرع أمانة الولاية أصلًا، فالإمام ليس حرًا في مسجده، بمعنى: أن له الولاية المطلقة، ويتصرف كيف يشاء، مثل بعض الأئمة يفتح بابًا، ويغلق بابًا، ويهدم الجدار، ويفتح جدارًا..إلى آخره، يفعل ما يشاء إلى آخره، ثم يأتي الإمام الذي بعده، ويغلق هذا، ويأتي الجيران يشتكون، فيعمل تصرفات ليس له أن يفعل ذلك إلا بالرجوع إلى من له الولاية، كذلك في مسائل الإمامة، هو مؤتمن عليها، وولايته مقيدة، فلا بد أن يتقيد بذلك، فإذا أتاه أمر، فيجب عليه شرعًا أن يستجيب له، لماذا؟ لأنه صاحب ولاية مقيدة في ذلك، فإذا لم يستجب، فلا تبرأ ذمته هو أن يلي أمانة لا يستجيب فيها لمن ولاه، هذا أصل

شرعي يجب أن ننتبه له، فالمسألة عظيمة، فلا نحرف في الأصول الشرعية، ونجعل الولاية له مطلقة، هذا لم يقل به أحد من أهل العلم، بل بعض أهل العلم كان إمام المسجد وكله بالصلاة عنه، توفي إمام المسجد، فجاء الفرض الذي به، فأبى أن يصلي بالناس، لماذا؟ قال: لأن من له الولاية أنابني أن أصلي بالناس فترة مرضه، ولكن لما توفي رجعت الولاية إلى من له الولاية الأصلية، فلا بد أن نكلف، أو أنتم تختارون. هذا صنيع أهل الورع، والتقوى الذين يؤدون الأمانة؛ لأن كون الواحد في وظيفة في أمور عامة لا بد أن يرعى الأمانة، فكيف بأمر العبادة: الصلاة، الإمامة، الخطبة، هذه مسألة عظيمة من جهة أداء الأمانة شرعًا.

فإذًا؛ لا بد أن ننتبه لهذا الأصل، وهو: ما نوع الولاية التي يليها الإمام الخطيب؟ وهل هو يتصرف كيف يشاء، أو يقول كيف يشاء، ليس كذلك، هنا يأتي بعض الإخوة ويقول: أنا لي اجتهاد في هذا الأمر، نقول: لا نحرج عليك اجتهادك، ولكن هناك الترجيح في المسألة، يقول: أنا أرى أن الصواب كذا، نقول: كونك ترى أن الصواب كذا، هذه حرية تقصر عليك، ولكن في ولاية الإمام، وما يدخل تحت مسؤوليته في المسجد ليس لك أن تجتهد بما يخالف اجتهاد مرجع، وبالتعبير الشرعي: من له الولاية الذي يفوض، لكن بالتعبير الإداري: المرجع إداري، ليس لك أن تجتهد؛ لأن الاجتهاد لا بد أن يعارض اجتهادًا آخر، فالمرجع الإداري الذي هو في الغالب يكون شرعيًا في وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف، والدعوة، والإرشاد، إما عبر الوزارة، أو عبر اللجان الاستشارية، أو عبر فريق من العلماء، أو ما أشبه ذلك، فيكون اجتهاد الإمام المعين إذا عارض اجتهاد من هو أكبر منه،

نجعل الناس يجتهدون، وكل واحد له اجتهاد، هذا يفضي إلى مفسدة، وهي أن يكون أئمتنا في المساجد وفق الاجتهاد، فكل واحد يعمل في مسجده ما يريد، فهذه تفرقة؛ لأن الناس يجمعون بالدين، فالدين وسيلة لجمعهم، ولجمع الكلمة، وتحصيل المصالح، ودفع المفاسد.

فإذًا؛ إذا كان له اجتهاد، فليعمل به في نفسه، يعمل به في بيته، ولكن فيما كان هو إمامًا في مسجد، فليس له أن يعمل باجتهاد خاصة.

وهنا نأتي إلى مسألة: نجد أن الشرع أمر كل مسلم يحضر للخطبة أن ينصت، بل جعل من مس الحصى فقد لغا، ومن لغا، فلا جمعة له، فتصور - مثلًا - مس الحصى؛ أي: حرك الحصى؛ ليستعد لمكان سجود، أو يريد أن يرتب شيئًا، قال ﷺ: **«مَنْ مَسَّ الحَصَى فَقَدْ لَغَا»**[1]، حثًا للمسلم أن ينصت للخطيب؛ لأن الخطيب يأتي بشيء متفق عليه، فالخطيب لا يأتي بأشياء من اجتهاداته الشخصية، وقد مرت علي كثير من هذه المسائل، فبعض الخطباء له اجتهاد، ويعمل عليه، ولكنه اجتهاد في غير محله، قد يدخل في أمور فقهية، أو حقائق طبية، وأرقام طبية، قد يكون أخذها من مجلة، أو شيء، حتى إن الأطباء المتخصصين لا يهتمون بها، فليس هذا مكانها، ليست الخطبة مكانًا لمثل ذلك، أو يأتي بأمور اقتصادية غربية، وشرقية، ويذكر أشياء.. إلى آخره، وقد اعتمد فيها على مرجع، أو مرجعين، وأهل الاختصاص قد لا يتفقون معه على ذلك، وهكذا، ويأتي بأمور سياسية، وكأنه هو الخبير السياسي، والسياسية من أغمض، وأصعب الأمور معاناة، حتى عند من يباشرونها؛ لكثرة متعلقاتها، فكيف يأتي هو، ويستغل أمر الشرع للناس بالإنصات

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧) (٨٥٧).

بأن يأتي بشيء من اجتهاده الشخصي، لا يسوغ، فالخطبة لا بد أن ندخل فيها ما هو الشرع، وما هو كلام الله ﷻ، وكلام الرسول ﷺ، والأمور المتفق عليها من الشرع اليقيني الذي ليس فيه اختلافات في اجتهادات كثيرة جدًا لو أصلحنا الناس فيه لصلحوا، ولكن أن يأتي كل واحد باجتهاده: هذا يتكلم في أمور فلسفية، وسياسية، وكل يتكلم فيما هب، ودب، والآخر يتكلم في أمور اقتصادية، وهو لا يعلم اقتصادًا، بعض الناس يحضر، والخطيب يظن نفسه أنه أجاد، ولكن أهل الاختصاص يضحكون عليه، ويقولون: مسكين هذا، يتعرض لأمور لا يفقهها، وقد قال ابن حجر رحمه الله: «**وَإِذَا تَكَلَّمَ الْمَرْءُ فِي غَيْرِ فَنِّهِ أَتَى بِهَذِهِ الْعَجَائِبِ**»[1]؛ لذلك دعونا نتكلم فيما نحسن، وهو الشرع، أما ما لا نحسن من الأمور السياسية، والأمور الاقتصادية، والأمور الطبية، فلا، نحسن الأمور الاجتماعية، نحسن الوعظ، نحسن ما جاء في النصوص، وكلام أهل العلم فيها، الأصول العامة الشرعية هذا ما نحسنه، وإذا أردنا التنبيه على أمور معاصرة، فلا نوغل فيها بالتفصيلات، بل نتكلم بأمور نعلم أنها صحيحة يقينية ثابتة.

الخطاب يحتاج إلى أن يعرض بعض الأمور المعاصرة، ولكن لا يدخل في تفاصيل، أو يقلب الخطبة مع الأسف إلى نشرة أخبار، أو التعليق على الأنباء، يا إخوان هذا ـ أيضًا ـ فيه ازدراء لمقام الخطبة، فكأنهم يسمعون قناة من القنوات الفضائية، أو قناة الأخبار، فيأتي للخطبة، ويسمع نفس الشيء، يا أخي قد سمعنا أكثر منه، يأتي بعض الناس، ويقول: سمعنا أكثر منك، فقد سمعنا أكثر من قناة، وأنت سمعت واحدة، وعلقت عليها، واعتمدت كلامها، ولكنا سمعنا أكثر من

---

(١) انظر: فتح الباري (٣/ ٥٨٤).

حلقة، ولقاءات، وحوارات فيها غير ما ذكرت، فيدخل هو في ميدان قد يظن به أن لا يحسن، أو يقال: خطباء المساجد يتكلمون في أمور لا يحسنونها. فالمسألة ليست سهلة.

فإذًا؛ لا بد أن نصلح الناس بما هو معروف عند أهل الشرع، وأن لا ندخل في أمور تختلف فيها الاجتهادات، يأتي خطيب، ويقول: والله أنا عندي اجتهاد، هل أقول للناس شيئًا؟، نقول له: لا تجعلها في الخطبة، اجعلها بعد صلاة من الصلوات، في محاضرة، وليست في الخطبة، فالخطبة عبادة، نجعلها على شأنها عبادة، أما في الأمور العامة، فلتلقها في كلمة، فالأمر فيه سعة، فيما لو توسعت في اجتهادك يأتيك واحد من الناس، ويقول لك: يا أخي أنت مخطئ، ولكن هنا الناس ينصتون، ويأتي هذا بما يراه، ليس الأمر كذلك.

ولذلك أوصي الإخوة الخطباء ـ جزاهم الله خيرًا ـ، وهم يبذلون الكثير من الجهد، وأنتم تبذلون الكثير ـ بارك الله في الجميع ـ، ولكني أوصيهم بالاستعداد للخطبة.

الخطبة مكانتها عظيمة، وهي عبادة، فاستعد للخطبة، وأيضًا: انتبه إلى مسألة، وهي أنك، وأنت تستعد لا تعجب بخطبتك، ولا تنظر إلى الناس ماذا سيفعلون، الخطبة ما هي، مكان جماهيري، أو جمهور حاضرين، وأمامهم خطيب، فهي ليست محاضرة، فالخطبة عبادة فيما بينك أولًا، وبين الله، وهذه المسألة التي يجب أن ينتبه إليها، أنها بينك، وبين الله، إذا كتبت الخطبة، فارفع رأسك بين كل حين، وآخر، وأنت تكتب الخطبة، وتستعد لها، واسأل ربك ﷻ أن ينفع بقولك، وأخبت، واستعن بالله؛ لأنك تؤثر على الناس بكلامك، فإذا وفقك الله ﷻ في الأسلوب اعلم أنه سيأتي التوفيق بالتأثير بعد ذلك،

فالمسألة تحتاج إلى كثير من الروية؛ ولذلك يقال اليوم: إن الخطب هي للعقول، وليست للقلوب، هذا خلاف السُّنَّة، وخلاف الهدي، وخلاف ما أجمع عليه أهل العلم، فالخطب ليست مخاطبة للعقول، تمر من فوق الرؤوس.

بعض الناس من بعض المجتهدين ماذا يفعل في الخطبة؟

لا يخاطب المصلين، بل يخاطب الدول، يخاطب الأعداء، ولا يخاطب الناس، كأنه يوجه خطبته إلى جهات خارجية، هل هذا يجوز شرعًا؟ الخطبة لمن؟ للحاضر، فهو لا ينتبه للحاضر، أو يريد أن تسجل الخطبة، ثم بعد ذلك ينشر منها مائة ألف شريط، أو مليون شريط، ولا يرى هؤلاء، فالأمر يحتاج إلى محاسبة شرعية، والله ﷻ هو الموفق، والمعين.

لا شك أن الشريعة ـ كما هو معلوم لكم جميعًا ـ جاءت بتحصيل المصالح، ودرء المفاسد، والمصالح ـ كما هو معلوم ـ أعظمها: المصالح العليا، والمصالح العليا للأمة ما كان راجعًا بالمحافظة على الدين، والنفس، والعقل، والمال، والنسل، أو العرض ـ كما عبر بعض الأئمة ـ، فبعضهم يعبر بالعرض، والبعض يعبر بالنسل، ويقول الغزالي في المستصفى: **«فَكُلُّ مَا يَتَضَمَّنُ حِفْظَ هَذِهِ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ فَهُوَ مَصْلَحَةٌ، وَكُلُّ مَا يُفَوِّتُ هَذِهِ الْأُصُولَ فَهُوَ مَفْسَدَةٌ وَدَفْعُهَا مَصْلَحَةٌ»**(١).

فالمصلحة العليا للأمة يحافظ عليها ولي الأمر، ويحافظ عليها نوابه، كل في مجاله، فالوزير في وزارته يحافظ على هذه الأصول، الأمير في إمارته يحافظ على هذه الأصول، الإمام في مسجده،

---

(١) انظر: المستصفى (١٧٤).

والخطيب في خطبته يحافظ على هذه الأصول، هذه مصالح عليا للأمة جميعًا، فإذا كان الأمر كذلك باتفاق أهل العلم، فإن المحافظة على هذه المصالح العليا للأمة راجع إلى كل أحد بحسبه، فإذًا؛ الإمام، والخطيب يحافظ على الدين، هنا الدين:

إما واجبات يؤمر الناس بها.

وإما مخالفات ينهى الناس عنها، ويحذرون منها.

الواجب يجب أن يمتثله، الاعتقاد الصحيح، العبادات، الفرائض، صلة الأرحام، بر الوالدين، أداء الأمانة، الوفاء بالعهود، إعطاء الحقوق لكل أهل حق حقه، وكذا حق الله ﷻ، وحق النبي ﷺ، وحق ولي الأمر، وحق الأسرة، حق الزوجة، حق الوالدين. .إلى آخره، الواجبات الشرعية، هذا واجب أن يؤصل هذا عند الناس.

الانتهاء عن المحرمات - أيضًا - ينبه الناس عليه.

وهنا نأتي إلى مسألة، وهي: درجة المأمور به، أو جنس المأمور به في الشرع من جهة المحافظة عليه في الشرع أعظم، أم جنس المنهي عنه من جهة نفيه أعظم؟

قال أهل العلم: فيه خلاف في المسألة، ولكن الراجح، والذي استقر عليه المحققون من أهل العلم: جنس المأمور به أعظم، ويستدلون عليه بأن إبليس - لعنه الله - أمر، فلم يمتثل، فطرد من رحمة الله ﷻ، وآدم عليه السلام نهي عن الأكل من الشجرة، فلم ينته، فاستغفر، فغفر الله ﷻ له، فدل على أن جنس المأمورات أعظم في الامتثال، والمحافظة عليها من جنس المنهيات؛ لهذا يكون حث الناس على جنس المأمورات أعظم فيما يأتيه الخطيب أكثر مما يأتي به من المنهيات، ولكن خطيبًا يخصص كل خطبة إلى أحد المنهيات، ويغفل عن جنس المأمورات، هذا خلاف

المقصود؛ ولذلك فلا بد من العناية، ورعاية هذا الأمر.

هنا - أيضًا - ما يقع الناس فيه فيما يتعلق بالدين: إما شبهات، وإما شهوات، الشهوات: شهوة التكاسل عن أداء الصلاة مطلقًا، أو في الجماعة، شهوة أن لا يؤدي الزكاة، شهوة أن يكتسب المال من غير حله، شهوة أن يأتي المحرمات الأخلاقية، شهوة كذا.. إلى آخره.

يقول أهل العلم - أيضًا -: جنس دفع الشبهات أقوى من جنس دفع الشهوات؛ لأن الشبهات راجعة إلى أصل الدين، والشهوات راجعة إلى الأمور العملية؛ لذلك نأتي هنا إلى ما دورنا في دفع الشبهات؟، خاصة في مثل أوقات الأزمات.

اليوم عند مسائل التكفير، ومسائل التفجير - كما ترون - يأتي من يسهل، أو من يبرر لها في الإنترنت في مواقع معلومة، أو في أحاديث. .إلى آخره، لا بد أن ندفع بقوة، هذا واجب الإمام، والخطيب جميعًا، فلندفع بقوة شبهة التفجير، والتكفير، ليس مرة، أو مرتين، حتى يوقن الناس أنها مردودة، كما أنه في الليل ليس ثم شمس، هل الظلام يكون فيه شمس؟ لا، هو ليل، فكذلك شُبه هؤلاء هي ليل دامس ليس معه ضياء، فلا بد أن يركز على ذلك في الخطب في دفع هذه الشبهات؛ لأن مسائل التكفير، والتفجير التي حصلت، والتبرير، حتى برر بعضهم قتل النساء، والأطفال مما لا يمكن أن يكون حتى في مجال شبهة، فالشبهة فيه أضعف، وأضعف إلى آخره.

فلا بد أن يكون هناك تركيز على الرد على أهل الشبهات، بعض الناس يقول: أنا لا أستطيع أن آتي بذلك، حسن، لا بد أن تنقل كلام أهل العلم، وقد مررنا عليكم، وأعطيناكم نسخًا من فتاوى هيئة كبار العلماء أكثر من مرة من وقت الشيخ عبد العزيز بن باز؛ حيث بدأت

التفجيرات سنة ١٤١٧هـ إلى الآن، فكل بيانات هيئة كبار العلماء قد بلغناكم إياها، والاستفادة من ذلك في رد مثل ذلك، وتأصيل مثل هذا في الناس مرة، أو مرتين، أو ثلاثًا؛ حتى لا تبقى باقية لذلك.

أيضًا: يأتي أناس، ويأتي شباب، وربما جاءت عندهم بعض هذه الأفكار، ودور إمام المسجد مع الجماعة، ومع المؤثرين فيهم، ودور الخطيب أن ينتبه لهؤلاء؛ لأن الواجب النصيحة لكل مسلم، أليس من وقع في خطيئة ناصحناه؟ مثلًا: واحد جالس منشغل في نميمة، أو في غيبة، لا يجلس في مجلس إلا يغتاب فلانًا، وفلانًا، أفلا يجب علينا أن نناصحه؟ أو عنده تخلف عن أداء الواجبات، أو عنده بعض المنكرات، يجب علينا أن نناصحه، فكيف من يكون عنده شبهات!

يجب علينا أن نناصحه، ولا نترك هذه المسائل تنمو، فتكون المصيبة بعد سنين ربما أكبر، وهذا واجب علينا جميعًا، واجب أن نتعاون على هذا الأصل، وألا نفرط فيه، كون الخطيب يقول: والله أنا خطبت في الموضوع مرة، فهل مرة تكفي؟ هل يحتاج مثل هذه الأشياء المدلهمة التي تأتي للأمة هل تحتاج منا أن نأتي، ونقول كل مرة: يا خطيب، جزاك الله خيرًا، تكلم عن كذا، وكذا؟ ما تحتاج؛ لأن رعاية المصالح العليا للأمة واجب علينا جميعًا.

المصالح العليا للأمة: المحافظة على الدين، المحافظة على الاجتماع، والائتلاف، ووحدة الكلمة، وعدم الافتراق، النبي ﷺ يقول: **«الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ»**[1]، وكما قال الماوردي في كتاب «أدب

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنَّة (٩٣)، والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٤٣)، وذكره الديلمي في الفردوس (٣/ ٦٢٨)، وابن عبد البر في الاستذكار(٨/ ٥٧٨).

الدنيا والدين»: «ومن المصالح العليا الأمن الشامل»[1]، هل هو أمن الحكومة؟ لا، بل هو أمن الدولة، وما هي الدولة؟

الدولة: الشعب، والحكومة، فكل واحد منكم جزء من الدولة، فدفاعه في الحقيقة عن الدولة دفاع عن نفسه؛ لأن الدولة ليست هي الحكومة الإدارية التي يفوض لها ولي الأمر أن تعمل الوزارات، والمصالح... إلى آخره، هذه حكومة، جهاز إداري يعمل ما وكل به، ويحاسب عليه من قبل ولي الأمر، الدولة: الأجهزة، وأنت، فأنت جزء من الدولة، وبعض الناس يقول: الدولة كذا وكذا، فأنت تلوم نفسك؛ لأنه لو صلح الناس، كل أدّى واجبه كما ينبغي، فالدولة هي عبارة عن المجموع.

فإذًا؛ كل واحد منا جزء من الدولة، العامي، العامل جزء من الدولة؛ لأنه لبنة، مواطن لبنة في هذا الكيان الكل الذي هو الدولة، دولتكم التي أنتم فيها، فمسألة الأمن هذا يجب أن نشعر شرعًا، وحسًا أن هذا واجب على الجميع؛ لأن المحافظة عليه، المحافظة على أمر الدين، ثم المحافظة على المصلحة العليا، أوجبه الشرع.

الأمن معلوم شأنه؛ لذلك كان من منّة الله ﷻ على الخاصة من عباده في العرصات أنهم يأمنون إذا فزع الناس، قال الله ﷻ: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩]؛ أي: أهل التقوى، والإيمان، منّة أنهم حين يفزع الناس، فهؤلاء آمنون.

فإذًا؛ هل يأتي أحد، ويتساهل في فزع الناس في الدنيا، هذا لا يشعر بمنّة الله ﷻ بها على عباده في الآخرة، وكذلك منّة الله ﷻ بها

---

(١) انظر: أدب الدنيا والدين (ص١٤٢).

على عباده في الجنة، قال الله ﷻ لأهل الجنة: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحجر: ٤٦]، الجنة التي فيها كل الملذات، لا تستقيم إلا بالأمن، ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

فإذًا؛ هذه المسألة ـ أيضًا ـ لا بد أن الناس يحسون بها، كل واحد يحس بمهمة المسجد في موضوع الأمن، لو قال قائل ممن لا يعلم ـ ولا أظن أحد يقولها ـ: الأمن مسؤولية الحكومة، مسؤولية وزارة الداخلية، مسؤولية الشُرط، مسؤولية الدوريات. لا أحد عاقل يقول ذلك، الأمن مسؤولية على كل مؤمن، الإيمان لماذا سمي الإيمان إيمانًا؟ قال أهل اللغة: لأنه مشتق من الأمن؛ لأن الإيمان يورث الأمن في الدنيا، والآخرة، فاشتقاقه: أمن، يأمن، أمانًا، وإيمانًا، فالاشتقاق سواء الاشتقاق البسيط، أو الاشتقاق الأكبر راجع المادة إلى مادة واحدة؛[1] ولذلك يقول أهل العلم: إن مادة الإيمان، والأمن واحدة، فالإيمان سمي إيمانًا؛ لأنه يورث الأمن في الدنيا، ويورث الأمن في الآخرة، فإذا كنت مؤمنًا، فإذًا الأمن معك؛ لأنك تسعى بالأمن على نفسك: الأمن الديني، والأمن الفكري، الأمن العقدي، الأمن الفكري ـ كما يسمى ـ، الأمن على الأنفس، الأمن على الأموال، الأمن على الأعراض.

فهنا واجب على إمام المسجد، وعلى خطيب المسجد في هذه المسألة أولى، ومن أكثر الحالات، ولا يقول: هذه المصلحة العليا التي هي الأمن واجب جهة. لا، بل هي واجب كل مواطن في الدولة شرعًا، فكيف بإمام مسجد، فكيف بخطيب مسجد؟

---

(١) انظر: مادة: (أمن): مقاييس اللغة (١/ ١٣٣ ـ ١٣٤)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٦٩ ـ ٧٠)، وتاج العروس (٣٤/ ١٨٤).

هذه كلمات متنوعة في موضوعات كثيرة، وفي الحقيقة لو تابعت خطب الجوامع في السنة الماضية، والحمد لله، أدى الإخوة، وأديتم - جزاكم الله خيرًا - الكثير من أداء الواجب الذي ذكرناه في خطب الجمعة.

فأسأل الله ﷻ أن يثيبكم على أداءكم للواجب، والأمانة، وأن يجزي الجميع خيرًا، ولكن هذه الكلمات للتذكير، والتواصي بأن يكون اللقاء فيه التنبيه على ما تجب العناية به في هذه المسائل، نسأل الله ﷻ أن يجعلني، وإياكم من المتعاونين على البر، والتقوى، وأن يجعل ما بيننا موصولًا لا مقطوعًا، وأن يلهمنا الرشد، والسداد في القول، والعمل، اللَّهُمَّ وفق ولاة أمورنا لما فيه الخير، والرشد، والسداد، واجزهم خيرًا عما يقومون به، وأسأل الله ﷻ للجميع التوفيق، وأن يلهمنا ما فيه صلاحنا في الحال، والمآل.

وفي ختام كلمتي هذه أحب أن أشكر الإخوة في فرع الوزارة في منطقة مكة المكرمة، الأخ الدكتور عبد الرحمٰن الحازمي، وكذلك إدارة الأوقاف، والمساجد في محافظة جدة، والإخوة الزملاء، والغرفة التجارية الصناعية في جدة على إتاحة هذه القاعة لإتمام هذا اللقاء، ونرجو - إن شاء الله - أن تتكرر اللقاءات لما فيه الصالح، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللَّهُمَّ، وسلم، وبارك على نبينا محمد.

والسلام عليكم، ورحمة الله، وبركاته.

سؤال: معالي الشيخ، كيف تنظرون إلى أهمية مثل هذه اللقاءات من جهة، وكيف تنظرون إلى أهمية دور خطباء الجمعة من جهة أخرى؟

الجواب: هذه لقاءات دورية مع الخطباء في جميع مناطق المملكة،

ففي الأسبوع الماضي كان لقاء الخطباء في حائل، وسيتلوها - إن شاء الله - لقاءات مختلفة، والغرض منها: التواصل وإعطائهم التوجيهات، وسماع منهم المشكلات، وتجاذب الحديث في هذا وذاك.

في الحقيقة، الذي سنحاول التركيز عليه في الفترة القادمة هو أن يشعر الخطباء بأن المسألة الداخلية في المملكة العربية السعودية، ومشاكلنا في الداخل، وما جاءنا من هذا البلاء في أوطاننا، وما أحدثوه، أن هذا مقدم على كل اهتمام، فهذه قضية إسلامية؛ لأن الأقربين أولى بالمعروف، والاهتمام بالأولى، فالأولى، فيحتاج هذا الحث، والاهتمام بما عندنا، فوجود هذا عندهم وعيًا شرعيًا، وعيًا وطنيًا، ووعيًا أمنيًا، وضرورة توجيه الناس لذلك، وإحداث المفاهيم الصحيحة في ذلك، هذا هدف من أهداف المرحلة القادمة؛ لأنه لوحظ أن بعض المساجد فيها تركيز على الشأن الخارجي أكثر مما يوجد في الداخل، وهذه سنحاول أن نعالجها في مثل هذه اللقاءات، والإخوة أئمة المساجد، والخطباء يقومون بدور كبير، ومهم، ودائمًا يتفاعلون معنا فيما نقوله لهم، **هذه قضية**.

القضية الثانية: أن خطبة الجمعة، وواجب الإمام يحتاج إلى كثير من الإيضاحات، وما يوجد هناك في الحقيقة كتب توضح كل ما على الإمام، وعلى الخطيب في هذا الأمر، فهذه اللقاءات فيها الكثير من إيضاح ما يجب في هذا الصدد، والأسئلة، والمداخلات، والجواب عليها، والتقارب مع الخطباء، والأئمة، هذا يجيبك عن كثير من الإشكالات كما حصل اليوم.

سؤال: معالي الشيخ، إذا كان الكثير ينظرون إلى هذا الدور الكبير لخطباء الجوامع، وأئمة المساجد، وأنتم معالي الشيخ كيف تنظرون إلى

هذا الدور في تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة عند بعض الشباب؟

الجواب: لا شك وكما ذكرت في كلمتي للإخوة الخطباء، والأئمة، لا شك أن المسجد له دور في عملية التوجيه، وفي عملية الإرشاد؛ لأن كل الرجال فوق سن البلوغ يجب عليهم من سن البلوغ أن يحضروا الجمعة، ويستمعوا لهذه الخطبة، وهم سينقلون مضامين الخطب إلى البيوت، فإذًا؛ هي مصدر تأثير شرعي كبير جدًا، يجب على الخطباء أن تكون خطبهم معتمدة على أصول الشرع، والمحافظة على المصالح العليا الشرعية، والمصالح العليا للأمة، وأن يكون فعلًا الخطيب مؤثرًا فيما يعود بالنفع على الناس، والمحافظة على الدين، بجميع تفاصيله، المحافظة على اجتماع الكلمة، ووحدة الصف، ورد الفرقة، والمحافظة على الائتلاف، والمحافظة على الأمن، وتوعية الناس بذلك بأن الدولة دولة الجميع، وأن كل مواطن جزء من الوطن، وإحياء روح المواطنة، والدفاع عن الوطن، اشعر بواجب الدفاع عن الوطن؛ لأنه دفاع شرعي، فهذه كلها مفاهيم شيئًا فشيئًا نجددها في أذهان الأئمة، والخطباء، لا شك أن دور المسجد عظيم، ودور الخطباء مهم في المسجد، وكبير في التوجيه، والإخوة الخطباء، والأئمة يؤدون دورًا كبيرًا.

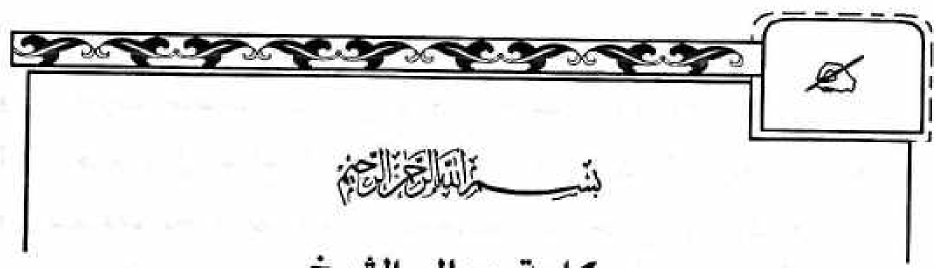
سؤال: التفاعل بينكم معالي الوزير، وبين الخطباء، سواء هنا في جدة، أو في المناطق التي فيها اللقاء، فما رأيكم في نسبة حضور الخطباء؟

الجواب: القاعدة كبيرة يمكن لا تظهر فيها النسبة، ولكن الحضور مُرْضٍ، وتعرف أن الآن أجازات صيفية، وعمومًا الخطباء سيصلهم الحديث عبر أشرطة؛ لأنها تسجل، وتوزع عليهم، وستصلهم عبر زملائهم، وأيضًا: عبر الصحافة، والإعلام الذي سينشر - إن شاء الله تعالى - هذا اللقاء،

المهم في التواصل هو وجود الروح ما بين الإدارة في الوزارة، وما بين الوزير، والوكلاء، ومديري الأجهزة في منطقة مكة، وما بين الخطباء، هذا التواصل يعطي الكثير من حل الإشكالات، وهذا التواصل معناه: أن كل خطيب عنده استفسار، أو شيء يتصل بوزير، يتصل بوكيل، يتصل بمدير، ويجيب له على استفساراته، أنا شخصيًا ألحظ من هذه اللقاءات أنها دائمًا يكون لها ثمرة؛ لذلك نحرص على أن تتكرر في جميع المناطق، وذلك لما لها من أثر إيجابي على الخطباء، والأئمة.

وصلى الله، وسلم، وبارك على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.





كلمة معالي الشيخ

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

ألقاها معاليه في مسابقة الحرس الوطني للقرآن الكريم

١٤٢٦/١/١٧هـ

سماحة الشيخ الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية،

أصحاب المعالي، والفضيلة، والسعادة،

أيها الإخوة ضيوف مهرجان التراث، والثقافة،

أيها الإخوة، والأبناء المتسابقون في حفظ القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية من بنين، وبنات، السلام عليكم، ورحمة الله، وبركاته.

وإنه ليتجدد موعد الحمد، والثناء على الله ﷻ بما هو أهله، أن جعل جميع أمورنا فيها القرآن الكريم، فاحتفالنا بالتراث، والثقافة معه رأس الفرح، والاحتفاء، والاحتفال بمن حمل القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية حفظًا، وتدبرًا، ودراسة، وقراءة، فله الحمد ﷻ كثيرًا، كما أعطى كثيرًا.

ثم إني لأشكر للإخوة المنظمين لهذه المسابقة عنايتهم بها عامًا تلو عام، واهتمام سمو ولي العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز ـ حفظه الله، ورعاه ـ بهذه المسابقة منطلق من أن القرآن الكريم هو رفعة شأن هذه الأمة، فهذه الأمة إنما ارتفعت بالقرآن العظيم، ولأن هذا القرآن هو مصدر رفعتها، ومصدر عزتها، فالاهتمام به واجب، ومتعين.

أيها الإخوة: لقد أرسل الله ﷻ رسوله محمدًا ﷺ إلى الناس كافة، وإلى العرب خاصة، ولم يكن لهذه الأمة شأن، ولا ذكر في التاريخ، بل كانوا ضعافًا في مناحٍ كثيرة، ولم يكن لهم ذلك لا بهيبة، ولا بعلم، ولا بثقافة، فجاء القرآن، فقلب حالهم بأن جعل لهم ذكرًا، وعلمًا، وحياة، يقول ﷻ: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٠]، وهذا القرآن به صار للأمة الذكر، وصار لهم به الرفعة، وإذا كان الأمر كذلك، فإن التمسك به، والعناية به استمرار، واستدامة لهذه الرفعة، وهذا الذكر، ولهذا اهتمت دول الإسلام المتعاقبة بهذا القرآن العظيم؛ حرصًا على تفهمه، وتعلمه، وتطبيقه، وكذلك على حفظه، ومدارسته، وفي عهد النبي ﷺ بلغ الأمر من ذلك مبلغًا عظيمًا، فقد أنزل القرآن على سبعة أحرف[١]، يقرأ منه الإنسان ما تيسر، وحمله الصحابة ﷺ بهذه الأحرف السبعة، ثم نشأت القراءات السبع، والعشر، وما هو أكثر من ذلك شروحًا لمجموع الأحرف السبعة، واعتنى أهل العلم بعد ذلك بالقرآن العظيم في قراءته، وتفسيره، وتجويده، وتبيينه، حتى إن من أحكام قراءة القرآن العظيم ما يُرى، ولا يسمع[٢]، وذلك لشدة عناية الأمة بالقرآن العظيم تلقيًا له.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٢٤١٩، ٣٢١٩، ٤٩٩١، ٤٩٩٢، ٥٠٤١، ٦٩٣٦، ٧٥٥٠)، واللفظ له، ومسلم (٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١) من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: **«أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»**.

(٢) كما في حكم الإشمام؛ حيث إنه يعرف ضَمُّ الشفتين بُعَيْد إسكان الحرف المضموم، والمرفوع من غير صوت، يراه المبصر، ولا يراه الكفيف. انظر: فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد (١/٤١١)، وقيل في «تَأْمَنَّا» من قوله تعالى: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ١١]، والإشمام هو ضم الشفتين عُقَيْب تسكين الحرف كهيئتهما عند النطق بالواو، من غير تصويت، ولا يدرك إلا بحاسة البصر؛ لأنه لا أثر له في السمع. انظر: فتح رب البرية (١/١٢٧).

واعتنت الدول الإسلامية بالقرآن العظيم في مجال التطبيق، وفي مجال التعليم، ولما قامت المملكة العربية السعودية في دورها الحديث على يد الإمام المصلح، والملك الراحل عبد العزيز بن عبد الرحمٰن ـ رحمه الله، وبيض ثراه ـ قامت على أساس القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية؛ استجابة لفضل الله ﷻ، واستمساكًا بالعقيدة الإسلامية، واستمساكًا بالقرآن العظيم الذي هو رفعة هذه الأمة.

كان الناس إذ ذاك يبحثون، ويتلفتون، ومنهم من رغب في دساتير شرقية، ومنهم من رغب في دساتير، وقوانين غربية، ولكن كان الإعلان من أول يوم أسست فيه المملكة على التقوى، وأن القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية هي الحكم، والمرجع، والدستور، وإذا كان الأمر كذلك، فالعناية بالقرآن العظيم في المملكة العربية السعودية ليست عناية تعليم فحسب، والتعليم واسع، بل هي عناية تطبيق لما اشتمل عليه من عقيدة، وما اشتمل عليه من تشريع، فحكمت عقيدة القرآن على فهم سلف هذه الأمة، وطبقت أحكام القرآن، والسُّنَّة فيما يتنازع فيه الناس، وفي التنظيمات المختلفة للدولة السعودية، والأمر كذلك مستمر بأبنائه إلى هذا العهد عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ـ أيده الله ـ، وسمو ولي عهده الأمير عبد الله بن عبد العزيز ـ أيده الله ـ.

والمملكة إذ تعتني بالقرآن العظيم، لتعلم أنها ستواجه بهذه العناية، وبالاستمرار في تطبيقه ستواجه تحديات كبيرة، بل واجهت ذلك فيما شنه أعداء الإسلام عليها من حملات مغرضة، واتهموها باتهامات مختلفة بأنها ترعى الإرهاب، أو أنها تؤيد ما فيه فساد للعالم، أو أنها ليست بدولة تصلح لهذا العالم، وما أشبه ذلك من التحديات.

وإذا كانت تلك الدوائر قد اتهمت النبي ﷺ بأنه جاء للإرهاب،

واتهمت الإسلام كله بأن فيه دعوة للإرهاب، فلا غرابة أن تتهم الدولة المطبقة لشرع الله ﷻ بذلك؛ ولذلك حماية هذه الأمة، وحماية الإسلام، وحماية القرآن لا يكون بالتخلي عن هذا القرآن العظيم، ولا بأن نطأطئ الرأس؛ لأننا مستمسكون بهذا القرآن، بل الحماية تكون بأن نرفع بالقرآن العظيم رأسًا أكثر، وأكثر؛ لأن به العزة، وبه الكرامة، والله ﷻ يقول لنا فيه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، فكلما كان استمساكنا أكثر، كلما كان ثباتنا أقوى، وكلما كان دفع الله عنا أفضل، وأكثر.

ولهذا نحن مسرورون جدًا بأن نتوحد إلى مثل هذه المناسبات التي ينتشر فيها الاهتمام بالقرآن العظيم بين ناشئتنا من بنين، وبنات، والمسابقات في المملكة العربية السعودية متنوعة، فهناك مسابقة الملك عبد العزيز الدولية لحفظ القرآن العظيم، وتفسيره، وتجويده، وتقام سنويًا في مكة المكرمة، وهي على مستوى عال يشارك فيها سنويًا نحو من مئة وسبعين من المتسابقين من أنحاء العالم، ثم مسابقة الأمير عبد الله بن عبد العزيز لحفظ القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية للطلاب، والطالبات، ثم مسابقة الأمير سلطان بن عبد العزيز لحفظ القرآن العظيم على مستوى العسكريين، ثم مسابقة الأمير سلمان بن عبد العزيز المحلية لحفظ القرآن الكريم على مستوى المملكة العربية السعودية.

وهذا إنما هو إشارة إلى عناية الدولة، وعناية المسؤولين، واهتمامهم بهذا القرآن العظيم، وإذا كان الأمر كذلك، فإن علينا معاشر المهتمين بالقرآن العظيم من جميع أهل العلم، والثقافة، بل وجميع أهل الفضل، والاهتمام بالإسلام أن نكون أكثر اهتمامًا، ودعوة بهذا القرآن العظيم.

وهذا الإنجاز الذي نراه في هذه المسابقة في سنتها الثانية عشرة، ليبعث السرور، ويحمل على شكر جميع القائمين عليها، فلجميع القائمين على هذه المسابقة شكرنا، وتقديرنا، وأخص منهم أخي الدكتور عبد الرحمٰن السديس، وكذلك أخي الأستاذ عبد المحسن المعمر، وجميع الإخوة العاملين في هذا الميدان من أمانة المسابقة، والمشاركين.

وأما إخواني، وأبنائي الطلاب، والبنات الطالبات الذين تسابقوا، ومن فاز منهم، فلهم منا التهنئة أن منحوا هذا الفضل العظيم بأن يكونوا من حملة القرآن، والمتنافسين فيه، وهو أعظم تنافس؛ لأنه تنافس في حمل كلام الله ﷻ في الصدور ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

والقرآن يحمل صاحبه على كل خلق جميل في القول، والعمل، فصاحب القرآن دائمًا يبحث عن الأحسن في أقواله، وفي أعماله؛ لأنه يحمل معه قول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [فصلت: ٣٣]، ويحمل معه قول الله ﷻ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، ويحمل معه قول الله ﷻ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]. فصاحب القرآن حسن في أقواله، وفي أعماله، يبحث عن الأحسن في ذلك كله، صاحب القرآن تجده دائمًا مخلصًا لله ﷻ في أقواله، وأعماله؛ لأنه يحمل معه: ﴿لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وصاحب القرآن يحمل معه كل خلق كريم من بر بوالديه ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، صاحب القرآن تجده يسعى فيما فيه قوة لأمته، وعزة لأمته، ويكون معه في ذلك الخير لنفسه، ولمن حوله، ولأمته؛ لأنه يعلم أن هذا القرآن أمر بالتعاون على البر، والتقوى في قوله ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ

﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، صاحب القرآن تجده يحمل لواء نصرة الشريعة، ويحمل لواء مضادة أعداء هذه الشريعة من ﴿الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩]، من الذين حاربوا الأمة، وهم من أهلها، من الذين غلوا في دين الله ﷻ، واتخذوا التكفير، والتفجير مطلبًا لهم، فصاحب القرآن هو الأولى لأن يكون واجهة للذين غلوا في القرآن، فنزلوه على غير تنزيله، وتأولوه على غير تأويله؛ لأن الله ﷻ حمله هذه الأمانة بأن يقوموا لله شهداء بالقسط ولو على أنفسهم، وصاحب القرآن هو الخير في أعماله، تجده رقيقًا حليمًا داعية جوادًا ساعيًا في شأنه فيما يصلح الحال، صاحب القرآن تجده مطيعًا لله، ولرسوله، ولأولي الأمر؛ لأنه يحمل معه، وفي صدره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، صاحب القرآن خير كله، فلهذا أنتم يا حملة القرآن مصدر من مصادر خيرنا، ومصدر من مصادر عزتنا.

أسأل الله ﷻ أن يهنئكم، وأن يرفعكم بالقرآن، وأن يجعلكم مباركين أينما كنتم، وفي الختام أكرر شكري، وتقديري لجميع العاملين في هذا المهرجان، والقائمين عليه، والقائمين على هذه المسابقة.

أسأل الله الكريم أن يسدد الجهود، ويكللها بالنجاح، إنه جواد كريم، ولا يسعني إلا أن أشكر لسماحة أخي الكريم الدكتور علي جمعة على كلمته الضافية، وعلى مشاركته الظافرة في هذا الاحتفال، والتواصل ما بين علماء الإسلام قائم دائمًا فيما فيه رفعة للإسلام، ورفعة للمسلمين، ودفع للشبهات عن القرآن العظيم، وعن هذا الدين العظيم.

أسأل الله ﷻ التوفيق، والسداد للجميع، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم، ورحمة الله، وبركاته.



لقاء معالي الشيخ بالدعاة في معهد الأئمة والخطباء في الدورة الرابعة ١٤٢٦/٢/١٦هـ

الحمد لله، والصلاة، والسلام على رسول الله، وعلى آله، وصحبه، ومن اهتدى بهداه؛ **أما بعد:**

فإني أحمد الله ﷻ إليكم كثيرًا على ما يتجدد من نعمه، ويندفع من نقمه، فهو ﷻ المشكور سرًا، وجهرًا، وظاهرًا، وباطنًا، ثم إني أشكر لفضيلة وكيل الوزارة لشؤون المساجد، والدعوة، والإرشاد الدكتور توفيق بن عبد العزيز السديري على جهده في أوائل توليته لوكالة الوزارة لشؤون المساجد، والذي نطمع أن يكون التعاون ـ إن شاء الله تعالى ـ فيما بينه، وبين الإخوة المسؤولين في الوكالة، والدعاة ما يزيد من العمل، ومن نجاح إلى نجاح ـ إن شاء الله تعالى ـ.

الحقيقة: إن هذه اللقاءات، تارة تكون لقاءات رسمية، ويكون فيها من الكلام ما هو معتاد، وأحب أن يكون هذا اللقاء فيه شيء من النزول قليلًا إلى ما يشغل البال في بعض المسائل، والأمور، وربما يكون مفيدًا ـ إن شاء الله تعالى ـ لكم.

الأمر الأول: الداعية ـ لا شك ـ كما هو معلوم للجميع يحتاج إلى زاد في طريقه الطويل العظيم، طريق الدعوة إلى الله ﷻ، وأول هذا الزاد: الإخلاص إلى الله ﷻ، ثم اتباع الطريق الصحيح، ثم الفقه،

سواء الفقه الأكبر، أو العلم بالأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية.

وهذه المسائل - مسائل العلم - كثيرة، ومتنوعة، تزيد بكثرة العناية بها، فهو ضيف كريم يحل عليك، كرم من الله ﷻ، ومِنَّة، فإذا اعتنيت به زاد، وإذا تركته نقص، والدعوة ربما تارة يأتيها نقص، وذلك بسبب انشغال الداعية بالدعوة، أو الموعظة، أو التأثير، فيقل مع هذا الانشغال الازدياد من العلم، أو تأكيد المعلومات، أو التفصيل فيها، أو أن يلجأ إلى الأخذ، والتقليد في كثير من المسائل دون تحرير ونظر، إلى آخر ما هنالك؛ ولذلك لا بد من هذا الزاد، وأهمه: الإخلاص، والعناية بالعلم، ومحاسبة النفس على أن يكون عملها خالصًا؛ لأن العمل الخالص، والقول الخالص ينفع الله ﷻ به كثيرًا. الأحسن من الأقوال، والأعمال؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣]، ثم قال بعدها: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤]، وقال - أيضًا -: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣].

التأثير على الناس ليس بما يرون، التأثير على الناس يكون بما يسمعون؛ ولذلك كانت حجة الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ الباقية إلى قيام الساعة القرآن، وهو مسموع، الحجة فيه سماعية، وليس مبصرة، القرآن يسمع؛ ولذلك قامت الحجة بهذا المسموع، فالسماع مؤثر، والمسموعات مؤثرة، والكلام حينئذٍ من أعظم ما يكون تأثيرًا؛ ولهذا جعل الله ﷻ كتابه أحسن الكلام، ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣]؛ ولذلك فمن اللوازم أن يكون الداعي إلى الله ﷻ ينتقي أحسن ما يجد، ينتقي أحسن ما يعلم، وليس يقول كل ما يأتي في باله؛ لذلك فأمر الدعوة يحتاج إلى

اجتهاد، ونظر، والناس قد يسيؤون ظنًا بالدعوة، أو بالداعية، أو بالجهة التي يتبعها الداعية، أو بطلبة العلم من جراء تساهل إنسان في لفظه، أو في أقواله.

الأمر الثاني: بعد ذا يحتاج الداعية إلى أن يكون متجددًا في وعيه، وإدراكاته؛ لذلك هناك ثنائيات مهمة جدًا ينبغي أن يكون هناك عند الداعية فرق بينها، والله ﷻ يقول: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد: ١٠]؛ أي: طريق الخير، وطريق الشر، ويقول أحد السلف: «**لَيْسَ الْعَاقِلُ الَّذِي يَعْلَمُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ، وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ الَّذِي يَعْلَمُ خَيْرَ الْخَيْرَيْنِ وَشَرَّ الشَّرَّيْنِ**»[1]، وهكذا الداعية من يعرف خير الخيرين في الدعوة، وشر الشرين في الدعوة؛ ليستمسك بخير الخيرين، وليدفع شر الشرين.

هذا لا شك أنه علم في الدعوة إلى الله ﷻ؛ ولهذا نجد في التشريع الإسلامي تدرجًا، وهذا التدرج من حكمه: مراعاة الأصل، لم تأت الشريعة دفعة واحدة حتى في الصلاة، والزكاة، الصيام متى فرض، الزكاة متى فرضت، الحج متى فرض.. إلى آخره، وكذلك الأحكام التفصيلية، حتى في مشابهة أهل الكتاب، لما قدم النبي ﷺ المدينة وكما في الحديث الصحيح المعروف: «..**وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَيْءٍ**»[2].

---

(١) انظر: الاستقامة (١/٤٣٩، ٢/١٦٧)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٢١٥)، والحسبة (١٣٢)، وجامع الرسائل (٢/١٤١، ٦/٤١٦)، ومجموع الفتاوى (١٠/٥١٢، ١٤/٤٣٤، ٢٠/٤٨، ٥٤، ٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٥٨)، ومسلم (٢٣٣٦) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄، «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، كَانَ يَسْدِلُ شَعَرَهُ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُءُوسَهُمْ، فَكَانَ أَهْلُ الكِتَابِ يَسْدِلُونَ رُءُوسَهُمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَيْءٍ، ثُمَّ فَرَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَأْسَهُ**».

فالدعوة فيها ثنائيات، هذه الثنائيات مهم أن ينمي الداعية قلبه، وعقله بعد أساسه الشرعي في أن يتعامل مع هذه الثنائيات بما يقتضيه العلم الصحيح، والحكمة المطلوبة.

الثنائية الأولى: ـ سبق أن ذكرتها لكم ـ وهي: خير الخيرين، وشر الشرين، وهذا يعني: عدم الاندفاع في كل ما يقال إنه شر بالحديث عنه، لا بد أن ننظر ما هو شر الشرين، وما هو خير الخيرين، وما هي المصلحة، وما الذي يترتب على ما يقوله الداعي إلى الله ﷻ.

الثنائية الثانية: ثنائية النجاح، والفشل:

النجاح ليس شيئًا واحدًا في حياة الداعية، والفشل ليس شيئًا واحدًا، النجاح في حياة الداعية يكون بأنه بلغ ما أمر الله ﷻ به، إذا بلغ، فقد نجح، سواء تعثر الناس، أو لم يتعثروا؛ ولذلك يأتي يوم القيامة النبي وليس معه أحد[1]، وكل الأنبياء نجح، وكمل، والداعية إلى الله ﷻ لا يشغل باله بالناس، فحينئذٍ ينظر ربما تغير في حديثه بأن يقول ما يطلبه الناس، لا، بل يقول الحق الذي هو الصحيح، ويواكب الحكمة الصحيحة في زمن ما، وأما ما يتطلبه الناس، أو ما يرجونه، فالداعية موجه، فهو ناجح إذا أدى كلمة الله ﷻ بما يوافق العلم الصحيح، والكلمة المطلوبة، النجاح كمال.

الثنائية الثالثة: النجاح والكمال: لا يعني أن تكون ناجحًا أن تكون كاملًا، فقد تكون ناجحًا ناقصًا، فلا تلازم ما بين النجاح، والكمال؛ ولذلك المؤمنون كلهم يفوزون في الجنة، ولكن هم درجات عند الله ﷻ،

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٥٧٠٥) من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ»... الحديث.

الدعاة ينجحون، ولكن ربما يكون نجاح معه نقص، مسؤول في جهته، في وزارته، في دولته. .إلى آخره، لا يعني النجاح أن يكون هناك نقص؛ ولذلك جاء التسديد، وجاءت المناصحة، وجاءت المراجعة، وجاءت التوبة إلى آخره من الأسس الشرعية المطلوبة، فتوهم الكمال هو الذي يجعل النظرة قاصرة لعمل الداعية لنفسه، وشدة تأنيبه لنفسه، أو لشدة نظرته للآخرين، فالنظرة للآخرين ربما حتى نظرة الداعية إلى وزارته، أو إلى جهته، أو إلى زملائه، وربما يرى نفسه أفضل، وأكمل، ويرى غيره أقل، أو ربما يكثر النقد؛ لتوهمه أنه لا نجاح إلا بكمال، وهذا لا أصل له في الشرع، بل الشرع يحمد المرء على ما يفعل من الخير، وعلى ما يؤدى، ويشكر حتى على الواجبات الشرعية، فالله ﷻ يشكر عبده، وهو يؤدي الواجب الشرعي؛ ولذلك الكلمة العامية: **«لا شكر على واجب»**، ليس لها مسند من الشرع، بل الواجب يشكر عليه، والله ﷻ يشكر عبده لأدائه الواجب، وقد يكون عنده نقص، فمن عمل خيرًا، وأداه، فإنه يشكر عليه، ولا تلازم ما بين الحكم بالنجاح، والحكم بالنقص، فقد يكون ناجحًا في باب، وناقصًا في باب، وهكذا، فالمسائل تحتاج إلى موازنة، ومحاسبة من الداعية لنفسه، وإلى أعماله.

الثنائية الرابعة: أصالة الدعوة، والتجديد في الخطاب:

وهذه كثيرًا ما أحدثت إشكالات، وقد تعرضت لها في أكثر من موطن، ولأجل أنها شيء جديد ربما أنه عرض، أو طرح في أكثر من مرة، صار هناك توهمات في هذه الثنائية، سلفية الدعوة، وتجديد الخطاب، هل تجديد الخطاب الإسلامي يعني عدم الأخذ بسلفية الدعوة؟، أم هل هو قادح في سلفية الدعوة؟، أو في معتقد أهل السُّنَّة، والجماعة؟، أو فيما نلتزمه في توحيد الله ﷻ؟، أو في الدعوة إليه؟، والمنافحة عن ذلك؟.

هذه الثنائية يحدث فيها التوهم، ودعوات الأنبياء ﷺ واحدة في التوحيد، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، ووردت في عدد من الآي في أقوال الرسل، فرسالة الأنبياء واحدة في أصلها، والشرائع شتى[١]، والأساليب مختلفة، فمن نظر في القرآن العظيم، وجد أن أسلوب خطاب النبي لقومه مختلف بحسب حالة القوم، فإبراهيم عليه السلام كان مناظرًا لقومه، من أجل أن زمنه كان زمن مناظرة، وكذا ناظر أباه، وناظر النمرود فقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢]، حالة إبراهيم عليه السلام كانت حالة المناظرة، وأهل العلم يقولون في القائد عن إبراهيم عليه السلام في سورة «الأنعام»: كان مناظرًا لا ناظرًا[٢]، أي: ما كان ينظر في الأفلاك ليطلب الدليل، وإنما كان مناظرًا لقومه، كما هو قول أهل السُّنَّة والجماعة، بخلاف قول طوائف ممن يقولون بالشك؛ كالأشاعرة، والماتُريدية. . إلى آخره، يقولون: إنه كان ناظرًا في الأفلاك؛ ليستدل بها على وجود الله، وهذا ليس بصحيح، بل كان مناظرًا لقومه بما يشهدونه على ما ينكرونه. فإذًا؛ كانت حالة مناظرة.

إذا أخذنا حالة نوح عليه السلام، لم يكن مناظرًا، وكذا شعيب عليه السلام كيف كان ناصحًا ناهيًا، وكذا لوط عليه السلام كيف كان ناصحًا، وموسى، وعيسى عليه السلام، وكذا نبينا محمد ﷺ، كيف جمع هذه الأمور كلها بحسب حال الناس.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٤٤٣) من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَالأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ».

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٢٩٣).

أمة محمد ﷺ باقية إلى قيام الساعة، ورسالته باقية إلى قيام الساعة، وتجديد الدين، تجديد أمر الدين في هذه الأمة واجب من واجبات أهل العلم؛ فلذلك إذا ظن ظان أنه لا يرعى حال استقبال الناس للخطاب الإسلامي، ويكرره عليهم، فإنه يكون مخطئًا، بل لا بد أن يرعى هذه الحال، وأن ينظر إلى التأثير كيف يكون على الناس، وإذا نظر إلى التأثير فيجدد خطابه بما يناسب التأثير، الخطاب الشرعي في نفسه تغير في القرآن: آيات الجهاد في موطن: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج: ٣٩]، ولما قويت عزة الإسلام، وقويت المنعة، ولم يكن أهل الإسلام يخشون أن يقضى على الإسلام، وأهله، نزل قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة: ٧٣]، هنا حصل أشياء من تجديد الخطاب في نفسه في العهد النبوي؛ لذلك نحن نطمع أن يكون تأثيره على الناس متجددًا بحسب المعطيات، والوسائل، تارة هناك قضايا قد لا تأتي بها؛ لأن الناس لو أتيت بها فإنهم قد يسيئون الظن بك، أو لا يحسن الكلام فيها، والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها، فهو أحق بها. كذلك هناك مسائل كثيرة في هذا الصدد.

الثنائية الخامسة: الفقه المتجدد، والفقه الأصلي:

الفقه المتجدد، والفقه الأساس، أو الأصل، فقه الأساس موجود في كتب أهل العلم، وموجود في كلام أهل العلم في التفسير، وفي كتب الحديث، ولكن الفقه المتجدد يحتاج منك إلى نظر فيما يصلح الأمة من ذلك الفقه، هذا يختلف باختلاف الزمان، والمكان، والعوائد، والأحوال، وهو قريب من التفريق ما بين الحكم، والفتوى، والأحكام، والفتاوى، فمثلًا؛ هناك أحكام شرعية موجودة في كتب الفقه، ولكن

الحكم لا يعني أن ينزل في كل زمان، وفي كل مكان بدون اعتبار لنظر الزمان، والمكان، والعوائد، والأحوال، فهناك أحكام صالحة للرياض، ولكنها لا تصلح للمسلمين في أمريكا، لا تصلح للمسلمين في أستراليا، هناك أحكام شرعية ترعى في زمن، وفي زمن آخر قد تتغير الفتوى فيها.

مثاله ـ مثلًا ـ: العناية بأنواع من الفقه في ثنائياتها، فقه القوة، وفقه الضعف، من أنزل الأحكام في فقه القوة، وفي فقه الضعف منزلًا واحدًا، وأجراها مجرى واحدًا، فإنه:

أولًا: لا يكون فقيهًا.

ثانيًا: لا يكون حكيمًا.

فقد يضر بالأمة، وبالناس، فقه القوة، والضعف، لا يمكن أن ننزل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]، منزلة: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [الزخرف: ٨٩]، هذه حق، وهذه حق؛ لذلك كان قول المحققين من أهل العلم: أن آيات الجهاد ليس فيها ناسخ، ومنسوخ، بل كلها محكمة، وذلك باختلاف العلل، والغايات، والزمان، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كرر هذا في أكثر من موضع، وابن القيم رحمه الله، وجماعة من أهل العلم، فالقول بالنسخ يفرق فيه أهله ما بين فقه القوة، وفقه الضعف، الله جل جلاله بيَّن أنه لأمر ما خفف عنهم: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنفال: ٦٦]، فالنسبة ١: ٢، هذا التخفيف تغيير في الحكم، وهل هو نصي، أو معقول المعنى؟ معقول المعنى، وعلته ليست قاصرة، وإنما علته متعدية، وهكذا في أمور أخر، حينما يقول الله جل جلاله لنبيه ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا

تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، هذا بلاغ للأمة متجدد، ولكنه ينزل منزلته.

فإذًا؛ فقه القوة، أو فقه الضعف يختلف، فمن يأتي ـ الآن ـ ويريد من المسلمين أن يعملوا بآيات القوة، في زمن قوة الدولة، وفي زمن سيطرتها، وينسى الآيات التي فيها توجيه للمؤمنين عندما كانوا أقل قوة، فإنه لا يأخذ بالفقه المتجدد، والفقه الناظر في الأحكام جميعًا، وهذه تحتاج إلى دربة للنفس؛ لأنه أحيانًا قد ترفضها النفس من جهة العزة، لكن لا من جهة الفقه؛ ولهذا عمر بن الخطاب ﷺ لما جاء للنبي ﷺ، وعقد الصلح قال: **«أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَهُمْ عَلَى البَاطِلِ؟ أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الجَنَّةِ، وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ، وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا، فَقَالَ: يَا ابْنَ الخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللهُ أَبَدًا»**(١).

أتى من جهة صحيحة، وهي جهة العزة، والكرامة للمؤمن، وأنه يعلو، ولا يعلى عليه، ولكنه لم ينظر إلى ما نظر إليه النبي ﷺ، وهو جهة المصلحة، والفقه الصحيح هو ما أرشدنا إليه النبي ﷺ في هذا الباب؛ لذلك الفكر المتجدد يحتاج إلى أن نرى فيه عددًا من المسائل المهمة:

ومنها: التفريق ما بين فقه القوة، وفقه الضعف، وقد ألقيت محاضرات في عدة أماكن بعنوان: فقه الأزمات، وكان فيها بعض التفصيل لمثل هذه المسائل، مهم جدًا أن يكون الداعية واعيًا لعصره، متفقهًا، ولا يأتي يردد كلام، ويردده الآخرون دون روية، وفهم، ونظر

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٤٤)، ومسلم (١٧٨٥).

في كلام أهل العلم، وفي المصالح، وفي العلل، وفي الأحكام، ويدرك الإدراك؛ لأننا نحتاج اليوم، فالمسلمون لا يأخذون ـ وللأسف ـ بقول إمام مجتهد واحد، ولا بجهة جماعية معتبرة واحدة، بل كل واحد له اجتهاده، إذًا عليه أن يتقي الله ﷻ، وبخاصة الدعاة، إذا كان عندهم نظر، فإن عليه أن يتقي الله ﷻ في نفسه، وفي الناس، وألا يقول شيئًا إلا بعد أن يكون متثبتًا فيه، واثقًا فيه لعامة أهل العلم، سيما في المسائل الكبيرة.

من الثنائيات في الفقه المهمة: ما نسميه: «فقه الأقليات»:

وفيه ديار الإسلام، فهناك فرق بين الفقه الذي يوجه إلى الأقليات الإسلامية في عدد من بلدان العالم، والفقه الذي يقال في البلاد التي يعلو فيها الإسلام، ويحكم بشريعته؛ ولذلك بعض الدعاة تأتيه اتصالات من عدد من الأمكنة في العالم، ويسأل، وأنا في السابق كثيرًا ما تأتينا اتصالات عندما كنت أجيب عن الأسئلة في هذا الصدد، وألحظ الفرق الكبير جدًا فيما يجب أن يقال لهم، وفيما يجب أن يُقال لغيرهم، فهناك مسائل تخصهم، ولو قلت لهم غير ما يناسبهم لجعلتهم في ضيق، وحرج، ومشقة، وهذا يحتاج منك إلى نظر، سيما إذا كان الواحد منكم يسافر، أو إذا كان يجيب عن سؤالات، أو كان يتصل بالناس عبر الإنترنت، أو يكون عنده رسائل، ويجيب عنها . . إلى آخره.

فلا يعنت الناس، وهو لا يعرف الواقع الذي يعيشون فيه، فالنبي ﷺ ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا[1]، فرعاية الأحوال، والوقائع، والعوائد، والبلدان، والناس، وما يصلح لهم أمر مهم جدًا.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧).

بعض الفتاوى لو طبقتها أسرة من الأسر في بلاد الأقليات لانخرمت الأسرة، وتأتي مصائب أكثر من تفرق الأسرة، والطلاق إلى آخره، فالتعليم، ومسائل التعليم، وما يتعلق بها أمر مهم.

إذًا؛ الداعية بحاجة إلى أن يعرف ما حوله، ولكن عليه أن يفرق في أنواع من الفقه؛ لذلك يقول ابن القيم ﵀: «**إن الحكم والفتوى يتغير بتغير الزمان والمكان والعوائد والأحوال**»[1]، حتى العادات يتغير معها الفتوى، فلا يمكن أن تساق مساقًا واحدًا، الداعية لا بد أن يكون متدربًا في نفسه على أن يعطي كل حالة ما يناسبها، وأن يلبس كل إنسان ما يلائمه.

المسائل كثيرة، ومتنوعة، ولكن هذه إشارة أريد منها أن نجمع ما بين العلم، والإدراك في حياة الداعية، ما بين إعمال العلم الصحيح، وإعمال العقل الصريح، لا بد أن نعمل بينهما، وهذه من مميزات الشريعة، أن هناك موافقة فيها ما بين النقل الصحيح، وما بين العقل الصريح، وإذا كانت هذه سمة أهل السُّنَّة والجماعة، وسمة أهل العلم أنهم يدركون هذه المسائل، فعلينا من الواجب في مخاطبة الناس ما هو ألزم؛ لأننا كثيرًا ما نخاطب الناس في المسجد، وفي الرسائل، وفي المحاضرات، وفي الإجابات التليفونية، وفي الأسئلة، وفي الدعوات، وفي الحفلات إلى آخره، فلا بد أن يكون هناك توطين للنفس على هذه الملاءمة بين الأمرين، والعبد مهما عمل سيكون بين ثلاثة أمور في عمله:

الأول: ما بين صواب يقيني، يعرف أن هذا هو الصواب بيقين.

---

(١) انظر: إعلام الموقعين (٣/ ١١) قال ﵀: (فَصْلٌ: فِي تَغْيِيرِ الْفَتْوَى، وَاخْتِلَافِهَا بِحَسَبِ تَغَيُّرِ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَمْكِنَةِ وَالْأَحْوَالِ وَالنِّيَّاتِ وَالْعَوَائِدِ).

ويكون في مسألة اجتهادية، هو يجتهد فيها؛ لتغليب الصواب، فهو تحرى الصواب، وعليه أن يوافق جمهرة أهل العلم في ذلك.

الثاني: ذنب يواكبه، إما في تقصير في نفسه، أو في تقصير في عمله، أو بتقصير في أدائه للأمانة، ونحو ذلك، فعليه أن يتوب من هذا الذنب، وأن يستغفر، أو أن يجعل له حسنات ماحية، أو أن يكون له مكفرات إلى ما يعمل من أداء الواجبات، لعل الله ﷻ أن يتجاوز، فتوهم الكمال هذا توهم غير صحيح.

فلا بد أن تعلم إنك ما بين قول صواب واضح، وما بين اجتهاد لا بد أن تتقي الله ﷻ فيه، وأن ترعى فيه المصلحة العامة، وليست الرغبات الداخلية، والمشاعر النفسية الداخلية.

والثالث: ذنب تصيبه، إما من تقصير في أداء واجب، أو في رعاية للعمل، أو في كلام، أو في مخاطبة أحد، فيستغفر العبد ربه ﷻ، والله ﷻ يحب من عبده أن يكون كثير الاستغفار، كثير الرجوع إليه، ويحب من عبده أن يكون كثير الإقبال عليه يرى منه أنه يذنب، فيرجع، أو أنه يقصر، فيرجع إلى ربه بالاستغفار[1]، والإنابة، والصلاة، والصدقة، والإحسان، والبر، وأنواع العمل الصالح.

أسأل الله ﷻ أن يوفق الجميع لما فيه رضاه، وأن يجعلكم مباركين، وأن ينفع بكم، وأن يسدد طريقنا، وطريقكم، وأن يجعلنا وولاة أمورنا من المتعاونين على البر، والتقوى، إنه ﷻ جواد كريم،

---

(١) كما جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٧٠٢) من حديث الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**».

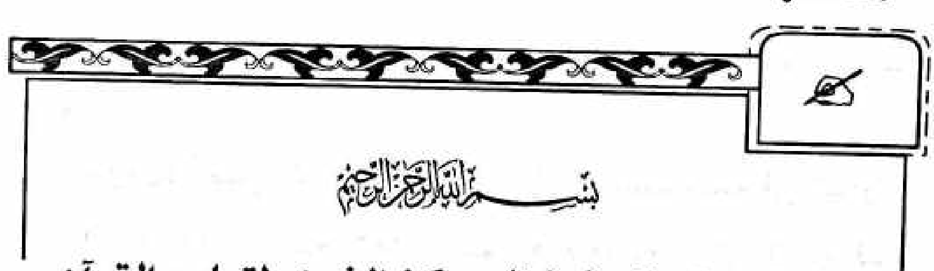
وصلِّ اللَّهُمَّ، وسلم، وبارك على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم.

سؤال: أحسن الله إليك! هل للداعية أن يجتهد بنفسه في النوازل؟

الجواب: الناس تبع لأهل العلم، هذه قضية متفق عليها، فليس للداعية أن يجتهد بنفسه في النوازل، النوازل تحتاج إلى أهل العلم الراسخين، والنوازل لا يستقل بها واحد من أهل العلم، النوازل تحتاج إلى أن يجتمع لها جمع من أهل العلم؛ ليكون قولهم أقرب إلى حكم الله ﷻ، وإلى الصواب؛ لأن الواحد قد يخطئ، وقد يكون عنده نظر، وقد يكون عنده اجتهاد، ولكن إذا فتح له باب آخر تغير نظره؛ فلذلك نحرص على أنه في النوازل أن يكون الرجوع إلى أهل العلم الذين اجتمعوا، مثل: هيئة كبار العلماء، أو مجمع الفقه الإسلامي. .إلى آخره؛ بحيث نأمن معه أن يكون هذا القول - بإذن الله ﷻ - صوابًا موافقًا لظاهر الشرع.

الداعية هناك أشياء تواكبه، ليست النوازل الكبار، وإنما أشياء يعاشرها، إما سؤال يأتيه، ليس النوازل عامة، ولكن هي في إطار مثل هذه، لا بد أن يكون جوابه فيه شيء من الوضوح، ولولا المسجلات هذه، لكان الواحد أفصح بأمثلة أكثر نزولًا، ولكن الواجب المزج فيما يؤديه من التجدد راجع إلى الوسائل، وما يعانيه من الحالات الفردية التي يمارسها، أما القضايا الكبار، والنوازل، فهذه لا شك أنها لأهل العلم، وفعلًا الدعاة - الآن - يحتاجون إلى مزيد اتصال بأهل العلم.

❁ ❁ ❁



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة معالي الشيخ في المركز الخيري لتعليم القرآن ١٤٢٦/٤/٢٠هـ

الحمد لله، والصلاة، والسلام على رسول الله، وعلى آله، وصحبه، ومن اهتدى بهداه؛ **أما بعد:**

فإني أحمد الله ﷻ كثيرًا، كما أنعم علينا كثيرًا بهذا الاجتماع الرابع للجمعية العمومية للمركز الخيري لتعليم القرآن الكريم، وعلومه، وما من شك أن العمل لتثبيت هداية القرآن الكريم في النفوس، سواء أكان عملًا أساسيًا، أو مساندًا أن ذلك من أعظم القربات عند الله ﷻ، والنبي ﷺ يقول: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»[1]، ووسيلة الشيء لها حكمه؛ ولهذا أحمده ﷻ أن جعلنا جميعًا كلًا في مجاله: الإداري بإدارته، والعالم بعلمه، وعضو الجمعية، أو عضو مجلس الإدارة بعضويته، وصاحب المال بماله، وصاحب العقل والإدراك بإدراكه، الجميع لا شك أنهم شركاء في الأجر، والله ﷻ لا يضيع أجر من أحسن عملًا؛ لهذا ينبغي علينا في مثل هذا الزمن أن يكون حرصنا، وبذلنا أكثر مما كان قبل، وإذا كان الحرص على عمل الخير: في القرآن الكريم، وفي نشر العلم، وفي الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتوسيع أسباب الخير، وتقليل أسباب الشر، إذا كان

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧) من حديث عثمان بن عفان ﷺ.

ذلك مطلوبًا شرعًا في كل زمان، فإنه إذا كثرت الأسباب التي تصد عن الخير، وتصد عن الحق، فإنه يكون أدعى، وأولى، وأحرى، ولذلك لا بد من وقفة قوية في تكثير أعمال الخير، وتفتيح أبوابها مما يكون معه نشر لهدي القرآن، وهدي سُنَّة النبي ﷺ، وتحقيق للأمانة التي جعلها الله ﷻ في عنق آدم، وذريته.

أيها الإخوة:

لا شك أن هذا الزمن فيه تحديات كثيرة، واليوم نرى أن الهجوم لم يعد قاصرًا على الأمة الإسلامية ككيان أممي، وككيان سياسي، واجتماعي فقط، بل تعدى ذلك إلى الهجوم على مقدسات الإسلام، فالقرآن الكريم ناله نوع من الهجوم، والتدنيس، فوجد من دنس القرآن، ووجد من رسم عليه الصليب، ووجد من أراد تغيير القرآن بجمع قرآن جديد يكون مرجعًا للناس، فهناك من ألَّف شيئًا أسماه: «الفرقان العظيم»، ويريد أن يجعله محل القرآن الكريم، وهذا، وأشباهه هجوم سافر مباشر على مقدسات المسلمين، وعلى شعائر الله ﷻ، وكما تعلمون جميعًا أن النبي ﷺ لم يسلم من هجوم الأعداء.

فإذًا؛ المعركة اليوم كبيرة جدًا، وفوق ما يتصورها البعض، فليست ظاهرية، وإنما هي حقيقة ظاهرًا، وباطنًا، ومن الباطن العمل الجاد من القوى المعادية للإسلام على تغيير هداية القرآن الكريم في النفوس، يريدون تغيير القرآن، وأيضًا: تغيير الأخلاق، وكل ما ترى من وسائل لصد المسلمين عن دينهم هي جزء من هذا الهدف الكبير، وهذا المخطط الواسع، فتغيير الأخلاق هجوم على القرآن؛ لأن النبي ﷺ كان خلقه القرآن[1]، وتغيير التعليم هجوم على القرآن، والسُّنَّة؛ لأن التعليم

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد في المسند (١٤٨/٤١)، والبخاري في =

الإسلامي أساسه هو هداية القرآن، وسُنَّة النبي ﷺ، وفهوم أهل العلم في التعليم المتصل بالقرآن، والسُّنَّة هي فهوم نابعة من فهمهم للكتاب، والسُّنَّة، كذلك في الأمور الاجتماعية، والعلاقات الاجتماعية، ليست علاقات مستقلة، وهي وليدة في المجتمع، لا، هي وليدة تاريخ استمسك به المسلمون، فليس عندنا شيء يسمى تقاليد، وليس عندنا شيء يسمى إرثًا ثقافيًا، أو إرثًا اجتماعيًا، وإنما لدينا ثوابت مأمور بها في القرآن، والسُّنَّة، ودلت عليها قواعد الشرع، وما كان من غير هذه الثوابت، فإنها مجال اجتهاد بحسب المصلحة، ولكن اليوم نرى أن التحدي يقع حتى على الثوابت، ولهذا، ولغيره، فإن التبعة اليوم على أهل العلم، وعلى حملة القرآن الكريم، بل وعلى كل مسلم يعلم هذا التحدي أن يكون:

أولًا: يقظًا لما يراد.

وثانيًا: أن لا يزدري جهده، ونفسه أمام هذا الهجوم الهائل، فالله ﷻ ينفع بالعمل الصالح، ولو كان قليلًا، وأما الكثرة، فليست هي الدليل، وليست هي المقياس، والنبي ﷺ قال: «**بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا؟، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»[1].

وغربة الإسلام في أوله كانت إيذانًا بانتشاره، والغربة إذا جاءت، فإنها إذن بفعل، وبشرى بالانتشار، ولكن هذا لا بد فيه من عمل، ولا بد فيه من بذل، وهذا العمل، وهذا البذل المطلوب شرعًا، لا بد أن يكون بالوسيلة الشرعية، وأن يكون بطرق أهل العلم، والحكمة، لا بطرق أهل الهوى، والضلال، والافتتان، وهذا هو الذي يكمل، فإن

= الأدب المفرد (١/ ١٦٠)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١١/ ٢٦٥)، والبيهقي في الشعب (٣/ ٢٣) من حديث عائشة ﵂.

(١) أخرجه مسلم (١٤٥) من حديث أبي هريرة ﵁.

العمل الصالح ولو كان طويل المدى، فإنه أقوى نتيجة، وأعظم أثرًا، والزمن لا عبرة به، وإنما العبرة بموافقة الحق، والهدى؛ ولذلك نرى أن الأنبياء عليهم السلام اختلفت، وتباينت مدتهم في أقوامهم، ومتى جاءهم نصر الله عز وجل، فمنهم من مكث ألف سنة إلا خمسين عامًا، ومنهم من مكث سنة، ومنهم من كان بينهما، وهذا فيه العبرة، والعظة بأن الزمن ليس منظورًا إليه، وإنما المنظور إليه هو موافقة الحق، والهدى؛ ولذلك قال الله عز وجل: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ [العنكبوت: ١، ٢]، وهذه السورة - سورة العنكبوت - فيها عدد من صور، وأنواع الافتتان.

ومن أنواع الافتتان: الافتتان بالزمن؛ ولذلك جاءت قصة نوح عليه السلام في آيتين: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ۝١٤ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ۝١٥﴾ [العنكبوت: ١٤، ١٥]، ففي آيتين ذكر الله عز وجل قصة نوح عليه السلام؛ لترتبط بمقصد السورة، وهو التحذير من الافتتان، فالافتتان بالزمن، هذا افتتان عظيم؛ ولذلك كل من استعجل، وضل الطريق كان بسبب استعجاله، والنبي ﷺ لما جاءه الصحابة رضي الله عنهم، وشكوا إليه ما يلقون من المشركين، وقالوا: **«وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَئِنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ عَلَى أَهْلِ مِنًى غَدًا بِأَسْيَافِنَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَمْ أُؤْمَرْ بِذَلِكَ»**[1].

فإذًا؛ الشأن ليس في النتيجة، وليس في الوسيلة، الشأن في موافقة الأمر، موافقة القرآن، موافقة السُّنَّة فيما يأتي أهل السُّنَّة، وفيما يذرونه، وفيما يأتيه الناس، وفيما يتركونه.

وهذه المسألة مسألة عظيمة؛ ولهذا فضل الله عز وجل خمسة رسل،

---

(١) أخرجه أحمد (٢٥/ ٩٤)، والآجري في الشريعة (٤/ ١٦٦٠).

وجعلهم مفضلين على غيرهم من الرسل، وسماهم أولي العزم، ولما أمر نبيه ﷺ بالصبر، أمره بملاحظة أنهم أولو العزم الصابرين الذين لم يستعجلوا، فقال ﷻ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال في الآية الأخرى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾ [الروم: ٦٠]، واليوم الذين لا يوقنون من الكفار العادين، ومن أهل الهوى يستخفون من ليس بذي رسوخ، والواجب: أن لا نعطيهم الفرصة في إدراك ما يريدون، وأن نعي أبعاد الأمر، وأن نصبر، ونعالج الأمور بحكمة، وروية، وبقوة؛ حتى نصل إلى الهدف بدون خسائر، أو بأقل قدر من الخسائر.

القرآن الكريم في تعليمه اليوم، وفي مراكزه، ومدارسه، وجمعياته، وحلقاته فيه الكثير اليوم من الهجوم عليه ـ كما ذكرت ـ، وعلى العاملين فيه، فاتهمت مدارس القرآن الكريم في العالم الإسلامي كله: في المملكة العربية السعودية، وفي اليمن، وفي الخليج، وفي مصر، وفي المغرب، وفي باكستان، وفي الهند، وفي أندونيسيا، وفي أماكن كثيرة من العالم بأنها هي مصدر الإرهاب، والحقيقة أن الشبيبة، والناشئة الذين درسوا القرآن الكريم في الحِلَق، وفي مدارسه أن هؤلاء مشاعل خير في الأمة الإسلامية، فهم الذين أمُّوا في المساجد، وهم الذين وجهوا، وهم الذي درَّسوا القرآن، ولذلك إذا نظرنا إلى عموم النقلة الإسلامية الحاضرة، نجدها أكبر بكثير من الانحراف الذي حصل، وهذا يعني أن التأثير الحسن لهذه المدارس، ولهذه الجمعيات إيجابي، ووجود الشيء بلا سلبيات هذا مستحيل، فلا بد أن يوجد من لا يتفهمه، ولكن العبرة بعموم النتيجة؛ ولهذا لم يقدح أحد بظهور الخوارج في صحة أصل الديانة، فظهور الخوارج حتى في عهد النبي ﷺ في بدايتهم، ثم

بعد ذلك تظاهروا، وحاربوا الصحابة، ولا يطعن أحد في صحة الدين، ولا في صحة الملة، ولا في هدي القرآن ولا في هدي السُّنَّة بوجود طائفة تعتمد في استدلالها على القرآن، والسُّنَّة؛ لأن هؤلاء ضلوا، والله ﷻ جعل القرآن منه المحكم، ومنه المتشابه، وذلك ابتلاء منه ﷻ.

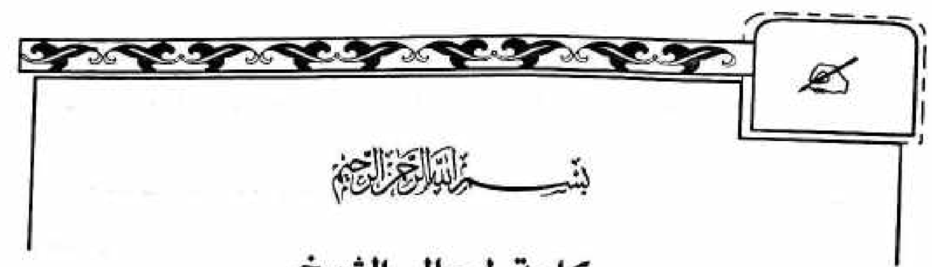
إذًا؛ فالدفاع عن القرآن الكريم، والدفاع عن السُّنَّة النبوية، والدفاع عن المراكز التي تعلم القرآن، وحِلَق القرآن، وجمعيات القرآن الكريم، والدعوة إلى الله في العالم أجمع، هذا واجب شرعي لا بد على الجميع أن يعملوا الأسباب التي توصل إلى ذلك، وإن لا يهاب الناس هذا الهجوم العظيم، فالمدافعة سُنَّة الله ﷻ في العباد.

هذا المركز في الحقيقة من المراكز المثالية، سواء في دقته في الانتشار، أو في ضبطه المالي، وحسن استثماراته، وقوة مركزه المالي، وهو متخصص في تعليم القرآن الكريم عبر المعاهد، أما حلق القرآن في المساجد، فكما أفهم من لقاءات سابقة، وكما هو موجود في أساس إنشائه أنها ليست من عنايته أن يكون مشرفًا على الحلق، وهذا طيب أن يكون هناك تخصص؛ لأن المدارس الموجودة على هذا النحو، وأن يكون مركزًا خيريًا لتأهيل المدرسين، وتدريس الطلاب، وأن يجعل طريقة نظامية عالية، وأن يكون هناك - إن شاء الله - بعد ذلك المعاملة لشهادته، هذا عمل إضافي، عمل مهم، وإنجاز آخر مع الإنجازات الأخرى الموجودة في حلق القرآن الكريم في المساجد؛ لذلك لعله يكون من المناسب أن يكون متخصصًا تخصص هذا المركز في العمل التعليمي المنهجي، هذا مناسب، وهو أولى من توسيع أنشطته، وقد يكون مع توسيع الأنشطة ذهاب عن الهدف الأساسي؛ ولذلك وفي المناسبة لا بد أن نشكر جميع أعضاء مجلس الإدارة، وعلى رأسهم: فضيلة الشيخ

الدكتور صالح بن غانم السدلان، والأخ الكريم الشيخ حمد بن السدلان، وجميع الإخوة أعضاء المجلس، وجميع أعضاء الجمعية العمومية، نشكر لهم جهدهم، وجهادهم، وحرصهم على نجاح هذا المركز الذي نجاحه لبنة خير في هذا المجتمع الخيري، وهذا المجتمع في المملكة العربية السعودية لا شك أنه مجتمع خير، ومن خير إلى خير، والكل يساند الخير: دولة، وقيادة، وإدارات حكومية، والناس يريدون نمو الخير، واضمحلال ضد ذلك، فلهذا يجب علينا جميعًا التعاون على البر، والتقوى، وأن نكون يدًا واحدة في هذا الصدد.

سائلين المولى أن يوفقنا لما فيه الرشد، والسداد، وأن يقينا العثار في القول، والعمل، وأن يغفر لنا ذنوبنا، وأن يوفق ولاة أمورنا، وأن يمنحنا، وإياكم التعاون على البر، والتقوى، وأن يجعلنا وإياكم من المسددين في أقوالنا، وأعمالنا، نعوذ بالله من الحور بعد الكور، ومن الضلال بعد الهدى، اللَّهُمَّ استعملنا فيما تحب، وترضى، واغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، ووفقنا لما فيه رضاك، وارفع لنا الدرجات بعفوك، وكرمك، ومنتك، وفضلك، إنك جواد كريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللَّهُمَّ، وسلم، وبارك على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه.





كلمة لمعالي الشيخ

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

ألقاها معاليه في الحفل الختامي لمعرض الوزارة بجامع الراجحي بالرياض

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله، ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله، وصحبه، وسلم تسليمًا مزيدًا؛ **أما بعد:**

أصحاب الفضيلة المشايخ، الإخوة المشاركين في البرنامج الوطني لمكافحة الإرهاب:

السلام عليكم، ورحمة الله، وبركاته، ونحن في ختام أحد البرامج التي نقلت تضامنًا مع الحملة الوطنية لمكافحة الإرهاب، ليسرنا أن نشيد بالجهود المبذولة من جميع الأفراد: المشايخ، والدعاة، الذين أسهموا في إنجاح هذه الحملة بعامة في منطقة الرياض، وفي جميع مناطق المملكة، ثم إني لأشيد بالجهد المبذول في إنجاح هذه الحملة بمنطقة الرياض بخصوصها، والذي نحضر اليوم الحفل الختامي لهذه الأنشطة، ولما أقيم من مخيم، ومعرض المصاحف، والإسهام بالمحاضرات، والتوعية الإرشادية بالكتب، والأشرطة، وغير ذلك لمناسبة لهذه الحملة.

ولا شك أن شكر من أحسن أصل في الشريعة؛ لأن الله ﷻ يحب

من يشكر من يستحق الشكر، قال ﷻ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤]، ويقول النبي ﷺ: «لا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ»(١).

وسبب ذلك، وعلته: أن شكر المحسن يدفع إلى مزيد من الإحسان؛ لأن النفس تحتاج إلى أن تصوب في أعمالها، ويثني عليها بما أحسنت فيه؛ لتكون أكثر إحسانًا، وأكثر عملًا، وأكثر جهدًا فيما تستقبله من أعمالها، والله ﷻ وهو أغنى الخلق عن الثناء، والحمد، والمدح يحب من عبده أن يحمده، ويحب من عبده أن يشكره، وأن يمدحه، وأن يثني عليه بما هو أهله(٢)، فالثناء على المحسن، والثناء على من يستحق نوع من الشهادة، وهذه الأمة شهود الله ﷻ في أرضه(٣)؛ ولذلك نحن مسرورون بما اجتمع عليه جميع فئات هذا المجتمع المسلم المبارك من جميع فئاته: من المسؤولين الرسميين من جميع القطاعات، ومن

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٥٤)، وأحمد (١٣/ ٣٢٣)، والطيالسي (٤/ ٢٣٢)، والبزار (٨/ ٢٢٦)، والبخاري في الأدب المفرد (ص٨٥)، وابن حبان (٨/ ١٩٩)، والطبراني في الكبير (١/ ١٩٥)، والبيهقي في الشعب (١١/ ١٧٥، ٣٨٤)، وفي الكبرى (٦/ ٣٠٢)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٦٣٧، ٥٢٢٠، ٧٤٠٣، ٧٤١٦)، واللفظ له، ومسلم (١٤٩٩، ٢٧٦٠) من حديث عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ، وَمَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ المَدْحُ مِنَ اللهِ».

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩)، واللفظ له من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: «مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، قَالَ عُمَرُ: فِدًى لَكَ أَبِي وَأُمِّي، مُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرٌ، فَقُلْتَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرٌّ، فَقُلْتَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ».

العلماء، والدعاة، ومن أئمة المساجد، وخطبائها، ومن المعلمين في التعليم، ومن المشاركين في مكاتب الدعوة الرسمية، والتعاونية، والذين أسهموا بتأليف الكتب، كل هؤلاء لا شك أنهم أثروا، وأسهموا، وقووا جانب مكافحة هذا الخطر العظيم الذي هو مفارقة للدين، ومفارقة للجماعة، وهو المسمى المصطلح عليه بـ «الإرهاب»؛ ولذلك لا بد لنا أن نكون أكثر تعاونًا لكل ما فيه رفعة، وعزة لهذا الدين، ولأهله، وهذه البلاد بخصوصها هي قوة الإسلام، وهي قوة السُّنَّة، فحمايتها، وقوتها هذا يرجع إلى قوة الإسلام ليس فيها فحسب، بل في العالم كله؛ ولذلك تنبه الأعداء إلى هذا السر، ووجهوا حملتهم، ونقدهم، ووجهوا دعايتهم المغرضة لهذه البلاد ـ بلاد الحرمين الشريفين المملكة العربية السعودية ـ، ولأهلها، ولحملة العلم فيها؛ لأن بذلك إطفاء نور الله كما يزعمون، أو كما يريدون، ولا غرابة، فمن القديم وقع أناس في صحابة رسول الله ﷺ، وكما قال أهل العلم: لم يقصدوا بالوقيعة ذوات الصحابة ﷺ، وإنما قصدوا ما يحملونه من العلم، والدين، والهدى، والرواية[1]، وهكذا فإن توجيه السهام إلى هذه البلاد، وإلى ولاة أمرها، وعلمائها، ودعاتها، وإلى أهل التعليم فيها، ومن له إسهام في العمل الصالح فيها، فإنما يؤول بشكل، أو بآخر إلى الرغبة في إطفاء نور الله ﷻ؛ لهذا كان من اللوازم أن تكون اليد مع اليد، وأن يكون القلب مع القلب، وأن تكون الهمة مع الهمة؛ لكي ننهض بواجبنا، ونواجه هذا الخطر العظيم.

---

(١) كما أخرج الخطيب في الكفاية في علم الرواية (١/٤٩) عن أبي زُرْعَةَ أنه قال: «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاعْلَمْ أَنَّهُ زِنْدِيقٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ عِنْدَنَا حَقٌّ، وَالْقُرْآنَ حَقٌّ، وَإِنَّمَا أَدَّى إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يُجَرِّحُوا شُهُودَنَا لِيُبْطِلُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَالْجَرْحُ بِهِمْ أَوْلَى وَهُمْ زَنَادِقَةٌ».

أوله: الخطر الداحض، وهو الإرهاب، وما يتضمنه الإرهاب، وما يحمله من اعتداء على الأنفس المسلمة، والأنفس المعصومة، والتكفير، والتفجير، والاعتداء على الأموال، والأعراض وما أنتم تشاهدونه، وتعلمونه، وهذا واجب أن يواجه بأن هذا الخطر الداخلي ليس سهلًا، وقد يستمر، فلا تدري ما الذي يجري في الخلايا الخفية، ولا تدري كم الذين قد ينتمون إلى هذه الفئات، وإلى هذه الخلايا، فحماية الدين، وحماية الإسلام: أن نكون متعاونين لرد هذه الفتنة - فتنة التكفير، والتفجير -، وأن نكون يدًا واحدة، وقلبًا واحدًا؛ لنرد هذه الفئة المكفرة المفجرة - أعاذنا الله ﷻ، وإياكم من أعمالها، وأفعالها -.

ثم أن نكون متعاونين بيد واحدة، وبقلب واحد؛ لمواجهة - أيضًا - الخطر العام على الإسلام، وعلى رسالة الإسلام، فاليوم هناك جهات كثيرة من العالم صرحوا بالهجوم على الإسلام في نفسه، فمنهم من طعن في الإسلام ذاته، وقال: إن الإسلام نفسه دين للإرهاب، وبعضهم طعن في القرآن، وقالوا: القرآن يحمل الإرهاب، ويحمل العنف، ويحمل التطرف، ومنهم من طعن في النبي ﷺ صراحة، وهكذا، وبعد ذلك طعنوا في هذه البلاد بجميع فئاتها، وهذا يوجب علينا أن نواجه هذا الخطر، كل بحسبه: أهل الأمر، وولاة الأمر بما أعطاهم الله ﷻ، وأهل العلم بما حباهم الله ﷻ من علم، بأن يردوا التهمة، وأن يَجْلُوا الشبهة، وأن يوضحوا للعالم حقيقة دين الإسلام، وأنه دين يجمع ما بين الرحمة العامة، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وكذلك دين لا يرضى أن يكون معتدًى عليه، أو أن يكون مظلومًا، أو أن يكون في ظلم، وحيف، فأهل الإسلام في عزة، ورحمة، وأهل الإسلام في سلام، وقوة، وأهل الإسلام يجمعون بين قول الله ﷻ:

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وبين قوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]؛ ولذلك كان من اللوازم أن يعمل كل أحد بحسبه: أهل العلم بما أعطاهم الله ﷻ ـ كما ذكرنا ـ، وأهل الدعوة بما حباهم الله ﷻ من حسن كلام، وتأثير على النفوس، وبيان لما يحمله الإسلام من تعاليم توافق الفطرة، وتناسب الحياة السعيدة في أي مكان في الأرض، وكذلك على الدعاة أن يثبتوا بأفعالهم، وأقوالهم أن هذه التهم التي تنسب للإسلام إنما هي محض افتراء، وأن الإسلام، وأهله، وعلمائه، ودعاته إنما هم أيدي صدق، وعمل بما ينفع الناس كما أمرهم الله ﷻ، وكذلك على أهل الإعلام، وأهل القنوات الفضائية، وأهل الإذاعات، وكل من حمل القلم في صحيفة، أو في كلمة، فإن عليه أن يستشعر أن هذه الأمة إنما تقوى بأبنائها، وأن اجتماع الكلمة، وقوة الصف ليس معناه أن نكون متفرقين في ديننا، فحماية الدين واجب على الجميع، وحماية الإسلام واجبة على الجميع، فالخطاب إذا وقع من إعلامي هنا، أو هناك، وطعن في الدين، أو طعن في علمائه، أو في أهله، فهو إسهام مع أعداء الإسلام فيما يرومونه من الطعن في هذه الملة، وفي هذه الديانة.

وكذلك أهل التعليم: المدرسون، سواء أكانوا مدرسين في حلقات القرآن الكريم، أو كانوا مدرسين في المدارس عليهم واجب كبير تجاه النشء في أن يجعلوهم في تعليمهم في عقيدة سليمة، ليس فيها شبهة، عقيدة متماشية، ومستمدة من عقيدة السلف الصالح، فيعلمونهم أصول اعتقاد السلف الصالح في العلم، والعمل، وكذلك يعلمونهم الخلق الكريم، فنحن في حاجة إلى العلم، وإلى اقتفاء سُنَّة الرسول ﷺ، وهدي السلف الصالح، وكذلك في حاجة إلى أن نكون أصحاب خلق، فالأمة

اليوم، وبخاصة الناشئة بحاجة إلى خلق يمنعهم من الانزلاق في مهاوي الشهوات، والشبهات؛ ولذلك كان النظر الشامل في محاربة، ومواجهة الانحراف، والإرهاب أن نكون متمسكين أكثر بهذا الدين في واسطيته، واعتداله، ليس مع غلاة المغالين، ولا مع تساهل المتساهلين بغير وجه شرعي، والنبي ﷺ: **«مَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا أَيْسَرُ مِنَ الآخَرِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ»**[1].

إذا اتضح الإثم، فلا مجال للاختيار، وأما إذا كان الأمر في سعة، فالتيسير أصل شرعي في أمور الشريعة، وفي فروعها، فالتيسير على الناس مطلوب، ولكن إذا ظهر الأمر، واستبانت حجته، وكان محل اتفاق، فإننا مطالبون بأن نحمي هذه الشريعة؛ لأن الناس يحتاجون إلى أن يكونوا متمسكين أكثر، فأكثر، وكلما قووا، فإنهم في أمن، وأمان، قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢]، الظلم أعظمه: الشرك بالله ﷻ، وهذا الشرك إذا وجد، فإن الإنسان على خطر في أمنه، وفي نفسه، في دنياه، وآخرته، وكذلك في أمن مجتمعه، وكذلك ما دون الشرك، فإنه يؤخذ معه من الأمن بقدره، والله ﷻ هو العاصم، وهو الموفق، وهو المعين.

لذلك جاءت هذه الحملة الوطنية لمكافحة الإرهاب، هذه الحملة الوطنية التي وإن كانت مدتها أسبوعين فقط من الزمان، ولكنها تنبيه إلى أننا نحتاج إلى مواجهة هذا الخطر الدائم، ووزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف، والدعوة، والإرشاد أسهمت بجهد كبير في جميع مناطق المملكة في مكافحة الإرهاب، وفي بيان خطره، وبيان خطره في التكفير، وفي رعاية عقيدة أهل السُّنَّة، والجماعة، وتبيان ذلك، سواء

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٦٠)، عَنْ عَائِشَةَ ﵂.

أكان ذلك عبر الخطباء ـ وفقهم الله ـ، وعبر أئمة المساجد فيما يقرؤون، ويوجهون، أو كان عبر الدعاة الرسميين، أو الدعاة المتعاونين فيما يلقونه من كلمات، أو من محاضرات، وكذلك أقيمت هذه المخيمات الدعوية التي أسهمت في مزيد من التوعية، ومزيد من الإرشاد، وشارك فيها عدد كبير من علماء هذه البلاد، ومن دعاتنا ـ وفق الله الجميع لكل خير ـ.

وبهذه المناسبة أشكر كل من أسهم في نجاح هذا البرنامج بخصوصه في مدينة الرياض، وخاصة القائمين على فرع الوزارة بالرياض: الأخ الشيخ عبد الله الحامد، والشيخ عبد العزيز الحمدان، وجميع الإخوة الذين تعاونوا معهم، والإخوة القائمين على هذا المسجد المبارك، والشكر، والتقدير على تعاونهم، وأخص بالذكر أخانا الكبير الشيخ سليمان الراجحي، وفضيلة إمام المسجد، وجميع الإخوة الذين أسهموا في إنجاح هذه الحملة.

وأسأل الله ﷻ لنا جميعًا التوفيق، والسداد، وأن يرفع هذه الغمة، وأن يرفع هذه النازلة، وأن يهدي ضال المسلمين، وأن يجعلنا من المتعاونين على البر، والتقوى، وأن يجعلنا أصحاب كلمة سواء، وحق في جميع أمورنا: في غضبنا، ورضانا، وفي جميع أحوالنا.

أسأل الله الكريم أن يوفق ولاة أمورنا لما فيه الرشد، والسداد، وأن يجعل ولايتنا في من خافه، واتَّقاه واتَّبع رضاه، كما أسأله ﷻ أن يمن عليهم بالبطانة الصالحة التي تعينهم إذا ذكروا، وتذكرهم إذا نسوا، وأن تجعلنا معهم من المتعاونين على البر، والتقوى، وأن يرفع لهذا الإسلام منارًا، وأن يخمد لأعدائه نارًا، إنه جواد كريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله، وسلم، وبارك على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم.



بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرة: كن داعيًا

المقدم:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد:**

فالمملكة العربية السعودية موطن الإسلام الأول، ومهبط الوحي، ودار المسجد الحرام والمسجد النبوي، وأرض المشاعر المقدسة، ومدرج الرسالة المطهرة، ومقر النبوة، ومبعث رسولنا محمد بن عبد الله ﷺ.

من هذه الأنداء الطاهرة ولأبناء هذا الوطن: دعاةً للحق، ورسلًا للخير، ورجالًا للدعوة والإرشاد، يعملون من أجل إيصال رسالة الإسلام، ويبذلون جهدهم من أجل أن يسعد الناس بالخير والحق، والعبودية لله ﷻ.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٣ ـ ٣٥].

من أجل ذلك حرصت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد على أن تقدم لكم هذه المحاضرة، وهو بعنوان: **كن داعيًا**.

كن داعيًا إلى الله ﷻ معك وسيلة الدعوة.

(**كن داعيًا**): من هدى رجلًا إلى الاستقامة على الدين بعد أن كان غير مستقيم، فحصل له من الخير والصلاح والعبادة بسبب هذه الهداية، فله مثل أجر من عمل بما دعا إليه.

(**كن داعيًا**): لا تقل: لم يتأثر أحد، هذا ليس من شأننا ألبتة.

(**كن داعيًا**): وأعظم ما يُدعى به إلى الله ﷻ أن يوحد العباد ربهم.

(**كن داعيًا**): الطفل الصغير، أو من هو في سن التمييز يمكن أن يدرب على الدعوة.

(**كن داعيًا**): الشاب يمكن أن يدرب على الدعوة.

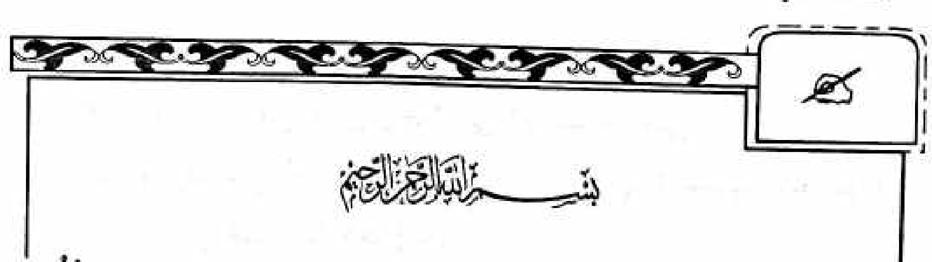
(**كن داعيًا**): المرأة يمكن أن تدرب على الدعوة.

(**كن داعيًا**): الفتاة يمكن أن تدرب على الدعوة، لكن بالأسلوب الذي يصلح.

(**كن داعيًا**): الداعي إلى الله ﷻ لا بد له أن يهتم بالسُّنَّة.







الحمد لله رب العالمين، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليُظْهِره على الدِّين كلِّه، وكفى بالله شهيدًا، وأشهدُ أن لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُ الله ورسولُه، وصفيُّه وخليلُه، صلَّى الله عليه وعلى آلِه وصحبِه، ومَن اهتدَى بهداهم إلى يومِ الدينِ.

أما بعد:

أيها الإخوة في الله، أسأل الله ﷻ أن يجعلني وإياكم ممن أقامهم لنشر دعوة الإسلام، وهداية من ضل عنها إلى الصراط المستقيم، كما أسأله ﷻ أن يجعل أعمالنا صالحة، وأقوالنا صالحة، ونياتنا خالصة له وحده ﷻ؛ إنه جواد كريم.

أرسل الله ﷻ رسله جميعًا للدعوة إلى الله ﷻ، كل رسولٍ هو داع إلى الله، وأول الرسل نوح ﵇، وآخرهم محمد ﷺ، فقال في وصف آخرهم: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال ممتنًا على نبيه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

فالدعوة إلى الله ﷻ نعمة عظيمة، أنعم الله ﷻ بها على خاصة عباده، وعلى من آتاهم الله العلم والعمل، فجعلهم مهيئين لتبليغ الناس كلمة الله ﷻ؛ ولهذا فإن الله ﷻ أمر نبيه ﷺ بالدعوة في غير ما آية، فقال ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ

أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال أيضًا: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [الشورى: ١٥].

وقال - أيضًا - ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال قبلها: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، يأمر الله ﷻ فيها الناس بأمره لنبيه ولصحابته بالدعوة إلى الله ﷻ، فقوله ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ يعني: **كن داعيًا** إلى سبيل ربك، ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ يعني: لذلك **كن داعيًا** إلى الله، واستقم كما أمرت، ولا تتبع أهواءهم، وكذلك في قوله ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ يعني: لتكن هذه الأمة منكم داعية إلى الخير، ودعاة إلى الخير.

والخير: اسم جامع يشمل كل ما أمر الله ﷻ به في الكتاب، أو أمر به رسوله ﷺ في السُّنَّة، أمر إيجاب، أو أمر استحباب.

وهذا الأصل العظيم - ألا وهو الأمر بالدعوة إلى الله ﷻ - جعله ﷻ صفة الأنبياء، وصفة أتباع الأنبياء؛ كما في قوله ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ وفي قوله ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ إشارة، ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ الإشارة إلى ما ورد في هذه السورة - ألا وهي سورة يوسف -، التي يمكن أن يكون موضوعها الدعوة إلى الله ﷻ، وحال الداعية إلى الله في تقلباته وأحواله كلها.

نبينا ﷺ أمر بالتبليغ، أمر أمته بالتبليغ، وحض على نقل الدعوة، ونقل الرسالة، ونقل القرآن والسُّنَّة، فلما اجتمع له ﷺ في حجة الوداع

نحو مئة ألف ممن حجوا معه تلك الحجة ﷺ، قال لهم: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ**»[1].

وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**نَضَّرَ اللهُ امْرءًا سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**»[2]، ومعنى قوله: «**نَضَّر الله امْرءًا**»: دعاء للمرء الذي ينقل ما سمع بأن ينضر الله وجهه يوم يقوم الأشهاد، وهذا فيه الفضل العظيم بالنضرة يوم يُلقّى الناس كتابهم باليمين وآخرين يُلقّون كتابهم بالشمال.

لا شك أن الدعوة إلى الله ﷻ امتلأت بها النصوص في الكتاب والسُّنَّة بالحث عليها، وبطلبها، وبجعل العلماء هم حملة هذه الدعوة بعد الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه.

ولا شك ـ أيضًا ـ أن الدعوة فضلها عظيم عظيم، فكما أنها واجب على الكفاية على مجموع الأمة، ففضلها بعد فضل الواجب، فضلها أعظم، وفضلها أكبر، من جهة تتابعه، ومن جهة عدم انقطاعه، ولهذا صح عنه ﷺ، أنه قال: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**»[3]، يعني: إذا اتبعه واحد، فله مثل أجره، إذا اتبعه ألف، فله مثل أجره... وهكذا إلى أن تقوم الساعة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٥٦)، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه (٢٣٠).
(٣) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).

وصح عنه أيضًا ﷺ ـ كما في مسلم وفي غيره ـ أنه قال: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»(١).

وأيضًا فيه أنه ﷺ قال: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا»(٢)، وهذا كله فيه أن الداعية إلى الله ﷻ يُضاعف أجره؛ من حيث أن كل متأثر بهذه الدعوة الصحيحة التي دعا إليها الداعي، فسمع مقالة النبي ﷺ فوعاها، فأدَّاها، وبلَّغها، فإن له من الأجر مثل أجور من اتَّبعه؛ لهذا قال ﷺ لعلي ﷺ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»(٣)، وهذا كله فضل عظيم وكبير كبير.

ومن الاستطراد أن العلماء لما بحثوا مسألة إهداء القرب، إهداء الثواب بعد العمل، بحثوا مسألة إهداء الثواب للنبي ﷺ، وكان الأكثرون والمحققون على منع جواز إهداء الثواب للنبي ﷺ؛ لأنه ﷺ هو الذي دعانا إلى هذا الخير، وهو الذي هدانا: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢]، وهو الذي أرشد ﷺ، ودل وهدى، فله حينئذ أجر من اتبع، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، فكل من عمل عملًا صالحًا من أمة الإسلام، فللنبي ﷺ مثل هذا العمل؛ كما قرره العلماء في شرح العقائد، وذلك لتحقيق أن من دعا إلى شيء من الهدى ودين الحق، فله مثل أجر فاعله، هذا مِنَّة من الله ﷻ وتكرُّم.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٩٣).
(٢) أخرجه مسلم (١٠١٧).
(٣) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦).

ومن باب التطبيق خذ ـ مثلًا ـ إذا دعوت إلى الله ﷻ في تصحيح العقيدة، وتصفية القلوب من أن يكون فيها مقصود معظم تعظيم العبادة لغير الله ﷻ، وكل ما صلح من العمل بسبب هذا الإخلاص؛ فإن لك مثل ذلك الأجر، وهكذا من علَّم الناس القرآن، فأحسنوا تلاوته، أو صلوا بالناس به، أو قرؤوه، فللمعلم أو للداعي لذلك مثل أجر من اتبعه وعلمه، وكذلك من دعا إلى الصلاة، وأمر بها، حضَّ عليها أهله وأولاده ومن حوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢]، فله مثل أجر هذا.

من هدى رجلًا إلى الاستقامة على الدين، بعد أن كان غير مستقيم، فحصل له من الخير والصلاح والعبادة بسبب هذه الهداية، فله أجر مثل أجر من عمل بما دعا إليه....، وهكذا في أمور العبادات وأمور الدين كلها.

وهذا يبين لك أننا إذا لم نكن دعاة إلى الله ﷻ، فنحن تخلفنا عما فيه مصلحتنا في ديننا وفي آخرتنا؛ لأن الداعي إلى الله ﷻ له هذا الفضل العظيم، الذي لا يوصف، ولا يحد له حد، فكيف ـ إذًا ـ بحال الأنبياء الذين هدوا أقوامهم إلى تفاصيل الهدى؟ لا شك أن رتبهم ستكون أعلى وأعلى؛ ولهذا لا يمكن أن يكون أحد من أمة نبي، ويكون مقامه أعلى من مقام ذلك النبي؛ كما يزعم طائفة من غلاة المتصوفة بأن الولي قد يبلغ مرتبة أعظم من مرتبة النبي، وهذا لا يمكن؛ لأن الولي كلما فعل وعمل عملًا، فإن مثل أجره يكون للنبي، بل إن كرامة الولي هي في الحقيقة صلة لما أعطى الله ﷻ ذلك النبي، وهكذا في أنواع شتى تدلك على أن هذه الشريعة، وهذا الدين ـ قولًا وعملًا ـ حض على أن نكون دعاة إلى الله ﷻ.

إذا تبين ذلك، **فكن داعيًا إلى الله، كن داعيًا إلى الله** ﷻ، حاملًا هم هذه الدعوة، إذا كنت في بيتك، أو في عملك، أو كنت في السفر، أو كنت في الحضر. إذا كان معك هذا الهم في نشر دين الله ﷻ، وفي أن تكسب مثل هذا الأجر العظيم، فإن الهم والدعوة لن يفارق ذلك صاحبه.

لكن أريد أن أكون داعية، فهل لي ذلك؟

على كل حال، العلماء قالوا: إن الدعوة ثانيًا، والعلم أولًا، لا بد من العلم ثم الدعوة.

لكن هل العلم معناه أنك لا تكون داعية، إلا إذا صرت عالِمًا من العلماء المبرزين؟ ليس كذلك، وإنما معناه ألا تدعو إلى شيء إلا إذا علمته بأصله ودليله، أو من كلام أهل العلم عليه، إذا لم يكن ثم دليل على ذلك.

فإذًا الدعوة لا بد أن يسبقها العلم، والعلم مجزأ، العلم لا يمكن أن يكون الناس فيه مرتبة واحدة، حتى العلماء درجات، حتى العلماء مقامات، بعضهم أعلم من بعض، وبعضهم أفقه من بعض، تارة في كل المسائل، وتارة يكون عالمًا أعلم من العالم الآخر في شيء من علوم الشريعة. وهكذا من أراد أن يدعو، فإنه يدعو، لكن لا بد أن يتعلم ما يريد أن يدعو إليه.

فإذا أراد أن يدعو إلى التوحيد، وإلى إخلاص القصد والوجه لله ﷻ، وتبرئة القلب من الأغيار، ومما يدخل فيه قصدًا وإرادة غير الله ﷻ، فإنه لا بد أن يتعلم هذا الأصل العظيم، ألا وهو التوحيد والعقيدة؛ حتى يدعو إليه.

إذا أراد أن يدعو إلى ترك الكبائر، وإلى اجتنابها، والنهي عنها،

فلا بد أن يتعلم هذا الذي يدعو إليه؛ لأنه لو لم يتعلم، فربما دعا، وزاد في شيء من عند نفسه، وهنا لم تكن الدعوة موافقة للسُّنَّة؛ لأنه ﷺ قال: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى»، والهدى من أين نستقيه؟ نستقيه من كتاب الله ومن سُنَّة رسوله ﷺ.

وهكذا من أراد أن يدعو إلى فضائل الأعمال، أو أن يعظ الناس بمواعظ، لا بد أن يتعلم ذلك؛ لئلا يدخل في شيء من الوعظ يخالف الأصل الشرعي، مثل ما كان في القرون الأولى، صار هناك أناس يدعون إلى غير طريقة الصحابة والتابعين في الزهد، فصار لهم طريقة خاصة توسعت، توسعت بعد ذلك، حتى صارت طرقًا؛ لأنهم لم يتعلموا قبل أن يدعوا، تغلب عليهم العبادة وحب الخير، لكنهم لما لم يتعلموا، ظنوا كل طريقٍ فيه خير، فهو طريقٌ صحيح، هذا ليس كذلك.

ابن مسعود رضي الله عنه أتاه أحد تلامذته، فقال له: **يا أَبَا عبد الرحمن إني رأيت في الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ، ولم أَرَ - وَالْحَمْدُ للهِ - إلا خَيْرًا. قال: فما هو؟ فقال: إن عِشْتَ فَسَتَرَاهُ. قال: رأيت في الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ في كل حَلْقَةٍ رَجُلٌ وفي أَيْدِيهِمْ حَصًا، فيقول: كَبِّرُوا مِائَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فيقول: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً. قال: فَمَاذَا قُلْتَ لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ، أو انتظار أَمْرِكَ. قال: أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أن يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ وَضَمِنْتَ لهم أن لَا يَضِيعَ من حَسَنَاتِهِمْ، ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا معه، حتى أتى حَلْقَةً من تِلْكَ الْحِلَقِ، فَوَقَفَ عليهم، فقال: ما هذا الذي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟! قالوا يا أَبَا عبد الله حَصًا نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ. قال: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أن لَا يَضِيعَ من حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيْحَكُمْ يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ما أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ!!! هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ،**

وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لم تَبْلَ، وآنيته لم تُكْسَر، وَالَّذِي نَفْسِي بيده إنكم لعلى مِلَّةٍ هِيَ أهدى من مِلَّةِ مُحَمَّدٍ، أو مفتتحوا بَابِ ضَلَالَةٍ. قالوا: والله يا أَبَا عبد الرحمٰن ما أَرَدْنَا إلا الْخَيْرَ. قال: وَكَمْ من مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ إن رَسُولَ اللهِ ﷺ حدثنا أَنَّ قَوْمًا يقرؤون الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وأيم اللهِ، ما أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ. فقال عَمْرُو بن سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يوم النَّهْرَوَانِ مع الْخَوَارِجِ»[1].

وهذا يدلك على أن أنواع الدعوة ـ سواء كان إلى أعظم شيء، ألا وهو التوحيد، أم إلى فضائل الأعمال ـ إذا لم تنضبط بضابط العلم الصحيح المستقى من كتاب الله أو من سُنَّة رسوله ﷺ، فلا بد وأن يحدث الافتراق في الأمة؛ كما حصل فعلًا، ما حصل الافتراق لأجل نقص العلم، ولكن حصل الافتراق لأجل الجهل والبغي، ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ [البينة: ٤]، وقال ﷻ أيضًا في سورة الشورى مبينًا أنهم تفرقوا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم، وفي آيات كثيرة.

إذًا فنقول: **كن داعيًا**. ومعنى ذلك: كن متعلمًا العلم الشرعي، الذي يساعدك في الدعوة إلى الله ﷻ، لا يطلب من كل مسلم أن يتعلم بحيث يكون طالب علم، وأن يحفظ، وأن يفهم، ويقرأ كثيرًا، ونحو ذلك، لا يطلب منك ذلك، وإلا فإنه لا يمكن أن يقوم الناس بالدعوة، أو نقول: يسد باب الدعوة، إلا من نفر قليل، وهذا ليس هو المقصود من ذلك، لكن تعلم، ثم علِّم، وادع إلى الله ﷻ، وهذا نبَّه عليه النبي ﷺ بقوله: **«نَضَّرَ اللهُ امْرءًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَحَفِظَهَا فَأَدَّاهَا كَمَا**

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه (١/ ٢٨٦).

سَمِعَهَا»، لاحظ: (سمع)، هذا فيه تلقي العلم، (فوعى) فيه فهم العلم، فوعاها فأداها كما سمعها دون تغيير، دون اجتهادات، دون زيادات، **«فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»**[1]، هام، إما يلقي الكلام الداعية، أو أن تلقي الكلام، أو ربما تدعو، أو تنصح، أو تبين.

استعدادات الناس تختلف، فمنهم من يتأثر بهذه الدعوة المبنية على العلم أعظم أثر، ومنهم من هو متوسط، ومنهم من هو دون ذلك، فلا تقل - إذا كنت داعية - لا تقل: لم يتأثر أحد، هذا ليس من شأننا ألبتة: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

نوح عليه السلام، كم مكث في قومه؟ ألف سنة إلا خمسين عامًا، وهذه المدة ذكرت في أي سورة؟ في سورة العنكبوت، مدة مكث نوح عليه السلام، هذه المدة الطويلة ذكرت في سورة العنكبوت فقط، لماذا؟ لأن موضوع سورة العنكبوت هو الفتنة التي يفتن الله بها الناس؛ كما قال عز وجل، في أولها: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٢، ٣]، موضوع السورة في الفتنة، بدأها بذكر فتنة الإنسان بوالديه، وهما يدعوانه إلى الشرك بالله عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت: ٨].

الفتنة بالمنافقين، ذكر قصة نوح عليه السلام في آيتين: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت: ١٤، ١٥]،

---

(١) سبق تخريجه.

لماذا قصة نوح ﷺ تأتي في آيتين في هذه السورة؟ ما القصد من ذلك؟ ما العبرة؟

العبرة أن من يدعو أو من يهدي الناس يفتتن بالمدة الطويلة.

موضوع السورة الفتنة، نوح ﷺ رسول، أول الرسل، من أولي العزم من الرسل، مؤيد من الله ﷻ، ألف سنة إلا خمسين عامًا، الحصيلة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود: ٤٠].

فإذًا كنت داعية، لا تنظر إلى أن الناس اهتدوا، أو لم يهتدوا، نفعت دعوتك، أو لم تنفع، أثرت، أم لم تؤثر، ولكن أصلح قلبك؛ حتى يصلح قولك وعملك، ثم ادع إلى ما أمر الله ﷻ أن يدعى إليه، ثم تذكر: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

الناس في المقام الواحد يختلفون، تجد شخصًا بعد أن يُدعى، أو يلقى عليه شيء، أو نحو ذلك، يذهب متأثرًا بالقوة، ويبدأ يعمل إما في العلم، أو في تصحيح التوحيد والعقيدة، أو في العمل، أو في المحافظة على الفرائض، أو اجتناب الكبائر والمنهيات، أو...أو...، وبعضهم يكون أقل، وبعضهم يكون أقل.

إذًا في الدعوة - إذا كنت داعية - فلا بد أن تعلم أن قبول الناس للدعوة مختلف، لكن الله ﷻ يمن على من يشاء من عباده.

آية في سورة الرعد عجيبة، وهي قوله ﷻ: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد: ٤]، من

الأقوال في تفسير هذه الآية أن الله ﷻ يبين دلائل صنعه وربوبيته، يقول: إن الأرض واحدة متجاورة، والماء واحد، يسقى بماء واحد، ولكن الطعوم مختلفة، ففي هذه دلالة على أنه ﷻ الواحد الأحد[1].

ولكن الحسن البصري رحمه الله - وهو البصير - قال: هذه الآية مثل ضربه الله ﷻ للناس؛ إذ يتلقون الوحي أو الدعوة، وهم متقاربون كتقارب الأرض وتجاورها، لكنهم بعد نزول الوحي - الذي يشبه بالماء - يتفاوتون في الأكل[2]، ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤]؛ لأن الأمر الأول هذا ظاهر بين الدلالة على الربوبية، والدلالة على الوحدانية، لكنه في قوله ﷻ: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ما يدل على أن الناس متفاوتون في ذلك، وهذا هو الصحيح، وهذا التفسير هو الصحيح؛ كما قال ابن كثير رحمه الله، وتفسير الحسن حسن في هذا المقام؛ لأنه فيه دلالة على شيء.

فإذًا: المسألة أنك إذا كنت داعية، فانظر إلى تأسيسك، ولا تنظر إلى الناس من جهة هل استجابوا أم لم يستجيبوا؛ لأنه النظر في الاستجابة أو عدم الاستجابة هذه قد تؤدي إلى انحراف، وذلك الانحراف من جهة أنه سيقول: الناس لم يستجيبوا؛ لأن ربما ما قلته لهم لا يناسبهم، فيأتي ويبتدئ طرقًا جديدة وأشياء محدثة؛ ليؤثر عليهم، وربما استجاب لهذه الطرق المحدثة بعض من يدعوهم، لكن يقع الانحراف، ولا تكون الدعوة حينئذ على هدى وعلى وفق الكتاب والسُّنَّة.

كن داعيًا إلى الله ﷻ، وأعظم ما يدعى فيه إلى الله ﷻ، أعظم ما يحب الله ﷻ، وهو أن يوحد العباد ربهم في أفعاله وفي أفعالهم.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٥٠١).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (٩/ ٢٨٣).

الرسل اجتمعت على دين واحد، ألا وهو دين الإسلام، وهذا الدين الواحد: تصحيح التوحيد، العقيدة الحقة، التي اشتملت عليها رسالات الأنبياء، هذا الدين الواحد هو أعظم ما يحبه الله ﷻ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

هذا الإسلام الواحد هو الذي جاء به آدم عليه السلام، وهو الذي جاء به نوح عليه السلام، وهو الذي جاء به إبراهيم عليه السلام، ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

الإسلام عقيدة، الإسلام توحيد، دين، جميع الأنبياء ذلك، تختلف شرائعهم التفصيلية، ولكن الدين واحد؛ الصحيح أنه ﷺ قال: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ: دِينُهُمْ وَاحِدٌ شَتَّى**»[1].

إذًا كل رسول يدعو إلى تصحيح هذا الدين، وهكذا كل متبع لهؤلاء الرسل، فلا بد أن يكون داعيًا إلى هذا الأصل الأصيل، وهو الإسلام.

ما هو الإسلام؟ هو الاستسلام لله بالتوحيد، الإسلام العام الذي جاءت به كل الرسل هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، هذا الإسلام الذي يدعى إليه، فلا بد من التوحيد، ولا بد من الانقياد والطاعة، ولا بد من تعليم الناس الولاء والبراء في دين الله ﷻ.

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٣٧)، وإسحاق بن راهويه (١/ ١٢٤)، وابن حبان (١٥/ ٢٣٣).

الولاء: الحب، حب الدين، حب الله، حب رسول الله ﷺ، حب أهل التوحيد، حب أهل الدين.

البراء: بغض الكفر، بغض الشرك، بغض عبادة غير الله ﷻ، وهكذا.

إذًا فأعظم ما يدعى إليه: التوحيد، والعقيدة الصحيحة، والسُّنَّة، واتباع النبي ﷺ.

إذًا **كن داعيًا** إلى توحيد الله، **كن داعيًا إلى** سُنَّة نبيه ﷺ وإلى الإيمان به، وهذا هو ما أوصى به نبينا ﷺ معاذًا رضي الله عنه حين قال له: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وأنّ محمدًا رسولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوك لِذَلِكَ** - يعني: فإن هم وحدوا الله - **فَأَعْلِمْهُمْ أَنّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ**»[1].

إذا كنت ستدعو إلى هذا الأمر العظيم، فلا بد أن تتعلمه.

هنا **كن داعيًا**، تدعو من؟ تدعو من يحتاج إلى الدعوة، بعض المسلمين عنده قدرة على أن يدعو غير المسلمين باللغة العربية، وآخر عنده قدرة على أن يدعو غير المسلمين باللغة الإنجليزية، أو باللغة الفرنسية، أو باللغة الأوردية، أو باللغة المالوية، أو باللغة التايلندية، أو باللغة الفلبينية، أو باللغة اليابانية...، أو بأي لغة، عنده قدرة، أعطاك الله ﷻ هذه القدرة، وامتن عليك بها، **كن داعيًا إلى الله** بعد العلم بما أعطاك الله ﷻ.

آخر عنده أسلوب في الدعوة يصلح في شيء ما، **كن داعيًا** فيما أعطاك الله ﷻ، آخر أعطاه الله العلم، يكون داعيًا بما أعطاه الله ﷻ،

(١) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

لا يمكن أن نقول للناس: لا بد أن تكونوا على مرتبة واحدة، وعلى طريقة واحدة، وأن يكونوا على نسق واحد، لا يختلفون. ليس كذلك، المهم سلامة المنهج في الدعوة إلى الله ﷻ، وفهم الكتاب والسُّنَّة في أمر الدعوة، أما الاستعدادات، فما أعطى الله ﷻ المسلم منها، فعليه أن ينطلق في الدعوة بما أعطاه الله ﷻ من ذلك.

الداعية إلى الله ﷻ لا بد أن تظهر عنده مواقف ومشكلات، ولا بد أن يواجهه أشياء: إما علمية، وإما عملية، لا تتوقع أنك إذا كنت داعيًا أنه لن تواجهك مشكلة علمية، لا تعرف كيف تخرج منها، أو مشكلة عملية، أو مشكلة دعوية، أو علاقات... إلى آخره، أو مواجهات مع الآخرين، فما المرجع في الدعوة؟ لا بد من معرفة المرجع في الدعوة إلى الله؛ لأنه إذا لم تحدد المرجع في دعوتك من أول الطريق، فإننا سنفترق في الدعوة، ولا بد. وهو الذي حصل في الأمة، أنه لما غابت المرجعية في الدعوة، وكذلك في العلم، حصل التفرق، وبعد التفرق حصلت البغضاء، وبعد البغضاء ربما حصل ما هو أشد من ذلك من قذف الأمة بعضها بعضًا، أو ربما حصلت المقاتل؛ كما هو معلوم.

ألم يتقاتل المسلمون؟ تقاتلوا، وتارة يكون كل يدعي أنه على الحق، لكن لا بد من مرجعية، ما المرجع؟ لا شك أن المرجع هو كتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ، وعمل السلف الصالح، وكلام أئمة الإسلام الذين أجمعت الأمة على الثناء عليهم، هذا مرجع مطمئن، واضح، بيِّن، لا لبس فيه ولا غموض، ويسهل أن تقنع نفسك به، وأن تقنع الآخرين به: قال الله، قال رسوله، على هذا كان السلف الصالح، هذا الذي عليه أئمة الإسلام، الذين أجمعت الأمة عليهم.

إذًا فنحن مع هؤلاء الركب، لا نتخلف عنهم، وهؤلاء هم السفينة التي من ركبها سلم، ومن تخلف عنها غرق.

هذا يسميه بعض المعاصرين: مصدر التلقي، مصدر التلقي ما معناه؟ معناه: المرجعية في الدعوة إلى الله، ما مصدر تلقينا في الدعوة؟ هذه الأمور: الكتاب (قال الله)، السُّنَّة (قال رسوله ﷺ)، الصحابة (هدي السلف الصالح)، كلام الأئمة (أئمة الإسلام الذين أُجمع على أنهم من أئمة الإسلام واشتهر مقام الصدق فيهم).

إذًا مصدر التلقي إذا أردت أن تكون داعيًا، فلا بد أن يتضح لك المرجعية، إذا لم تتضح لك المرجعية، فسيكون هناك في مواجهات الأمر العملي، لا بد أن يكون هناك اجتهادات، ستجتهد، وتجتهد، وتجتهد بلا علم، وبلا مرجع، فحينئذ ستكثر الخلافات والانحرافات في الدعوة.

الدعوة فيها اجتهاد، لا بد من جهة العمل فيها اجتهاد، لكن إذا كان مصدر التلقي واحدًا، والمرجعية واحدة، فإن الخلافات ستقل، ولن تكون في الأمور المهمة، ستكون في الأمور غير المهمة.

كن داعيًا إلى الله ﷻ على منهج الأنبياء في البداءة بالأهم فالمهم، منهج الدعوة حدده النبي ﷺ بقوله: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأنّ محمدًا رسولُ اللهِ**»[1]، أو «**إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ**».

إذًا منهج الدعوة فيه ترتيب: ما الحاجة؟ ما الذي يحتاجه الناس في الدعوة؟ فتجعل الأولوية متجهة إلى ما يحتاجه الناس، فإذا كان الناس عندهم انحراف في توحيد الله ﷻ، فيُجعل هذا هو الأولوية،

(١) سبق تخريجه.

ويركز عليه، والأمور الأخرى تكون تبعًا لذلك، لا تُترك، ولكن تكون تبعًا، إذا كان الناس على توحيد، لكنهم عندهم غفلة، تفريط في الفرائض، ارتكاب لبعض المنهيات، إقدام على الشهوات، تساهل في هذا، فيدعون ويوعظون بما نقصهم.

لهذا رسالات الأنبياء بالاتفاق أنها كانت جميعًا تدعو إلى التوحيد، وإلى تحقيق الإسلام، لكن نجد بعض الأنبياء لم يذكر الله ﷻ عنه تفصيلًا أنه دعا إلى التوحيد، مثل من؟ مثل لوط ﷺ، كل ما في القرآن عنه أن الله ﷻ أمره، فقال لوط ﷺ لقومه في النهي عن كبيرة إتيان الرجال ـ والعياذ بالله ـ، وأيضًا قطع السبيل:

﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، وأيضًا: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، وأيضًا: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأعراف: ٨١]، لكن ما ذكر أنه دعا للتوحيد، لكن هل هو ما دعا له؟ دعا إلى ذلك؛ لأن هذا هو الأصل، لكن كانت هذه هي الفاشية، وهي الموجبة لغضب الله، فنص الله ﷻ عليها، وإلا فالجميع مشتركون في ذلك.

إذًا: فأولويات الدعوة تكون بحسب الحاجة إلى ذلك، لكن لا يأتي قائل، ويقول: إذا رأينا الحاجة مثلًا في الدعوة إلى بيان أمر من أمور الشريعة، فمعنى ذلك أن لا ندعو إلى الأصل، ألا وهو التوحيد والسُّنَّة؟! لا، ذاك الأصل لا بد أن يكون مستصحبًا، وأن يتعرض له الداعي في أي حال، تثبيتًا له، وتأكيدًا، وتذكيرًا للنفوس به.

المسائل نوعان: مسائل علمية، ومسائل عملية.

أما المسائل العلمية، فيتعرض لها، ويعترض لها النسيان، فالمسائل العلمية تنسى.

والمسائل العملية هي بحسب العمل، إن تتابع الناس بالعمل بها، لم تنسَ، وإن تركوها، نسيت.

مثلًا الأمة في تاريخها لم تترك الصلاة، لكن الأمة في تاريخها حصل لبعض هذه الأمة أنهم لم يتركوا الصلاة، ولم يتركوا الصيام؛ لأن هذه أمور عملية، يتتابع فيها، ويتربى الناس، لكنهم نسوا وجهلوا العلم بالتوحيد والعقيدة الصحيحة والسُّنَّة، فوقع منهم ما وقع.

لهذا نقول: الأمور العلمية يؤكد عليها، ويؤكد؛ حتى لا ينساها الناس، وأول ما وقع الشرك في قوم نوح، والابتلاء بالصور المعظمة والتماثيل ونحو ذلك، قال ابن عباس - كما في صحيح البخاري -: «... **حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ**»[1]، لاحظ نسيان العلم، العلم لا يبقى، العلم ينسى، إذًا فلا بد من ترتيب الأولويات.

كن داعيًا إلى الله ﷻ، معك وسيلة الدعوة، لا يمكن للداعي أن يدعو بلا وسيلة، لا بد أن يكون معه سلاح، لا بد أن تكون معه وسيلة، لا بد أن يكون معه ما يَعْرِضه في دعوته، كيف؟

الناس منهم طلبة علم، يمكن أن يدعو بما يحفظ، حفظ الكتاب أو شيء منه، حفظ السُّنَّة أو شيء منها، حفظ وعلم، فهو سيدعو بما آتاه الله ﷻ، آخر يحتاج إلى أن يكون معه السلاح من الكتب والأشرطة، والنشرات، الكتيبات، تكون معك في كل حال، كتيبات باللغة العربية فيما يدعى الناس إليه ويرشدون، كذلك باللغات الأخرى، إذا أردت أن تكون داعية، ونؤكد، ونقول: **كن داعيًا**، واحرص على ذلك في كل مقام، اجعل معك السلاح دائمًا، معك في حقيبتك، في سيارتك.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٠).

ربما تأتي تريد مثلًا أن تأخذ بنزينًا، أليست هناك فرصة للدعوة؟ فرصة: هذا كتاب، وهذا شريط، ولكن إذا لم يكن معك، فكيف سيبقى أثر هذه الدعوة؟! يكون معك كتاب نافع من الكتب المأمونة، يكون معك شريط نافع من الأشرطة المأمونة، التي صدرت عن علم صحيح، أو بأسلوب جيد يوعي الناس، لا تتوقع ماذا سيكون الأثر، فتذهب، ولكن الأثر عظيم.

ليكن معك دائمًا سلاح الدعوة، ليكن معك ما تحفظ من الكتاب والسُّنَّة، ليكن معك ما هو موجود من الكتب والرسائل والأشرطة؛ لهذا وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد نظمت معرضًا، هو المعرض الأول في المنطقة الشرقية، بدأ يوم السبت الماضي، عنوانه: (**كن داعيًا**) المعرض الأول لوسائل الدعوة، فيه السلاح، ما نستطيع أن نجعل الناس جميعًا، نؤهلهم للدعوة، لكن نوفر لهم هذا السلاح، كتب بجميع اللغات، أشرطة مختلفة، فيه شيء لغير المسلمين، بلغات مختلفة للمسلم، للشاب، للمرأة، للطفل، للكبير، للصغير... إلى آخره.

ليكن مع الرجل، مع الأم، مع الوالد، مع الذي يتنقل، مع المسافر، حتى إن بعض الأخوة هناك عملوا حقيبة مقسمة إلى اثني عشر قسمًا أو أكثر، وكل قسم عليه عنوان، ماذا في داخل هذا القسم؟ حقيبة تحمل، وفيها الكتب والأشرطة بلغات مختلفة.

نريد أن نقول: إن هذا تقوية؛ ليكون معك السلاح، وسيكون في جدة - إن شاء الله تعالى - هذا المعرض في هذه السنة بإذن الله تعالى.

إذًا فلا بد من أن يكون معك السلاح، بحسب الدعوة التي تريد، أما أن نقول: الدعوة ضعيفة، أين الدعاة؟ والواحد منا ما يحمل كتابًا ولا يحمل شريط دعوة يهديه ويبذله، فالقصور منا، وليس القصور من

الوسائل، الوسائل ـ ولله الحمد ـ المأمونة في هذا البلد الطيب المبارك، موجودة وافرة لمن أراد.

كن داعيًا إلى الله ﷻ، لا تريد بدعوتك إلا وجه الله ﷻ. أخطر شيء على الإخلاص ميدان الدعوة، ميدان الدعوة ميدان شهرة، وميدان ذكر، وميدان بروز لبعض الناس، فلذلك هو أخطر شيء من الأعمال الصالحة، أخطر شيء على الإنسان فيما يصرفه عن الإخلاص مثل التصدر للتعليم.

فلهذا إذا أردت أن تكون داعية، فنبه نفسك دائمًا على الإخلاص والصدق في ذلك، وأنك لا تريد بدعوتك خدمة لنفسك، أو لحزب، أو لطائفة، وإنما تريد أن تهدي الخلق إلى ربهم ﷻ، وأن يستقيموا على طاعة الله ﷻ.

عنْ أَبِي قِلَابَةَ، أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ قَدْ أَصَابَ ذَنْبًا، فَكَانُوا يَسُبُّونَهُ، فَقَالَ: **«أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَجَدْتُمُوهُ فِي قَلِيبٍ أَلَمْ تَكُونُوا مُسْتَخْرِجِيهِ؟»**، **قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «فَلَا تَسُبُّوا أَخَاكُمْ وَاحْمَدُوا اللهَ الَّذِي عَافَاكُمْ»، قَالُوا: أَفَلَا تَبْغَضُهُ؟ قَالَ: «إِنَّمَا أَبْغَضُ عَمَلَهُ، فَإِذَا تَرَكَهُ فَهُوَ أَخِي»**[(١)].

اللوم لمن وقع ليس أسلوبًا مصيبًا دائمًا، الدعوة تحتاج منك إلى أن تنتشل وتنقذ، ثم بعد ذلك تذكر بسوء ما كان عليه الناس؛ لذلك يكون أثبت، كان الصحابة يتذاكرون أمرهم في الجاهلية، لماذا؟ ليس من جهة اللوم، ولكن من جهة أن يكون عندهم استمساك أكثر بالإسلام دين الله ﷻ.

---

(١) أخرجه أبو داود في الزهد (١/ ٢١١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩/ ٦٣)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٢٥)، وأحمد في الزهد (١/ ١١١).

الوصية لي ولكم جميعًا أن نحرص على توطين أنفسنا على الدعوة إلى الله ﷻ.

المرأة الصالحة المرأة المسلمة عليها مهمة عظيمة في أن تدرب نفسها على ميدان الدعوة إلى الله ﷻ، هل ميدان الدعوة بين النساء هو بين الصالحات، أو بالتعبير الدارج بين الملتزمات؟ ليس كذلك، الأمر أوسع من ذلك، لكن الأسلوب والسلاح، والله ﷻ من أراد هدايته، فسيهديه إلى صراط مستقيم.

المرأة عليها واجب كبير في الدعوة إلى الله ﷻ؛ لذلك لا بد أن تكون ـ كما ذكرنا ـ متسلحة بالعلم، معها السلاح، عندها البذل في ذلك، بحسب محيطها الذي تعيش فيه.

الرجل أيضًا يعود أهله، يُعَوِّد أبناءه الصغار على أن يحملوا همّ هذه الدعوة، لكن بما يناسبهم، بطرقهم.

الدعوة إلى الله ﷻ لا بد أن تكون بحسب ما يفهمه الناس، لا بحسب ما يريد الإنسان: «**حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ**»[1]، إذا دعوت رجلًا كنت أو امرأة إلى ما تريد أنت بدون معرفة حال الناس، أو كيف استعدادات الناس، وما يحتاجونه، وكيف يتقبلونه، وما الأشياء المؤثرة عليهم، فإنما تحدث نفسك. لا بد أن تنزل.

لذلك تجد بعض العلماء يؤلف مؤلفات غاية في الجودة، وفيها قوة لفظية وقوة علمية، ويصنف مصنفات سهلة جدًا، لماذا؟ النووي رحمه الله ألَّف (المجموع شرح المهذب) في فقه الشافعي، وألَّف كتبًا، وألَّف (رياض الصالحين)، رياض الصالحين أجمعت الأمة على حسنه، وعلى

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٧).

تداوله بعده، لكن الكتاب لمن؟ هل هو للعلماء؟ للجميع؛ لأنه عرف ما يحتاجه الناس بجميع طبقاتهم، فكتب.

بعض العلماء تجد في بعض رسائله العبارات الشرعية القوية، وفي بعض رسائل أخرى تجد عبارات عامية، مثل ما استعمل إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في بعض الرسائل، فيها كلمات عامية، هل هو قصور في فهم اللغة؟ لكن لأن هذه الرسائل ـ ورقتين ثلاثًا ـ ستذهب للناس، فيخاطب العوام بقدر ما يستوعبون.

أحد العلماء أتاه رجل، فقال له: «آية أسمعها دائمًا، ولكن ما عرفت معناها». قال ـ هو من علماء الرياض قديمًا ومن آل الشيخ رحمهم الله ـ قال: (وما الآية يا ولدي؟ قال: قال عز وجل: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾ [الفرقان: ٧٧]) يمكن كثير من الأخوة ما طالع تفسيرها ـ، العالم ماذا قال له؟ ربما يأتي أحد، ويقول: عبأ، يعبأ، وهذه معناها: كذا، وأصلها، وقل ما يعبأ بكم ربي لولا، لولا: حرف دخول، كذا، ويبدأ يفسرها كما فسرها علماء التفسير التحليلي في ذلك ـ، لكن قال له باللغة العامية في نجد: «ويش يبيكم؟»؛ يعني: أن الله عز وجل خلقكم لأي غرض، أنا أعبر عنها بالتعبير العربي، لأي غرض؟ إذا لم يكن دعاؤكم وتوحيدكم، ودعوتكم للإسلام، وعبادتكم له وحده لا شريك له، ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي﴾ يعني: أنكم أنتم لا تستحقون لولا الدعاء الصالح، والعبادة، قال: يعني أنكم إذا ما عبدتم الله عز وجل وحده، فما له لزوم فيكم.

أقصد من هذا المثال أن الداعية إلى الله عز وجل ينزل بالمستوى، لا بد أن تنزل باللفظ بالشرح؛ حتى يستوعب الناس الدعوة، أما أن تكون الدعوة في مستوى واحد للجميع، مثل من يحفظ أشياء، ويبلغها دائمًا

بنفس المستوى، ليس الأمر كذلك، لا بد من رعاية الحال والمقام والاستيعاب؛ حتى تؤثر هذه الدعوة.

الطفل الصغير أو من هو في سن التمييز يمكن أن يدرب على الدعوة، الشاب يمكن أن يدرب على الدعوة، المرأة يمكن أن تدرب على الدعوة، الفتاة يمكن أن تدرب على الدعوة، لكن بالأسلوب الذي يصلح.

فمثلًا عندك ولد عنده محبة وفتنة بالكمبيوتر ـ مثلًا ـ وباستعماله، ادخل عليه من مجال الدعوة، وأن يرسل أشياء، ويستقبل أشياء في هذا الميدان؛ لأن هناك شيئًا سيشتغل به، فاجعله يشتغل بما يؤصل فيه هم الدعوة إلى الله ﷻ، وقد جرب هذا، فنجح.

المرأة تكون معها رسائل، أذكار، كتب في السُّنَّة، في ذلك، توزعها، تهديها، تعطيها... إلى آخره في المجال.

الداعي إلى الله ﷻ ـ وهو الختام ـ لا بد له أن يهتم بسُنَّة النبي ﷺ القولية والعملية؛ لأنه إن أخلى نفسه من السُّنَّة قولًا وعملًا، فإنه سينقص من أمره بحسب ذلك.

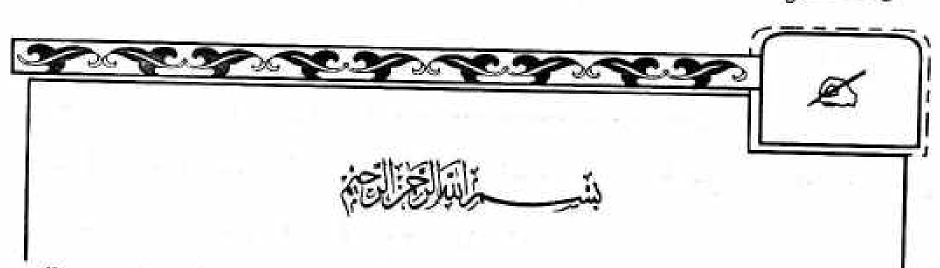
السُّنَّة هي أعظم شيء، السُّنَّة تشمل الواجبات، وتشمل المستحبات، سُنَّة النبي ﷺ الناس يحتاجون إليها، سنته ﷺ في عبادته، سنته في شرابه، سنته في هديه، في مشيه، سنته في أهله، سنته مع صحابته، سنته مع الأعداء، سنته مع العصاة، سنته مع المحتاج للدعوة، سنته مع البعيد، سنته في رسائله، سنته، سنته؛ لهذا ألف ابن القيم كتابًا جامعًا في هذا سماه: (زاد المعاد في هدي خير العباد)، السُّنَّة مهمة جدًا في هذا الأمر.

ونقف عند هذا الحد، والموضوع لا شك أنه ذو شعب، وأنه كثير الميادين.

أسأل الله ﷻ أن يجعلني وإياكم ممن استعمله في طاعته، وصرف عنه الفتن ظاهرها وباطنها، وغفر له ولوالديه، ولأهلينا وذرارينا جميعًا، وجعلنا من المتعاونين على البر والتقوى، اللَّهُمَّ اغفر لآبائنا ولأمهاتنا ولمن له حق علينا، واستعملنا في رضاك، اللَّهُمَّ وفق ولاة أمورنا لما تحب وترضى، واجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى، ولا تخزنا يوم تبعث عبادك، واستر علينا بسترك، واسبل علينا عفوك ورحمتك وعافيتك ومنتك؛ إنك جواد كريم، كثير العطاء، كثير النوال، اللَّهُمَّ فاغفر وأجب، وأنت أكرم مسؤول، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.







محاضرة: كيف بدأ الكتاب؟ لمعالي الشيخ في جدة بمهرجان القراءة للجميع، ومعرض الكتاب السبت ١٤٢٧/٣/١٧هـ

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلِّ اللَّهُمَّ، وسلم، وبارك على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين؛ **أما بعد:**

فإني أحمد الله ﷻ أن هيأ لنا أسباب الخير، وأعاننا على سلوكها، والالتزام بها، ثم أحمده ﷻ على أن حصل هذا الجمع الطيب في هذا المهرجان الذي يشكر من تفاعل معه؛ لأجل أهمية القراءة، وضرورتها للإنسان بعامة، وللمسلم بخاصة، ولا غرو، فإن أول ما أنزل من القرآن الكريم: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]؛ ولهذا فإني أجدني مقودًا إلى مثل هذا اللقاء، ومثل هذه المحاضرة لأسباب عدة:

الأول: أن التكامل، والتعاون واجب من واجبات الشريعة، قال الله ﷻ لعباده: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، ولا يعلم المسلم أين الخير الكامل فيما يتعاون فيه مع إخوانه؛ ولذلك كان التعاون مطلوبًا بغض النظر عما يقدره الإنسان من قوة هذا الموضوع، أو من أثره، فإن الأثر بيد الله ﷻ؛ ولذلك فإن الحرص على التعاون فيما ينفع الإنسان المسلم هذا مطلب، فإذا تعاونًا

جميعًا على تعليمه، وتثقيفه، وإدراكه للعلوم الإلهية، ثم للعلوم الدنيوية النافعة، فإن في هذا تعاونًا على البر، والتقوى.

الثاني: أن الحرص على الكتاب حرص على العلم؛ لأن العلم النافع، بل كل أنواع العلوم إنما تأتي من جهة القراءة، والإعلام هو فرع عما يقرأ، أولًا يكتب، ثم يقرأ، ثم يصاغ مرئيًا، أو مسموعًا إلى آخره، فالقراءة، والكتاب ضرورة، واليوم يلحظ عزوف عن الكتاب، وعن القراءة، وعن التفاعل مع الكتاب، ومعنى ذلك: أن هذا عزوف عن العلم النافع، وعزوف عن الثقافة النافعة، وعزوف عن إدارة الإنسان لنفسه، فإن إدراة الذات ـ أيضًا ـ مطلوبة، ومن معالم إدارة الذات: أن يحرص الإنسان على تعليم نفسه، وعلى تثقيفها، وطريق ذلك القراءة، ونجد أن القراءة اليوم قد تكون للجرائد، والمجلات بصفحات كثيرة، فقد يرى المرء كتابًا ويقول: كيف أقرأ كتابًا مائة صفحة في يوم؟

بينما هو في تصفحه للجرائد، والمجلات يجد أنه يقرأ خمسين صفحة، أو أكثر، ولكن ما نوع القراءة، وما طريقتها؟ واليوم هناك علوم تقول: إن القراءة تكون قراءة سريعة، كما أنها تكون قراءة متأنية، فهناك موضوعات حتى في الكتب تقرأ سريعًا، ولا يلزم أن تقرأ الكتاب كله.

السبب الثالث: أن بيني، وبين الكتاب عشقًا، ومحبة طويلة الأمد منذ كنت صغيرًا، وحرصت على الكتب، وأحببت الكتاب، حتى أنه في مكان نومي لا بد أن يوجد مجموعة كبيرة من الكتب، ولو لم أقرأها فقط لأنظر إليها، وهذا يعرفه الذي يهوى شيئًا ما، ويولع به، فإنه يجد أن بينه، وبينه محبة، وصلة، وتواصلًا يجعله لا يكاد يرضى بمفارقته، والكتاب عنصر من العناصر المهمة في الحياة في تقويم الإنسان نفسه، وفي ازدياد معارفه، وفي صلته بربه ﷻ.

السبب الأخير ـ الأخير مكانة، ولكنه الأول منزلة ـ: أن أعظم الكتب هو القرآن الكريم، ومن عزف عن قراءة الكتب، فقد يعزف عن قراءة القرآن العظيم، ومن أحب قراءة القرآن، فإنه يحب القراءة، والأمر مرتبط بشيء ما بين هذا، وهذا؛ لذلك أحببت أن أشارككم، وأن أشرك المنظمين لهذا المهرجان، ولهذا التفاعل الثقافي في هذا المجمع المبارك ـ إن شاء الله تعالى ـ، أن أشارككم في هذا الموضوع إحساسًا مني بالواجب، ثم صلة علمية بيننا فيما نحب أن تكون فيه الصلة.

الموضوع عن الكتاب، والكتاب من حيث هو سمي كتابًا؛ لأنه جمعت فيه الصحف، أو الكلمات، إما أن يكون جمع الكلمات، فيسمى كتابًا، وإما أن تكون جمعًا لأوراق، وصحف، فتسمى كتابًا؛ لأن مادة كتاب بمعنى مجموع، فكلمة كتب: تعني جمع، والكتيبة سميت كتيبة؛ لأنها تجمع الناس الكثير، والكاتب سمي كاتبًا؛ لأنه يجمع الكلمات، والحروف، وينظمها في سلك واحد، والكتاب ـ أيضًا ـ سمي بذلك؛ لأنه يجمع الكلمات، والصحف[1]؛ ولهذا قبل أن يجمع القرآن في مصحف واحد سماه الله ﷻ كتابًا، فقال ﷻ في فاتحة سورة «البقرة»: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ﴾ [البقرة: ١، ٢]، و«ذلك»: إشارة باللام التي تدل على البعد، «ذا»: اسم إشارة، واللام تدل على البعد، والبعد هنا بعد حسي، وبعد معنوي، أما البعد الحسي، فهو إشارة إلى أن القرآن سيجمع في كتاب بعد حين، وكما هو معلوم أن الذي جمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ هو أبو بكر الصديق ﷺ، ثم جمع الجمع الكبير في عهد عثمان ﷺ، وأما البعد المعنوي، فإنه إشارة باللام للبعد

---

(١) انظر: مادة: «ك ت ب»: مقاييس اللغة (٥/١٥٨)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٤/١٤٧)، وتاج العروس (٤/١٠٠)، ولسان العرب (١/٦٩٨).

المعنوي الذي يدل على رفعة المنزلة، ورفعة الشأن، وعظم المكانة، وهذا، وهذا هو في القرآن العظيم؛ ولذلك القرآن يسمى كتابًا باعتبار كتابته، ويسمى قرآنًا باعتبار إنه يتعبد بقراءته، ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ١].

وهناك بعض الباحثين المعاصرين كتب في أن القرآن غير الكتاب، وقال: إن الكتاب، والقرآن غاير الله بينهما في قوله: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾؛ فمعناه: أن الكتاب شيء، والقرآن شيء آخر، ولكن هذا غلط من جهة اللغة، ومن جهة الحقيقة الشرعية؛ لأن القرآن هو الكتاب، فإذا نظر إلى كونه مقروءًا متعبدًا بقراءته، وتلاوته، فيسمى قرآنًا، وإذا نظر إلى كونه مجموع الأوراق، فيسمى كتابًا، وإذا نظر في أنه من صحف يسمى مصحفًا، وتعدد الأسماء تدل على شرف المسمى، وعلى علو صفاته، وتنوعها.

العرب لم يكونوا يعرفون الكتاب من حيث هو مجموع فيه موضوعات، وإنما ابتدأت معرفتهم بالكتاب بالقرآن العظيم؛ ولذلك كانت سمة القرن الأول الهجري: أن الكتابات التي يكتبها الناس تكون في ورق، أو في صحف في جلد، أو ما أشبه ذلك، أو في عظام، يجمعونها في عظام الإبل، إذا أكلت يغسلون العظام، وتكون بيضاء، ويكتبون فيها، ثم تجمد، وفي عهد النبي ﷺ كان إذا نزل شيء من القرآن، قال: «اكْتُبُوهُ»، فيُكتب بعضه في جلد، وبعضه في عظام، وبعضه في كذا، وجمعت في صندوق يسمى صندوق المصحف عند عمود في المسجد النبوي معروف إلى الآن، يقال له في ذلك الوقت: «أسطوانة المصحف»، ثم لما جاء في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه جُمعت، ورتبت - كما هو معلوم - بحسب العرضة الأخيرة التي عرض فيها النبي ﷺ على جبريل عليه السلام في السنة الأخيرة قبل وفاته ﷺ.

ابتدأ العلم بالصحف، والكتابة، وكيف تُكتب، فكُتبت أحاديث النبي ﷺ، ثم كُتبت بعض الخطب، ثم كُتبت بعض الأوامر الأميرية من أمير المؤمنين، أو من بعض الخلفاء، والرسائل... إلى آخره، وجمعت، إلى أن وصل إلى نهاية القرن الأول، فأمر عمر بن عبد العزيز بجمع السُّنَّة، وقد أمر بذلك محمد بن شهاب الزهري عالم السُّنَّة المعروف، فجمع كثيرًا من السُّنَّة من الناس، من الصحابة ﷺ، والتابعين الذين نقلوا عن الصحابة ﷺ، وكتب ذلك في صحف، وابتدأت حركة تدوين العلم المتصل بالقرآن، أو المتصل بالسُّنَّة في كتب، في صحف تُجمع[1].

وفي القرن الثاني الهجري تنوعت اهتمامات العلماء، فمنهم من يهتم باللغة العربية، ومنهم من يهتم بالتاريخ، ومنهم من يهتم بالسيرة، ومنهم من يهتم بكذا، وكذا، فأصبح كل واحد من أهل العلم يكتب ما اهتم به في مؤلف، وبدأ اسم الكتاب يظهر؛ لذلك الكتب باسم «كتاب فلان»، هذه لم تظهر بصفتها المعروفة إلا في القرن الثاني الهجري، وأما في القرن الأول إنما كانت صحفًا مجموعة في موضوع واحد، مثل: «مغازي عروة بن الزبير»، ومثل: «تفسير ابن عباس»، في ما نقل عنه، وكتبه مثل: عكرمة، وغيره، وأشباه ذلك، ولكن في القرن الثاني تعددت، وكُتِب في التفسير، وفي الحديث، والسُّنَّة، وفي اللغة العربية بأنواعها، وكُتُب كثيرة في ذلك.

ثم في القرن الثالث توسعت، ثم انتشر جدًا، حتى أصبح في آخر

---

(١) انظر: تدوين السُّنَّة النبوية: نشأته، وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري لأبي ياسر محمد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني. دار: الهجرة للنشر، والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

القرن الثاني هناك الآلاف من الكتب في المكتبة الإسلامية في بغداد عند هارون الرشيد رحمه الله.

هذا يعطيك الحركة السريعة خلال قرنين من الزمان، بداية من أنه لا يوجد كتاب في الأمة إلى أنه توجد كتب بالآلاف في نهاية القرن الثاني الهجري، وهذه الكتب ليست من غيرنا، وإنما هي كتب أنشئت من الأمة، بخلاف ما تُرجم من اليونان، وأمر هارون الرشيد بترجمته، فإنه لا يدخل في ذلك، فالكتب التي ألفت كثيرة جدًا، ومن اطلع على كتاب «الفهرس» لابن النديم المتوفى في أواسط القرن الرابع الهجري، فإنه يجد المئات من أسماء الكتب، ومن اطلع على تراجم أهل العلم، فإنه يجد أنهم يذكرون لكل عالم عشرات من الكتب في جميع الفنون.

ومما أثر في حركة الكتاب، وتاريخ الكتاب في الأمة العربية: التنافس الموجود، فكان هناك أنواع من التنافس:

التنافس الأول: التنافس في علوم القرآن الكريم، في القراءة، والقراءات.

فهناك القراءة البصرية، والكوفية، والمكية، والمدنية، والشامية إلى آخره، فابن عامر يقرأ في الشام، وقد ألفت كتب فيما يتعلق بقراءته، وفي رصدها، وكذلك غيره، ثم جمعت هذه في قراءات متنوعة في كتب، وكذلك في تفسير تلك القراءات، ألف عدد في التفاسير في هذا، وتنوعت الكتب في ذلك السبيل.

التنافس الثاني: التنافس بين المدارس المختلفة كان له الأثر في مد تأليف الكتاب، وأيضًا في صناعته، والصراع بين الكوفيين، والبصريين في النحو جعل كلًا منهما يؤلف في تفسير القرآن، وفي اللغة العربية، في النحو، وفي العلل، وغير ذلك.

وكذلك في المذاهب: مذهب أهل الرأي، ومذهب أهل الحديث، والردود بينهما، فإذا نظرت إلى الردود التي حصلت في وسط القرن الثاني فيما بين أهل الرأي، وأهل الحديث، ما بين ربيعة الرأي في المدينة مع الإمام مالك بن أنس الإمام المحدث المعروف، وكذلك ما بين محمد بن الحسن، وما بين أهل الحديث، الردود كثيرة جدًا بين ابن أبي شيبة، وأبي حنيفة، وأشباه ذلك.

حركة الردود الفقهية: كان من ثمرتها أنها تدون في كتب، فنشط الكتاب بسبب هذا التنافس بين الفقهاء، وكذلك هناك التنافس بين أصحاب العلوم النظرية، مثل: علوم الجبر، والهندسة، والمقابلة، والجغرافيا، إلى آخره، وعلم الحيوان، فمن أراد أن يكتب في شيء غريب ليشتهر به، ولينفع به كتب في مثل هذه العلوم إذا كان يجيدها، فلا تكاد تجد بنهاية القرن الثالث الهجري من عنده علم إلا ويدونه في كتاب، وبنهاية القرن الثالث الهجري لا تكاد تجد أحدًا يكتب كتابًا، وهو من أهل العلم، بل الكل كتب كتابًا، إما جزء صغير، وإما كبيرًا، فالكتب الكبار، وهي المجلدات بدأ ظهورها في القرن الثاني الهجري، كما صنف الإمام عبد الرزاق الصنعاني كتابه «المصنف»، وهو موجود في أحد عشر مجلدًا، ثم تعددت الكتب ذات المجلدات الكثيرة، فالكتب ذات المجلدات الكبيرة بدأت في القرن الثاني الهجري، ثم استمرت، وأكثرها ما يتعلق بالقرآن، وبالسُّنَّة، أو باللغة العربية كـ«العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي، وغير ذلك، فكثرت الكتب المتعلقة بهذا.

وفي نهاية القرن الثالث الهجري: أصبحت الكتب ليست في المجلدات فقط، وإنما في عشرات المجلدات، والقصة المعروفة أن ابن جرير الطبري المتوفى تقريبًا: سنة ثلاثمائة وعشرة للهجرة، وقد عاش

أكثر من ثمانين سنة، ستة وثمانين سنة تقريبًا، عاشها للعلم، والكتابة حتى إنه كما ذكر ياقوت في «معجم الأدباء»[١]: أحصي له أنه في كل يوم من عمره يكتب أربعين ورقة؛ أي: قسموا ما تركه من مؤلفات على عدد أيام عمره، فوجدوا أنه يكتب أربعين صفحة يوميًا، وهذا لا شك أنه عمل كبير، وابتدأت المؤلفات الكبيرة.

فابن جرير في قصته المعروفة لما قال لطلابه: «أتنشطون لتاريخ العالم»؟ ما كانوا يعتادون منه أن يقول لهم: «أتنشطون»؟، فمعنى أتنشطون: أن المسألة فيها صعوبة، فسألوه: بقدر كم؟ وذلك حتى لا يصاب الطلاب بالملل، فقال: «قدر ثلاثين ألف صفحة». تاريخ العالم منذ خلق الله العالم، منذ آدم إلى وقته هو، قال: «قدر ثلاثين ألف صفحة»، فقالوا: هذا مما تفنى فيه الأعمار، قال: «الله المستعان، ماتت الهمم». فاختصره لهم في ثلاثة آلاف ورقة، وهو الموجود عندنا باسم: «تاريخ الطبري» في عشرة مجلدات أو أحد عشر مجلدًا، وكذلك قال مثل هذه، أو قريبًا منها في تفسير القرآن[٢].

بعد هذا صار هناك نشاط في تأليف المؤلفات الكبيرة.

نقلة أخرى:

كان العلماء يحرصون على اقتناء أكثر من نسخة من الكتاب الواحد، فالكتاب لم يكن يكتفي العالم بنسخة واحدة منه، يقول: أنا حصلت كتاب العين للخليل بن أحمد بنسخة واحدة، بل كان الأكثر يأخذ أكثر من نسخة، نسختين أو ثلاث؛ لأن الكتب كانت بالخط، ومعلوم أن الخط يعتريه النقص، ويعتريه الخطأ، وهذه أمور دقيقة،

---

(١) انظر: معجم الأدباء (٦/ ٢٤٤٢). (٢) انظر: تاريخ بغداد (٢/ ١٦١).

إما أمور في الشريعة، أو أمور في اللغة، فلا بد من ضبطها، فكان العالِم يحرص لسلامة علمه أن يقرأ من أكثر من نسخة، ويقابل النسخ بعضها على بعض، فيأخذ نسخة قرأت على فلان من العلماء، ويأخذ نسخة ثانية قرأت على فلان حتى يجمع بينها، وإذا جاء مشكل يرجع إلى النسخة الثانية، فيصحح بعض النسخ في بعض، ولما ظهرت الطباعة أصبحت النسخة واحدة ـ الآن ـ مع إنه يحصل خطأ في المطابع، ولكن النسخة واحدة يطبع منها عشر آلاف، أو عشرون ألف نسخة، والناس يتداولونها، وفي السابق كان الكاتب يكتب سنة كاملة في كتاب، أو أشهرًا، وهي نسخة واحدة مخطوطة، وإذا أراد أن ينقل مرة ثانية، فيكتبه مرة ثانية، ولكن قد يصيبها خطأ، فكانوا يحرصون على أن يجمعوا أكثر من نسخة، وكما قال الجاحظ فيما هو مذكور في كتابه «الحيوان»: «لم تكن نفسي تطيب حتى اقتني من كل كتاب ثلاثة نسخ»[1]؛ يعني: يريد أن يكون دقيقًا فيما يتلقى، ودقيقًا في العلم، وهذا يعطينا درسًا في هذا الزمن، ألا وهو: حرص الأولين على دقة التلقي، فليست المسألة كثرة قراءة بقدر أنها دقة ما تحصل عليه.

فإذًا؛ هنا لا بد من الاستفادة من مدرسة السابقين في أن العلم لا بد له من دقة فيما تحصل من النسخ ـ كما سيأتي إن شاء الله في آخر الكلام في المطبوع ـ.

أيضًا: المخطوطات تختلف اختلافات عديدة، وقيمتها المادية تختلف ـ أيضًا ـ بحسب المحتوى، من أي جهة؟

أولًا: من جهة الكاتب، فالمخطوط يُكتب، ولكن من الذي كتبه؟

---

(١) وقريب من هذا ما جاء عن موسى بن يحيى قال: «ما كان في خزانة كتب يحيى، وفي بيت مدارسه كتاب إلّا وله ثلاث نسخ». انظر: (١/ ٤٤).

ناسخ، من الذي نسخ هذا الكتاب؟ الناسخ قد يكون تاجرًا، ينسخ، ويبيع بسرعة، وهذا يكثر فيه الغلط، وقد يكون مدققًا؛ ولذلك المخطوطات تختلف بحسب من نسخها، فإذا كانت المخطوط بخط مؤلفه، فتلك الغاية، وخط المؤلف ينقسم إلى قسمين: مسودة، ومبيضة.

المسودة هي التي يشطب عليها، يكتب، ويكتب، ثم بعد ذلك يراجعها، ويشطب سطرًا، أو يشطب موضوعًا، يضيف، يحشي عليها في الهوامش، ثم المبيضة، وهي الصورة النهائية لها بعد المراجعة، وهي التي يأذن العالم بقراءتها عليه، ثم تنسخ في مخطوطات متعددة.

فإذًا؛ أول ما يتعلق بتاريخ الكتاب: نسخ الكتاب المخطوط، ونسخ الكتاب ـ كما ذكرت لك ـ لا بد من معرفة من الناسخ، هل هو ممن ينسخ كثيرًا، أو هو من المتأنين في النسخ، هل هو المؤلف نفسه، أو من تلامذة المؤلف، أو من غير ذلك.

وأقدم نسخة موجودة ـ الآن ـ من كتب الأئمة هي نسخة كتاب «الرسالة» للإمام الشافعي بخط تلميذه الربيع بن سليمان، كتبها نحو سنة مائتين وخمسين للهجرة، وهي محفوظة في أحد المكتبات في مصر، وعنها طبع الشيخ أحمد محمد شاكر كتاب «الرسالة»، ولكنها موجودة بخط الربيع عن الإمام الشافعي، وهو تلميذه، فهذه غاية، إذا وجد مثل هذا، فهو من أنفس ما يكون، أعلى منه كتاب الإمام نفسه، أو العالم نفسه، ولكن هذا لا يوجد في مثل تلك القرون السابقة.

والفرق، أو النظر الثالث المهم: **أن يكون الكتاب مقابلًا**، وبعض الكتب تجد أنه يكتب في آخره: «بلغ مقابلة على أصل سليم»، أو يكتب: «بلغ مقابلة» فقط، وتارة يقول: «بلغ قراءة على مؤلفه»، ومرة يقول: «تم بقراءة المؤلف، وهذه إجازته»، ويكتب تحت: «إجازة المؤلف لمن قرأ

الكتاب»، هذا الكتاب يكون الغاية؛ ولذلك الذين يحققون الكتب يطلعون على الكتب السليمة، إذا وجدت مثل هذه النسخ، فهي تسمى «الأم»؛ أي: النسخة الأم التي هي المرجع؛ من أجل قوتها، وسلامتها.

هناك أنواع من التحسينات على الكتب، تعلمون أن أول ما بدأ الكتاب في التاريخ الإسلامي لم يكن منقوطًا، وإنما كان الكتاب بغير نقط، وبغير تشكيل، فليس عليه نقط، ولا عليه ـ أيضًا ـ تشكيل، فيقرأ القارئ الكتاب بحسب قدرته على القراءة، ولذلك صار هناك تصحيف كثير في القراءة، وبعضهم يقرأ من كتاب غير منقوط، غير مشكول، وهو معلوماته قليلة، فيخطئ في القراءة، فيحفظ خطأ، فينقل خطأ إلى آخره، وهذه كثرت في القرآن، وفي الشعر، ولكن القرآن عولج بحفظه، ونقله بالتواتر على حسب القراءات السبع، أو العشر، أو الأربعة عشر القراءة المعروفة، وحفظت بالتواتر حتى لا يكاد أحد يخطئ في القرآن إلا ويرد الخطأ عليه؛ لأنه محفوظ، كما أخبر الله ﷻ بأنه هو الحافظ له: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، حتى قال بعض أهل العلم: لو أخطأ أحد في القرآن لغلطته الصبيان.

أي: صبيان المسلمين؛ لأنه محفوظ، وقال آخر: لا تأخذ العلم من صحفي[(١)]، والصحفي: الذي أخذ علمه بالقراءة فقط، ولم يتصل بالعلماء، ولا لازم أهل العلم، ولم يعرف بصلته بأهل العلم؛ لأنه لا بد في القراءة أنه توجد إشكالات، وأشياء لم يفهمها، فمن المعلم؟ إذا لم يكن هناك من يعلمه، فلا بد أن هناك من يبين له الكتاب؛ ولذلك قال الشاطبي: «**إِنَّ الْعِلْمَ كَانَ فِي صُدُورِ الرِّجَالِ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْكُتُبِ،**

(١) انظر: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (٣/ ١٦٥).

وَصَارَتْ مَفَاتِحُهُ بِأَيْدِي الرِّجَالِ»[١].

وهذا صحيح، نقول هنا: لا تأخذ العلم عن صحفي؛ أي: ممن قرأ في الصحف، وكذا لا تأخذ القرآن ممن قرأ من مصحف، واحد تقرأ عليه القرآن، وتقول له: من أين أخذت القرآن؟ يقول: والله حفظته من نفسي، لا تأخذ عليه القرآن، إذا قال: والله قرأته، وحفظته على فلان، وكان معه إجازة، فهذا أفضل، وهذا معناه أنه مأمون القراءة؛ ولهذا ألّف أبو هلال العسكري كتابًا لطيفًا فيه نوادر كثيرة سماه «تصحيفات المحدثين»؛ أي: الأشياء التي تقرأ غلطًا، فجمعها في كتاب سماه «تصحيفات المحدثين» في ثلاثة أجزاء فيه لطائف، وهناك كتاب «تصحيفات القراء»، وهناك كتاب اسمه «تصحيح التصحيف، وتحرير التحريف» للصفدي، فيه كثير من اللطائف، إذا قرأتها تشاهد نوادر.

من ذلك: هناك أحد ممن يعلم مادة من المواد الشرعية، فكان عنده في الكتاب الذي يدرسه أن النبي ﷺ اتخذ خَاتَمًا من وَرِقٍ، هو قرأها من وَرَقٍ، هذا معنى التصحيف، فلما جاء يشرح للطلاب، قالوا له: كيف من ورق؟ قال: من زهده ﷺ كان يلف الورق، ويجعله مثل الخاتم، والورق هو الفضة[٢].

فلاحظ أن القراءة الخطأ أدت إلى فهم خطأ، وأدت إلى تفسير خطأ، واليوم كثير من المشكلات العلمية، والإسلامية في فهم الدين، وفهم الشريعة راجعة إلى قراءة خطأ، ثم من تفسير خطأ، ثم من نتائج غلط، ولهذا لما جاء في قصة الخوارج مع ابن عباس، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، الخوارج كانوا من العباد، وقد لازم بعضهم الصحابة رضي الله عنهم،

---

(١) انظر: الموافقات (١/ ١٤٠).

(٢) انظر: فتح المغيث (١/ ٢٥٤).

وبعضهم كان من الصحابة ﷺ، ولكنه ارتد بعد ذلك؛ كالذي قال فيه النبي ﷺ: «**وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إذا لم أَعْدِلْ**»[١].

المهم: سئل علي بن أبي طالب ﷺ: من أين أوتي أولئك مع عبادتهم؟ فقال: «**مِنَ الْعُجْمَةِ أُوتُوا**»، ماذا يقصد بالعجمة؟ يقصد: أنهم لم يحسنوا قراءة القرآن، والسُّنَّة، ولم يحسنوا فهم العلم، فكانوا كالأعاجم في عدم فهم ما قرأوا، فانحرفوا الانحراف الكبير؛ لأجل عدم إحسان القراءة.

إذًا؛ الكتاب في طريقته كان من المهم جدًا أن يكون مضبوطًا؛ ولذلك كان العلماء من قبل يحرصون على أن يقرأ الطالب، والصغير في الابتدائي، وفي المتوسط في كتب مشكولة شكلًا تامًا، وكانوا يقرؤون الصغار القرآن، ويعلمونهم معاني الحركات، ويقرأون في كتاب مثل: «رياض الصالحين» مشكولًا تامًا؛ من أجل أن يعرف أن ينطق، هذا كله يقرأ بصوت عال؛ لأنه إذا استقام لسانه، وعرف معنى الحركات، فإنه بعد ذلك سيحسن القراءة، وسينتج عن ذلك حسن الفهم، ثم حسن التطبيق.

الكتاب مر بمراحل كثيرة ما بين سنة أربعمائة للهجرة إلى أواسط القرن التاسع الهجري، هذه المراحل هي في تأنيق الكتاب، وتحسين الكتاب، فكان الكتاب يحسن من حيث الورق؛ حيث إن الورق كان في السابق على نوعين: ورق نباتي مصنوع من نباتات، والثاني ورق من الجلد يسمى: ورقًا، وهو جلد، كجلد الغزال، وموجود كثير من الكتب محفوظة بجلد الغزال، وقد كُتبت في أواخر القرن الخامس؛ أي:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠، ٦٩٣٣)، ومسلم (١٠٦٣، ١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

أربعمائة وخمسين، أربعمائة وسبعين مثل: «الاستذكار» لابن عبد البر فيه قطعة منه مكتوبة على الجلد، ومثل: قطعة من «الموطأ» للإمام مالك، ومثل: قطعة من «صحيح البخاري»، وأشياء من ذلك موجودة، هذا نوع، إما من الجلد، أو من الورق النباتي؛ ولذلك في اختبار الكتاب عند الخبراء اليوم، لديهم اختبار للكتاب، هل هو صحيح، أو مزور، يختبرون أولًا بالورق، يأخذ الخبير الورق وينظر كم عمر الورق، هناك كثيرون أتوا بكتب، واكتشفنا أنها مزورة، ومنسوبة إلى علماء في القرن السادس الهجري، والقرن السابع الهجري، ولكن الورق من مائة، أو مائة وخمسين سنة، فالورق ورق مخطوطات، ولكنه حديث من المصنع، ولكن من تصنيع ذلك الزمن؛ ولذلك عند أهل الخبرة كل قرن هناك له ورق كان متداولًا، فكان هناك سمات للكتاب في كل قرن من حيث الورق، ونوعية الكتابة، والحروف وكذلك نوعية الجلد الذي يعلوه، كان هناك التأنق في الكتاب، فتارة يُكتب في الصفحة الواحدة خمسة أسطر، الصفحة الواحدة يُكتب فيها خمسة أسطر؛ من أجل الحرص على الجمال، فتكون كل ورقة لوحة من اللوحات من جمال الخط، سواء في القرآن، أو في غيره، التأنق: تأنق في الجلد، والغلاف، التأنق في الورق، التأنق في نوعية الخط، التأنق في الألوان المستخدمة، تأخذ الكتاب تجد أن في الصفحة الواحدة ثلاث، أو أربع ألوان، كتاب جميل جدًا، وهو بخط اليد، فيها أنواع من الجمال في حجم الكتب، وما فيه.

أنفس الكتب، وأقيم الكتب ما كان مشتملًا على هذه المواصفات التي ذكرنا: أن تكون بخط معروف، بورق متأنق، محفوظة حفظًا جيدًا، لا يوجد فيها عيوب، وأن تكون ـ أيضًا ـ بألوان، ومزخرفة، تارة يكون في الكتاب نوع من ماء الذهب، وتارة يوجد صور ملونة، وما أشبه ذلك.

نسخة من «مقامات الحريري» ـ مثلًا ـ منسوخة في أواسط القرن السادس، أو في أواخر القرن السادس الهجري كبيرة ضخمة جدًا، وكل مقامة معها صورة ملونة محفوظة نسخة واحدة نفيسة جدًا غاية في النفاسة، محفوظة في مكاتب أوربا، وقد أخذها أحد المستشرقين، وصورها بتصوير يشابه المخطوط، وبيعت في معرض ألمانيا السنة الماضية، وكل مقامة فيها صورة ملونة، رسم أنيق، ودقيق، وجميل جدًا، وهذا نوع من الاهتمام بالكتاب.

كتب الأدب، والشعر كانت تحظى باهتمام كبير في تأنقها؛ وذلك لأن الطلاب لها في الغالب يكونون الأغنياء، والأمراء، والخلفاء، والتجار؛ ليتفاخروا بتحصيلهم لهذه النسخ النفيسة.

أما الكتب الشرعية، فكتب التفسير يكون منها شيء نفيس، وكتب الحديث قليل جدًا، وأما كتب الفقه، فلا تكاد تجد كتابًا منقولًا بنفاسة إلا نادرًا جدًا، ولكن كتب الشعر، وكتب الأدب، وما أشبه ذلك تجد في العالم ـ الآن ـ نسخًا نفيسة من ذلك.

مضى الزمن حتى بدأت الطباعة، ولما بدأت الطباعة كان هناك نقلة كبيرة جدًا في نوعية الاهتمام بالكتاب، بدأت الطباعة ـ كما هو معروف ـ سنة ألف وأربعمائة وخمسين ميلاديًا، ولكن بالأحرف اللاتينية، ولكن بالحرف العربي أول حرف عربي ظهر سنة ألف وأربعمائة وخمسة عشر في مدينة في إيطاليا، وبعد ذلك في مدينة البندقية سنة ألف وخمسمائة وثلاثين طبعت نسخة من المصحف، ولكنها مغلوطة محرفة، وهي في إيطاليا، فهي أول نسخة طبعت في العالم، ولكنها مغلوطة، ومحرَّفة، فكاتب الوالي العثماني رئيس الكنيسة في روما بأن هذه نسخة محرَّفة، ونحن نطلب إتلافها، فأتلفت كل النسخ ما عدا نسخة واحدة فقط حفظت

في دير موجود في إيطاليا، وقد اطلعت على نسخة منها، وهي مطبوعة، ولكنها تالفة، ومغلوطة جدًا.

أهم مرحلة من الطباعة هي في سنة ألف وخمسمائة وتسعين ميلاديًا، هذا حيث بدأت في روما مطبعة خاصة، اسمها: «مطبعة مديتشي»، وهي عائلة كانوا يهتمون بالطباعة، وقد وضعوا حروفًا عربية جميلة، وطبعوا عددًا من الكتب المهمة، منها: كتاب: «القانون» لابن سينا، وكتاب: «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» للإدريسي في الجغرافيا، ومنها: «الآجرومية» في النحو، ومنها: «الكافية» لابن الحاجب، ومنها: «أصول إقليدس»، وبعض الكتب في هذا الصدد، حوالي ثمانية كتب طبعتها هذه المطبعة.

ثم من بعد ألف وستمائة ميلاديًا انتشرت الطباعة في أوربا حتى لا تكاد تجد مدينة إلا وفيها مطبعة عربية؛ لأجل أن المستشرقين الذين يكتبون عن العالم الإسلامي، والعربي، ولخدمة الأهداف الاستعمارية، كانوا يحرصون على أن تكون بحوثهم باللغة العربية، فنشطت في أوربا المطابع العربية كثيرًا.

وفي سنة ألف وسبعمائة وخمسة ميلاديًا؛ حيث بدأ دخول المطابع إلى البلدان العربية، ثم شيئًا فشيئًا.

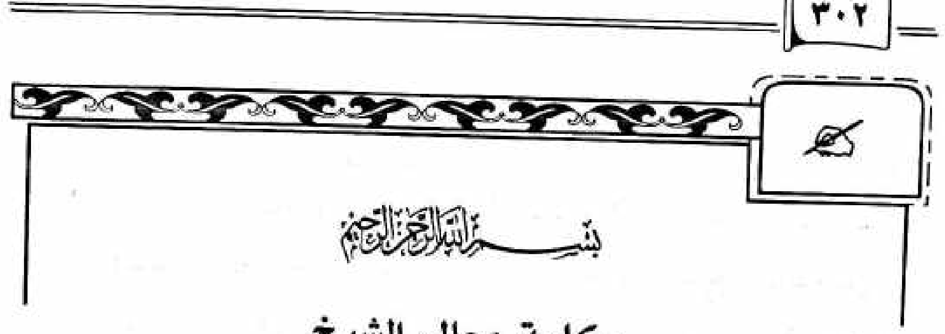
فقصة الطباعة في الوطن العربي، وفي المملكة العربية السعودية، كانت أول مطبعة وجدت في جزيرة العرب بمكة حوالي سنة ألف وثمانمائة واثنين وثمانين ميلاديًا، وطبعت عدة كتب، ثم إن هناك المطبعة الأميرية، وقد طبعت كتبًا كثيرة جدًا في أوائل القرن الرابع عشر، ثم المطبعة الماجدية، وغيرها، وقد وجدت في جدة مطبعة، وكذا في المدينة، وفي غيرهم.

أهم المطابع: مطبعة بولاق في مصر؛ حيث أنشئت حوالي سنة ألف وثمانمائة وثلاثين، وبدأت الطباعة في مصر بقوة، ثم انتشرت المطابع، وأصبح الكتاب مطبوعًا، ولكن هنا سؤال مهم، وهو: هل يعني أن الكتاب مطبوع، معناه أنه سليم؟ ليس الأمر كذلك، فلا بد أن نفهم من الذي صحح الكتاب، هل الطابع دار النشر هذه مدققة تدقق في التصحيح، تنقل بأمانة، أم إنها تطبع للتجارة، هناك دور نشر تطبع فقط للتجارة، وليس عندها تدقيق علمي، ولا علماء يصححون، بخلاف المطابع السابقة، فكان هناك تدقيق أكثر، ولذلك يحرص طلبة العلم، والحريصون على العلوم الشرعية، والأدبية، والتاريخية يحرصون على أن تكون الكتب محققة، يُقال: كتاب محقق؛ يعني: أنه مقابل على عدة نسخ، ومطبوع طبعة قريبة من السليم.

الوقت يضيق، والحديث ذو شجون، والكتاب لا يمل، فأكرر شكري على هذه الدعوة الكريمة لوجودي بينكم، وأسجل تقديري لهذا النشاط في هذا المقر التعليمي المميز، ولجميع الجهات التي أسهمت في ذلك.

نسأل الله ﷻ للجميع التوفيق، والسداد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلِّ اللَّهُمَّ، وسلم على نبينا محمد.





كلمة معالي الشيخ
في لقائه بالأئمة والخطباء في نجران

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة، والسلام على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أحمد ربي خير حمد، وأوفاه، وأثني عليه الخير كله على ما وافر علينا من نعم، ودفع عنا من نقم، وأن جعلنا من هذه الأمة المحمدية الخاتمة أمة محمد ﷺ.

وفي فاتحة هذا اللقاء، فإني أشكر أخي الكريم فضيلة الشيخ صالح السليماني، مدير عام فرع الوزارة بمنطقة نجران؛ لجهده الكبير في تنظيم أعمال هذا الفرع، والنهوض به، والحرص على أداء رسالة الوزارة كاملة، فله شخصيًا مني الشكر، والتقدير، والجهود الكبيرة التي بذلت هذه الأيام لإنفاذ معرض: «كن داعيًا» هي جهود الفرع في الحقيقة، واللجان العاملة، وهذا يتطلب ـ كما ترون ـ جهدًا كبيرًا مضاعفًا على مدى عدة أشهر، أو ربما أكثر من ذلك، ثم لزملائه في الفرع منا التحية على جهدهم: إدارة المساجد، والجهات المساندة الإدارية، المالية، المتابعة.. إلى غيرها، فإن النجاح يكون بالتعاون، والتكامل.

أيها الإخوة:

لا شك أن المسلم بصفته مسلمًا يسلم وجهه، وقلبه لله ﷻ،

فأما إسلام الوجه لله ﷻ بأن يكون موحدًا مخلصًا لله ﷻ، ومتجهًا إليه في طاعته، وامتثال أمره، وأما إسلام القلب لله ﷻ، فإنه يكون محققًا لنقاوة القلب، واستسلامه لمراد الله، فيكون نقيًا من الشبهات وسالمًا، أو مخففًا من الشهوات، وهذا وصف لكل مسلم، والذين يكونون قدوة للناس من أهل العلم، أو أهل الدعوة، ومن أولئك خطباء المساجد، وأئمة المساجد، فإن عليهم ما ليس على غيرهم في هذا الباب، وهذا يعني أنه من المطلوب دائمًا علينا جميعًا: عليَّ، وعليكم، وعلى كل منتسب لهذا المجال أن يراجع نفسه بين الحين، والآخر، وأن نتواصل دائمًا بما فيه النفع العام، وتحقيق المصالح العليا، والامتثال لأمر الشارع الحكيم؛ لهذا كان من صفات الخطيب، والإمام أن يكون نقي القلب، مخلصًا لله ﷻ، نقاء القلب من ثمراته: أن يحرص على الاحتساب في عمله في المساجد، العمل في المسجد، الخطيب، والإمام، والمؤذن، الأصل فيه الاحتساب؛ كما جاء في الحديث: «**وَاتَّخِذْ مُؤَذِّنًا لَا يَأْخُذُ عَلَى أَذَانِهِ أَجْرًا**»[(1)]، وهذا يعني ـ كما قال أهل العلم ـ: أن الذي يلي الإمامة في الصلاة، والأذان أنه يعطى من بيت المال ما يعينه على أداء مهمته، لكن ليست هي المعاوضة، الأجر الذي هو المعاوضة؛ لأنه بنية المعاوضة قد يقدح ذلك في خلوص القلب لأداء هذه العبادة لله ﷻ.

ومن ثمرات إخلاص القلب في هذا العمل لله: أن يكون متخلصًا من داعية هواه؛ لأن مقابل الإخلاص لله اتباع الهوى، إذا كان

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٣١)، والترمذي (٢٠٩)، وأحمد (٢٦/ ٢٠٠)، وابن خزيمة (١/ ٢٢١)، والحاكم (١/ ١٩٩)، والبيهقي في السنن(١/ ٤٢٩)، والطحاوي في شرح معاني الآثار(٤/ ١٢٨)، والطبراني في الكبير (٨٣٦٥)، والبغوي في شرح السُّنَّة (٤١٧).

مخلصًا لله، وصابرًا على ذلك، مجاهدًا نفسه على اتباع أمر الله، بهذا يكون متخلصًا من داعية هواه، هذا ينتج عنه نتيجة هي: أنه يحرص على العلم، يحرص على العلم في أحكام العمل الذي يليه.

فمثلًا؛ في موضوعات الخطب، الخطبة هي لتذكير الناس أسبوعيًا بحق الله ﷻ، هذا المقصود من الخطبة، وهذا التذكير يكون بالموعظة، بأن يوعظ الناس بشأن آخرتهم، بذكر الجنة، وما فيها، وما أعد الله فيها لعباده المؤمنين، والترغيب فيها، وذكر النار ـ والعياذ بالله ـ، وما فيها، وما أعد الله فيها للمخالفين لرسله، ولبعض أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ، ونحو ذلك، فيرغب، ويرهب، وهذا من مقصودات الخطبة.

أيضًا: المقاصد في ذلك أن يكون مذكرًا للناس لمسائل القبر الثلاثة، فمسائل القبر الثلاثة هي المهمة التي يُسأل عنها كل أحد، رجلًا، أو امرأة، صغيرًا، أو كبيرًا، يسأل عن ثلاث: من ربك، من نبيك، ما دينك، فتعليم الناس هذه المسائل من المهمات، وكان المسلمون فيما مضى يعلمون الصغار هذه المسائل في المساجد، ولما جاءت المدارس صارت هذه المسائل في المناهج الدراسية، هذه المسائل: مسائل القبر الثلاث، وما يتفرع عنها، وتفصيلاتها، من أهم المهمات في أداء الخطيب في رسالته، ثم بعد ذلك يأتي إلى ما يحتاجه الناس في مجتمعهم مما يتصل بذلك، فيكون مواكبًا لمقتضيات الخطابة من معرفة أحوال الناس، وما هم عليه، ويتعرض للموضوعات التي يهتمون بها، أو التي ينبغي أن يهتم الناس بها في شأنهم، وفي حياتهم، فلا ينعزل عن الحياة، ويعيش لنفسه، ولا يدري ما الناس فيه، ثم بالتالي يكون أدائه لواجبه في الخطابة أقل مما يجب عليه.

المسألة الثانية:

مما يعتني به الخطيب: أن يكون متحليًا بالصفات اللازمة لخلافة رسول الله ﷺ على المنبر، تعلمون في عهد النبي ﷺ لم يكن يخطب في المدينة كلها إلا خطبة واحدة، فلا يوجد إلا مسجد واحد، وهو مسجد النبي ﷺ، الناس يأتون من العوالي، ويأتون من شرق المدينة، ومن غربها، ومن المفارق، ويصلون معه الجمعة ﷺ، فكان هو الذي يخطب الجمعة ﷺ، وكذلك في عهد الخلفاء الراشدين، ومن بعدهم، حتى لما توسعت المدن، وكبرت جدًا، وصار على الناس مشقة، والمساجد بعيدة، جاء الإذن بتعدد الجمعة في البلد الواحد، والذي يلي هذه الخطابة هو أنبل الناس في هذا البلد، فيتلقون التوجيه ممن هو متمكن من هذا الأمر، وليس الشأن الكلام؛ لأن الكلام يحسنه كل واحد، كل واحد يقرأ، ويتعلم، ويحسن الحديث، ويحسن الكتابة، ولكن الشأن في براءة الذمة، الشأن في المتابعة؛ كما قال بعض السلف: **«لَيْسَ الشَّأْنَ أَنْ تُحِبَّ، وَلَكِنَّ الشَّأْنَ أَنْ تُحَبَّ»**[1].

أي: ليس الشأن أن تحب الله ﷻ، وليس الشأن أن تحب الرسول ﷺ، ولكن الشأن كل الشأن أن تُحب؛ أي: أن يحبك الله، ويحبك رسوله ﷺ.

من هنا يمكنك تلمس الصفات التي يتصف بها الخطيب في خطبته، يكون مهتمًا بهذه الخطبة، فتكون موافقة للسُّنَّة، ولمقاصد السُّنَّة في الخطابة.

أذكر بعض الأمثلة في هذا السبيل:

الأول: خُطَب النبي ﷺ بالإجماع كانت قصيرة، لم تكن الخطب

---

(١) انظر: النبوات (ص٧٣)، وتفسير ابن كثير (١/ ٣٥٩).

طويلة، كانت الخطب قصيرة لا تطول إلى نصف ساعة، بل خطبه بالدقائق الحاضرة نقول مثلًا: سبع دقائق، عشر دقائق، إن لم تكن أقل، هذه صفة، فينبغي للخطيب أن تكون هذه هي السمة، ويركز الكلام، كما قال ﷺ: «**إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا**»(١).

وقالت عائشة ﵂ لعُبيد بن عمير لما دخل عليها: «**فَقَالَتْ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَنَا عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ. قَالَتْ: قَاصُّ أَهْلِ مَكَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: خَفِّفْ، فَإِنَّ الذِّكْرَ ثقيل**»(٢)؛ أي: إذا أردت أن تعظ الناس، فأوجز الكلام، واختصر الكلام، فالكلام الكثير ينسي بعضه بعضًا، ولا يتذكر الناس منه شيئًا، فتقل الفائدة، ولكن إذا قل الكلام أخذ الناس عن الخطيب أشياء مهمة، يتناقلونها للمستقبل.

الأمر الثاني:

أن يكون الخطيب في خطبته ذا اهتمام بها، فلا يستعجل في إعداد الخطبة، فالخطبة مهمة شرعية، والاستعداد للخطبة يكون بالتحضير الجيد، وانتقاء الكلمات المناسبة، الكلمات التي تنفر الناس، ولا توافق مقاصد الشرع، التي تفرق الناس، التي لا تحقق المقصود الشرعي، هذه ليست من الدين، وليست من الشرع، الحكماء من الخطباء تجد أنهم يحرصون على التحضير الجيد للخطبة حتى الكلمة التي فيها التباس، وقد تُفهم كذا، وكذا يعد لها؛ حتى يستفيد الناس دون أن يقع في قلوبهم إشكال.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٩).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٦/١٦)، وسير أعلام النبلاء (٥/٨٤) عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: «دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَنَا عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ. قَالَتْ: قَاصُّ أَهْلِ مَكَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: خَفِّفْ فَإِنَّ الذِّكْرَ ثقيل. تَعْنِي: إِذَا وَعَظْتَ».

الصفة الثالثة: أن يتحلى الخطيب بالعقل، والعقل ليس ملازمًا دائمًا للعلم، قد يكون هناك علم عند المرء، ولكن لا يصاحبه دائمًا إدراك لكل المسائل التي تحصل، إدراكها في نفسها بوصفها، أو بأبعادها، وهذا من الأشياء التي ينبغي للمرء أن يطور نفسه فيها.

الواحد منا - مثلًا - مداركه وهو في العشرين غير مداركه وهو في الثلاثين، غير وهو في الأربعينات، غير مداركه وهو في الخمسينات من عمره، وهكذا، لماذا؟

لأن عقل الأمور معناه: الموازنة بينها، كيف؟

هل هو من المصلحة أن يقول هذا الشيء أو ليس من المصلحة، هل هو موافق، أو غير موافق، هل هو فيه اتباع، أو ليس فيه اتباع، هل الأمر يقتضي أن يذكر هذا الكلام، أو أن الدخول فيه لا يحسن، الموازنات هذه هي التي تفرق بين الرجال في مداركهم، معرفة خير الخيرين، ومعرفة شر الشرين، أما معرفة الخير من الشر في نفسه هذه لا بد أن تدرك، مثلًا: أيهما أفضل هذا، أو هذا؟ أيهما أسوء هذا، أو هذا؟ هذا يحتاج إلى إدراك، والإدراك ينبني على علم، والعلم مع الإدراك مع العقل ينتج نموذجًا يحتذى، وقدوة صالحة، كيف يحصل ذلك؟

الموازنات أولًا: تكون ممكن أسئلة خفيفة يسألها الإنسان لنفسه حتى في سلوكه، وليس في الحكم فقط، في سلوك الإنسان في بيته، وفي عمله، في مدرسته، وعلاقته بزملائه، وحركته في الحياة، يسأل نفسه في الأشياء التي فيها حساسية في عملها، أو تركها، أو السكوت عنها، أو توضيحها، يسأل نفسه أولًا يقول - مثلًا -: إذا تكلمت عن هذا الموضوع ما النتيجة؟ هل أنا سأتكلم أريد أن أبرأ ذمتي، أو أن أحقق

مصلحة في المستقبل في الشيء الذي تكلمت عنه سوف يصلح في حياة الناس، أو أن الناس سيأتونه، إذا تيقن بأن هذا فيه مصلحة في حياة الناس، ويقول: إن هذا ليس فيه ما يضاده، فأدرك أنه صواب، ويمشي، ولكن إذا جاء، وقال: لا، أنا لا أدري، فإن هذا قد يكون فيه مصلحة، وقد لا يكون، ينتقل إلى الخطوة التي بعدها، يقول: ما مآل هذا الكلام؟

لأن الناس يختلفون ليس في فهم البدايات، وأي أمر سواء كان شرعيًا، أو دنيويًا يقيمها، ولكن النهايات، والمآلات هذه صنعة العقلاء، والحكماء في الناس، وهي تأتي بالتدرب، أنتم خطباء، وأئمة تتدربون، فدرب نفسك عليها، فكر دائمًا ما النهاية، فكر في المآل، فكر دائمًا فيما فيه صلاح الناس، مهمتك السعي في إصلاح الناس، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، الإصلاح قد يكون في قالب حسن طيب تفيد به أكثر من قالب القوة، أو العنف، بعض الناس ـ مثلًا ـ قد يكون إمامًا، ولكنه صلب مع جماعته، مع جماعة المسجد، أو لا يراعيهم، أو لا يقدر للكبير كبر سنه، ولا يقدر لذي الشأن شأنه، ولا لذي الهيئة هيئته، ومقامه، لا بد أن ينزل الناس منازلهم؛ كما جاء في الحديث: «أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ»[1]، وهذا خطاب للجميع[2]، فهنا يأتي حس الإمام، أو الخطيب في التعامل، في أنه إذا صار إمامًا، أو خطيبًا يقول في نفسه: لا بد للجميع أن يحبوني، ويقدروني. قد يكون في المسجد من هو أعلم، ومن هو أحكم،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٤٢)، وأبو الشيخ الأصبهاني في أمثال الحديث (١/ ٢٨٣)، والبيهقي في الآداب (١/ ٩٩).

(٢) كما جاء في الحديث الذي أخرجه أبو الشيخ في أمثال الحديث (١/ ٢٨٣)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٧٩)، والبيهقي في الشعب (١٣/ ٣٦٧) من حديث عائشة ﵂ قالت: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نُنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ».

ومن هو عنده خبرة، والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها، فهو أحق بها.

من موضوعات الساعة المهمة جدًّا، والتي لا بد من الاهتمام بها؛ استجابة لله، وللرسول ﷺ: أن يكون هناك جهد في المساجد من الأئمة، والخطباء، ومنا جميعًا في مواجهة الفكر الضال، ومواجهة كل فكر فيه صد الناس عن الهدى، ودين الحق.

أعظم ما تجب مواجهته اليوم؛ لشدة ضرره، ولشدة حراكه على العقيدة، والإسلام، والسُّنَّة هذا الفكر الضال، والأعمال الإرهابية التي شاهدناها ممن شابهوا الخوارج، وسلكوا مسلك الخوارج في التكفير، وفي التفجير، هذا الأمر لا بد من عناية المساجد به، ليس الخطباء فقط، حتى الإمام، العناية كيف تكون؟

أن يكون هذا الغلو، وهذا الفكر الإرهابي، وهذا الفكر الضال في التكفير، والتفجير، والعزلة وما أشبه ذلك، هو يبدأ من أناس صغار في الغالب، قد يكون منهم من يكون في المساجد، ومن لا يكون في المساجد، يأخذونهم من جهات أخرى، ولكن قد يكون منهم أناس في المساجد، بدءوا شبابًا، ثم بعد ذلك ذهب، وخرج من أهله، وصار رهينة لتصرف آخرين، هذا لا بد أن ننتبه له:

أولًا: من جهة واجب الأئمة، فعليهم أن يعتنوا بهؤلاء الشباب الذين قد أرادوا التدين، والالتزام المبكر، وهداهم الله ﷻ للحرص على المسجد، والصلاة، وقراءة القرآن، وما أشبه ذلك، الحرص عليهم من إمام المسجد: أن ينتبه لهم، ولأفكارهم، وينتبه لما يقولون، فلا يقول: والله هذا عنده أفكار، ويتركه، بل ينبه عليه، ويأخذه بقوة، ينبه على الآباء، ينبه أهل المسجد، لم؟

حتى يحصنوه من أن يكون فريسة لهذه الفرق الضالة؛ لذلك نحن

نطلب من كل إمام في مسجده أن يكون حريصًا على تفقد هؤلاء، وعلى معرفة من عنده فكر مخالف للعقيدة الصحيحة ممن سلكوا مسلك التكفير، وصاروا يتكلمون في أمور أكبر منهم، كيف تعرف هذا؟ يتكلم في أمور أكبر منه، يتكلم وهو عمره خمسة عشر، ستة عشر، سبعة عشر، أو أكبر من ذلك، يتكلم عن الدولة، يتكلم عن دول، يتكلم عن العلاقات الدولية، يتكلم عن الجهاد، يتكلم عن الاحتلال، يتكلم عن ما أشبه ذلك، هذه أمور لها مبادئ، إذا بدأ حديث الشاب فيها، أو عن الحاكمية، أو الحكم بغير ما أنزل الله، أو تحكيم القوانين، أو المعاهدات الدولية، أو الأحوال في بعض البلاد، تعرف أن هذا قد يكون له ما وراءه من نظرات الشر.

الأمر الثاني:

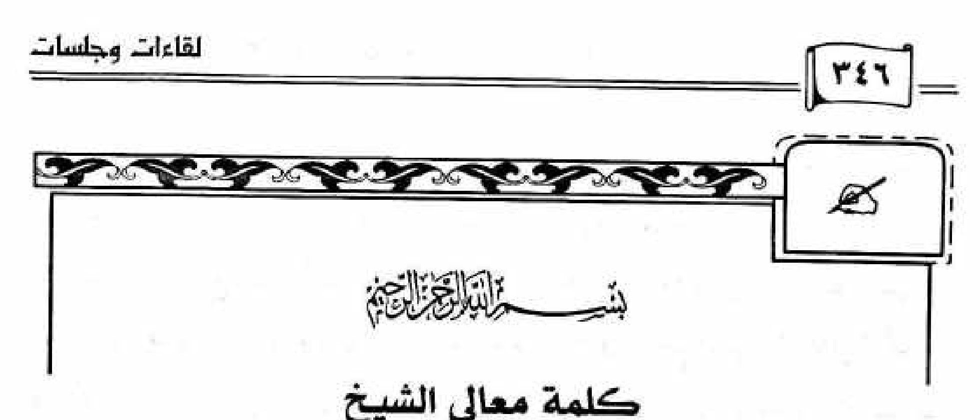
أن يواجه هؤلاء بالعلم، في الخطب، والمحاضرات، وكلمات المسجد لا بد أن يلقى فيها الكثير من العلم النافع عن هذه الفئة، وعقيدتها، وعن خطرها، وعن خطر الخوارج، وما يعتقدونه، والتكفير، وقبل ذلك من المخالفات الكثيرة من نصوص القرآن، والسُّنَّة، وقد وزعنا عليكم، وأرسلنا إليكم الكثير من الكتب، والنشرات التي يمكن أن يُستفاد منها في هذا الصدد، والمعرض ـ أيضًا ـ مملوء بهذه الأشياء لمن أراد أن يأخذها، ويهتم بها.

فهذا خطبة واحدة، أو خطبتان، فيقول أحد: ليس عندنا أحد، لماذا تتكلم عنهم، وليس عندنا أحد؟ فلا بد من الحماية، ولا بد من التحصين، الذين يدخلون المسجد لا بد أن يعلموا بطلان هذه النحلة، وهذه الفئة، ومعتقداتها بالدليل من الكتاب، والسُّنَّة، وكلام أهل العلم، وما في ذلك من نصوص، وأدلة.

وفي الختام:

نسأل الله تعالى لي، ولكم التوفيق، والسداد، وصلى الله، وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم.





كلمة معالي الشيخ
خلال لقائه بالدعاة بالتوعية بالحج ١٤٢٨/١٢/٦هـ

الحمد لله، والصلاة، والسلام على رسول الله، وعلى آله، وصحبه، ومن اهتدى بهداه.

سماحة شيخنا، ووالدنا، وموجهنا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، مفتي عام المملكة العربية السعودية،

أصحاب الفضيلة العلماء،

أيها الإخوة المشايخ، طلاب العلم،

أيها الإخوة المشاركون في أعمال هذه الوزارة للتوعية الإسلامية في حج هذا العام،

السلام عليكم، ورحمة الله، وبركاته.

وإني لأحمد الله ﷻ حمدًا كثيرًا يكافئ ما أعطى، ونستغفره عن التقصير، ويوافي ما أنعم، ونسأله المزيد من كرمه.

أيها الإخوة:

هذا الحفل السنوي الذي تقيمه الأمانة العامة للتوعية الإسلامية في الحج بإشراف من وكالة الوزارة لشؤون المساجد، والدعوة، والإرشاد، نرى أنه مهم، ووجه أهميته أن أثر هذا الاجتماع ظهر لنا في سنوات

طويلة مضت؛ لهذا كان سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله، وسماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، كانا يحرصان على حضوره سنويًا، ويلتقون بالإخوة المشايخ، وطلاب العلم، وأعضاء التوعية، ويرشدونه، ويجيب عن ما يسألون عنه.

واليوم يشير هذا على أن ارتباط التوعية الإسلامية في الحج إداريًا، وتنظيميًا، ودعويًا، وإرشاديًا بوزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف، والدعوة، والإرشاد، ولكن من حيث الفتوى، ومن حيث ما يُثار إليه من الأقوال حين الاختلاف، أو ما ينبغي لطالب العلم المشارك في التوعية الإسلامية في الحج أن يأخذ به، فإن مرجعه إلى سماحة المفتي، وإلى من معه من أهل العلم في هيئة كبار العلماء، وفي اللجنة الدائمة للفتوى، وخاصة في مسائل النوازل، فإن النازلة إذا نزلت جمع لها أهل العلم؛ حتى يصدر للناس عن تقوى من الله، ولله ﷻ، فإن الفتوى، والقول في المسائل لا بد فيه من تقوى لله ﷻ؛ ولذلك فإن المصير إلى الأقوال التي يجتمع عليها أكثر أهل العلم في هذا العصر في النوازل هو الأقرب إلى تحقيق التقوى في إفتاء الناس، وفي بيان ما يرشدون إليه، وهذا الاجتماع السنوي يؤكد هذه المعاني؛ لأن مرجع أعمال الدعاة، والارتباط العلمي، وما يفتى به، وما يُجاب به الناس هو ما يصدر عن المجامع العلمية في هذه البلاد المباركة - زادها الله توفيقًا، وحماها من شر الأشرار، وكيد الفجار، ومن يتربصون بها الدوائر ليل نهار -.

أصحاب الفضيلة:

أعرض لأمرين شرعيين، وأمرين إداريين:

أما الأمر الشرعي الأول: فإنه من مشكاة قول النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ

يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ»[(١)]، وفي رواية: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»**[(٢)]، وقوله ﷺ: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إلا زَانَهُ، ولا يُنْزَعُ من شَيْءٍ إلا شَانَهُ»**[(٣)]، وعند علماء الأصول ـ كما هو مقرر عند الجميع ـ أن هذا يقتضي الظهور في العموم، فيشمل ما يدخل فيه الرفق من الأقوال، والأعمال، والأخلاق في عمل المسلم بعامة، وفي عمل طالب العلم، والداعية، وفي عمل العالم، وفي عمل ولي الأمر، فإن الذي عمل بذلك هو نبي الإسلام نبي الرحمة محمد ﷺ، عمله سلوكًا، وقولًا، وعملًا، بل أوامره ﷺ ونواهيه من مشكاة الرفق بهذه الأمة، وهو الرحمة المهداة، والنعمة المسداة ﷺ؛ ولذلك كان متوجبًا علينا جميعًا أن يكون الرفق ديدننا، وأن يكون الحلم معنا، والرفق يستصحبه المجيب على الأسئلة، يستصحبه الواعظ، يستصحبه الداعية، فإن الله يعطي عليه من التأثير في الأقوال، والأعمال ما لا يعطي على غيره من العنف، أو ما يظهر للمرء أنه أكثر تأثيرًا؛ ولهذا كانت كلمات النبي ﷺ تعد، وليست كثيرة، فتمل، حفظت، فنقلت، وحيت بها القلوب، بل حيت بها الأمم، والبلدان شرقًا، وغربًا.

الرفق نحتاجه في الحج:

أولًا: فيما بيننا؛ حتى نكون أمة واحدة، أمة طلبة العلم، والدعاة، فإننا إذا كنا متوافقين فيما بيننا، متحابين فيما بيننا، كانت دعوتنا صالحة بإذن الله، وسدد بعضنا بعضًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢٤)، ومسلم (٢١٦٥) من حديث عائشة ﵂.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٣) من حديث عائشة ﵂.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٤) من حديث عائشة ﵂.

وفي **الأمر الثاني**: أن يكون الرفق فيما نأتيه من الأقوال، فإن الناس الذين يسترشدون بنا، أو تلقون عليهم المواعظ يحتاجون إلى كثير من الرفق حتى في التعبير عن حكم بعض المسائل، فإن التعبير عن حكم بعض المسائل إذا كانت عبارته رفيقة، كان أدعى للقبول لا سيما مع هؤلاء الذين يأتون من شرق البلاد، وغربها من المسلمين ممن يحتاجون إلى صبر، وتؤدة، وحلم، ويحتاجون إلى ترفق في الأقوال، والأعمال معهم، فالنهر ليس من صفة الداعية، والصبر من صفته، والحج يحتاج إلى التحلي بكثير من الصبر، والبعد عن أسباب الانفعال، ونهر الناس؛ لأنه قد ينهر السائل إذا أخطأ، أو إذا قال كلامًا، أو إذا ناقش، فلا تدري ماذا سيكون الأثر إذا نهرته، وإنما الذي ينبغي هنا أن يكون المرء رفيقًا حليمًا متأنيًا.

أيضًا: فيما يكون في المواعظ، والكلمات، والمحاضرات، فإن الرفق فيها فيما يقال للناس، في اختيار الموضوع، في عدم تكليف الناس، في فهم ما يقال فوق ما يطيقون، ليست الكلمات في المساجد، أو في المحاضرات، أو في المواعظ ليست في مستوى ما يقال في الجامعات، أو يقال في مجالس أهل العلم، وطلبة أهل العلم، وإنما يراعي ضعف حال المستمعين، فيرفق بهم، حتى من حيث اللغة، حتى من حيث تقريب المسائل، ولا يذهب إلى أشياء بعيدة يصعب عليهم فهمها، أو توقعهم في أشد مما كانوا عليه؛ ولذلك كان اختيار الموضوع مطلوبًا الترفق فيه، وكذلك عرض المسائل؛ ولهذا قال البخاري رحمه الله فيما علقه في صحيحه عند قوله ﷻ: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّينَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، قال: «**الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ العِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ**»[1].

---

(١) انظر: صحيح البخاري (١/ ٢٤).

ليس المجال في الكلمات، وليس المجال في المحاضرات أن يقول المرء ما يعلمه، كما يلقي درسًا، أو كما يلقي محاضرة في جامعة، أو ما أشبه ذلك، ليس كذلك، بل يترفق بالعباد، ويرسل لهم المعلومة، ويستحضر تقوى الله ﷻ في أنه في هذا المقام داعية مؤثر، فينبغي له أن يرعى وسيلة التأثير.

أما الأمر الثاني الشرعي: فهو مأخوذ من قول النبي ﷺ: **«خُذُوا عني مَنَاسِكَكُمْ، لَعَلِّي لا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا»**[١]، **«خُذُوا عني مَنَاسِكَكُمْ»**؛ تعني: الاستمساك بالسُّنَّة في الحج، تعني: أن يكون الحج بأركانه، وواجباته محافظًا عليه، وأن يكون مطلوبًا منا ألا يصرف الحج عما سنَّه رسول الله ﷺ، وأخذ عنه، فواجباته، وأركانه، وشروطه على اختلاف العلماء فيها، ولكن الحج له هيئة، الحج له صفة، فإذا ذهبت الفتوى، أو ذهب القول إلى إخراج الحج عن صفته، أو إلى الأخذ برخص المذاهب، فإنه قد يصير معنا صفة جديدة لا علاقة لها بـ **«خُذُوا عني مَنَاسِكَكُمْ»**، ونعلم هنا أن الذي قال: **«خُذُوا عني مَنَاسِكَكُمْ»** ـ عليه أفضل الصلاة، وأفضل السلام ـ هو الذي قال: **«افْعَلْ، ولا حَرَجَ»**، فهو الذي سُئِلَ كما في حديث أسامة بن شريك ﷺ المعروف في سنن أبي داود، قال: **«يا رَسُولَ اللهِ سَعَيْتُ قبل أَنْ أَطُوفَ، قال: «اسع ولَا حَرَجَ»**[٢].

فالأخذ بالترخصات الشرعية، والتيسير، وتطبيق قاعدة: «المشقة

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ١٢٥)، من حديث جابر بن عبد الله ﷺ. وفي لفظ لمسلم (١٢٩٧)، وأبي داود (١٩٧٠): **«لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»**، من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠١٥)، وابن خزيمة (٤/ ٣٠٩)، والدارقطني (٤/ ٢٣٨)، والبيهقي في الكبرى (٥/ ١٣٩)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٨٢).

تجلب التيسير» بشروطها المعتبرة عند أهل القواعد، والأصول، هذا من «**خُذُوا عني مَنَاسِكَكُمْ**»، فبعض الناس يظن أن الترخيص، والتسهيل فيما يقوم عليه دليل شرعي أنه يخالف الأصل في «**خُذُوا عني مَنَاسِكَكُمْ**».

«**خُذُوا عني مَنَاسِكَكُمْ**» تشمل: الأخذ بالسُّنَّة، وتشمل الأخذ بالرخصة المعتبرة شرعًا بدليلها، وقواعدها، فالمشقة تجلب التيسير قاعدة شرعية عظيمة، والله ﷻ يقول في كتابه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ففرق بين ما يأخذه العالم المجتهد في الترخيصات، وبين ما يأخذه من يرخص بدون وجه حجة شرعية، ولا أصل يستند عليه، لا من قاعدة، ولا من أصل، أو من كلام معتبر لأهل العلم، فإن التيسير اليوم أخذ مدخلًا واسعًا، والتيسير مطلوب؛ لأن النبي ﷺ كما في الحديث: «**مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا**»(١)، وقال في الحج كثيرًا: «**افْعَلْ ولا حَرَجَ**»، «**اذْبَحْ وَلَا حَرَجَ**»، «**ارْمِ وَلَا حَرَجَ**»، «**اسْعَ وَلَا حَرَجَ**»(٢)، وأشباه ذلك.

وهذا إنما يعيه أهل العلم المتحققون فيه، ففرق ما بين الأخذ بما دلت عليه الأدلة الشرعية في هذا المقام المهم، والتيسير على الناس، والحجاج، وما بين من يأخذ بها دون حجة إلا أنه يريد التسهيل فقط، ومعلوم كما قرره أهل العلم في شرح القواعد، والأصول، وفي التفسير، وشروح الأحاديث ما قرروه من أن المشقة لا بد منها في العبادة، فمن رام في العبادة أن ينفي كل نوع من أنواع المشقة، فإنه إنما صرف

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٨٣، ١٢٤، ١٧٣٦، ١٧٣٧، ٦٦٦٥)، ومسلم (١٣٠٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

العبادات عن وجهها؛ ولهذا قال ﷺ لعائشة ﵂: «**إنَّ أَجْرَكِ عَلَى نَصَبِكِ**»[١]، فالنصب لا بد منه، والصفة الشرعية لا بد فيها من نصب، فالصيام فيه نصب، والحج على هذا النحو فيه نصب، ومشقة.

فإذًا؛ ليست كل مشقة أتى الشرع بنفيها، بل هناك مشاق اعتبر الشرع أن يكون التخفيف فيها مطلوبًا؛ ولذلك هنا لا بد لنا أن نعي هذا الأصل العظيم، وهو الاستمساك بالسُّنَّة، والأخذ بالتيسير، والجمع بينهما صنعة أهل الاجتهاد الذين يصار إلى اجتهادهم.

وقد ذكرت عدة مرات في هذا المقام أن كثيرًا من أهل العلم ذكروا أنه بعد وقوع المسألة، فإن على المفتي أن يخفف على السائل في الحج، وقد أفضى إلى ذلك طائفة من المالكية كما في كتاب «المعيار المعرب»، وكما في بعض شروح ابن رشد، ونص عليه من علمائنا سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله تعالى، ورحم الجميع -، فإذا وقعت المسألة، فإن التيسير على المستفتي، والمسترشد مطلوب، لا تشق عليه لأنه فعل شيئًا، وربما كان في إعادة الفعل، أو في تكراره مشقة كبيرة في ذلك، ففرق في هذا المقام بين الإرشاد الأول، وبين الإجابة بعد أن تقع المسألة في ذلك، وهذا صنيع كثير من أهل العلم فيما يستفتون عنه.

أما الأمران الإداريان:

فالأول: أنني أشكر لجميع الإخوة الذين استجابوا لاختيار هيئة الحج لأسمائهم في مشاركة التوعية الإسلامية في الحج، ومعلوم أن المشاركة فيها عنت، وفيها مشقة في الحضور، ومعاناة الأمور في ذلك،

(١) أخرجه البخاري (١٧٨٧)، ومسلم (١٢١١) من حديث عائشة ﵂.

والإجابة، والإرشاد، والمحاضرات، والمواعظ، فللجميع منا الشكر، والتقدير، وأسأل الله ﷻ أن يثيبهم على جهدهم، وجهدهم مقدر منا معنويًا، ودعاؤنا أن يهبهم الله ﷻ القبول في الدنيا، والآخرة.

والتوعية الإسلامية في الحج لها أكثر من خمسة وثلاثين عامًا، وهذا يقتضي أن تخضع لتطوير إداري، وهذا الذي أحببت إخباركم به، ففي السنة القادمة، فإنه سيكون هناك دراسات متنوعة لتطوير التوعية الإسلامية في الحج هيكليًا، وإداريًا، وتقنيًا، وتوسيع أعمالها، وربطها بأشياء كثيرة، فربما ـ إن شاء الله تعالى ـ ننهي بعضها في السنة المقبلة ـ بإذن الله تعالى ـ، وهذا لخدمة المشاركين في التوعية، ثم لنحصل على أعلى مستوى من الخدمات، وباسمي، وباسم جميع الإخوة المشاركين نشكر الإخوة المشاركين في التوعية الإسلامية من الإداريين، نشكر لكم جميعًا جهدكم معنا في ذلك، ونطلب التسديد في هذا الأمر، وقد وزعنا استبانة على ثلاثمائة وخمسين من الإخوة، وجاءتنا الأجوبة فيها، وقد نسقت الأجوبة، وكانت الحقيقة النتيجة غير مرضية، فتفاجئنا كيف هذا التنوع من الأسئلة، ويكون المستوى بهذا القدر؛ ولذلك نعد الإخوة المشايخ أن نرعى هذا الأمر رعاية ـ إن شاء الله ـ بحسب الاستطاعة، وأن يكون هناك تطوير نوعي ـ بإذن الله تعالى ـ.

ثم إني لأشكر في هذا المقام سماحة شيخنا الشيخ عبد العزيز ـ حفظه الله ـ، على جهده الكبير معنا، وتسديده لنا، وعمله، وحضوره في كل مناسبات الدعوة، والدعوة لا تمثلها وزارة الشؤون الإسلامية، وهذا أمر كررناه كثيرًا، فالدعوة لا تمثلها وزارة الشؤون الإسلامية فقط، ووزارة الشؤون الإسلامية تمثلها كواجهة ظاهرة، ولكن الدعوة هي حراك لكل طالب علم يريد رفعة الحق، ونصرته، والتقليل من الشر،

واضمحلال الباطل، هذا أمر علينا جميعًا، سواء أكان في المؤسسات الرسمية، أو كان في المؤسسات الشخصية التي يقيمها بعض طلاب العلم، أو كان بجهد مفرد، الدعوة، ونشر العلم هذا مسؤولية الجميع، وواجب علينا أن نرعى ذلك أتم الرعاية، وإنما هذا الأمر الإداري هو تعاون؛ لكي تكون المسؤولية واضحة، ومحددة.

أما الأمر الإداري الثاني: فإن وزارة الشؤون الإسلامية لا شك كأي جهة حكومية، أو أي جهة فاعلة في الميدان لا بد لها من أعمال تجعل التواصل بينها، وبين المستفيدين من أعمالها كبيرًا، ولذلك فإننا نروم ـ إن شاء الله تعالى ـ أن نتعدى بخدمات التوعية الإسلامية في الحج من كونها محدودة الزمان، والمكان إلى أن تمتد إلى طول العام، وأن تذهب ـ أيضًا ـ إلى دول كثيرة، وبهذا نعتزم ـ إن شاء الله تعالى ـ أن يكون هناك إنشاء قناة فضائية خاصة بالمناسك، وتشرف عليها هذه الوزارة، وأن يكون بثها باللغات المختلفة؛ لكي يتحقق لنا نشر رسالة الإسلام عبر التعلق بالحرمين الشريفين.

أسأل الله ﷻ للجميع التوفيق، والسداد، وأن يجعلنا، وإياكم ممن هداهم الله، وقبل هدايته، وأن يجعلنا من المهتدين الأبرار، وأن يغفر لنا كثير ذنوبنا، إنه ﷻ جواد كريم، وأسأل الله ﷻ أن يثيب ولاة أمورنا خيرًا، وأن يجعلنا، وإياهم من المتعاونين على البر، والتقوى، وأن يحقق لنا، ولكم الآمال في رفع راية الإسلام، وفي نشره على رضا من الراضي، وغضب ممن يغضب، فالله ﷻ هو الذي وعدنا بذلك، ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح: ٢٨]، فالذي شهد هو الله، وسيتم ذلك؛ لأن الله هو الذي شهد به.

ختامًا:

أشكر لزملائي في وكالة الوزارة لشؤون المساجد، والدعوة، والإرشاد، وفي مقدمتهم: أخي فضيلة الدكتور توفيق السديري، وللإخوة العاملين في الأمانة العامة في التوعية الإسلامية في الحج، بخاصة أخي الكريم الأمين العام المكلف حسن القرشي، وجميع الإخوة العاملين معنا صغارًا، وكبارًا، وأسأل الله أن لا يكلني، وإياكم إلى أنفسنا طرفة عين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللَّهُمَّ، وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.





كلمة معالي الشيخ
في ملتقى الدعاة في ١٤٢٩/١٠/٢٢هـ

الحمد لله، والصلاة، والسلام على رسول الله، وعلى آله، وصحبه، ومن اهتدى بهداه، **أما بعد:**

فإني أسأل الله ﷻ لي، ولكم السداد في القول، والعمل، وأسأله أن يجنبنا العثار فيهما، وأن يقينا شر أنفسنا، وأن يلهمنا الرشد، وأن يغفر للذين سبقونا بالإيمان، وأن يجعلهم في منازل الأبرار، وأن يكتب لنا السير على منوال منهج سلف هذه الأمة، وأسأله ﷻ أن يغفر لنا ذنوبنا، وتقصيرنا، وعمدنا، وخطأنا، وأن يجعل قليل عملنا مباركًا نافعًا لنا يوم نلقاه.

ثم في فاتحة هذا اللقاء الذي هو خاتمة المطاف في هذا اليوم الدعوي، أرحب بالإخوة المشايخ جميعًا: الدعاة، والمرشدين، والوعاظ في هذه المنطقة ـ منطقة الرياض ـ، وأشكر للإخوة في وكالة الوزارة لشؤون المساجد، والدعوة، والإرشاد، والإخوة في مركز الدعوة بالرياض تنظيمهم لهذا اللقاء، والحرص على الإفادة منه، ولا شك أن هذه اللقاءات مفيدة جدًا، والبرامج المتنوعة فيها التنوع، والإثراء بخبرة الداعية، واستفادة الدعاة بعضهم من بعض، ونرغب ـ إن شاء الله تعالى ـ أن يكون هذا اللقاء دوريًا سنويًا على الأقل بتنظيمه بهذا المستوى.

الدعوة أنتم من حيث الهم تعيشونها ليل نهار، ومن حيث الفقه في

حكمها، وما أنزل الله فيها تبلغون ذلك، وتعلمونه، وليس المقام اليوم هو مقام التذكير بشأن الدعوة، والداعية، ولكن المقام هو مقام التلاقي على التثبيت في هذه المسيرة؛ لأن أكبر الملاحظات اليوم في شأن الدعوة، والداعية، بل في شأن طلاب العلم بعامة هي الانصراف عن العلم، ومقتضاه، ومراجعته، أو التساهل بالدعوة، وفي سبيلها، أو سوء الظن بأثر الدعوة التي تقومون بها على الناس، وكل منكم ـ ولله الحمد ـ له جهد في مجاله من مقل، ومن مستكثر، وكل له تأثيره، والله ﷻ جعل الأنبياء ـ صلوات الله، وسلامه عليهم ـ درجات، فقال في شأنهم: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٣]، وليس من عتب على داعية أن يكون غيره أمكن منه، ولا أن يكون غيره أقعد منه في الدعوة، ولا أن يكون غيره أكثر تأثيرًا منه، أو أحفظ منه، أو أنشط منه، أو أبلغ في التأثير، ليس من عتب عليه في ذلك؛ لأن هذا ليس إليه، والناس إنما يسيرون وفق ما يسر الله لهم، «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ لَهُ**»[1]، والذين نجوا في سفينة نوح عليه السلام، وكتب الله لهم النجاة، والرفعة، وجعل ذريتهم هم الباقين، هؤلاء لم يكونوا على مرتبة واحدة، ولا على درجة واحدة، والذي يرى صوارف هذا الزمن، ويرى ما فيه من التحديات الضخمة، والتسلط الكبير العظيم في صد الناس عن التعبد لله ﷻ، وفي الترغيب إلى الركون إلى الدنيا، وملذاتها، وشهواتها، من يرى ذلك، ولا يحتاج إلى كبير تأمل لمعرفته، قد يأتيه اليأس، أو قد يأتيه الإعراض عن سبيل الدعوة، أو يرى رأيًا هنا، أو هناك يرجع إلى أن الهجمة أكبر من جهودنا، أو أن ما يُعمل ـ الآن ـ في كل مستوى هو أكبر منا، ولكن الشأن عند المتصل بالله ﷻ، ليس هو شأن الكثرة، والقلة، ليس هو

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٤٩٤٥)، ومسلم (٢٦٤٧).

شأن القوة، والضعف، ليس هو شأن أن نكون، أو لا نكون، بل هو شأن التعبد، أمرنا الله ﷻ بشيء، فنمتثل ذلك، ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٌ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت: ٣٣]، ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فكون أننا نبلغ بالأثر، أو لا نبلغ، هذا ليس مطلوبًا منا، لا شرعًا، ولا قدرًا، ولا مطلوبًا منا ـ أيضًا ـ عند العقلاء، فالشرع دلنا على أنه يأتي النبي، وليس معه أحد، ويأتي النبي، ومعه الرجل، والرجلان[1]، ولكنه قام بواجبه، قام بتبليغ رسالته، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧].

المطلوب: البلاغ، المطلوب إعلان الدين، المطلوب ألا يأتي يوم ينسى فيه الناس دينهم، وهذه هي المصيبة، ولكن إذا بقي التذكير، وبقي الحرص على إعلاء كلمة الله ﷻ، فإن الأمر شديد، ومن أجمل الكلمات الموروثة عن سماحة شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، الذي هو والد الدعاة، وشيخهم، ومربيهم في الثلاثين سنة الماضية ـ رفع الله قدره، وأعلى منزلته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين ـ، من أجمل، وأبلغ كلماته أنه قال رحمه الله كلمة تبلغ إلى العظم تأثيرًا لما تكلم في موطن عن الدعوة قال: (**وَالْحَيَاةُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَعْظَمُ، وَأَشَقُّ مِنَ الْمَوْتِ فِي سَبِيلِ اللهِ**).

وهذا حق، وكلمة تبلغ إلى العظم تأثيرًا، الحياة في سبيل الله

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٥٧٠٥) من حديث ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ**»... الحديث.

صعبة، وشاقة، والموت في سبيل الله، يجاهد، يصابر سنة، سنتين، يموت في سبيل الله، صحيح فقدان الحياة، ولكنه مع المثابرة، وحسن النية يبلغ هذه المرتبة، إذا كتب الله له الشهادة، ولكن الحياة في سبيل الله أشق، ومنها الحياة في سبيل الدعوة، وكلنا يحس بذلك ما بين واقع يثبط، وما بين شهوات تصرف، والمرء في ساحة الجهاد الفعلية، أعني: ساحة الجهاد الميداني في القتال في سبيل الله، لا بد أن يدافع نفسه، لا بد أن فيه مشقة، ويدافع نفسه، وإقدام، فيه عواطف النفس المعتادة، ثم يزعم، ويتوكل، ويقدم، وكذلك في أمر الدعوة، الحياة في سبيل الله بعامة أن يكون فعلًا الأمر في رفعة دين الله ﷻ، وفي تبليغ هذه الدعوة الذي هو واجبنا جميعًا، لا شك أنه شاق وصعب؛ لأنه يصرف عن أشياء، ويجعل المرء يفكر، وينظر في التأثيرات، وهذا صاد عنه، وهذا لا يرغب، وهذا ينتقد، ولولا الصبر منحة من الله ﷻ ما بقي في هذا الميدان لا المتحدث، ولا السامع؛ لأن الأمر ـ كما ترون ـ أمر ضخم، وكبير ـ نسأل الله ﷻ أن يثبتنا، وإياكم، وأن يجعلنا صبورين على الحياة في سبيل الله ـ.

الأمر الثاني: الزمن لا شك يتغير، وغرض الداعية من دعوته هو إبلاغ كلمة الله، وإبلاغ كلمة الله يكون باللسان، ومعنى اللسان: اللغة، والفهم؛ كما قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، شمل اللسان ـ كما قال أهل العلم ـ: شمل اللغة، الحرف، وشمل التفكير، ما يؤثر عليهم به؛ ولذلك تجد أنه في سير الأنبياء في القرآن الكريم الأنبياء اختلفت طريقتهم في تبليغ الرسالة، فمن مقيم حجة، ومن خطيب، ومن مناظر، ومن رحيم بهم، ومن متودد، اختلفوا والغرض واحد، حتى في طريقة إقامة الحجة، ونوع الأسلوب،

تجد أنهم مختلفون في أداء ذلك، كما في نصوص القرآن الكريم؛ لذلك في تغيير الأزمنة من الحسن أن يطور الداعي نفسه؛ بحيث يرى أبلغ الأشياء تأثيرًا على الناس، والمدنية في تأثيرها على الإنسان الذي هو مدني بالطبع، المدنية في تأثيرها على الإنسان تجعله يتغير بمؤثرات مختلفة قد يشعر بها، وقد لا يشعر، ولكن المراقب يجد أن الإنسان يتغير، ولا نقصد كل إنسان، ولكن الناس بعامتهم يحصل فيهم التغير؛ لذلك إذا وجد مثل ذلك التغير، فإنه من الواجب أن يكون الدعاة مستبصرين بما يؤثر على الناس.

أساليب الدعاة في التأثير على الناس محصورة، إما عن طريق الترغيب، وإما عن طريق الترهيب، والتحذير مما يضاد الشرع، وإما عن طريق العلم، وبيانه، وأحكامه، وشرح ما يدل عليه، وإما عن طريق القصص، والأمثال، وما يخاطب به شعور الناس.

لذلك قال بعض أهل العلم في قوله ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، أن هذه تختلف باختلاف المتلقين:

فمنهم: من تصلح له الحكمة، وهي وزن الأمور في أمر الناس، فلا يصلح أن تعظهم دائمًا، ولا يصلح أن تجادلهم، وإنما يعاملون في تبليغ رسالة الله بالحكمة.

منهم: من يصلح للموعظة، الموعظة التي تشمل الترهيب، والترغيب، وتشمل بيان الحلال، والحرام هذا كله موعظة، هذا ينفع لطائفة من الناس.

وأخرى ينفع معها الجدال بالتي هي أحسن.

هذه تقسيمات بحسب فئات الناس، كما قاله بعض أهل العلم في هذه الآية.

هذا نصل منه إلى شيء، وهو أن الزمن اليوم نرى أن الوسائل متغيرة، ونرى نفسيات الناس متغيرة، وتأثيرات الكلام - أيضًا - متغيرة، فهل يصلح أن نكون جميعًا بعيدين عن معرفة وسائل التأثير على الناس في هذا العصر، هذا ينبني على مقدمة، وهي: أنه لا بد أن تعرف واقع الناس، فقد أعيش أنا مع أخي مع بعض زملائي في جو فيه شيء من العلم، فيه شيء من الدعوة، فيه شيء من العمل الإداري، فيه شيء من النزهة، ولكننا لا نعرف حياة الناس التي قد تكون شاردة، قد تكون بعيدة، ما نعرف كيف يفكرون.

الآن في المملكة بحسب الإحصاءات - كما تعرفون - ٦٠٪ «ستون بالمائة» من سكان المملكة أقل من ٢٥ سنة «خمسة وعشرين سنة»، و٥٠٪ «خمسون بالمائة» أقل من ٢٠ سنة «عشرين سنة»، معناه: أننا نتكلم عن أعداد نستقبلها بعد فترة سوف يكون هناك منطق جديد، وتفكير جديد؛ لذلك ملاحقة تفكير الناس مهم، وكيف تؤثر عليهم، وهذا يمكن أن تعرفه بالصمت، كيف؟

إذا أتيت إلى مجالس؛ لتعرف كيف الناس يفكرون، اطرح موضوعًا، أو اجعل أحدًا يطرح موضوعًا، المجالس فيها العامة، وفيها الكبار، والصغار، واجعلهم يتكلمون، وأنت لا تكن في هذه الحالة مرشدًا، أو واعظًا، أو داعية، أو معلمًا، بل أنت متلق - الآن - تسمع كيف يفكرون، ستدرك أن نمط التفكير - الآن - صعب.

وأنا أقولها لكم - الآن - بوضوح، وصراحة: رصد المعين في تفكير الناس من خلال التسع سنوات الماضية منذ ١٤٢٠هـ إلى ١٤٢٩هـ

تغير نمط تفكير الناس رجالًا، ونساء، كبارًا، وصغارًا، طلاب علم، وغير طلاب علم، لكن هنا يجب أن نستثمر ذلك، وألا نتأوه عليه؛ لأنه لسنا نحن الذين غيرناه، لسنا نحن المسؤولون أمام الله ﷻ عن هذا الذي حدث، وإن كان قد يكون منا من هو مسؤول في بيته، أو مسؤول عن نفسه، أو مسؤول عن كذا، لكن الذي حصل في الجملة تغيير على مستوى العالم الإسلامي، والعالم العربي، وعلى مستوانا في الداخل في المملكة، لا شك أننا لسنا المسؤولين عنه؛ ولذلك لا نريد أن نتعامل مع الموضوع بسلبية، وأن نقول: إننا لا يمكن أن نعمل شيئًا، لا، بل نتعامل بإيجابية، ونقول: ماذا يمكننا أن نعمله، قد أستطيع أنا أن أعمل أشياء لا يستطيعها كثير منكم، بحكم المسؤولية، أو كذا، أو كذا إلى آخره، يستطيع فلان أن يؤثر بما لا يستطيعه الآخر؛ لأن له قدرة على التأثير على من عنده، له قدرة على الكتابة، وهكذا.

فإذًا؛ ما هو الواجب تجاه هذه المسيرة للدعوة؟

من الحسن أننا نتحدث اليوم والكل منا راصد، ليس هناك أحد منا لم يطلع على هذا المستوى، الكل منا يشكو، لكن دعاة وزارة الشؤون الإسلامية ـ مثلًا ـ كم عددهم؟ قلة، أنتم تعرفون أن أكبر نسبة من الدعاة، والوعاظ، والمرشدين في منطقة الرياض، في بعض المناطق لا يوجد إلا واحد، أو اثنان، وفي بعض المناطق لا يوجد أحد، حتى إذا عينا أحدًا، وذهب إلى هناك يأتي بعد سنة يقول: أنا كذا، وكذا، ويريد أن ينتقل، هو معه عذره، فهو معه أسرة، معه عيال، لا يستطيعون أن يعشيوا في منطقة لم يألفوها، ولو صابر، ولكن تأتي مرحلة قد لا يستطيع، وإن ذهب لوحده صعب.. إلى آخره.

فإذًا؛ جميع الدعاة عندنا قد لا يبلغون المائتين، أو في حدود

المائتين، والذين فعلًا في الميدان، ويمارسون الدعوة بجودة قد لا يبلغون مائة، فالمسألة: أننا ليس عندنا قدرة كبيرة في هذه الوزارة عبر الدعاة أن نعمل تغييرًا مهما حاولنا، وضعنا مسارًا معينًا؛ لذلك ترون أنه كلما استطعنا أن نفتح المجال للمؤثرين من الدعاة، وطلبة العلم، وأساتذة الجامعات أن نفتح لهم مجالًا؛ ليدلوا بدلوهم في مسيرة الدعوة، وفي التأثير على الناس؛ لنخفف من هذا التحدي الكبير، فعلنا مهما استعنا فعلنا دون عوائق، ودون حساسيات قد تكون جاءت في وقت ما، أو في عقد ما من الزمن إلى آخره.

الوزارة ـ الآن ـ منفتحة على الجميع، عندنا هم كبير، تستطيع التواصل في مجال الدعوة مع كل الفعاليات المؤثرة في داخل المملكة، وخارجها، والداخل أكبر، كل الفعاليات المؤثرة؛ أي جهة، سواء كانت هذه الجهة رسمية، أو أهلية، كانت موقعًا، أو إنترنت، أو كانت مؤسسة، أو كانت جهة، أو مجلة، له تأثير لا بد أن نضعه؛ لنواجه الشيء الكبير اليوم الذي يواجه الناس، وهو التغير في قناعتهم في الدين، أنتم ـ الآن ـ في منطقة، ولكن لو تذهبون إلى بعض الأماكن، تشاهدون أن هناك ما يقلق، أو يؤرق؛ لذلك هنا هذا الاتجاه العام ينبغي أن يكون ـ أيضًا ـ لدى الدعاة، ألا يكون عندنا التضييق الذي يحرمنا من التأثير، والأمور دائمًا تقدر بتقديرها بحسب المصالح، والمفاسد، والمرجو من الشيء، والمأمول منه.

النقطة الثالثة: الوزارة عندها ركود، وعندما نقول الوزارة لا نعني الوزير؛ لأن الأشياء العملية التي في الميدان لا يمكن أن تكون بقرار، افعلوا هذا، أو كذا، فينفذ، بل يأتي، ويمر بمراحل حتى إذا وصل لمن ينفذون، فقد ينفذون، وقد لا ينفذون، وهناك أشياء على مستوى أعلى،

على مستوى دول تصدر بها قرارات، ثم تأتي في الميدان، وقد تنفذ، وقد لا تنفذ، هذه سنة بشرية، ولكن في العموم نقول: إننا نعاني من ركود، هذا الركود يجب أن يكون هناك معالجة له، الركود له أنحاء، منها:

ركود في مستوى الداعية، معناه: أن الداعية نفسه ليس بشاعر بكلامه الذي يقوله، فهو نفس الكلام، ونفس الموضوع، ولكنه قبل عشر سنين كان أبلغ، وأدق، وأكثر دليلًا، وعمقًا من الآن، لماذا؟

لأنه في تلك الأيام كان يواصل، ولديه معلومات، ويحضر، ويستعد. .إلى آخره، فأصابه الركود النفسي، أو التحضيري، أو الاستعداد، وبالتالي يصيب المتلقي في الدعوة عدم التأثر، والركود، فهذا ركود من جهة الداعية.

ركود من جهة البرامج، الجولات، الدروس، حتى أنه جاءني عدد من طلاب العلم، أو التقيت بهم في بعض المجالس، يقولون: الدورات العلمية هذه الموجودة في بعض المناطق لا بد أن يعيدوا تقييمها، فقد صارت عديمة الفائدة، الدورات العلمية التي تعقد في الصيف صارت ليس لها فائدة، وهي عبارة عن تكرار للمتون ليس له معنى. . إلى آخره.

عمل جليل صار ينظر إليه بعض الناس بأنه غير مفيد لماذا؟

لأنه جاء شيء من الركود بشكل، أو بآخر، ركود في برامج الدعوة، وهذا حاصل، كيف؟ أنتم تنظرون ـ الآن ـ: ننظم محاضرات، وننظم ندوات، هذا يأتي من مكتب الدعوة التعاوني، ويفسح في الفرع، ويراجعونه، ثم يرسلونه لنا في الوزارة، وبعض الإخوان في اللجنة المركزية يرون الضوابط، ثم يمضي، ثم الموضوع يرجع لهم، ثم ينفذ، أو لا ينفذ، الله أعلم، عندنا إحصائيات لما نفذ، وما لم ينفذ، لكن هذا

الأسلوب إذ كان يمضي عليه سنون طويلة قد يصيب حتى العاملين في الدعوة شيء من الركود الذي يجعلهم لا يبحثون عن موضوعات فاعلة، ولا يبحثون عن طرق مؤثرة، لا يبحثون عن شيء يُعمل به بحيث أنه يحرك الهمة.

الركود في البرامج يبدأ ليس من التخطيط، أعني: الجهات التخطيطية، والفروع، ومراكز الدعوة، أو من الوكالة، هو يبدأ فعلًا من قناعة الدعاة بملهمهم، الدعاة ليسوا الدعاة الرسميين؛ أي: حتى الإخوة المشايخ الذين يمارسون المحاضرات، ويلقونها هذا ينطبق عليهم؛ أي: شعور بهذا، وأنتم ترون اليوم.

خروجًا من هذا الركود ذهب عدد من نوابغ الدعاة، والمؤثرين فيهم إلى الفضائيات المتنوعة، القنوات الإسلامية، وغير الإسلامية، الملتزمة، وغير الملتزمة، التي تحترم الشرع، والتي لا تحترم الشرع؛ ليكونوا عبرها مؤثرين، لماذا؟

خروجًا من ركود الدعوة، والدعاة، والوصول إلى مواقع التأثير.

ولسنا بصدد تقييم هذه التجربة، والنظر فيها، ولكن التفسير لماذا؟

للخروج من الركود، عندنا وسائل كثيرة يمكن أن تعملوها حتى في الكلمات، والمحاضرات؛ لتخرجوا بها من الركود، وحتى الملقي إذا خرج من الركود شعر هو بالتجديد، وإذا شعر بالتجديد حمسته، ونظر أكثر فيما يعمله هنا، أو هناك؛ لذلك الركود في الداعية، والبرامج حبذا لو يتطوع كل أخ من الحاضرين بكتابة رؤية يقدمها في هذا الصدد، فنحن نريد أن نخرج من هذا اليوم الدعوي الحافل، وقد ناقشتم بعد العصر في ورشة عمل نقاشًا قويًا وممتازًا في أمور كثيرة، وكلها تكون تحت النظر، ولكن الخروج من الركود لا بد له من أفكار.

هذه الأفكار: ركود الداعية، وركود البرامج نفسها، هذه الأفكار تخرج منكم، هناك شيء من الأفكار يمكن أن نطبقه، وهناك شيء لا نستطيع، ولكن لا بد أن يكون هناك الكثير مما يمكن العمل به.

النقطة الأخيرة: العمل الإسلامي اليوم على مستوى العالم يشهد تغيرًا. وهذا التغير قد يظهر بعد سنين عددًا، وأنا أخشى عليكم من التغيرات السلبية التي يكون التأثير فيها للضغط العالمي، أو الضغط الإقليمي، أو الضغط المصلحي المتوهم عند البعض؛ ولذلك من توقاه، فقد أوتي خيرًا كثيرًا، فزن الأمور بميزانها؛ بحيث يستطيع طالب العلم الداعية أن يحقق بعض المتطلبات، ويحافظ على الأصل والمسيرة، وهذا التوازن صعب، وليس بالسهل، وتوزيع الأدوار في الحصول على النتيجة أخيرًا، هذا أمر مطلوب، فقد يكون للبعض دور مختلف عن البعض الآخر، ولا يصلح أن يلوم بعضنا بعضًا؛ لأن النظرة المصلحية الشرعية، والمحافظة على الشأن العام، وشأن الدين، والمدافعة بما يستطيعه الإنسان بالمحافظة حتى يكون التغير أكبر، وهذا مطلوب، لكن العمل الإسلامي يشتمل على متغيرات؛ لذلك لا بد من مزيد من الاتصال بالعالم، وبالمؤثرين فيه، وبمعرفة ما يجري، يمكن أن يكون عبر اتصالات شخصية، أو عبر مواقع بحثية، أو عبر مواقع إنترنت، أو اتصالات، إلى آخره من الوسائل، ولكن الاستباق خير من ضده، الاستباق خير من الاستدراك بعد أن يقع الشيء.

فحبذا أن يكون عند الإخوة جميعًا الرغبة في الاستعدادات للمشاركات في أي مجال منفتح عام، الذي عنده قدرة على المشاركة في الإذاعة يوطن نفسه على المشاركة في الإذاعة، الذي عنده قدرة على المشاركة في الكتابة يوطن نفسه على المشاركة في الكتابة، ويحتسب ولو

تعب، ترى الأثر كبيرًا، والمدافعة مطلوبة، الذي لديه قدرة على التأثير عبر موقع على الشبكة، فليفعل، الذي لديه قدرة على التأثير في القنوات، فليفعل، لا بد أن تصل كلمة الحق إلى الناس، ولا بد أن نستبق التأثيرات علينا، وعلى غيرنا بفعل محمول نقدمه للناس.

اليوم قد يكون ـ وهذا من حكمة الله البالغة ـ الذي يحدث في المنطقة من سنين مواكبًا للتغير الإعلامي، ومواكبًا لسهولة السفر، ومواكبًا لكذا من الأسباب، قد يكون هذا من دواعي وإستراتيجية جديدة للدعوة في الداخل، والخارج؛ لأنه أن نمشي على خطانا التي كنا نمشي عليها خير، ولكن لا بد أن نضيف على ذلك ما يجدد بحسب حاجة الخلق، وتغير الزمان، والمكان.

اليوم في العالم كله يتجه إلى ـ كنظرة عامة ـ تشويه الدعوة السلفية، أو ما يسمونها «بالوهابية»، فشوهوها بأمور كثيرة جدًا جدًا، وائتمر الملأ منهم من هنا، وهناك بهذا، حتى إنها دخلت استخباراتيات بعض الجماعات الإسلامية المنحرفة، وقيل لها: تسموا بالدعوة السلفية؛ لكذا، ولكذا.. إلى آخره.

وإذا علم حتى من يسمون بتنظيم الجهاد، أو القاعدة أنه مخترق من بعض الاستخبارات من جهات ما، إذا علم بأنه مخترق، وأنه قد يؤثر عليهم بما لا يعلمون عواقبه بشكل، أو بآخر، علم أنه قد لا يسلم العمل الإسلامي من تشويه قوة العمل الإسلامية في العصر الحاضر، وهي الدعوة السلفية؛ لأن أقوى حركة جاءت في هذا العصر للتأثير على الناس هي الدعوة السلفية، ودعوة الإخوان، فهاتان أقوى حركتين في التاريخ تأثيرًا على المسلمين في العالم، سواء في داخلها، أو في خارجها، تأثيرات الجماعات الأخرى أضعف، وأضعف، ولكن تيارات

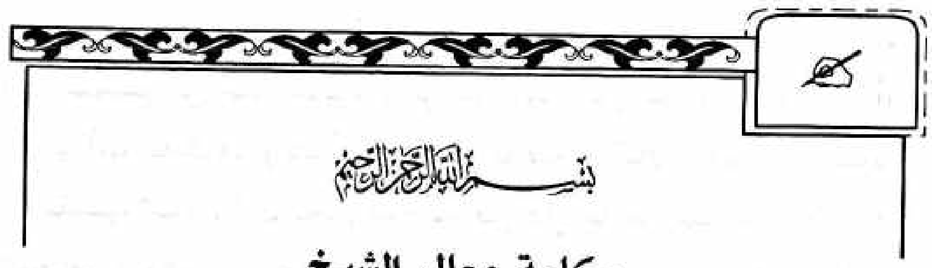
كبيرة مؤثرة، وجد هذين التيارين، والآن وجه لكل من الجهتين ما يضعفها، أو ما يؤثر عليها، فالمسألة كبيرة، ولا بد أن يكون عندكم قراءة لبعض التقارير، التقارير السياسية الدعوية المتعلقة بالدعوة، والفكرة جاءتني - الآن -، إذا أحب الإخوة أن يكون هناك أرشيف، أو مركز عندنا في الوزارة، ومكان اطلاع لمن يريد أن يطلع على بعض هذه التقارير، فليس لدينا مانع؛ لأنها تصلنا بطريقة، أو بأخرى مترجمة، ومن يريد أن يطلع عليها، فليكن في غرفة، ويطلع عليها، ويعلم ما هو متجه إليه.

اليوم التضليل حاصل، التضليل مما ينشر في الأخبار، وفي القنوات، ليس شرطًا أن يكون صحيحًا، قد يُقال شيء، ويراد شيء آخر، فتستغرب بعض القنوات المحسوبة على البعض هنا، وهناك التي تنشر الأخبار المسيئة للإسلام، والمسلمين، وبعض القنوات في بلد، أو في دولة، وتستهدف دولة أخرى، وترى أن هناك رغبة في تفتيت هذه القوى، وهذه الدعوة إلى الله ﷻ، استطاعوا عبر المؤسسات الخيرية أن يفعلوا ما يفعلوا، وبقي هذا.

فإذًا؛ المسألة تتطلب منا ما ابتدأنا به الحديث، وهو أن نحيا في سبيل الله ما استطعنا، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وصلِّ اللَّهُمَّ، وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.





كلمة معالي الشيخ

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

ألقاها معاليه في معرض وسائل الدعوة العاشر: «كن داعيًا» بحائل: ١٤٢٩هـ

الحمد لله، والصلاة، والسلام على رسول الله، وعلى آله، وصحبه، ومن اهتدى بهداه، **أما بعد:**

صاحب السمو الملكي الأمير، عبد العزيز بن سعد بن عبد العزيز، نائب أمير منطقة حائل، وراعي هذا الحفل نيابة عن سمو أمير المنطقة،

أصحاب المعالي، والفضيلة،

أصحاب السعادة،

أيها الحفل الكريم،

السلام عليكم، ورحمة الله، وبركاته.

وإني لأحمد الله ﷻ حمدًا كثيرًا متواترًا على هذه النعمة، ألا وهي انطلاق هذه الدولة من دعوة فيما مضى، وتأسيسها اليوم على دعوة صالحة؛ ولذا نص على الدعوة إلى الله في مضامين الدولة في النظام الأساسي للحكم، فدولتنا دولة دعوة إلى الله ـ تعالى ـ؛ لأنها دولة الشريعة الإسلامية، والشريعة أمرت بالخير، والدعوة إليه، فله الحمد كثيرًا أن هيأ ذلك، وله الحمد كثيرًا أن ثبتنا على ذلك.

ثم إني لأشكر لصاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبد المحسن بن عبد العزيز، راعي هذا المعرض على الحقيقة، من أول يوم بدأت الفكرة، وابتدأت الترتيبات فيه، فكان متابعًا للكليات، وللتفصيلات، وكان بحق موجهًا في كل ما من سبيله إنجاح هذا المعرض، وهذا فرع عن اهتمام قيادتنا المباركة بهذه الوزارة أولًا، ثم بأنشطتها، وما تهدف إلى الخير ثانيًا.

أيها الإخوة:

إن شريعة الإسلام، ودين الله ﷻ لما بعث به نبينا محمد ﷺ، أمر فيه بالدعوة إليه، فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وخص نبيه، ومن تبعه بالدعوة، فقال: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، وكل مؤمن يشرف بأن يكون تبعًا للحبيب المصطفى ﷺ، في الدين كله، وفي هذه المهمة بخصوصها؛ ولهذا تنافس الصحابة ﷺ في بث هداية القرآن، وبث الدعوة في العالمين، في العالم شرقه، وغربه، لماذا؟ لأنهم حملوا القرآن، والله ﷻ قال لهم بقوله لنبيه ﷺ: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان: ٥٢]؛ ولذلك فهموا أن نشر الدعوة إلى الله من فرائض الله ﷻ، ففي الحقيقة فتحوا البلاد لا بالسيف، وإنما فتحوا البلاد بفتح القلوب لهداية القرآن؛ ولذلك تماسكت دولة الإسلام في أولها، وفيما شاء الله؛ لأنها استمسكت بهذا الأصل المتين الذي يجتمع الناس عليه، ولا بد للناس من ركن يجتمعون عليه، وهو ركن لهذه الأمة، وهو قدرها الذي قدر الله ﷻ لها أن تستمسك بالقرآن، وبهدايته، وبالشريعة الإسلامية، وبتعاليمها، وبالدعوة إلى الله.

تتابع الخلفاء، وتتابعت الأئمة في الإسلام للدعوة إلى الله ﷻ، حتى قامت الدولة السعودية الأولى على يد الإمام الصالح المصلح محمد بن سعود ؒ، مناصرًا للدعوة السلفية التي نشرها الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحم الله الجميع ـ، فقامت الدولة على أساس متين من نصرة دين الله ﷻ، ونشر التوحيد، وتحكيم السُّنَّة، ورفض البدع وقيام بحق الله ﷻ، فاجتمع الناس في هذه الديار ما اجتمعوا.

ثم لما قامت الدولة السعودية الثانية على يد الإمام المصلح، والملك الهمام عبد العزيز بن عبد الرحمٰن آل سعود ؒ، أقامها في وقت كان الناس فيه في حروب مختلفة، والناس يتلاقون من هنا، وهنا دساتير، فمنهم من اتجه إلى الشرق؛ ليطلب مرجعًا، وهداية، ومنهم من اتجه إلى الغرب؛ ليطلب مرجعًا، وهداية، ولكنه أعلنها أن مرجعها، وشعارها، ورايتها «لا إلٰه إلا الله، محمد رسول الله»، فهكذا كان، وهكذا ارتفعت هذه البلاد، واجتمعت، وتآلفت قبائلها، وتآلف شمالها مع جنوبها، وتآلف شرقها مع غربها؛ لأنهم التقوا على هداية واحدة تحت راية رجل حكيم مستمسك قوي بدين الله ﷻ.

ثم تتابع أبناؤه على ذلك ينشرون دعوة الله، ويمكنون الإسلام خير تمكين، ثم جاء هذا الزمان بخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز ـ أيده الله ـ، وسمو ولي عهده الأمير سلطان بن عبد العزيز ـ أيده الله ـ، فأقاموا ما قامت عليه هذه البلاد البارحة، وما أشبه الليلة بالبارحة، الظروف تتغير، والمعطيات تختلف، والأوليات تتغير، ولكن الحقيقة واحدة، ولكن الطريق واحد، والمؤمن الذي يعلم الزمان، وأهله، ويعلم التحديات المعاصرة يعلم أنه لا بد للدعوة من تطوير في وسائلها، من تطوير فيما تحتوي عليه من الأوليات، لا بد للدعوة من

تطوير في طرق حامليها، في وسائلها، في أسلوبها، في صفاتها، في كيفية التوصيل؛ لأن الله ﷻ قال في كتابه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، وأنتم تنظرون في القرآن أن الرسل اجتمعت على هداية واحدة، وعلى دين واحد، والشرائع مختلفة، وأيضًا: في الآيات الأساليب مختلفة؛ لأن الناس الذين بُعث إليهم كل نبي يختلفون؛ ولهذا فإن الدعوة إلى الله تتطلب في كل عصر تجديدًا، وتتطلب في كل عصر محاورة جديدة، وتتطلب في كل عصر ما يحبب الخالق ﷻ إلى خلقه، ما يجعل الخلق يحبون خالقهم، ويطيعونه، ومن فكر في أسلوب يجعل الناس يحبون خالقهم ﷻ، ويدينون له، ويجعلونه ﷻ هو المراد، وهو الذي يُذل له، وهو الذي يُعبد حق عبادة، إذا قصر الدعاة في ذلك، فإنما التقصير منهم، والدين كامل لا شك في ذلك.

لذا جاءت هذه المعارض - معارض وسائل الدعوة إلى الله -، وهذا المعرض: وسائل الدعوة إلى الله في دورته العاشرة في منطقة حائل، وفي مدينة حائل، في هذه المنطقة التي هي منطقة الرجال، منطقة التاريخ، منطقة العلم، منطقة الأدب، منطقة الكرم بحق، وحقيقة؛ فلذلك اجتمعت في هذا المعرض لما نشهد من هذا الحضور الكبير، وهذا التفاعل من جميع الجهات من أمير المنطقة، ونائبه إلى جميع المسؤولين في الدوائر إلى الجميع أن الناس تفاعلوا؛ لأنهم أهل كرم، ووفاء، وحب لقيادتهم، ولدولتهم، وحب لدينهم، وللدعوة، وحب لنشر الاقتداء، ونشر الوسطية الذي هو من أهم أسباب هذا المعرض، هذه المعارض حضرها أكثر من مليون ونصف في الدورات التسع، ونطمح - إن شاء الله - أن يكون هذا المعرض محققًا لعدد من الناس

يأتون رجالًا، ونساء مما يجعل هذا المعرض يحقق أهدافه.

من الأهداف التي تحققت في المعارض السابقة: أن هذا المعرض يُبين وسائل الدعوة إلى الله المختلفة؛ لأن من الناس من ينظر إلى وسائل الدعوة ربما تكون على صورة تقليدية، وربما تكون على صورة مما كان الناس يعرفونه، أو مما يعرفه فلان، وفلان، ولكن المعرض هذا يهيئ، ويرشد إلى وسائل جديدة تتنوع، فخطاب الرجل العاقل يختلف عن خطاب الشباب، وخطاب الرجال يختلف عن خطاب النساء، وخطاب الأسرة يختلف عن خطاب العامة، وهكذا، فإن تنوع الوسائل بتنوع الأشخاص، ومستوياتهم، إن هذا من مقاصد هذه المعارض.

وأيضًا: حققت هذه المعارض نشرًا للوسطية، والاعتدال، فإن من يزور هذه المعارض يدرك الجهد الكبير، والأعمال العظيمة لهذه البلاد بجميع أجهزتها: الرسمية، والأهلية، والخيرية التي تعمل في سبيل واحد، وهو نشر هداية الله ﷻ؛ ولذلك لا مكان عندنا اليوم للمزايدة علينا في نشر الإسلام، لا مكان عندنا اليوم لمن يقول: إننا مقصرون في نشر الهداية، ولكن لا بد أن نعمل ما نستطيع، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وأن نتعاون على ذلك كبارًا، وصغارًا، مؤسسات رسمية، ومؤسسات أهلية؛ لكي يكون الناس جميعًا على نفس الهداية، ووسطية معتدلة، وفهم للإسلام يجمع القلوب، ولا يفرقها، ييسر، ولا يعسر، نرد الغلو، وننشر الاعتدال، نرى في الناس الخير، ولا نرى فيهم الشر، نرى أن هذه الأمة فيها عطاءات خير، وفيها إيجابيات في جميع القطاعات، ولا نرى فيها الشر؛ ولذلك من رأى الشر، فإنما رآه بعينه، ومن رأى الخير، فإنما رآه بقلبه.

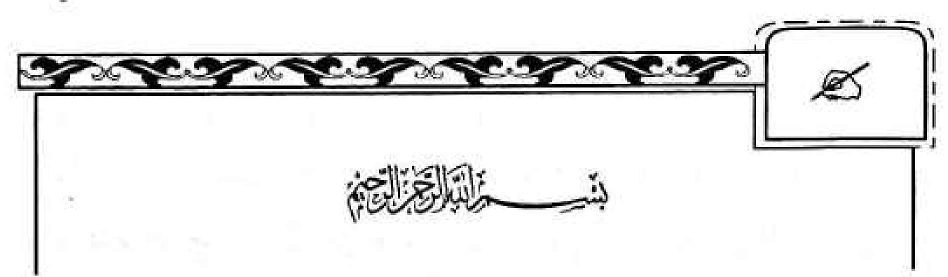
وهذه المعارض تخدم أهدافًا كثيرة، تحرك القلوب إلى أننا بخير،

وإلى أن من أراد الدعوة، وأراد الإصلاح، وأراد رفع راية الإسلام، فهذا هو الطريق النبوي، وهذا هو الطريق السُّنِّي، وهذا هو طريق العلماء، وهذا هو طريق أمة الإسلام - أيدها الله، ورفع لها منارها -.

في ختام كلمتي هذه، أكرر الشكر لراعي هذا الحفل صاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن سعد بن عبد العزيز، ولجميع المسؤولين في هذه المنطقة، مسؤولي الجهات الرسمية، ولجميع أبناء هذه المنطقة الذين استجابوا لهذه الدعوة، وحضروا هذا الحفل، شاكرين للجميع حفاوتهم، وتقديرهم، وجهدهم معنا، ثم إني لأشكر جميع الجهات المتعاونة مع هذه الوزارة، والتي استجابت للدعوة، وشاركت في هذا المعرض من المؤسسات الرسمية، والوزارات، والهيئات، ومن المؤسسات الخيرية، والعملية، والأهلية، وأشكر - أيضًا - لزملائي في وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف، والدعوة، والإرشاد الذين نظموا لهذا المعرض، وأسهموا فيه إسهامًا طائلًا، وأخص بالشكر من يمثلهم الأخ الشيخ أحمد الصباغ، والأخ الشيخ عبد الله الحماد مدير الفرع، وجميع زملائي، وجميع اللجان العاملة في إنجاح هذا المعرض، وللرعاة منا كلمة شكر، وتقدير على تفاعلهم، ورعايتهم لهذا المعرض، ولجميع أهالي هذه المنطقة الشكر، والتقدير مرة أخرى، رفع الله للجميع المنار، وجعلكم صالحين مصلحين، ووفقنا مع ولاة أمورنا للتعاون على البر، والتقوى، وأيدنا الله بتأييده، ووفقنا بتوفيقه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلِّ الله، وسلم، وبارك على نبينا محمد.

والسلام عليكم، ورحمة الله، وبركاته.





بسم الله الرحمن الرحيم

اللقاء المفتوح الأول بالدمام

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، **أما بعد:**

فقد سمعنا قول الله ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمٰن: ١ ـ ٤] في سورة الرحمٰن، وهذه السورة صدرت باسم الله الرحمٰن، والرحمٰن اسم لله ﷻ دال على ذاته العلية وعلى صفة الرحمة، وأسماء الله ﷻ وصفاته لها آثارها في الملكوت، ولها آثارها في برية الله ﷻ، وما في الدنيا مما رأيت ومما لم ترَ من التراحم والتعاطف، بل ومن النعم، فإنه من فروع رحمة الله ﷻ، ومن آثار اسم الله الرحمٰن، واسم الله الرحيم، الرحمٰن هو الذي وسع كل شيء رحمة، ولو أخلى عباده من رحمته، فإنهم لن يستطيعوا البقاء؛ لأنه ﷻ قائم على كل نفسٍ بما كسبت، وهو ﷻ رحيم بعباده، ورحمن بهم.

من آثار رحمة الله بعباده أن علم القرآن؛ لهذا قال طائفة من المفسرين: عطف بالبيان علَّم القرآن على اسم الله الرحمٰن: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾ وهي خبر، (الرحمٰن) مبتدأ (علم القرآن) خبره، والمناسبة ظاهرة أن تعليم القرآن من رحمة الله ﷻ بنا، وإنزال القرآن

رحمة الله ﷻ المسداة علينا، وأعظم النعم، وأعظم الرحمة إنزال القرآن؛ قال ﷻ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: ٥٨]، وقد روى ابن أبي حاتم وغيره في تفسيره: **«لَمَّا قُدم خراجُ الْعِرَاقِ إِلَى عُمَرَ، ﷺ، خَرَجَ عُمَرُ وَمَوْلًى لَهُ، فَجَعَلَ عُمَرُ يَعُدُّ الْإِبِلَ، فَإِذَا هِيَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَعَلَ عُمَرُ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَيَقُولُ مَوْلَاهُ: هَذَا وَاللهِ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ. فَقَالَ عُمَرُ: كَذَبْتَ. لَيْسَ هَذَا، هُوَ الَّذِي يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: ٥٨]، وَهَذَا مِمَّا يَجْمَعُونَ»**[(١)]، وهذا الأثر ظاهر في الدلالة على أن القرآن رحمة الله ﷻ، والفرح بفضل الله وبرحمته بإنزال القرآن يجب أن يكون أعظم من الفرح بأي محبوب في الدنيا؛ لأن به الوصول إلى الله ﷻ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦]، وهذا الصراط من الأقوال في تفسيره أنه القرآن[(٢)]: قال ﷻ هنا: ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢﴾ والقرآن هو الكتاب الذي أنزله الله ﷻ على محمد ﷺ، تكلم به، وسمعه منه جبريل ﵇، فبلَّغ ما سمع كما سمع.

والقرآن له مرتبة في الكتابة، فإن الله ﷻ كتب القرآن في اللوح المحفوظ؛ قال ﷻ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ [البروج: ٢١، ٢٢]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝٨٠﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٨٠]، فالله ﷻ كتب هذا القرآن في اللوح المحفوظ، وصار في كتاب مكنون، وهذه هي

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٧٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٦٠).

(٢) انظر تفسير الطبري (٨/ ٨٨، ٨٩)، وتفسير القرطبي (٧/ ١٣٧)، وفتح القدير للشوكاني (٢/ ١٧٨).

مرتبة الكتابة، أما تكلمه ﷻ بهذا القرآن، فإنه كان حين أراد ﷻ بعث محمد ﷺ، فتكلم بهذا القرآن - وهو بعض كلامه ﷻ -، فسمعه منه جبريل عليه السلام، وأمره الله أن يبلغه لمحمد ﷺ، وأن يخبره بأن هذا هو القرآن الذي يتلى، فنزل منجمًا على ثلاث وعشرين سنة، وفيه وعدٌ ووعيد، فيه من أنواع العلوم ما لو تدبرناه لأصلح دنيانا، ولأصلح آخرتنا، والشأن في العباد أنهم لا يتدبرون القرآن، وترك تدبر القرآن من أنواع هجره، وقد قال ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ۝٣٠﴾ [الفرقان: ٣٠].

من أنواع هجره أن تقرأ ولا تفهم المعاني، ثم لا تبحث عن تفسيرها، ولا عن معانيها، وقال ﷻ آمرًا بتدبر القرآن: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ۝٢٤﴾ [محمد: ٢٤]، وقال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ۝٨٢﴾ [النساء: ٨٢]، وقال أيضًا: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٢٩﴾ [ص: ٢٩].

من الذي ينتفع بالقرآن؟ الجاد ذو اللب، الذي لا تمضي عنده الأشياء إلا وهو جادٌّ معها، فقضية الحياة والقرآن والإسلام هذه أعظم المهمات؛ لهذا جعل الله ﷻ القرآن هو النبأ العظيم: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣﴾ [النبأ: ١ - ٣]، هو النبأ العظيم الذي أعرض عنه كثيرون، ﴿قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ۝٦٨ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ۝٦٩﴾ [ص: ٦٧ - ٦٩].

فواجبٌ تدبر القرآن أولًا بأن نسعى في حفظه، وأن تلزم نفسك بالحفظ، فإن لم يكن، فبتلاوته في كل يوم وردًا معروفًا، والأفضل أن

تختم كل شهر؛ كما جاء ذلك في السُّنن[١]، وتدبر القرآن بعد ذلك، إذا قرأت آية لم تعلم معنى كلمة منها من العيب أن لا تفهم كلمة من كلام الله ﷻ والعلم موجود، وأهله موجودون، وكتبه التي بها وفيها فسر القرآن موجودة.

وأعظم ما يجب أن نعتني بالقرآن حفظًا وتلاوة وتدبرًا وتدارسًا؛ فهو الأنيس في الخلوة، وهو الأنيس في الروحة والغدوة، وهو الأنيس في كل حال، وهو الذي به يقوى المرء على مواجهة ظلمات الشبهات وظلمات الشهوات.

ولهذا ما أحسن ما قال الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ في أول منظومته في القراءات قال[٢]:

وإن كتاب اللَّه أوثق شافعٍ	**وأغنى غناءً واهبًا متفضلًا**
وخير جليسٍ لا يمل حديثه	**وترداده يزداد فيه تجملًا**
هنالك يهنيه مقيلا وروضة	**ومن أجله في ذروة العزّ يجتلى**
وحيث الفتى يرتاع في ظلماته	**من القبر يلقاه سنى متهللًا**
يناشد في إرضائه لحبيبه	**فأكرم به سؤلًا لديه موصلا**

(يناشد)؛ يعني: يناشد القرآن..... إلى آخر تلك الأبيات.

والذي يصد عن القرآن لا بد في صدوده من سبب، تارةً يكون الصدود عن القرآن من جهة الرغبة في الشهوات، وأعظم ما يصد به المرء عن القرآن النظر والغناء، أما النظر، فإنه يكسف نور الله في القلب؛ لأن الله الذي يقذف في القلوب له ما يكسفه ويظلمه من جهة النظر إلى ما حرم الله ﷻ، وخاصة النظر إلى النساء وتتبع ذلك.

---

(١) انظر: سنن ابن ماجه (بَابٌ فِي كَمْ يُسْتَحَبُّ يُخْتَمُ الْقُرْآنُ) (١/٤٢٦).

(٢) انظر: الوافي في شرح الشاطبية (ص١٣).

ومن لطائف كلام العلامة ابن القيم رحمه الله أن قال بعد حديث عائشة رضي الله عنها: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنْ آيَاتِ اللهِ، وَإِنَّهُمَا لَا يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَكَبِّرُوا، وَادْعُوا اللهَ وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ إِنْ مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ، أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟**»... إلى آخر خطبته ﷺ[1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: (وفي ذكر هذا الذنب بخصوصه في خطبة الكسوف سر بديع، قد نبهنا عليه في باب غض البصر، وأنه يورث نورًا في القلب، ولهذا جمع الله ﷻ بين الأمر به وبين ذكر آية النور، فجمع الله ﷻ بين نور القلب بغض البصر وبين نوره الذي مثله بالمشكاة؛ لتعلق أحدهما بالآخر، فجمع النبي ﷺ بين ظلمة القلب بالزنا وبين ظلمة الوجود بكسوف الشمس، وذكر أحدهما مع الآخر، وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ**»[2][3].

فوسيلة الزنا النظر؛ فالنظر يجعل القلب شيئًا فشيئًا في ظلمة، وإذا تأملت، فإن الذي يطلق نظره، ويسعى في الشهوات من جهة النظر

---

(١) أخرجه مسلم (٩٠١).
(٢) أخرجه البخاري (٤٦٣٤، ٤٦٣٧، ٥٢٢٠، ٧٤٠٣)، ومسلم (٢٧٦٠).
(٣) انظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص٢٩٥)، وانظر: الجواب الكافي (ص٦٦).

المحرم إلى النساء لا يستلذ للقرآن كثيرًا، فالقلب يعتلج ما بين نور يقبل عليه من القرآن والإسلام، وما بين ظلمة تأتيه، وهو لما غلب منهما.

والأمر الثاني: المعازف والغناء؛ لأن المعازف رقية الشيطان وصوت الشيطان؛ كما قال السلف في تفسير قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء: ٦٤]، قالوا: صوت الشيطان أول ما كان في أبناء آدم عليه السلام كان صوت مزمار[1]، ثم لما استلذوا لذلك الصوت صنعوا ما يشبه ذلك الصوت من المزمار من خشب، بإيحاء الشيطان لهم ذلك، فكانت تلك رنته. والقرآن والمعازف لا يجتمع حبهما؛ فهذا يخرج هذا، ومن عظم عنده حب القرآن، لم يأنس، بل رفض المعازف؛ لأن القرآن كلام الله، والمعازف صوت الشيطان وداعي الشيطان، ولهذا قال ابن القيم رحمه الله في النونية[2]:

حُبُّ الْكِتَابِ وَحُبُّ أَلْحَانِ الْغِنَا ... فِيْ قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

فالقرآن واجب الاعتناء به والاهتمام به حفظًا ودراسة، ويحرم هجره، والواجب على العباد أن يقبلوا على هذا القرآن؛ لأنه مأدبة الله جل وعلا ورحمته، وأعظم النعم التي أنعم الله بها علينا أن نقرأ كتابًا فيه كلامه جل وعلا، والقرآن لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، ويجب تدبر القرآن والنظر في ذلك والسعي فيه، ويجب الحذر أشد الحذر من كل ما يجعل القلب لا يأنس بكلام الله جل وعلا، وكلٌّ حسيب نفسه ولقاء الله جل وعلا قادم: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾﴾ [العنكبوت: ٥]، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

---

(١) انظر: زاد المسير (٣/ ٣٧).

(٢) انظر: نونية ابن القيم مع شرحها لابن عيسى (١/ ٢٢٦).

المقدم:

جزاك الله خيرًا، هذه الأسئلة وهذه رسالة، ومنها مقدمة لفضيلة الشيخ صالح يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، **أما بعد:**

«هذه كلمات موجهة إلى فضيلة الشيخ صالح، وهي ـ كما لا يخفى على فضيلتكم ـ حاجة المنطقة لمثل هذه المحاضرات والدروس من طلاب العلم أمثالكم، فالله الله بنا يا فضيلة الشيخ! اتق الله فينا؛ فنحن عطشى لما عندكم من كلام الله ﷻ أو كلام رسوله ﷺ. يقول: لقد سعدنا بمحاضرة البارحة وبدرس اليوم، وها نحن نستعد للقاء المفتوح، فتح الله عليك وعلينا وعلى جميع المسلمين، وجزاك الله خيرًا.

سؤال: هذا أخ يقول: هل من كلمة للنساء حول كثرة غشيانهم الأسواق والسفور فيها، وكلمة لولاة أمور هؤلاء النساء في السماح لهن بالخروج، في عدم السماح لهن بالخروج.

الجواب: ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ**»(١)؛ يعني: صار الشيطان يدل عليها، والأصل في المرأة الصالحة وفي المرأة المسلمة أن تلزم بيتها، إلا لما لا بد لها منه، ولو نظرت المرأة إلى هذه الحياة الدنيا، وأنها ميدان للتسابق في إعداد المنازل في الآخرة، لاستوحشت من الخلق، وأقبلت على ربها ﷻ، وهذا كمال، فإذا كانت المرأة تخرج، أو تريد الخروج، فإنه يحرم عليها أن تخرج سافرة أو متبرجة، والتبرج من صنيع الجاهلية الأولى؛ قال ﷻ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، قيل:

---

(١) أخرجه الترمذي (١١٧٣)، والبزار (٥/ ٤٢٧، ٤٢٨)، وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٩٢)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٤٨٩، ٨/ ١٠١)، وفي الكبير (٩/ ٢٩٥، ١٠/ ١٠٨)، وابن أبي شيبة (٢/ ١٥٧، ٤/ ٥٢).

هي أول ما حصل من افتتان الرجال بالنساء في ذرية آدم بعد بطونٍ من آدم عليه السلام، فصارت النساء تتبرج[١]، فحصل من الفساد وفساد القلوب وعدم الرغبة في ذكر الله ما حصل بسبب الفتنة. والسفور أيضًا محرم؛ يعني: أن تخرج المرأة سافرة مظهرةً وجهها، وذلك لأن الوجه هو موضوع الجمال والزينة، هو موضع الاتصال من جهة النظر ومن جهة الالتفات ونحو ذلك، فمن خرجت من النساء باحتياج إلى ذلك، فإنها يجب عليها أن تتستر، وألا تكون سافرة، وألا تكون متبرجة من باب أولى، وألا تبدي شيئًا من زينتها، وبعض النساء تلبس ملابس فيها إغراء كبعض العباءات التي تغري بالمرأة، والعباءة والجلباب والرداء شرع، وأمرت به المرأة لأجل الستر، لأجل ألا يتعلق قلب الرجل بهذه المرأة، فتحصل الفتنة، ويحصل تسويل الشيطان، وشغل القلب عن الله عز وجل بغيره، وإذا كان اللباس يدل الرجل ويدعوه - إما في الرداء، أو في الغطاء، أو في ملابس القدمين، أو نحو ذلك -، فإن هذا يجب ألا يستعمل؛ لأن الرداء وأمثاله إنما شرع لأجل الستر، والله عز وجل قال: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]، وما ظهر من الزينة في المرأة هو زينة اللباس؛ لأن كل اللباس زينة، وهذا الذي يظهر من المرأة معفو عنه، وما يظهر من تحت العباءة أو نحو ذلك من لون الملابس أو الزينة إذا حركت الريح أو الهواء الملابس، هذا معفو عنه؛ قال عز وجل: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]، والزينة خارجة عن الذات؛ لأن الزينة غير الجمال في لغة العرب وفي القرآن، الزينة شيءٌ مجلوبٌ يتزين به، فالزينة ليست من الذات، وإنما هي شيء

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٦٠)، وزاد المسير (٣/ ٤٦١).

خارج عن الذات يجلب للذات حتى يتزين بها[١]. ولهذا صار تفسير من قال: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ بأن ما ظهر هو: الوجه والكفان. صار هذا ليس بصوابٍ؛ لأن لغة العرب ولغة القرآن يدلان على أن الزينة شيء مجلوب ليتزين به، ليس من الذات والوجه، والكفان من الذات، يدل على ذلك قول الله ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، والزينة هي الملابس، وقال ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ [الكهف: ٧]، فما على الأرض هو الزينة، لا يقال: الأرض زينة. وإنما يقال: جميلة. أو يقال: هذه الصورة جميلة، أو هذا الإنسان جميل، لكن الزينة شيء يجلب للذات، فإذًا قوله ﷻ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ بدلالة القرآن واللغة بأنه ما جلب لتتزين به الذات من الملابس ونحوها، فما ظهر من الملابس ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾؛ يعني: ملابسهن، وما جلب من مثل ما يوضع في الأذنين من الأقراط أو يوضع في الحلق أو الكحل ونحو ذلك، كل ما جلب، إلا ما ظهر منها، فهذا هو الذي عفي عنه مما ظهر من الملابس، ولا بد أن يكون ذلك؛ لأن الله ﷻ رفيقٌ بخلقه، وشريعته ميسورة، وإلا للزم ألا تخرج المرأة بتاتًا.

المقصود من ذلك أن السفور محرم، والتبرج محرم، والشريعة جاءت بتستر المرأة؛ حتى لا يفتتن الرجل بالنساء، وقد نظرنا في هذا الواقع الذي يعيشه الناس اليوم، فوجدنا أن كثيرًا من مشاكل البيوت - من عدم إعجاب الرجل بزوجته، وعدم استئناسه لزوجته - راجعٌ إلى أن الرجل نظر إلى نساءٍ كثيرات، فزهد فيما عنده في مقابلة ما رأى، وهذا به ربما فسدت البيوت، وربما فسدت العلاقات الزوجية بين الرجل والمرأة، والمرأة سكنٌ للزوج، فإذا دخل الرجل، ونظر إلى امرأته،

---

(١) انظر: العين (٧/ ٢٨٧)، وتهذيب اللغة (١٣/ ١٧٥)، ومقاييس اللغة (٢/ ٤١).

ولم تكن سكنًا في مد نفسه، ولم يسكن بها بالنظرة إليها وبمعاشرتها، فقد فات القصد من إقامة بناء الزوجية.

لهذا جاءت الشريعة بوجوب التستر، وبوجوب رعاية المرأة لترك التبرج، وأن تحفظ نفسها، وبغض البصر، ونحو ذلك؛ حتى تقام البيوت إقامة صالحة، والناس الذين يتوسعون في النظر لا تقر أعينهم غالبًا بزوجاتهم، ويحصل في نفسه تردد، وبالتالي لا يقوم بناء بيت الزوجية على السكن وعلى التواد، فيطمع في هذه، ويطمع في تلك، وتبقى المرأة مظلومة في هذا الشارع، وجنس المرأة هو الذي جنى على نفسه بأن أخرب بيوت بعضهن البعض؛ لأنها هي التي تكشفت، والرجل نظر إلى هذه وهذه وهذه، وحصل من التفكك والصلات المحرمة ما حصل في ذلك.

إذًا الواجب على ولي أمر الزوجة وعلى ولي أمر البنت ونحو ذلك أن يراعي هذه الأمور، وأن يحافظ على أهله: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»[1]. على ولي الأمر أن يلاحظ زوجته في ملابسها حين تخرج وأن يلاحظ بناته وألا يغفل عن ذلك، لا يدري أين يذهبون ولا ماذا يلبسون، والتوجيه بالحسنى فيه خير وصلاح إن شاء الله تعالى.

سؤال: جزاك الله خيرًا، يقول السائل: بعض النساء تضع العباءة على كتفيها، فتبدو زينتها، فهل هذا من المحرم؟

الجواب: وضع العباءة على الكتفين قد يكون فيه تستر، وهذا نادر إذا كانت العباءة على صفة معينة، أما في الواقع الحالي، فإن وضع العباءة على الكتفين يبرز مفاتن المرأة، يبرز حجم الكتفين والصدر،

---

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣، ٢٤٠٩، ٢٥٥٤، ٢٥٥٨، ٢٧٥١، ٥١٨٨، ٥٢٠٠، ٧١٣٨)، ومسلم (١٨٢٩).

ويبرز مظهرها مقبلةً ومدبرة، وأما وضعها على الرأس، فإنه يجعل المرأة ملتفًا فيها اللباس من كل جهة، فلا تبدو تقاطيع البدن، ولا تقاطيع أمام المرأة ولا خلف المرأة، وهذا لا شك أنه مقصود؛ فالرداء العباءة هذه ليست زينة مقصودة، وإنما هي للتستر، فإذا أخذت لإظهار المفاتن وإظهار تقاطيع البدن، صارت محرمة؛ كما هو الواقع الآن.

سؤال: يقول: ما حكم تقليد أصوات العلماء وحركاتهم وطريقتهم في إلقاء الدروس، وهذا التقليد قد يكون بين طلاب العلم أو بعض العامة، وبعد ذلك تذكر فضائلهم ومكانتهم، وهذا التقليد ليس من باب السخرية، وإنما للتوضيح أو نحوه؟ وفقكم الله.

الجواب: قال العلماء: ويحرم محاكاة الأصوات من إنسانٍ أو حيوان. وبعضهم يقول: يكره، ويعنون بالكراهة كراهة التحريم، وذلك لما ثبت **أن النبي ﷺ نهى عن محاكاة الأصوات**، رواه بعض أصحاب السنن[1]. ومحاكاة الأصوات منهيٌّ عنها، وإن كانت محاكاة الأصوات لأجل الإضحاك، فإن هذا فيه تعدٍ من جهتين:

الجهة الأولى: على الأمر الشرعي الذي فيه حق الله ﷻ.

والجهة الثانية: على حق المقلَّد؛ لأن ذلك في الغالب يسوؤه، فإن رضي بذلك، لم ينفِ الحق الأول، وهو حق الله ﷻ؛ لأنه نهى عن محاكاة الأصوات. وفي الغالب إن محاكاة الأصوات يكون معها مفاسد من جهة الاستهزاء ببعض ما يقوله القائل، خاصةً إذا كان المقلد من أهل

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٧٥)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢/ ١١٢) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ. قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا».

العلم وإمام مسجد، أو يقلده وهو يقرأ القرآن ونحو ذلك، فترى الذين يسمعون يستمعون إلى هذا المقلد وهو يتلوا القرآن، أو وهو يؤذن، وفي ذلك الكلام الله ﷻ العظيم، وفيه تسبيحه وتنزيهه والشهادة له بالوحدانية، وتجد أنهم يضحكون ويسخرون، وهذا لا شك أنه غير جائز من جهة سد الذريعة ومن جهة أصل محاكاة الأصوات.

سؤال: يقول: ما حكم المرأة التي تلعن زوجها في البيت إذا غضبت؟

الجواب: لعن المسلم كقتله؛ كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح[١]، والمسلم يحرم عليه أن يلعن، واللعن محرم، وقد ثبت في صحيح مسلم وفي غيره أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ، وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٢]، يلعن هذا، ويلعن هذا، فيحرم أن يكون شفيعًا يوم القيامة في أحبابه وفي أهل بيته؛ لأنه طردهم في الدنيا من رحمة الله؛ لأن اللعن طرد أو دعاء بالطرد والإبعاد من رحمة الله، إذا قال القائل ـ والعياذ بالله ـ: اللَّهُمَّ العن فلانًا؛ يعني: اجعله غير متعرض لرحمتك الخاصة، طرد وإبعاد من رحمة الله ﷻ.

فلعن المرأة لزوجها، أو لعن الزوج لامرأته، أو لعن المسلم لأخيه هذا محرم ومنكر، ويدخل في بعض صوره في الكبائر؛ لأن النبي ﷺ قال: «... **وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ**...»[٣]، وإذا كان كذلك، فإن الغضب غير مبرر لهذا التصرف وهذه الألفاظ، والمرء محاسب على كلامه، ومحاسب على ما يقول وعلى ما يترك؛ كما قال ﷺ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ**

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٠٤٧، ٦١٠٥، ٦٦٥٢)، ومسلم (١١٠)، وفيه: «**وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ**».

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٨).

(٣) سبق تخريجه.

يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[١].

سؤال: يا شيخ، هل يجوز للمرأة الحائض حضور مثل هذه المحاضرات؟

الجواب: هذا فيه تفصيل: إذا كان المكان الذي تجلس فيه المرأة داخل مسمى المسجد، داخل سور المسجد، فإنه يحرم عليها ذلك؛ لأن المسجد وفناؤه منه؛ كما يقول الفقهاء، لا يجوز للمرأة الحائض أن تدخل المسجد، وذلك لقول النبي ﷺ حينما كانت عائشة رضي الله عنها في منزلها، وكان معتكفًا في المسجد، فقال لها: **«نَاوِلِينِي الخُمْرَةَ من المَسْجِدِ»**، والخمرة فراش يصلى عليه، **فقالت: إني حَائِضٌ، فقال ﷺ: «إِنَّ حَيْضَتَكِ لَيْسَتْ في يَدِكِ»**[٢]، فدل هذا على أن الحائض يحرم عليها المكث في المسجد ودخول المسجد، أما إذا كان مكان الجلوس لسماع المحاضرة خارج مبنى المسجد، فإنه يجوز ذلك؛ لأن الحكم بمنع الحائض من دخول المسجد متعلقٌ بمبنى المسجد، أما إذا كان خارجًا عنه، فهذا من حضور العلم، والأدلة على ذلك كثيرة، وكانت الحيض في عهد النبي ﷺ يشهدن العيد مع رسول الله ﷺ؛ كما قالت حفصة رضي الله عنها: **«كُنَّا نَمْنَعُ عَوَاتِقَنَا أَنْ يَخْرُجْنَ فِي العِيدَيْنِ، فَقَدِمَتِ امْرَأَةٌ، فَنَزَلَتْ قَصْرَ بَنِي خَلَفٍ، فَحَدَّثَتْ عَنْ أُخْتِهَا، وَكَانَ زَوْجُ أُخْتِهَا غَزَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ غَزْوَةً، وَكَانَتْ أُخْتِي مَعَهُ فِي سِتٍّ، قَالَتْ: كُنَّا نُدَاوِي**

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٢٨)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٣١)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ١٩٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٢٠)، والطبراني في الكبير (١١٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

الكَلْمَى، وَنَقُومُ عَلَى المَرْضَى، فَسَأَلَتْ أُخْتِي النَّبِيَّ ﷺ: أَعَلَى إِحْدَانَا بَأْسٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا جِلْبَابٌ أَنْ لَا تَخْرُجَ؟ قَالَ: لِتُلْبِسْهَا صَاحِبَتُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا وَلْتَشْهَدِ الخَيْرَ وَدَعْوَةَ المُسْلِمِينَ، فَلَمَّا قَدِمَتْ أُمُّ عَطِيَّةَ، سَأَلْتُهَا أَسَمِعْتِ النَّبِيَّ ﷺ؟ قَالَتْ: بِأَبِي، نَعَمْ، وَكَانَتْ لَا تَذْكُرُهُ إِلَّا قَالَتْ: بِأَبِي، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: يَخْرُجُ العَوَاتِقُ وَذَوَاتُ الخُدُورِ، أَوِ العَوَاتِقُ ذَوَاتُ الخُدُورِ، وَالحُيَّضُ، وَلْيَشْهَدْنَ الخَيْرَ، وَدَعْوَةَ المُؤْمِنِينَ، وَيَعْتَزِلُ الحُيَّضُ المُصَلَّى، قَالَتْ حَفْصَةُ: فَقُلْتُ الحُيَّضُ، فَقَالَتْ: أَلَيْسَ تَشْهَدُ عَرَفَةَ، وَكَذَا وَكَذَا»[1].

سؤال: كيف نتعامل مع الرافضة؛ حيث إن العمل يجمعنا في مكان واحد؟ وكيف أدعوهم؟

الجواب: الرافضة وأشباههم من الفرق ـ التي منها ما هو ضالٌ خارج عن الدين ـ لهم في دولة الإسلام حكم المنافقين، فيقبل منهم الإسلام ظاهرًا؛ لأنهم التزموا في دولة الإسلام بالأحكام ظاهرًا، فالواحد منهم يعامل معاملة المنافق؛ يعني: له حقوق المسلم ظاهرًا، فإذا ظهر منه أنه صاحب بدعة؛ يعني: أنه رافضي، أظهر ذلك بفعلهن لا بمجرد الانتساب، فإنه يعامل معاملة المبتدع، وإذا أظهر شركًا، يعامل معاملة المشرك، وهكذا، فله حكم أمثاله ممن يظهرون بدعة أو يظهرون فجورًا أو يظهرون شركيات ونحو ذلك، ولا تعامل الطائفة بمعاملة الواحد المعين، بمعنى أنه إذا أظهر واحد منهم بدعة، فإنه يعاقب هو، ولا تعاقب الطائفة؛ لأن الأصل في وجود الطائفة في دولة الإسلام أنهم منافقون، وهذا هو الذي جرى عليه العمل في دولة الإسلام المتعاقبة من العباسيين ومن بعدهم، فإن وجود طوائف الباطنية وطوائف الرافضة ونحو

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤).

ذلك كثير، وكان تعامل أهل العلم معهم وتعامل الدولة معهم على هذا النحو، وهذا هو الذي جرى عليه العمل في هذه البلاد من قديم.

سؤال: فضيلة الشيخ حفظكم الله، فنحن مجموعة نجلس جلسة أسبوعية، ونحفظ بضع آيات، ولكن حفظنا غير جيد، فهل علينا بأس في ذلك؟ وهل من الأفضل ترك ذلك بسبب عدم الجدية والاهتمام، أم حالنا أفضل من عدمه؟ وجزاك الله خيرًا.

الجواب: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟﴾ [التغابن: ١٦]، الخير والأمور المستحبة الواجب أن يأتي المرء منها ما يمكنه، ولا يقول: إن فعلت هذا بكماله، وإلا أترك. فيأتي ما استطاع وما تمكن منه، والخير يتبعض، فما حصل لك من فرصة أنت وإخوانك لقراءة القرآن وحفظه وتدبره، فهذا حسن ومأجور عليه، وإن فعلت وتركت، فهذا بحسب ما تيسر لك، والأمر في ذلك فيه سعة، ولا يشدد المرء على نفسه حتى يؤول به الأمر إلى أن يترك كثيرًا من أمور الخير؛ لأنه لم يحصل الكمال فيها.

سؤال: ما ضابط الرد على الإمام أثناء القراءة في الصلاة؟ هل يرد على كل خطأ، أم يرد على الأخطاء المخلة بالمعنى فقط؟

الجواب: الأصل في هذا أن الفتح على الإمام مستحب؛ لأن النبي ﷺ قَالَ لِأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ: «**أَصَلَّيْتَ مَعَنَا؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَفْتَحَ عَلَيَّ؟**»[1]، لما اشتبه عليه القراءة ﷺ، فدل هذا

---

(١) أخرجه أبو داود (٩٠٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢١٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣١٣)، والحديث صححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال النووي في المجموع (٤/ ٢٤١): (رواه أبو داود بإسناد صحيح كامل الصحة، وهو حديث صحيح)، وقال الخطابي في معالم السنن (١/ ٢١٦): (إسناد حديث أبيّ جيد)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ١٧١).

على أن الإمام إذا غلط أو توقف، يستحب أن يفتح عليه وينبه، وإذا كان خطؤه مخلًا بالمعنى، فإنه يجب التنبيه عليه، فالمسألة على الاستحباب، وهو الأصل، إلا إذا كان خطؤه من جهة المعنى، لحن جلي يخل بالمعنى، فهذا يجب الرد عليه، وإذا كان الخطأ هذا في الفاتحة، فإن عليه أن يرجع، فإن لم يرجع، فتبطل الصلاة؛ لأن قراءة الفاتحة بلحنٍ مخلٍ بالمعنى أو بترك بعض حروفها أو تشديداتها أو نحو ذلك، هذا يجعل القارئ لها كأنه لم يقرأها بتمامها، وهذا مبطل لصلاته.

سؤال: ما حكم التسبيح والتكبير بين السور في القرآن الكريم من سورة الضحى إلى الناس؟ وما الدليل على ذلك إن كان له أصل؟

الجواب: هذا التكبير الذي يكون من سورة الضحى إلى آخر المصحف كان يفعله أهل مكة، ولهذا تفردت به رواية ابن كثير المكي، وليس هذا في رواية حفص عن عاصم، ولا في رواية نافع، ولا في رواية أهل الشام، ولا أهل الكوفة، وإنما في رواية ابن كثير المكي، وهي عند القراء، وإسنادها عند المحدثين فيه مقال، وكما هو معلوم أهل كل فنٍ أدرى به، فيقال: من قرأ بقراءة ابن كثير المكي، فإنه يكبر حتى يختم؛ لأنه هكذا جاءت الرواية؛ لأن هذا من جهة الاستحباب، وصفة ذلك أنه إذا قرأ قوله ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضحى: ٩ ـ ١١] الله أكبر بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ١ ـ ٨]، الله أكبر بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾ [التين: ١]. . . إلخ، هذه صفته، وهي خاصة

بقراءة ابن كثير المكي على التحقيق في هذه المسألة[١].

سؤال: هناك أسئلة كثيرة حول لبس البنطلون للمرأة، وأيضًا يسألون عن حكم لبسها أثناء الصلاة، ويسألون عن قصات الشعر المنتشرة هذه الأيام، يسمون قصة هذا كاريه أو نحوها، يقولون قريبة من قصة الرجال.

الجواب: هناك أصل في هذه المستحدثات التي قدمت ووفدت على بلاد المسلمين، وغزت البيوت والنساء والرجال أيضًا، وهي أن الألبسة أو القصات أو الهيئات التي يختص بها أهل الكفر، فإن التشبه بهم فيها محرم؛ لأن النبي ﷺ قال: «**وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»[٢]، بشرط أن يكون ذلك مختصًا بهم؛ يعني: يعرف أنه ما يفعله إلا الكفار، فالتشبه بهم في ذلك هذا محرم، ولا يجوز بنص قوله: «**وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»، ويندرج تحت هذا بعض صور السراويلات ـ يعني: البنطلونات ـ وبعض القصات، التي يتشبه فيها بالكفار. وفرقٌ ما بين المشابهة والتشبه؛ التشبه محرم، وأما وجود المشابهة، فإنه لا يعني حرمة الفعل؛ لأن المشابهة أن يحصل اتفاق بين هذه الصورة والهيئة وتلك الصورة دون قصدٍ من الفاعل، أن يكون فعل تقليدًا لهم، أو لأنه وجد أنهم يفعلون كذا، صار هناك مشابهة، هذا يشبه هذا، لكن التشبه أن يأخذها، فيفعل، ويكون مصدره في ذلك فعل أولئك، إما أن يقرأ في مجلة، أو يراه في صورة، أو نحو ذلك.

ولبس البنطلونات هذه أو السراويلات فيه تفصيل: الأصل أن

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/٤١٧ ـ ٤١٩، ١٧/١٣٠).

(٢) أخرجه أحمد (٩/١٢٣)، وعبد بن حميد (٨٤٨)، والطبراني في مسند الشاميين (٢١٦)، وابن الأعرابي في معجمه (١١٣٧)، والبيهقي في الشعب (١١٩٩)، وابن أبي شيبة (٤/٢١٢، ٢١٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٣١).

المرأة يجوز لها أن تتسرول، وقد قال ﷺ: «رَحِمَ اللهُ الْمُتَسَرْوِلَاتِ»[١]؛ لأن السروال تحت قميص المرأة إذا هبت الريح أو نزلت من دابة أو من سيارة أو نحو ذلك، فإنه لا يرى حجم عظامها، ولا يرى لونها، وبعض الرجال الذين أطلقوا لبصرهم العنان. يتتبعون المرأة التي تنزل من السيارة، فينظر إلى هذه المواقع، فالمرأة المتسرولة تحت القميص ـ يعني: تحت الملابس هذه ـ يمنع من وجود هذه الأشياء.

أما لبس البنطلون مجردًا، فهذا إذا كان في حضرة رجال أو إذا كان فيه تشبه بالكفار، فإنه محرم، أما إذا كان في بيتها ونحو ذلك، فإنه جائز إذا كان بغير حضرة من ينظر إليها بشهوة، وهذا كفعل بعض المحارم، مثلًا بعض المحارم بعض الرجال إذا أتته قريبته التي هي محرمة عليه، ربما نظر لضعف إيمانه ولفسقٍ في قلبه، نظر إلى قريبته نظر شهوة، يتأمل ويدقق ـ والعياذ بالله ـ، فهذا إذا علم أن فيهم من ينظر هذه النظرة، لم يجز أن يلبس مثل هذا اللباس عند المرأة، والمرأة لا يجوز لها أن تلبس عند محارمها ما يبدي تقاطيع بدنها في الأصل، بل تستتر بالستر العام، وذلك لقول الله ﷻ في سورة النور: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، وهذا فيه نظر المرأة، لكن المحارم النظر من جهتهم للمرأة لا بد أن يكون بتستر المرأة عن إبداء تقاطيع بدنها، فإذا أبدت تقاطيع بدنها بالبنطلون ونحو ذلك، فهذا نوع تكشفٍ، ولا يجوز للمرأة فعل ذلك.

فحصل من الأمر أن لبس السراويلات جائز، ولبس البنطلونات على هذا النحو الذي فيه تشبه محرم، وإذا لبستها على غير وجه التشبه، فينظر إلى ذريعته: هل فيها وصف أو إبراز لتقاطيع بدنها؟ فإن كان

---

(١) أخرجه البيهقي في الآداب (ص٢٠٨)، وفي الشعب (١٠/ ٢٢٧)، وعبد الرزاق (٢/ ١٣١).

كذلك، فالأصل في المرأة التستر، هدى الله نساءنا ونساء المسلمين، ووقاهن شرور الشيطان وجنده.

وأما البنطلون للرجل، جائز، وليس من ستر العورة بالنسبة للرجل أن لا يبدي اللباس حجم العورة؛ يعني: حجم الفخذين وحجم العجيزة وحجم مقدمه ونحو ذلك، وإنما يشترط في اللباس الذي يجزئ في ستر العورة أن يكون حاجبًا للون الجلد، قال ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١]، قال العلماء: الزينة الواجبة أن تستر العورة بما يمنع وصف اللون، فإذا وصف الحجم بالنسبة للرجل، فإن هذا لا يقدح في السترة الواجبة في الصلاة، لكن من جهة الأدب فإن بعض الملابس لا تليق، والأولى تجنبها.

سؤال: سائل يقول: ما أفضل الطرق للإنكار في الأسواق؛ وذلك لحصول المنفعة، وعدم ترتب مفاسد عظيمة، خصوصًا في هذه الأيام؟

الجواب: الإنكار في الأسواق يختلف حاله بحسب المنكر، فإذا كان المنكر من أهل الحسبة ـ يعني: من أهل الهيئات ـ، فهذا له سلطة ليست لغيره، فينكر بما عنده من السلطة، وأما إذا كان من عامة الناس، فإن عنده الإنكار باللسان والإنكار بالقلب، والإنكار باللسان مفتوح، ويكون الإنكار بما يرجى معه النفع، وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله، فقيل له: (أرى الرجل يختلي في السوق بالمرأة. فقال: صُحْ بِهِ صُحْ بِهِ)، إذا رأيت الرجل يختلي بالمرأة ـ يعني: على سوء ـ، صُحْ بِهِ، هذا نوع من الإنكار باللسان؛ لأنه لا يمكن لكل أحد أن ينكر باليد، والنبي ﷺ قال: **«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»**[1]، فمن كان من أهل اليد، وجب عليه أن

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

ينكر باليد، فإن لم يستطع، فينتقل إلى اللسان، فإن لم يستطع، فينتقل إلى الإنكار بالقلب، ومن علامته مفارقة المنكر.

سؤال: يقول: هناك من يقول: لا يجوز أن يقال: توكلت على الله، ثم على فلان. لأن التوكل لا يصرف إلا لله؟

الجواب: التوكل عمل القلب، عبادة قلبية محضة، وهو من جنس عبادات القلب التي ليس للمخلوق فيها نصيب، لا من جهة الأصالة، ولا من جهة التراخي، فالتوكل على الله ﷻ وحده، ومنه تفويض الأمر إليه؛ لأنه هو الذي له الملكوت، وهو الذي يتصرف في ملكه كيف يشاء ﷻ، فالتوكل لا يصلح إلا لله ﷻ، ولهذا قول القائل: توكلت على الله، ثم عليك. هذا غلط، وهو من الشرك؛ لأن التوكل لا يصلح للمخلوق، ووجود التراخي هنا لا مانع له؛ لأنه يقول: توكلت على الله، ثم توكلت عليك. والمخلوق أصلًا لا يصح أن يتوكل عليه؛ ولهذا لا يجوز أن يقال: توكلت على الله ثم على فلان. لأن التوكل عمل قلبي. بعض أهل العلم سهل في هذه العبارة، وذلك من جهة النظر إلى قصد العامة، فالعامي حينما يقول: توكلت على الله، ثم عليك. لا يعني التوكل الذي هو عبادة القلب، وإنما نطق لفظًا، وعنده معناه شيء آخر؛ كأن معناه: اعتمدت على الله، ثم عليك في هذه المسألة، أو توكلت الله، ثم وكلتك في هذه المسألة، واعتمدت عليك في هذه المسائلة بما تقدر عليه، والاعتماد يكون في الأمر الظاهر، أما التوكل، فكله عمل باطن، وبعض العلماء سهل في هذه الكلمة لأجل أن العامة لا يقصدون معناها الشرعي، لا يقصدون عبادة القلب، وأنهم يصرفونها لغير الله ﷻ.

لهذا نقول: المسألة هنا في قول القائل: توكلت على الله ثم عليك، أو ثم على فلان. لا تجوز، ومن فعل ذلك، فيبصر بأنها

لا تجوز، ومعنى التوكل، ولا يقال: هو مشرك، أو عنده شرك أصغر، أو نحو ذلك. لأنه لا يعني حقيقة الكلمة، ويعني بالتوكل الاعتماد، والناس طلبة العلم، أعني: من طلبة العلم من لا يعلم حقيقة معنى التوكل فضلًا عن العامة.

سؤال: فضيلة الشيخ، هل على المرأة أن تستشير زوجها في مالها الخاص إذا أرادت أن تسلفه لإخوانها، أو شراء بعض لوازمها؟

الجواب: مالها الذي تملكه إما بميراث، أو بإعطاء أهلها لها، أو بإعطاء زوجها لها، وصار ملكًا خاصًا لها هي حرة فيه، تتصرف به كيف شاءت فيما أذن به شرعًا، والزوج لا يملك من مال زوجته شيئًا، وهي لا يستحب لها، ولا يجب عليها من باب أولى أن تستشير زوجها في ذلك، أو أن تستأذنه في إقراضٍ أو نحوه، وإذا كان المال مالها، فلها التصرف فيه بدون الرجوع إلى الزوج؛ لأن الزوج هو المنفق على الزوجة، وهو الذي يعطيها، والمرأة في الإسلام معززة، تعطى، ولا يؤخذ منها.

سؤال: يقول: ورد نهي الرسول ﷺ عن لبس اللباس الأحمر، فهل الملابس الرياضية ضمن ذلك؟

الجواب: إذا كان الأحمر مصمتًا؛ يعني: ليس فيه إلا الحمرة، فهذا مكروه، وإذا كان أحمر مخلوطًا فيه غيره من الألوان، أحمر ومخطط بأسود، أحمر ومخطط بأبيض، فهذا لا يدخل في النهي؛ لأن النبي ﷺ لبس بردة حمراء، ونهى عن الأحمر؛ كما في حديث البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه، قَالَ: **«نَهَانَا النَّبِيُّ ﷺ عَنِ المَيَاثِرِ الحُمْرِ وَالقَسِّيِّ»**[1]، جمع

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٣٨)، وانظر هذا البحث في كلام ابن القيم رحمه الله في: زاد المعاد (١/ ١٣٢ - ١٣٤).

العلماء بين الحديثين بأن النهي فيما كان أحمر مصمتًا؛ يعني: ليس فيه إلا اللون الأحمر، وأما إذا كان فيه خطوط من غيره، ليس أحمر خالصًا، فهذا لا بأس به، وكلنا يلبس الشمغن والغالب عليها الحمرة، لكن فيها بياض معه الجواز.

سؤال: ما حكم رد المرأة على الهاتف زمن الحداد؟ وماذا يجب على المرأة في العدة؟

الجواب: إجابة المرأة على الهاتف في حاجاتها أو اتصالها في زمن العدة لابأس به، والمقصود بالعدة فيما أحسب هنا عدة الوفاة، والمتوفى عنها زوجها، فإنها تعتد كما أمر الله ﷻ أربعة أشهر وعشرًا، وفي هذه الفترة التي يسميها الناس: المحادة، فترة الحداد، وهذه المحدة تمتنع عن أشياء، منها:

أولًا: الخروج من المنزل الذي مات زوجها وهي فيه؛ لأن بيت الزوجية بيت زوجها الذي كانت تسكنه وقت زواجها، هذا لا تخرج منه تعظيمًا لحق الزوج حتى تنتهي هذه المدة، لها الخروج في حاجاتها التي لا تستغني عنها نهارًا، وليس لها الخروج في ذلك ليلًا إذا لم يكن ثم من يخدمها نهارًا.

الثاني: أن تمتنع عن اللباس الذي فيه تعرض للخطّاب، لباس الزينة؛ كأن تلبس الملابس الزاهية والألوان الزاهية وتلبس ما شاءت من أسود أو كحلي، أو تلبس أخضر زيتي، أو نحو ذلك من الملابس، ولا يشترط في الحداد لون معين، لباس أسود أو نحوه، لكن لباس ليس معه الزينة، وليس فيه تعرضٌ للخطاب؛ لأن لباس الزينة يدعو إلى الإعجاب بها وذكرها، وهي في هذه الفترة في فترة حق الزوج، فلا تتعرض للخطّاب، ولا تتزين في هذه الفترة، بل تلبس اللباس الذي لا تتزين به.

الثالث: أن تمتنع عن الأطايب، وذلك بجميع أنواع الطيب، سواء كان منه ما هو في الشعر، أو في البدن، أو في الملابس، إلا نبذة من قسط أو أظفار؛ يعني: شيء من البخور قليل تستخدمه إذا اغتسلت من الحيض، هذا جاء الترخيص به في السنن.

الرابع: ألا تلبس حليًا؛ وذلك لأن الحلي داعية الزينة، وهو نوع من عدم معرفة حق الزوج أو ترك حقه، فهي تظهر بمظهر التبذل، هذه الأمور فيها إظهار التبذل للزوجة، وألا تظهر بمظهر طالبة الرجال، أو متزينة، أو غير مهتمة بوفاة زوجها.

والخامس والأخير من هذه الشروط الخمسة أو ما تمتنع عنه المحدة: ألا تكتحل، ولا تصطبغ بالألوان في بدنها: في عينها، أو في خدها، أو في شفتيها، وما عدا ذلك مما يقوله العوام، فليس له أصل في الشرع؛ كما يقول العوام: لا تخرج إلى السطح، لا تنظر إلى القمر، لا تتصل بالهاتف، لا ترد على كذا، ونحو ذلك. هذا كله ليس له أصل في الشرع.

سؤال: هل يعتبر تغيير الريالات الورقية بريالات معدنية مع وجود التفاضل؛ أي: تغيير عشرة ريالات ورقية بتسعة ريالات معدنية يعد ربا؟

الجواب: هذا اختلف فيه علماؤنا المعاصرون في هذه الصورة يصرف عشرة ريالات ورق بتسعة معدن، يحتاج إلى المعدن، فيصرف عشرة بتسعة، وقال منهم طائفة بالجواز، وطائفة قالوا بالمنع، وأن هذا محرم لأجل التفاضل فيه، ومن قال بالجواز من أهل العلم رأى أن الصنف اختلف؛ لأن هذا ورق، وهذا معدن، وقد قال ﷺ في الصرف: **«الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ، مِثْلًا بِمِثْلٍ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ، يَدًا بِيَدٍ، فَإِذَا اخْتَلَفَتْ**

هَذِهِ الْأَصْنَافُ، فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ، إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ»[(١)]؛ يعني: متفاضلًا، وقالوا: هذا صنف، وهذا صنف.

والقول الثاني: أن هذا الصنف وهذا الصنف ليسا مقصودين؛ يعني: الريال الورق لم يكتسب ماليته من جهة كونه ورقًا، والريال المعدن لم يكتسب ماليته من جهة كونه معدنًا، ولكن هذا اصطلاح من الدولة بأن هذا قيمته ريال، وهذا قيمته ريال، فإذا كان كذلك، فهي صنف واحد، الريال المعدن والريال الورق صنفٌ واحد، وليسا بصنفين، الصنفان المختلفان العملة والعملة؛ ريال سعودي وريال قطري، ودينار بحريني، أو دينار كويتي، أو دولار، أو جنيه، هذه العملات هي الأصناف، فإذا اختلفت الأصناف، فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدًا بيد. الريال صنفٌ واحد، وكما هو معلوم أن الخمس مئة ريال الورق الواحدة والمئة ريال لم تكتسب ماليتها من كون الخمس مئة خمس مئة من جهة كونها ورقًا، والمئة مئة من جهة كونها ورقًا، وإنما من جهة اصطلاح الدولة جعلت هذه رمز على الخمس مئة، وتلك رمزًا على المئة، فالمالية راجعة إلى وضع الدولة ذلك والاصطلاح عليه؛ لأن كل قيمة من هذه لها غطاؤها المتنوع بخمسة أو ستة أنواع؛ كما هو الحال في هذه السنين الأخيرة.

لهذا نقول: الصحيح أن صرف عشرة بتسعة لا يجوز؛ لأنها صنف واحد، والنبي ﷺ قال: «**مَنْ زَادَ، أَوِ ازْدَادَ، فَقَدْ أَرْبَى**»[(٢)]؛ يعني: في الصنف الواحد، وقال ﷺ: «**فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْأَصْنَافُ، فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ، إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ**»، وهذا صنفٌ واحد، وليس بصنفين.

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٨٧). (٢) أخرجه مسلم (١٥٩٦).

سؤال: هل جائز للفتاة الملتزمة أن تشترط في زوجها أو المتقدم إليها أن يكون شابًا ملتزمًا جامعيًا، وإلا فلا؟ مع إسداء النصيحة.

الجواب: المرأة لا تجبر، سواء كانت بكرًا أم ثيبًا لا تجبر على الرجل، لها أن تختار من شاءت، وألا تقبل إلا بمن شاءت ورضيته لنفسها، وهذا هو الأصل الشرعي، بعض النساء قد لا تعرف مصلحتها، وهذه ترشد، وليس للوالد إجبار الفتاة سواء كانت بكرًا أو ثيبًا، والأحاديث في ذلك كثيرة بيِّنة، لكن من جهة التوجيه المرأة ينبغي لها أن تنظر في من تعيش معه إلى صلاح دينها؛ لأن الدين هو عصمة الأمر، وقد يكون لها مطامع في لذة حياة معينة، أو أن تأخذ من له صفات معينة، أو عنده مال أو نحو ذلك، وهذا طبيعي في البشر، لكن إذا نظرت أنه إذا لم يتحقق ذلك لها، فإنها إن بقيت بلا زوج، فإنها يفوتها مصالح كثيرة في دينها ودنياها، وإذا صلح الدين، صلح باقي الأمر؛ لأن الدين هو عصمة الأمر، فحري بالمرأة الملتزمة المسلمة المحافظة أن تتحرى صاحب الدين، بأن يكون صاحب دينٍ حق على خلق، يعرف معاشرة المرأة، ويعرف ما يجب عليه وما يجب لها، والله ﷻ قال: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، ومن عجائب التفسير في ذلك قول ابن عباس رضي الله عنهما: «**إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَتَزَيَّنَ لِلْمَرْأَةِ كَمَا أُحِبُّ أَنْ تَتَزَيَّنَ لِي**»(١)؛ لأنها بشر، لها رغبات مثل رغباتك، فقال ابن عباس: «**إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَتَزَيَّنَ لِلْمَرْأَةِ كَمَا أُحِبُّ أَنْ تَتَزَيَّنَ لِي**».

وقال أيضًا في تفسير هذه الآية: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال: إني لا أحب أن أستنزف كل حق امرأتي علي خشية أن يجب لها

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤/ ١٢٠)، وزاد المسير (١/ ٢٠٠).

مثل الذي أخذت منها؛ يعني: لا يحب أن يطالب بكل حقه لامرأته خشية أن يجب لها مثل ما طالب، فإذا شدد في المطالبة بكل حقوقه، ولم يغفل عن شيءٍ من ذلك، ولم يتساهل في شيء من ذلك، فلها مثل ما طلب؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] بما تعارفه الناس.

فلهذا على الرجال ـ خاصة أهل الدين والخير ـ وجميع المسلمين أن يرعوا حقوق الزوجية، وبالمناسبة هناك توجيه، وهو أن من الشباب الملتزم من الشباب المتدين من يدخل في الزواج، ويتزوج وهو لم يقرأ أو لم يتعلم أحكام العشرة، ويظن أن الزواج قضاء وطر، لا، الزواج عقدٌ عظمه الله ﷻ في كتابه وفي سُنَّة نبيه ﷺ، وفي العشرة أحكام كثيرة، فالرجل إذا دخل في عشرته للمرأة بدون أن يعرف ويتعلم ما له وما عليه شرعًا، فإنه يدخل على خطر في دينه، وربما أخذته النزعة، ويريد أن يثبت نفسه في كل حال، دون النظر في أحكام الشرع، وهذا لا شك من أسبابه الجهل وعدم رعاية الحق الشرعي الذي أوجبه الله ﷻ. فنصيحة لكل شابٍ أراد الزواج أو المتزوج أن يتعلم أحكام العشرة الزوجية، وكثير من المشاكل ـ خاصةً فيما يبلغني من طريق رسائل، أو مهاتفات، أو نحو ذلك من اشتكاء بعض من شكاوى، من بعض الزوجات من أزواجهن الأخيار ـ يرجع إلى أن ذلك الزوج لم يتعلم أحكام العشرة، ولم يعرف ما يجب له وما يجب عليه، المرأة لها حقوق، وعليها حقوق، والله ﷻ جعل العشرة الزوجية والعلاقة بين الرجل والمرأة ليست متروكة لهواك، وإنما مضبوطة بأحكامٍ شرعية، وهذا يخرجك عن داعية هواك، والمكلف مأمور بأن يخرج في أحواله كلها من داعية هواه إلى داعية مراد الشارع، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

سؤال: ما حكم من مات وفي ميراثه وأمواله ربا من الأسهم في الشركات ونحوها؟ وهل يجوز لأصحاب الميراث وهم يعلمون أنه ربا أن يقتسموا هذا الميراث، أم لا؟ أم ماذا يفعلون؟

الجواب: الميراث ونحوه من الأموال التي تتغير جهتها، يبتدأ بها الحال كتملكٍ جديد، بمعنى: الميراث يكون جائزًا لمن ورثه؛ لأنه انتقل من ملك المورث إلى هؤلاء الورثة بحكم الله ﷻ، وكونه فيه ربا وفيه محرمات ونحو ذلك أو كسب حرام هذا لا يحرمه على من آل إليه بطريق شرعي، لكن من أراد التورع، فالتورع بابه واسع، وتغير الجهة في الأموال مهم، تغير الجهة تجعل الحكم الأول يختلف عن الحكم الثاني، ويدل على ذلك قول النبي ﷺ حينما دخل بيته؛ كما قالت عائشة رضي الله عنها: **«وَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالبُرْمَةُ تَفُورُ بِلَحْمٍ، فَقُرِّبَ إِلَيْهِ خُبْزٌ وَأُدْمٌ مِنْ أُدْمِ البَيْتِ، فَقَالَ: أَلَمْ أَرَ البُرْمَةَ فِيهَا لَحْمٌ. قَالُوا: بَلَى، وَلَكِنْ ذَلِكَ لَحْمٌ تُصُدِّقَ بِهِ عَلَى بَرِيرَةَ، وَأَنْتَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ قَالَ: عَلَيْهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَّةٌ»**[1].

قال بعض أهل العلم: من فوائد الحديث أن تغير الجهة في المال تجعل الحكم الثاني غير الحكم الأول. فلو تصدق بهذا اللحم على النبي ﷺ مباشرة، لحرم؛ لأنه لا يأكل الصدقة ﷺ، لكن تغيرت الجهة، اللحم في نفسه صدقة، لكن هو صدقة على بريرة رضي الله عنها، ومن بريرة رضي الله عنها إلى النبي ﷺ هدية، فلما تغيرت الجهة، جاز أكلها، كذلك الأموال التي تنتقل وتتغير جهة الانتقال، فإنه يحل للثاني، وإن كان الأول يحرم عليه ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٧٨)، ومسلم (١٠٧٥، ١٥٠٤).

مثلًا لو بايعت من بيده مال تعرف أنه محرم؛ يعني: اكتسب هذا المال من ربا، وأتى ليشتري منك سلعة، وهذا المال المحرم محرم عليه، لكن أنت أخذت هذا المال عوضًا عن سلعة، فالعقد بينك وبينه جائز، حرمة هذا المال راجعة على من أكله. فكذلك الميت إذا أكل مالًا حرامًا، فإنه يحرم عليه، وأما الورثة، فلا يحرم عليهم ذلك، لكن يبقى هنا شيئان: الأول أنه يستحب للورثة أن يخلصوا ميتهم من الحرام؛ يعني: إذا كان في ماله مال حرام أن يخلصوه، فإذا اتفق الورثة على ذلك، فإن هذا مستحب، وفيه ـ إن شاء الله ـ نوع إبراء لذمة الميت.

والأمر الثاني: إنه من أراد من الورثة أن يتورع، فإنه لا بأس بذلك، ولا يجب عليه ذلك؛ لأن تغير جهة المال يجعل الحكم مختلفًا، كذلك مثلًا من كان أبوه لا يصلي ألبتة، أو كان مورثه يسب الدين، أو نحو ذلك من الكفريات، فورث مالًا، هل المال هذا يعد حرامًا لا يجوز أخذه؟ هذا المال يكون حرامًا وفيئًا للمسلمين، ويسحب من هذا الرجل الذي صدرت منه هذه الأشياء إذا حكم فيه قاض، إذا حكم القاضي بأن هذا كفر وارتداد، وحكم عليه بالردة، هنا لم يصر له حق في ماله، وإنما يكون ماله مصادرًا فيئًا للمسلمين، أما إذا لم يصدر في حقه حكم شرعي، فإن ماله يكون له، ويكون جائزًا لورثته، والمنافقون في المدينة ورثهم أبناؤهم المسلمون، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في اختياراته: (وكانت سُنَّة النبي ﷺ مع المنافقين أنهم يرثون ويورثون لمالهم من الإسلام الظاهر، أما إذا حكم على المعني فهنا تختلف الأحكام)[1]. وللمسألة هذه مسائل الأموال تفصيلات أخرى.

سؤال: يقول: ذكر الشيخ السيد سابق في كتابه فقه السُّنَّة باب

(١) انظر: أحكام أهل الذمة (٢/ ٨٥٣).

التصوير أن الصور الفوتوغرافية ليست محرمة، واستشهد بحديث: «إِلَّا رَقْمًا فِي ثَوْبٍ»[١]، واستشهد أيضًا أن الشيخ الشاطبي وابن حزم لم يحرِّما الصور الفوتوغرافية، وأن الصور المحرَّمة هي التي لا ظل لها فقط. أفيدونا.

الجواب: أولًا: من جهة السؤال الشاطبي وابن حزم فيما أذكر أنا ما أذكر أقوالهم، لكن الصور الفوتوغرافية ما جاءت إلا بعد ذلك، هي في القرون المتأخرة بعد ابن حزم وبعد الشاطبي.

وإنما عنى فيما نقل ـ إذا كان حافظًا لما نقل ـ أنهم تكلموا في الصور التي لا ظل لها؛ يعني: غير مرسومة في ورق، مرسومة على حائط غير مجسمة، والمسألة هذه في الأصل فيها خلاف ضعيف من جهة الفرق أو الخلاف بين الصور التي لها ظل والتي لا ظل لها، كان هناك خلاف ضعيف في أن الصور التي لها ظل ـ يعني: المجسمة ـ هي المحرمة، وغيرها مما يكون رقمًا في ثوب، أو يكون على جدار، أو على ورق ونحو ذلك أنه لا يحرم، لكن الأدلة واضحة، ولم تفرق ـ كما قال المحققون ـ بين ما له ظل وما ليس له ظل، وفي هذا العصر لما ظهرت الصور الفوتوغرافية اختلف فيها العلماء أيضًا: هل يلحقونها بحكم الصور التي لا ظل لها، فتكون محرمة، أو يلحقونها بحكم المرآة؟ فمنهم من قال: تلحق بحكم المرآة؛ لأنه لا صنيع للمصور فيها، وعلَّلوا ذلك بأن العلة في تحريم الصور المضاهاة بخلق الله ﷻ؛ كما قال ﷻ في الحديث القدسي: «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً، وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً**»[٢]، وقال ﷺ: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٨)، ومسلم (٢١٠٦).
(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١).

المُصَوِّرُونَ»[١].

قالوا: فعلّة تحريم التصوير المضاهاة، وهذه غير موجودة في الصورة الفوتوغرافية ونحو ذلك.

وهذا القول ممتنع من جهتين:

الجهة الأولى: إن المضاهاة حاصلة في كثير من الصور الفوتوغرافية، الكاميرات تختلف، وأيضًا المصور الذي يكون في الأستديو أظنه يتدخل بقلم الرصاص، فيمسح، ويضيف، ويزيل بعض الشوائب، ويظهر الوجه بغير الصورة التي هو عليها فعلًا، فلا يطلق القول بأن كل صورة فوتوغرافية ليس فيها مضاهاة، وليس فيها تدخل من جهة المصور، بل المصور يتدخل، ويعمل، ويمحو بعض الأشياء ونحو ذلك.

وأما الجهة الثانية: فقصر علة تحريم الصور على المضاهاة هذا ليس بصحيح، بل الصواب أن تحريم الصورة كان لعلتين: العلة الأولى المضاهاة، والثانية: أنها وسيلة للفتنة والشرك بالله ﷻ، وكما هو معلوم أن شرك قوم نوح كان من جهة الصور؛ لأنهم أمرهم الشيطان بأن ينصبوا للصالحين صورًا أمامهم؛ حتى ينشطوا في العبادة، فلما تنسخ العلم، نسي أولئك أصل وضع هذه الصور، حتى عبدوا هذه الصور التي كانوا يصورونها في بيوتهم وعلى جدرانهم ونحو ذلك، فعلة تحريم التصوير من جهتين:

الجهة الأولى أو العلة الأولى: المضاهاة.

والعلة الثانية: أنه وسيلة أو سد لذريعة الإشراك بالله ﷻ،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩).

لا يقال: هذه الصورة التي يصورها المرء لا يمكن أن يشرك بها.

فالمقصود هو جنس الصور، والتحريم راجع إلى الجنس، فإن وجدت حالات كثيرة ليس فيها تحقق هذه العلة، لا يعني أن أصل الحكم مرتفع؛ لأنه قد يقع صور فيها يشرك بها، فتمنع جميع أنواع الصور سدًا للذريعة. طبعًا هذا الكلام بجميعه في الصور التي تحفظ، الصور الفوتوغرافية التي يكون لها ثبات، أما الصور التي لا ثبات لها مثل الصورة بالفيديو أو بالتلفزيون أو نحو ذلك، هذه ليست من جنس الصور المحرمة؛ لأن الصورة المحرمة الثابتة، وأما الصور هذه بالفيديو ونحو ذلك، فهي غير ثابتة كالمرآة، الصورة تعرض على الجهاز، أو على الشاشة كما تكون على المرآة، بمعنى أنها تزول، والشريط أو الجهاز كل هذا ليس فيه صورة، وإنما هي كما هو معلوم عند المختصين موجات كهرومغناطيسية أفقية ومتعامدة عليها، ينتج بالتحليل صورة على هذه الشاشة، وهذا ليس فيه بقاء الصورة، لا في الشريط، ولا في الشاشة، بل الصورة غير موجودة، وإنما هي تعرض وتذهب.

فالصورة المحرمة هي الثابتة، أما الزائلة غير محرمة في أصلها، إذا استخدمت في تصوير محرم، فإنها تكون محرمة، ولهذا أجاز علماؤنا - حفظهم الله تعالى - أجازوا التصوير التلفزيوني، وإن كانوا لا يحبذونه، وكذلك التصوير بالفيديو في قطاعات كثيرة، وإن كان الأولى أن يجتنب، ويترك؛ حتى لا يستخدم في غير ما يجوز شرعًا.

سؤال: ويسأل ما حكم الصلاة وفي جيبه صور؟

الجواب: الصلاة وفي الجيب صورة لا بأس بها؛ لأن حمل الصور كان على عهد رسول الله ﷺ، فإنهم كانوا يحملون الدنانير والدراهم، وكان الدينار - وهو الذهب - مصورًا عليه صورة قيصر، وكان الدرهم

ـ وهو فضة ـ مصورًا عليه صورة كسرى، وكانت الدراهم في ذلك الزمان يصور عليها صور، حتى جاءت في الدولة الإسلامية لما توسعت، وضربت النقود، غيروا وجه العملة ـ يعني: وجه الدينار ـ من جهتين، بدل أن يكون فيه صورة، جعلوا فيه آيات قرآنية، سورة الإخلاص ودعاء، وضرب في عهد عبد الملك بن مروان، ثم كره السلف وجود القرآن في هذه الدنانير الإسلامية، فترك ذلك، وجعلت مضروبة بدون قرآن؛ يعني: مر بها تاريخ.

المقصود من ذلك أن حمل الصور في الدراهم أو الرخصة أو الريالات ونحو ذلك هذا غير محظور شرعًا؛ لأنه مما تعم البلوى به، وقد جاء العمل في زمن النبوة وزمن الصحابة ﷺ على الترخيص فيه من جهة الاستقراء للنص.

سؤال: يقول: فضيلة الشيخ، كثر الكلام في هذه الأيام حول الجن، وكثر أيضًا القراء الذين يرقون الناس، وعليهم ملاحظات كثيرة، مثل: الشرط في الثمن؛ حيث أنه لا يمكن أن يرقي إلا بمبلغ معين، فهل من كلمة توجيهية حول ذلك؟

الجواب: قال ﷻ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨] القراءة على من به عين أو من به نظرة ـ يعني: من الجن ـ أو من به مس أو من به سحر شرعية، ومطلب شرعي، ويجب أن يكون في الناس من يقرأ عليهم؛ لأن هذا من النفع العام ومن فروض الكفايات، لكن وجود هذا النفع لا يطلق بدون شروط من جهة القارئ ومن جهة المرقي، فهناك شروط في القارئ، وهناك شروط في المرقي.

والواقع اليوم في حال القراء أن كثيرين منهم لا يلتزمون الأمور

الشرعية، والمرقي يتعلق بخيط العنكبوت، يأتي ويأخذ ما دام يسمع أن فلانًا يقرأ، يذهب إليه، قد يكون مشعوذًا، قد يكون مخرفًا، قد يكون صادقًا، قد يكون جاهلًا، وذلك منه بدون تحرٍ، والواجب على القراء أن يتحروا الأمر الشرعي، وأن يقرؤوا بالدعوات الواردة التي ثبتت عن النبي ﷺ، أو بما يعلم معناه من اللسان العربي وبالقرآن العظيم.

والتجربة لا بأس بها إذا لم تكن مجيزة لمحرم؛ يعني: قد يجرب بعض القراء تجربة، وتكون التجربة مفيدة، فهذه التجربة التي جرب بها رقية أو دواءً معينًا إذا كانت في محرم، فإنها تمنع؛ لأنه لا يجوز التداوي بالمحرم، وإذا كانت التجربة من المباح، فإن هذا فيه سعة؛ لأن الرقية دواء، والراقي معالج، وكثير من أمورهم تكون بالتجربة؛ كما قال ذلك سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، ومن جهة المرقي يجب عليه أن يتحرى من يرقيه؛ لأن الرقية تنفع بإذن الله إذا كان الراقي أعظم تعظيمًا لله عز وجل، تنفع الرقية ممن رقى؛ لأنها سبب، وقد يأذن الله عز وجل بالسبب، فينفع، وقد لا يأذن بالسبب أن ينفع، لكن تحري أهل الخير والصلاح أولى، بل أوجب؛ لأن في عدم التحري تعريض المرء نفسه أن يذهب إلى المشعوذين، فالواجب على القراء أن يتقوا الله، والواجب على من أصابه شيء أن يتحرى، وألا يذهب إلى كل من سمع أنه يقرأ، إلا بعد أن يعرف هل هو مؤتمن في عقيدته وفي طريقته، أم هو ممن يتعاطى ذلك لأخذ المال، الشرط في الرقية لا بأس به، إذا اشترط أنه لن يرقي إلا بثمن، يقول: أنا أرقيك بشرط أن تدفع لي مئة ريال، ألف ريال، عشرة آلاف ريال إن شفاك الله عز وجل. هذا لا بأس به، ويدل عليه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي في الصحيح: «**كُنَّا فِي مَسِيرٍ لَنَا فَنَزَلْنَا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ، فَقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الحَيِّ سَلِيمٌ، وَإِنَّ نَفَرَنَا غَيْبٌ، فَهَلْ**

مِنْكُمْ رَاقٍ؟ فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مَا كُنَّا نَأْبُنُهُ بِرُقْيَةٍ، فَرَقَاهُ فَبَرَأَ، فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ شَاةً، وَسَقَانَا لَبَنًا، فَلَمَّا رَجَعَ قُلْنَا لَهُ: أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُقْيَةً - أَوْ كُنْتَ تَرْقِي؟ - قَالَ: لَا، مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِأُمِّ الكِتَابِ، قُلْنَا: لَا تُحْدِثُوا شَيْئًا حَتَّى نَأْتِيَ - أَوْ نَسْأَلَ - النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ ذَكَرْنَاهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: وَمَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ»[1]؛ يعني: في الأجرة.

قال أهل العلم: يجوز أن يقول: لا أرقي إلا بكذا، وقد قال ﷺ: «إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللهِ»[2]، لكن الأولى في حق المسلم مع إخوانه المسلمين أن يسعى في نفعهم، وألا يشترط عليهم، بل يعطون ما تطيب به نفوسهم، فمنهم من يكون فقيرًا، منهم من يكون محتاجًا، ولا يستطيع دفع هذه المبالغ، فلو ترك القراء المسألة لطيب نفوس الناس، لكان هذا أولى.

سؤال: فضيلة الشيخ، سؤالي هو أنني أبيع سيارات بالتقسيط، أقوم بشراء السيارة من المعرض، ثم أعرضها للبيع، بدون أن أحركها من المعرض، ولم أنقل ملكيتها باسمي من المرور، إنما آخذ إيصالًا للمبلغ ورقم شاسيه السيارة ونوعها، وبعد ذلك أقوم ببيعها، والذي يشتريها مني يقوم ببيعها على صاحب المعرض الذي اشتريتها منه سابقًا، هل في ذلك شيء؟ وهل يجوز لي شراؤها من المعرض مرة ثانية؟

الجواب: هذا السؤال يشتمل على مسألة البيع بالتقسيط، وعلى هذه الصورة، وبيع التقسيط الصحيح أنه جائز؛ لأنه بيع أجل، ولكن تجعل القيمة منجمة مقسطة على أقساط، وقد حكى الحافظ ابن حجر رحمه الله

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٠٧)، ومسلم (٢٢٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٣٧).

وغيره من أهل العلم اتفاق العلماء على جواز بيع الأجل؛ يعني: أن يزيد في الثمن لأجل الأجل، يقول: أنت ستسدد لي بعد سنة، فالسعر هو كذا. وهذا ليس من الربا؛ لأنه قيمة للسلعة مسلمة بعد سنة، فكما أنه يجوز أن يبيعها حالة له بأي سعر، فكذلك يجوز أن يبيعها آجلة بأي سعر، وليس فيه شبهة ربا في هذه المسألة، والنبي ﷺ فيما صح عنه عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«أَنَّهُ نَهَى عَنْ بَيْعَتَيْنِ فِي بَيْعَةٍ»**[١]، وهذه ليست هي صورة التقسيط؛ لأن معنى النهي عن بيعتين في بيعة أن يقول له؛ يعني: أن يقول البائع لمن أراد الشراء: هذه السيارة بخمسين ألفًا حاضر، وبسبعين ألفًا مؤجل بعد سنتين. فينصرف الشاري، ويقول: اشتريت، وافقت، وقد تم الأمر بينهما دون تحديد لأحد تلك الحالتين، انصرفوا على أي بيع؟ انصرفوا على أي صفة؟ فهذا نهى عن بيعتين في بيعة. وهو معنى قوله: **«نهى عن شرطين في بيع»**[٢]؛ لأن الشرط بمعنى المشروط وهو البيع، المقصود من ذلك أن بيع التقسيط جائز، وإذا اشترى السيارة بالتقسيط، وهو يريد ثمنها الحال، ولا يريد السيارة في نفسها، فهذا يجب عليه أولًا أن ينقل السيارة من محلها، وأن يبيعها بغير حضرة من اشتراها منه؛ حتى لا يكون ذلك ذريعة للعينة التي هي من الربا المحرم، يأخذ هذه السيارة ويذهب، الثاني اشتراها، سيعيد للأول، فيبيعها على أي ممن باعه، أما إذا كانت هناك حيلة؛ كما هو ظاهر السؤال من أن هناك من يشتري السيارة في محلها، ثم يأتي صاحب

---

(١) أخرجه أحمد (١٦/ ١٣٤).

(٢) لفظه من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ. قال رسول الله ﷺ: **«لا يَجُوزُ شَرْطَانِ فِي بَيْعٍ وَاحِدٍ، وَلا بَيْعٌ وَسَلَفٌ جَمِيعًا، وَلا بَيْعُ مَا لَمْ يُضْمَنْ»**. أخرجه أبو داود (٣٥٠٤)، والترمذي (١٢٣٤)، والنسائي في الكبرى (٣/ ١٩٧)، وأحمد (٢/ ١٧٨)، وابن حبان (١٠/ ١٦١).

المعرض، ويشتريها مرة أخرى، فهذا ظاهر في أنه احتيال على العينة؛ لأن هذه السيارة دارت حتى وصلت إلى مالكها، وهو دفع نقودًا بآجل؛ يعني: دفع نقودًا حالة بآجلة أكثر منها، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: (دراهم بدراهم دخلت بينهما حريرة)[1].

وهذا البيع جائز، وهو الذي يسمى عند الفقهاء بالتورق، بأن يكون مقصده الورق؛ يعني: مقصده المال، ماله مقصد في السلعة، فيأخذ السلعة، ويبيعها ليستفيد من ثمنها، فهذا يشترط فيه ألا يبيعها على من اشتراها منه، وأن ينقلها من مكانها، ويكون بيعها بغير حيلة على رجوعها إلى صاحبها الأول، يبيعها على الثاني، ثم إن أراد أن يبيعها على الأول أو على ثالث، فهذا له من غير تواطؤ أو احتيال في ذلك.

سؤال: بعض التسجيلات الإسلامية تصدر أناشيد للأطفال الصغار، وخصوصًا البنات، وهذه الأناشيد مصحوبة بطبل أو دف، فما حكم سماع البنات لها بواسطة المسجل لهذه الأناشيد؟ والشق الآخر يقول: ما حكم استماع أو رؤية الأطفال لقصة أصحاب الفيل عبر الفيديو، وهذه القصة يقوم بدورها بعض الممثلين عبر الأفلام الكرتونية، ويظهر فيها الطيور الأبابيل وغيرها كما في السورة؟

الجواب: أما الشق الأول من السؤال، وهو الأناشيد التي فيها دف ونحو ذلك، فإذا كانت لمن دون سن التكليف، فالأمر فيه واسع، الأولى تركه؛ لأجل ألا يتعود عليها، لكن من هو دون سن التكليف لا حكم له في مثل هذه الأمور.

والشق الثاني من السؤال في رؤية قصة أصحاب الفيل ونحو ذلك،

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٩/ ٤٣٢) وما بعدها، وإعلام الموقعين (٣/ ٩٢).

إذا كان فيها تصوير لما حدث، تصوير للمشركين وما حدث والعقوبة النازلة عليهم، بما يتوافق مع ما جاء في الروايات الصحيحة والقصة المعروفة، ولم يشتمل ذلك على شركيات أو على أقوال باطلة، فلا بأس به؛ لأن الأصل في ذلك الجواز، وليس فيه تمثيل لصحابي ولا لأحد ممن له حق.

يبقى الكلام هل أصل التمثيل في هذه الأشياء يجوز أم أن هذا يقال من جهة المشاهدة؟ الكلام من جهة المشاهدة، أما ابتداء التمثيل، فهو مبحث آخر، لكن هذه القصص فيها محاذير من جهة الأطفال، ومن محاذيرها ـ كما حدثني بعض الإخوة ـ أنه يكون فيها ترديد ـ كما ذكرت ـ لدعاء غير الله، أو قسم بآلهة المشركين الباطلة، أو قسم باللات أو نحو ذلك، فيتعود، أو يسمع ذلك الطفل أو الصغير، فيقر ذلك في ذهنه، فإذا كانت مشتملة على مثل هذه الأمور، فإما أن ينبه عليها تنبيهًا جازمًا بأن هذا قول المشركين، ويحذر منه، أو لا تعرض أصلًا؛ رعاية لسد الذريعة.

سؤال: ما حكم زيارة مقابر الكفار كالأهرامات في مصر ونحوها؟

الجواب: أماكن المعذبين تمر بسرعة، ولا يمكث فيها، والنبي ﷺ كان إذا أتى وادي محسر أسرع[1]؛ لأنه وقع عليه عذاب أبرهة ومن معه، وكذلك لما مر بديار قوم صالح[2]، مكان من أشرك بالله، فوقعت

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي (٨٨٦)، وابن خزيمة (٢٨٦٢)، وابن أبي شيبة (٤/ ٨١)، والنسائي (٥/ ٢٦٧)، والدارمي (١٨٩١)، ومسلم (١٢٨٢)، والبيهقي (٥/ ١٢٦)، وأحمد (٢٢/ ١٢٧) عَنْ جَابِرٍ ﷺ: **«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، أَوْضَعَ فِي وَادِي مُحَسِّرٍ»**.
قوله: (أَوْضَعَ) قال السندي: أي: أسرع وأجرى ناقته.

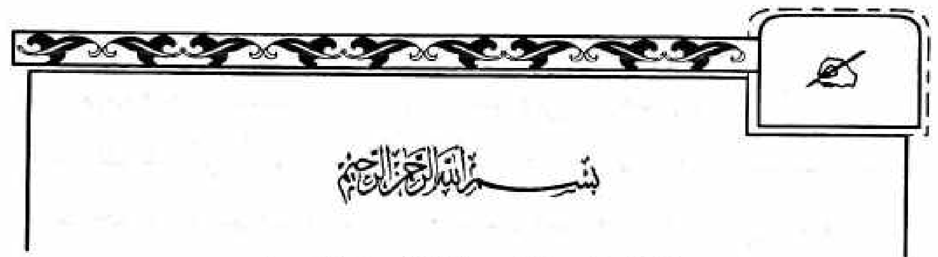
(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٣٣)، ومسلم (٢٩٨٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ: **«أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، لَا يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ»**.

عليه عقوبة الدنيا، وقص الله علينا خبرهم، فدخلوها وهم كفار ومشركون، عاندوا الرسل، وأبوا رسالة الله، ومن جنس دخول قبور المشركين، وقد قال ﷺ: «حَيْثُمَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ مُشْرِكٍ فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ»[1]، وزيارة قبور المشركين تجوز في حالة العظة والعبرة، وأما الأماكن التي جعلت علمًا على قبورهم، فإنها أماكن عذاب، قد وقع فيها بأولئك، ولم تعد مقبرة من جهة كون القبر للعظة والعبرة؛ لهذا زيارة تلك الأماكن بالدخول فيها في أصله لا يجوز، والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم تسليمًا مزيدًا.



(١) أخرجه ابن ماجه (١٥٧٣)، والطبراني في الكبير (١/ ١٤٥).



اللقاء المفتوح الثاني في الدمام
مع معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين: أسأل الله ﷻ لي ولكم السداد في القول والعمل، وأن يجنبنا سبل الغواية، وأن يجعلنا من الملتزمين بسبيل الحق، ثم **أما بعد:**

فإن هذه اللقاءات العلمية التي تحضرونها هي مما كان أوائل هذه الأمة يرحلون إليه، ومن العجب أن تجد أن العلم في هذا الزمن أصبح ميسرًا قريبًا، ومع ذلك الراغبون عنه كثيرون، تسمع العلم إن شئت إذا أصبحت مسموعًا، وإن شئت مقروءًا، يصحبك العلم، ويصحبك أهل العلم معك في تنقلاتك في السيارة، أو في المكان الذي أنت فيه، فأينما تذهب إن شئت حملت العلم معك مقروءًا، وإن شئت حملت العلم معك مسموعًا، وأهل العلم متوافرون، والوصول إليهم والاتصال بهم في هذا الزمن أصبح سهلًا ميسورًا، ولله الحمد والمنة.

إذا نظرت إلى الزمن السابق، وجدت كيف أن طالب العلم يتكبد المشاق العظيمة ليلتقي بشيخ معلم يقرأ عليه كتابًا، ويشرح له عبارته، ويوضح له مقاصد مؤلفه، ربما بعضهم من تعذب تاركًا أهله وولده، تاركًا ماله، تاركًا الأرض التي نشأ فيها وألفها، ولازم شيخًا مع صعوبة

الاتصالات وصعوبة التنقلات، لازمه سنين عددا؛ ليحصل على العلم، ولا غرابة؛ فإن السالفين لقوا في العلم وفي الرحلة إليه المشاق العظيمة، وإذا نظرت إلى أهل هذا الزمان، وجدت أن العلم قريب منهم، ويحتاجون أن يتوجهوا إليه، وأولئك رغبوا فيه، وأصبح منهم الآلاف الكثيرة، أصبحوا علماء أجلاء، منهم العالم في كتاب الله ﷻ في تفسيره، أو في القراءات، أو في علوم القرآن، ومنهم العالم بسُنَّة المصطفى ﷺ، أعني بالعقيدة وبفهم معاني حديث المصطفى ﷺ، ومنهم العالم بالفقه، ومنهم العالم بالتأريخ وبالجرح والتعديل، ومنهم العالم بالعربية بفنونها المتنوعة، وهكذا في علوم كثيرة، وإذا نظرت إلى كتب التراجم ـ التي هي قريبة من بين يديك اليوم ـ، وجدت أن أممًا من أهل العلم سبقوا، وبذلوا في العلم نفيس أوقاتهم، وكانت الصعوبات لديهم عظيمة، ومع ذلك أقبلوا على العلم، لم؟ لأنهم يعلمون أن الإنسان إنما يشرف بالعلم، وأن المسلم إذا لم يكن حاويًا للعلم بين جنبات صدره، فإنه ليس بشيء، فبقدر العلم الذي تحويه تكون منزلتك، فبالعلم ترفع، وبعدم العلم تخفض؛ قال ﷻ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، **قال أهل العلم في التفسير: معنى الآية:** يرفع الله ﷻ المؤمنين على غيرهم، ويرفع الذين أوتوا العلم من المؤمنين على غيرهم درجات[١]، ولا شك أنه ليس سواء عالم وجهول: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

فالعلم أصبح اليوم سهلًا ميسورًا، والحجة قامت عليكم أيها الشباب بخاصة، بل وفي أي سن قامت الحجة على الناس، الكتاب بين أيديكم، المسموع بين أيديكم، المشايخ يمكن الاتصال بهم فيما شئت

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٨٠)، وزاد المسير (٤/ ٢٤٨)، وابن كثير (٨/ ٤٨).

من وقت، وما أشكل عليك إنما عليك أن تبذل يسيرًا حتى تحصل على علم كثير، ومع ذلك نجد عدم الإقبال على العلم من طوائف كثيرة من هذه الأمة في هذا الزمان، ولعدم الإقبال على العلم في هذا الزمن - مع عِظم شأنه، ووضوح عظم شأنه، ومع سهولة الحصول عليه، ومع ارتفاع أهل العلم على غيرهم فيما بين الناس في هذا اليوم في هذا الزمان - نجد أن ثم عقبات جعلت كثيرين يبتعدون عن طريق العلم، فمن تلك العقبات: التثبيط الذي يقوله كثيرون، تثبيط عن العلم والتعلم، قالوا: نحن نحتاج إلى دعاة، وأما أهل العلم كثير، فماذا نفع أهل العلم، لكن الذين نفعوا هم الدعاة، قالوا: الأمة اليوم بحاجة إلى من يتحرك ببعض العلم، وأما التفرغ للعلم ومعرفته على نحو طريقة طلاب العلم، فهذا لا يحتاجه أكثر الشباب، بل لا تحتاجه الأمة، قالوا: إن العلم تفصيلاته لا ينتهى منها، فخذ من الكتب ما شئت من الزمان، فلن تدرك تفصيلاته، وأما إذا حملت الدعوة، وأرشدت، وبينت، فإنك ستهدي، وتحصل خيرًا كثيرًا. إلى غير ذلك من الشبه والأقوال التي تُثَبط بها فئام كثيرة وطوائف كثيرة من الشباب بخاصة ومن غيرهم في سبيل طلب العلم.

ولهذا نقول: إننا إذا نظرنا إلى حالنا في هذا الزمن، وجدنا أن الأمة أشد ما تكون حاجة إلى أهل العلم وطلبة العلم، لم؟ لأنه من المتقرر عند أهل العلم بكافة أنه لا يسوغ لأحد أن يدعو إلى شيء إلا إذا علمه، فلا يجوز أن يدعو المرء إلى شيء لا يعلمه، بل لا بد أن تكون عالمًا بالشيء الذي تدعو إليه، وهذه هي سُنَّة الأنبياء جميعًا؛ قال ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، قال ﷻ هنا لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ والبصيرة للقلب كالبصر للعين يُبصر

بها القلب المعلومات، يبصر بها ما يأتي وما يذر، ومن لم يكن ذا بصيرة في قلبه، فإنه ليس على سُنَّة المصطفى ﷺ في الدعوة، كيف يدعو إلى شيء لا يعلم حكمه؟ وهل ضل من ضل إلا بأنه دُعي إلى شيء على جهالة؟!

انظر مثلًا إلى تلك الفئام العظيمة من الخوارج[1] الذين خرجوا على صحابة رسول الله ﷺ، وكفَّروهم، وأعملوا السيف فيهم، هل كان خروجهم عن نقص في أمر الدعوة، أو كان خروجهم عن طريقة الصحابة عن نقص في أمر العلم؟ لهذا وصفهم النبي ﷺ بقوله: «**يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمُرُوقِ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»[2]، وفي حديث آخر قال: «**شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، وَخَيْرُ قَتِيلٍ مَنْ قَتَلُوا، كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ، قَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ مُسْلِمِينَ فَصَارُوا كُفَّارًا. قُلْتُ: يَا أَبَا أُمَامَةَ، هَذَا شَيْءٌ تَقُولُهُ؟ قَالَ: بَلْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ**»[3]، وقال ﷺ: «**فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، لَئِنْ لَقِيتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**»[4] وهم أهل صلاة وأهل صيام، وعظيم عبادتهم ليست

---

(١) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة، وفيهم قال النبي ﷺ: «**يَحْقِرُ أحدكم صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**». أخرجه البخاري (٢٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. انظر: مقالات الإسلاميين (ص٤، ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص٥٤)، والملل والنحل (١/ ١١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٧٦) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٣٦١١، ٥٠٥٧، ٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦) من حديث علي رضي الله عنه، وفيه: «**فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

عند الصحابة ﷺ، وأهل جهاد وتفان وقوة وبذل للنفس، ليس ذلك عند الصحابة ﷺ، ومع ذلك لم ينفعهم، لم؟ لأنهم ليسوا على العلم الصحيح، وهكذا خرجت المرجئة(١)، وخرجت جميع الفرق الضالة بسبب عدم العلم النافع، العلم الموروث عن النبي ﷺ.

فإذا أردنا أن نقوم في حق هذه الأمة قيام صدق وحق، فلا بد أن نكون منشئين لجيل عظيم يحمل الدعوة، ولا يحمل الدعوة على وفق ما يحب الله ﷻ ويحب رسوله ﷺ إلا من علم ما أنزل الله ﷻ على رسوله، وأنزل على نبيه ﷺ من السُّنَّة، ومن لم يكن كذلك، فليس بسالك سبيل الهدى؛ لهذا نقول: إن العلم ضروري جدًّا، العلم ضرورة شرعية، العلم لا بد منه، ولو كان أكثر ما ترى من هذه الصحوة المباركة ومن هذه الأفواج والأجيال من الشباب الملتزمين بالدين، لو كانوا على وفق ما يقتضي العلم، لوجدت أن الخلافات التي بينهم قلّت، ولوجدت أن الصف أصبح واحدًا، ولوجد أن الفرقة قلت، ولوجد أنهم صاروا يدًا واحدة، ووجدت أنهم يستحقون بفضل الله ﷻ أن يكونوا هداة مهديين، واليوم ما سبب الخلاف؟

سبب الخلاف اختلاف العلوم، يأتي أهل العلم فيحتجون بسُنَّة، يحتجون بعقيدة، فيأتي غيرهم، ويحتج بشبهة، يحتج برأي، يحتج

= وأخرجه البخاري (٣٣٤٤، ٤٣٥١، ٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وفيه: «**يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**».

(١) المرجئة: قيل من الإرجاء أي: من التأخير لأنهم أخروا العمل عن مسمى الإيمان، وقيل من الرجاء لأنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وهم فرق شتى. انظر: (مقالات الإسلاميين) (ص١٣٢)، و(الفرق بين الفِرق) (ص١٩٠).

باجتهاد، هل يقابل هذا بهذا؟! ومع ذلك تكون الغلبة لمن كان ألحن بحجته، ولا شك أن من الناس من تتلمذ لأهل العلم للأخيار، ومع ذلك لم ينفعه تلمذته لأولئك، خذ مثلًا عبد الرحمٰن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب ﷺ، هذا كان من القراء ومن العباد، وكتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى عمرو بن العاص ﷺ، وهو في المدينة يقول له في شأن عبد الرحمٰن بن ملجم، قال: استأجر له بيتًا، واجعله يُقرئ الناس. ثم لحق بمعاذ بن جبل ﷺ، وتتلمذ له، وصحبه مدة طويلة، ومعاذ ﷺ هو أعلم هذه الأمة بالحلال والحرام؛ كما قال ﷺ[1]، ومع ذلك زلَّت قدما ابن ملجم، وصار من كلاب أهل النار من الخوارج، وقتل خير الناس في زمانه علي بن أبي طالب ﷺ[2]؛ لأنه ما حافظ على العلم الذي أخذه عن علمائه، عن العلماء الذين أخذ عنهم العلم، أخذ العلم عن عمر ﷺ، فما استقام على طريقة عمر ﷺ، أخذ العلم عن معاذ ﷺ، فما استقام على طريقة معاذ ﷺ، أخذ العلم عن الصحب الأجلاء، فما استقام على طريقتهم، وإنما ذهب إلى طريقة الخوارج الذين كفَّروا صحابة رسول الله ﷺ.

يعطيك ذاك أننا بأشد ما نكون إلى هذين الأمرين:

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي (٣٧٩٠)، وابن ماجه (١٥٤)، والنسائي في الكبرى (٨١٨٥، ٨٢٢٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٤٥)، وأحمد (٢٠/ ٢٥٢)، عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهَا فِي دِينِ اللهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهَا حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَعْلَمُهَا بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَقْرَؤُهَا لِكِتَابِ اللهِ أُبَيٌّ، وَأَعْلَمُهَا بِالْفَرَائِضِ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ**».

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٢١٥)، وتاريخ الإسلام (٣/ ٦٥٤، ٦/ ١٥٦)، وكلاهما للذهبي، والبداية والنهاية (٧/ ٣٢٩، ٩/ ٥٣)، والاستيعاب (٣/ ١١٢٨، ١١٢٩)، والإصابة (٥/ ٣٠٣)، وتاريخ دمشق (٤٣/ ٤٩٤).

الأمر الأول: العلم، وأن نأخذه عن أهله المتحققين به.

والأمر الثاني: أن تبتعد عن أهل الشبهات؛ لأن طالب العلم، ولو أخذ من العلم الكثير، فإنه لا يأمن على قلبه أن يتبدل ويتحول: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥].

الذين تحولوا عن مقتضى العلم، وسلكوا طريق الشبهات كثير، عمرو بن عبيد تلميذ لبعض سادات التابعين، فلان وفلان تلميذ لبعض الأئمة الكبار، ومع ذلك يحتاج منك الأمر إلى أن تستقيم على العلم، وأن تحرص على البعد عن أهل الشبهات؛ لأن الإنسان لا يأمن أن يقع في قلبه شيء، ولهذا قال بعض السلف: (**وَلَا تُصْغِيَنَّ سَمْعَك لِذِي هَوًى، فَإِنَّك لَا تَدْرِي مَا تَعَلَّقَ قَلْبُك مِنْهُ**)[1].

وقال الحسن رحمه الله: (**ما زالت كلمة سمعتها من مبتدع تتجلجل في صدري إلى اليوم**). كلمة وهو عالم من أهل العلم تتجلجل في صدره من قوتها؛ ولهذا يحرص الشاب أنه إذا تعلم العلم أن يبتعد عن أهل الشبهات؛ لأنك لا بد أن تحرص على أن تكون من المتمسكين بمقتضى العلم.

والعلم يقبل ويُدبر، العلم يكون حجة لك، أو يكون حجة عليك، فإذا أنت أمكنت من نفسك الأقوال والاختلافات والآراء، ولم ترض بالطريقة الحقة التي عليها علماء أهل السُّنَّة والجماعة المتابعون لسلف هذه الأمة، فإنك قد تعاقب، وقد عوقب أناس، ونسأل الله عز وجل أن يجعلنا جميعًا من الموفقين الذين ابتعدوا عن كل سبيل فتنة وعن كل سبيل ضلال، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

---

(١) يقول ميمون بن مهران: (**ثَلَاثَةٌ لَا تَبْلُوَنَّ نَفْسَك بِهِنَّ: لَا تَدْخُلَنَّ عَلَى سُلْطَانٍ وَإِنْ قُلْت آمُرُهُ بِطَاعَةٍ، وَلَا تَدْخُلَنَّ عَلَى امْرَأَةٍ وَإِنْ قُلْت أُعَلِّمُهَا كِتَابَ اللهِ، وَلَا تُصْغِيَنَّ سَمْعَك لِذِي هَوًى فَإِنَّك لَا تَدْرِي مَا تَعَلَّقَ قَلْبُك مِنْهُ**). انظر: سيرة الإمام ابن حنبل (١/ ٥١)، وذم الهوى (١/ ١٤٨)، والآداب الشرعية (٢/ ٢٤).

الأسئلة:

السؤال: ما المقصود بالحقيقة والكنه في الصفات؟ هل يراد بها المعنى، أم الكيفية؟ وجزيتم خيرًا.

الجواب: الحقيقة والكنه هي من الألفاظ التي استعملت في الكلام على صفات الله ﷻ، ويعنى بالحقيقة وبالكنه: تمام المعنى والكيفية، وقد قال المعرفون: إن الكنه هو ما تنتهي إليه حقيقة الشيء من جهة معناه ومن جهة كيفيته، ولهذا لا نعلم كنه صفات الله ﷻ؛ لأننا لا نعلم حقائقها التي تنتهي إليها، وإنما نعلم بعض المعنى، وأما الكيفية، فلا نعلمها؛ لهذا فإن الحقيقة والكنه بالنسبة لصفات الله ﷻ غير مطموع في إدراكها، وإنما نعلم أن الله ﷻ اتصف بصفات، ووصف نفسه بتلك الصفات، ووصفها به رسوله ﷺ، ونعلم معاني تلك الصفات، وأن لتلك الصفات معاني نفهمها باللسان العربي المبين، ولكن تمام المعنى لا نعلمه؛ لأن الأمر غيبي، وكذلك الكيفية لا تعلم.

فإذًا؛ معنى الكنه والكيفية، الكنه والحقيقة في صفات الله ﷻ؛ يعني: الكيفية، أو نهاية ما تدل عليه من المعاني، والله أعلم.

السؤال: فضيلة الشيخ، إذا شخص من الكفار بدأ بالمصافحة، فماذا أفعل؟ هل أرد ﷺ؟ وإذا مد يده للسلام، أصافحه أم ماذا أفعل؟

الجواب: الكفار من أهل الكتاب أو من المشركين لهم أحكام متعددة، ومنها ما كان من قبل التحية، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، فَقُولُوا وَعَلَيْكُمْ**»[1]، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى إذا ابتدؤوا المسلم بالسلام، فإنه يقول لهم: وعليكم السلام.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٦)، ومسلم (٢١٦٣).

وهذا هو الذي عليه أكثر أهل الحديث وفقهاء السُّنَّة، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وابن القيم رحمه الله ذهبا إلى أن المسألة فيها تفصيل، وذلك أن النبي ﷺ أمر الصحابة رضي الله عنهم أن يقولوا: وعليكم. لأن أولئك يقولون: السام عليكم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم: إذا تحققت ممن يلقي عليك السلام أنه قال: السلام عليكم. وسمعت منه ذلك، وتحققت أنه لا يريد أن يقول: السام عليكم. فإنه يرد عليه بمثل ما سلم عليك، تقول: وعليك السلام؛ وذلك لقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦]، خرج من العموم، إذا سمع الكافر يقول: السام. فيبقى ما عداه في أن تحيي بمثلها، أو بأحسن منها، ومعلوم أنه إذا قال: السلام عليكم. وقلتم: وعليكم السلام. وزدت الواو، فقد حييت بأحسن منها، وإذا اقتصرت على قولك: وعليكم السلام، فقد حييت بمثلها، هذا على كلام شيخ الإسلام، والأولى أن تتبع السُّنَّة في ذلك، ومن رأى أن التعلل هنا ظاهر وواضح في أن المسلم يقول السلام بوضوح، فإن له أن يقول: وعليكم السلام. وزاد ابن القيم تعليلًا في ذلك، فقال: ولأن هذا من العدل، والعدل واجب مأمور به لقوله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠][1].

وأما المصافحة، فالفقهاء يقولون: وتكره مصافحته؛ يعني: الذمي الكافر من أهل الكتاب تكره مصافحته، ومن المتقرر في القواعد الفقهية أن المكروهات إذا كان ثم حاجة، فإنه لا كراهة؛ يعني: إنه إذا كان ثم

---

(١) انظر هذا البحث في: الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص٢٢٢)، والرد على الأخنائي (ص١٢٠)، وأحكام أهل الذمة (١/ ٤٢٥)، وبدائع الفوائد (٢/ ١٧٧)، وزاد المعاد (٢/ ١٨٦).

حاجة شرعية، أو ثم حاجة مأذون بها شرعًا، فإنه لا كراهة في مصافحة الذمي، وهذا كله في حال إذا ما كان الكافر مسالمًا، وأما إذا كان الكافر مظهر العداوة، فإنه لا يجوز أن يبسط معه، بل يجب أن يعامل بالمثل: يظهر العداوة، فنظهر له العداوة بمثل ما أظهر؛ قال ﷻ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨]، هذا في الذي لم يظهر العداوة؛ أي: في المسالمين، وأما المظهر للعداوة، فإنك لا ترد ﷺ؛ يعني: الذي يستهزئ بالإسلام، تعرف منه نكاية بأهل الخير، تعرف منه أنه صاحب عداوة، مظهر لها، فإن هذا لا ترد عليه، وهذا أقل ما يجب في حقه.

السؤال: قال ﷻ في سورة البقرة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٧] فقوله في الآية: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ هل هو معطوف على قوله: قتال أو كبير؟ فقد أشكلت علي الآية، خصوصًا على التفسير المشهور في قوله: ﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾؛ أي: ذنبه كبير. أرجو توضيح ذلك، والله يرعاكم.

الجواب: قوله ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ قتال: هذا مبتدأ، وخبره: كبير. ﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾؛ أي: إن القتال في الشهر الحرام ذنبه كبير؛ فإن الشهر الحرام لا يجوز أن يستحل بقتال، لكن هناك ما هو أعظم منه، قال: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢١٧]، فقوله: ﴿وَصَدٌّ﴾ ليست معطوفة على ما قبلها، وإنما الواو هنا استئنافية، صد: مبتدأ، وخبره: أكبر عند الله، وعطف عليه، وقال: ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ ثم عطف، وقال: ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ﴾ فأكبر: خبر لقوله: وصد عن سبيل الله، وما عُطف على ذلك. هذا قول عامة أهل التفسير، وأما القول بأن ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ معطوفة على ما قبلها،

هذا ليس بشيء، وليس له قوة من جهة العربية[1].

السؤال: هل في الملائكة رسل غير جبريل عليه السلام؛ استدلالًا بقوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]؟

الجواب: هذه الآية من سورة الحج فيها الدلالة على أن الاصطفاء من الله ﷻ للرسل من الإنس ومن الملائكة، وجمع هنا، فدل على أن جبريل عليه السلام ليس وحده المرسل، ولهذا قال: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾ [المرسلات: ١]، والمرسلات هم الملائكة، فجعلهم مرسلين، بل إن اشتقاق كلمة ملائكة ـ كما هو معلوم عند أهل العلم بالتفسير واللغة ـ إن اشتقاقها من الإرسال؛ لأن ملائكة جمع ملأك، وأصلها مألك، فهي من الألوكة، وهي الرسالة، مثلما قال الشاعر[2]:

أَلِكني إِلَيها وَخَيرُ الرَسو ... لِ أَعلَمُهُم بِنَواحي الخَبَر

يعني: أرسلني إليها، والألوكة معروفة عند العرب بمعنى الرسالة[3].

فمن أرسل رسولًا برسالة خاصة، قيل له: ملك؛ لأنه مرسل، أصلها مألك، ثم خففت، لكن اختص هذا الاسم بالملائكة دون الرسل من البشر، والملائكة مرسلون لإنفاذ أمر الله ﷻ القدري في ملكوته الواسع، أو لأمر الله ﷻ الشرعي، فصاحب الوحي من الملائكة الذي

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٦٤٩)، وزاد المسير (١/ ١٨٣)، والطبري (٣/ ٤٥).

(٢) هو خويلد بن خالد بن محرز بن زبيد بن أسد بن مخزوم الهذلي، شاعر مخضرم قدم المدينة عند وفاة النبي ﷺ فأسلم وحسن أسلامه وغزا الروم في خلافة عمر رضي الله عنه ومات بها سنة ست وعشرين.

انظر: تاريخ دمشق (١٧/ ٥٣)، والبداية والنهاية (٧/ ٢٢٢)، ومعجم الأدباء (٣/ ٣٠٦).

(٣) انظر: معجم ما استعجم (١/ ٤٢٧)، ولسان العرب (١٠/ ٤٨٥)، والأغاني (٦/ ٢٧٩)، وتاج العروس (١/ ٣٢، وما بعدها).

يحمل وحي الرحمٰن لمن شاء الله ﷻ أن يوحي إليه هو جبريل عليه السلام: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥] الآيات؛ يعني: جبريل عليه السلام، وهو روح القدس، هذا يرسل بأمر الله الشرعي؛ يعني: يرسل بوحي الله ﷻ بما شرع، بكتبه، بما يخبر به رسله، هذا أمين الوحي ورسوله، هذا النوع من الوحي القائم به هو جبريل عليه السلام، وأما إنفاذ أمر الله القدري في ملكوت الله ﷻ، فإنه ما من حركة تحدث إلا والله ﷻ يرسل لإنفاذها ملائكة؛ فالموت مثلًا وُكِل به ملائكة؛ كما قال ﷻ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، وملك الموت معه ملائكة مرسلون، قال ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١]، فهو ﷻ يرسل ملائكة لقبض أرواح العالمين، ورئيسهم ملك الموت الذي وكل بذلك، كذلك جعل ﷻ لمعايش الناس ملكًا، ومعه ملائكة يرسلهم لإنفاذ أمر الله تعالى القدري في ذلك، وهكذا، فما من شيء يحدث من الأمور إلا والملائكة تنفذه، فهم جند الله تعالى، مرسلون لإنفاذ أمر الله ﷻ القدري، من يكتب عن يمينك وعن شمالك والحفظة، كل هؤلاء مرسلون من الله جل جلاله، فنقول: أمر الله تعالى الشرعي يصل إلى الأنبياء عن طريق روح القدس، عن طريق أمين الوحي جبريل، وأما أمر الله القدري، فإن ملائكة الله ﷻ مرسلون لإنفاذ أوامر الله ﷻ وما شاء في بريته وخليقته وملكوته أن يحصل، والملائكة مرسلون؛ كما قال ﷻ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾ [المرسلات: ١]، والله أعلم.

السؤال: فضيلة الشيخ ـ حفظه الله ـ، ما الصحيح في فعل الخليل إبراهيم عليه السلام كما في سورة الأنعام، هل هو من باب المناظرة، أم النظر؟ وقد رجح ابن كثير الأول، وابن جرير الثاني، مع بيان وجه الترجيح، والله يرعاكم.

الجواب: في قول الله ﷻ في سورة الأنعام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ [الأنعام: ٧٦] الآيات، يخبر ﷺ أنه لما جن الليل عليه رأى كوكبًا، هذا الكوكب هو كوكب الزهرة؛ لأنه يضيء، وهو أقل الثلاثة المذكورة في هذه الآيات إضاءة، لما رأى الكوكب، وكان قومه يعبدون الكواكب، يعبدون النجوم، ويعبدون الأصنام، سلك معهم طريق الحجة بتنزل، وهذه هي التي نقل ابن كثير أنها من باب المناظرة، وليست من باب النظر[1]، لا شك أن ابن جرير اعتمد في هذا على ما روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ما يستفاد منه أنها من باب النظر؛ يعني: إن إبراهيم ﷺ على هذا القول لم يكن يعلم حقيقة المسألة، هل هذه الكواكب، هل الشمس، هل القمر آلهة، أم لا؟ فنظر، ثم وصل إلى أنها ليست آلهة، هذا معنى من قال: إنها من باب النظر[2]، وهذا القول ليس بجيد، بل الصواب هو قول ابن كثير رحمه الله، وهو الذي عليه المحققون من أهل السُّنَّة، أنها من باب المناظرة، ويعنى ذلك أن إبراهيم ﷺ ناظر قومه، واحتج عليهم بحجج يقفون معها، ولا يمكنهم إلا التسليم لها، فقال ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ [الأنعام: ٧٦]، هذا الكوكب والكواكب - كما تعرفون - التي يعبدها أهل الكواكب هي سبعة، ثلاثة منها مضيئة: الزهرة، والقمر، والشمس، وأخفتُها إضاءةً الزهرة، تخرج في الليل، ثم تغرب، ثم القمر أعظم منها إضاءة، يخرج في الليل، والشمس أعظمها إضاءة، فإبراهيم ﷺ تنقل شيئاً فشيئًا من أقلها إضاءة؛ لأنهم كانوا يعتقدون في النور إلى الأعظم إضاءة، قال: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦]، قال أهل العلم: معناها: أهذا ربي؟! وهذا من استفهام الإنكار، ثم: ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]؛ ليدلهم أن اعتقادهم مبطل من جهتين:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٢٩١). (٢) انظر: تفسير ابن جرير (٩/٢٥٦).

الجهة الأولى: من جهة كون الكوكب في نفسه لا يصلح للربوبية.

والجهة الثانية: أنه يأفل، والإله الحق يكون مع من يعبده، لا يغيب عنه، وهذا القول ظاهر الصحة والصواب، وذلك أن في الآيات ما يدل على صحته، وذلك في قوله ﷻ آخر الآيات: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام: ٨٣]، فقد بيّن ﷻ أنه آتى الحجة إبراهيم ﷺ، فكان ذلك السياق سياق احتجاج، لا سياق نظر، قال ﷻ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾، فإنهم لو عقلوا، لعلموا أن هذا الكوكب في نفسه، أن القمر في نفسه، أن الشمس في نفسها لا يصلح هؤلاء أن يكونوا آلهة. وكذلك في أفولها ما يدل على بطلانها أن تكون آلهة، ويؤيد هذا بأن حذف الهمزة ـ كما هو معلوم عند علماء العربية؛ كما ذكره ابن هشام في أوائل مغني اللبيب في الهمزة ـ أن الهمزة تحذف إذا دل المقام عليها[1]، واستشهد لها بقول الشاعر[2]:

تَروحُ مِنَ الحَيِّ أم تَبتَكِر ... وَماذا عَلَيكَ بِأَن تَنتَظِر

تروح من الحي أي: أتروح من الحي.

وقول عمر بن أبي ربيعة في شعره المعروف[3]:

فَوَاللَّهِ ما أدري وإنْ كُنْتُ دارِيا ... بِسَبْعٍ رمَيْنَ الجَمْرَ أمْ بثَمانِ

يعني: أبسبع رمينا الجمر... إلى آخره مما هو معروف عند أهل العلم؛ يعني: إن همزة الاستفهام قد تحذف إذا دل المقام عليها، ولهذا قوله هنا: ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام: ٧٦] إنكار؛ أي: أهذا ربي؟! كما في

---

(١) انظر: مغني اللبيب (١/ ١٤)، وهمع الهوامع (٢/ ٦٩)، والجمل في النحو (١/ ٢٥٢)، والبرهان في علوم القران (٣/ ٢١٣).

(٢) البيت لامرئ القيس. انظر: ديوان امرئ القيس (١/ ٥٧).

(٣) انظر: ديوان المتنبي (١/ ١٥٦، ٣٥٣)، ومغني اللبيب (١/ ١٩).

سورة الأعراف في قصة لوط عليه السلام: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ﴾ [الأعراف: ٨١]، وفي آيات أخرى قال: أئنكم. فقوله في سورة الأعراف: إنكم؛ أي: أئنكم، فالهمزة محذوفة، وهي همزة الإنكار، وهي مباحثها معروفة عند علماء التفسير.

المقصود من هذا أن الصحيح أنه باب مناظرة باب احتجاج، دل عليه السياق في قوله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٣]، ودل عليه الواجب اللغوي العربي، والله أعلم.

السؤال: فضيلة الشيخ، بعض الشباب يبدأ بحفظ بعض المتون في بداية كل فن كثلاثة الأصول في التوحيد، والأربعين النووية في الحديث وغيرها، فإذا قطع فيها شوطًا، توقف، وقال: أنا فهمي وإدراكي أكبر وأوسع من هذه المتون الصغيرة، فينقل إلى متن أكبر كالعقيدة الواسطية أو بلوغ المرام، فهل فعله صحيح؟ وإذا كان خطأً، فما هو الصواب؟ وما هي طريقة السلف في تعلمهم العلم، والله يحفظكم؟

الجواب: هذا الذي ذكره الأخ في السؤال لا شك أنه واقع كثير من الإخوة الشباب، دائمًا عندهم مثل هذه العجلة؛ لأن من طبيعة الشاب الاستعجال، وهو إذا نظر إلى الأربعين النووية، قال: إن عمري كذا وكذا، والأربعين النووية ليست من مستواي، فأنتقل إلى ما هو أعظم، إلى البلوغ، وبعض الناس قد أعطاهم الله قوة حفظ، فقالوا: أنا أعظم من البلوغ، قال في نفسه: أنا أكبر من البلوغ، فأبدأ بحفظ الكتب الستة بأسانيدها، وهكذا في أوهام كثيرة، وهذه المتون التدرج فيها مثل الغذاء الذي تغذوه وأنت صغير، فإنك إذا أخذت الأول، فقد نمت محفوظاتك في صحة، ونما عقلك في إدراك العلم بصحة، وترقيت في مدارجه شيئًا فشيئًا على ما جعله من سبقك في العلم وبرزوا.

سل من شئت من الراسخين من كبار أهل العلم، سلهم هل حفظوا هذه المتون في صغرهم، أم لم يحفظوها؟ فسيجيبون: نعم، قد حفظناها. وهذه المتون ـ مثل: متن الأربعين النووية ـ يحتاجها المسلم، وطالب العلم دومًا يحتاجها، إذا أراد أن يتكلم في مسجد، أو إذا أراد أن يتكلم مع أهله، أو إذا أراد أن يتكلم مع زملائه، لماذا؟ لأنها مشتملة على أصول الإسلام، فإنها أربعون، وفيها علم مئات الأحاديث، بل فيها أحاديث أربعة يدور الإسلام عليها؛ كما تعلمون من شرح الأربعين النووية؛ لهذا لا بد من التدرج، إذا كان ذهنك حديدًا جيدًا حافظًا، فاحفظ هذه في يوم أو يومين أو ثلاثة، ثم تنتقل إلى ما بعدها، وأما أن تحتقر بعض العلم لأنك ستتجاوزه إلى غيره، فربما زلت منك القدم، وهكذا في علوم العقيدة تتدرج فيها؛ لأن الأول يسهل عليك الثاني، مثل الذي يدرس في المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية، هل يأتي رجل يقول: أنا ذكي، أتجاوز الابتدائي، وأدخل المتوسط. ما يستطيع، فلو فهم لن يكون أساسه قويًا.

ولهذا نعاني مثلًا من فهم اللغة من فهم النحو، تجد كثيرًا من طلاب العلم لا يحسنون فهم النحو، ما السبب؟ السبب أن أساسهم فيه ليس بقوي، درسوه في الابتدائي دراسة من لا يحسنه، لم؟ لأن الأساس لم يكن جيدًا، والعلم لا ينال جملة، العلم ينال مرحلة بعد مرحلة، وقد قال محمد بن شهاب الزهري الإمام المعروف قال: (لا تكابر العلم فإن العلم أودية فأيها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه ولكن خذه مع الأيام والليالي ولا تأخذ العلم جملة فإن من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة ولكن الشيء بعد الشيء مع الأيام والليالي)[١]،

---

(١) انظر: جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٠٤)، والإلماع (١/ ٢٢٠).

وما أحسن قول أحد أهل العلم[1]:

الْيَوْمَ عِلْمٌ وَغَدًا مِثْلُهُ ... مِنْ نُخَبِ الْعِلْمِ الَّتِي تُلْتَقَطْ

يُحَصِّلُ الْمرءُ بِهَا حِكْمَةً ... وَإِنَّمَا السَّيْلُ اجْتِمَاعُ النُّقَطْ

ليكن لك عبرة في المطر الذي ينزل من السماء، هو نقطة تلو نقطة، ولو كان قليلًا ثم استمر يديم لعدة أيام، سالت منه أودية، وهذا ليس بعجيب، وأنا أذكر دائمًا قصة رواها الخطيب البغدادي في كتاب «الجامع لآداب الراوي وأحوال السامع»، فيها: إن رجلًا رام طلب علم الحديث، ولكنه وجد أنه لم يحصله، تعب، فتعب، ولم يحفظ، ولم يُحصل، فقال: هذا العلم لا يناسبني، فذهب عنه، وترك العلم، ثم إذا به ذات مرة يمشي في يوم، وإذا بنقط ماء تتقاطر على صخرٍ على حصاة، وإذا بنقط الماء قد أثرت فيها حفرة، يقول: وقفت متعجبًا، فقلت: هذه عظة لي، ليس العلم بأخف من الماء، وليس قلبي بأقسى من الصخر، وهذا الماء قد أثر في الصخر، فرجع، وطلب العلم، وصار من رواة الحديث المشاهير[2].

هذان طرفان: طرف يستعجل في العلم، وطرف إذا رأى صعوبة في أول الطريق، أحجم، ونكص، وابتعد عن طريق العلم، فكلا الأمرين ليس بمحمود، فلا تكُ فيها مُفرِطًا أو مُفَرِّطًا، كلا طرفي قصد الأمور ذميم. فيجب أن تمشي كما مشى أهل العلم من قبلك خطوة فخطوة، ثم بعد ذلك تُحصل.

---

(١) القائل هو: محمد بن إبراهيم بهاء الدين بن النحاس (٦٩٨هـ)؛ كما في بغية الوعاة للسيوطي (١/ ١٤).

(٢) انظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ١٧٩) عن الفضل بن سعيد بن سلم قال: «كان رجل يطلب العلم فلا يقدر عليه، فعزم على تركه، فمر بماء ينحدر من رأس جبل على صخرة قد أثر الماء فيها، فقال: الماء على لطافته قد أثر في صخرة على كثافتها، والله لأطلبن العلم. فطلب فأدرك».

والمطالعة لها أهمية، تجعل وقتًا للمحفوظات، ووقتًا للقراءة، تنمي معلوماتك، وتقرأ ما شئت من كتب أهل العلم في الحديث، وفي العقيدة من المطولات وغيرها، لكن تشغل من وقتك القليل، أما الأكثر، فيكون من العلم المنهجي المؤصل.

السؤال: وهذا يقول: إذا قال بعض أهل الكلام: إن السلف لم يخوضوا في الأمور التي خاضوها، ثم وصفوا الخالق بأنه في حيز، أو أنه جوهر، أو أنه مركب، وغيره؛ لعدم علمهم بهذه العلوم، كما أنهم لم يتكلموا في طبقات الأرض، وتركيب الأجسام، وتقسيم الأمراض، وغيرها من العلوم الحديثة، فكيف يرد عليهم، وجزاكم الله خيرًا؟

الجواب: هذا ليس كذاك، باب الصفات وباب أسماء الله ﷻ، بل وباب جميع الأمور الغيبية بابها التسليم، وأن يتلقى العلم من كتاب الله ﷻ ومن كلام رسول الله ﷺ، دون زيادة ولا نقصان؛ وذلك لأن الأمور الغيبية لا تعرف إلا بخبر من يعلمها، وهو الله ﷻ، والله ﷻ أوحى إلى رسوله، فأعلمه بأسمائه، أعلمه بصفاته، والنبي ﷺ أخبر هذه الأمة؛ لهذا كل أمر من أمور الغيب مما هو متصل بذات الله ﷻ، أو صفاته، أو بأفعاله، أو بوصف الجنة والنار، أو بوصف السماء وما فيها، أو بوصف اليوم الآخر وما فيه، فكل هذا لا يجوز أن يتجاوز فيه القرآن والحديث، فباب الصفات مثله الأمور الغيبية جميعًا لا نتجاوز فيها القرآن والحديث، والسلف تركوا تلك الكلمات: الجوهر، والحيز، والعرض... إلى آخر ذلك، تركوها لأنها:

أولًا: ألفاظ مبتدعة.

ثانيًا: لأنها استعملها أهل البدع لرد الحق ولرد العقيدة الصحيحة، وأيضًا لأنها لم تستعمل في من كان قبلهم، ما ورثوا هذه الألفاظ عن

صحابة رسول الله ﷺ، ومن كان متأسيًا، فليتأس بصحابة رسول الله ﷺ؛ كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «**مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَبَرَّهَا قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَنَقْلِ دِينِهِ، فَتَشَبَّهُوا بِأَخْلَاقِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ فَهُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ**»(١)، وقد قال عمر بن عبد العزيز في كلام له طويل عظيم حث فيه على التمسك بآثار من سلف ممن سلف، عمر يعني: الصحابة رضي الله عنهم، فقال فيهم: «**قِفْ حيثُ وَقَفَ القومُ، فَإِنَّهُم عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا، وبِبَصَرٍ نافِذٍ كَفُّوا، وَلَهُمْ عَلَى كَشْفِها كانوا أَقْوَى، وبالفَضْلِ لوْ كَانَ فيها أَحْرَى، فَلَئِنْ قُلْتُمْ حَدَثَ بَعْدَهُم، فَمَا أَحْدَثَهُ إلا مَنْ خَالَفَ هَدْيَهُمْ، وَرَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِمْ، ولقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ ما يُشْفِي، وتَكَلَّمُوا مِنْه بما يَكْفي، فَما فَوْقَهُم مُحَسِّرٌ، وما دونهم مُقَصِّرٌ، لَقَدْ قَصَرَ عَنْهُم قَوْمٌ فَجَفَوْا، وَتَجاوَزَهُمْ آخَرُون فَغَلَوْا، وإِنَّهُمْ فِيما بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مستقيمٍ**»(٢).

يعني: ما تكلموا فيه تكلموا بعلم، وما كفوا عنه كفوا عنه ببصر نافذ. هؤلاء هم سلف هذه الأمة وساداتهم صحابة رسول الله ﷺ، بهذا ما ترك أئمة السُّنَّة هذه الألفاظ عجزًا عن فهمها؛ فإنهم فهموا أدق منها، وأدق هذه الأمة علومًا وأصح هذه الأمة علومًا صحابة رسول الله ﷺ، والعلوم التي أحدثت فيما بعد، والتي يزعم أصحابها أنها علوم هي في جنب علم الصحابة ليست بشيء؛ لأن علم الصحابة نافع كله، وأما علوم

---

(١) رواه رزين كما في المشكاة (١/ ٦٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٥).

(٢) رواه أبو داود في سننه، باب لزوم السُّنَّة، (٤٦١٢) مطولًا، ورواه ابن بطة في الإبانة الكبرى - كتاب الإيمان [(ح١٦٤) (١/ ٣٢٢)]، وذكره المؤلف في كتابه ذم التأويل [(١/ ٣٤) (ح٦٨)]، ورواه أيضًا فيه عن عبد العزيز الماجشون (٦٧).

غيرهم، فمنها ما هو نافع وما هو ضار. صلى الله وبارك وسلم على نبينا محمد وعلى آله وعلى صحابته الغر الميامين المنتخبين، الذين اختارهم الله ﷻ لصحبة نبيه، فجعلهم ورثة علم النبي ﷺ.

السؤال: يقول: ما رأيكم - حفظكم الله - فيمن يعظمون بعض الدعاة، ولا يقبلون فيهم أي نقد، ولو كان حقًا، ويقولون: أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم، أو سدوا المكان الذي سدوا؟

الجواب: الدعاة إلى الله ﷻ إذا كانوا على معتقد أهل السُّنَّة والجماعة ومن التابعين للسلف الصالح، فإنهم على خير في دعوتهم إلى الله ﷻ، ومن المعلوم عند الصغار - فضلًا عن طلبة العلم، فضلًا عن الكبار - أنه ليس من شرط الداعي إلى الله ﷻ أن يكون سالمًا من الخطأ، أن يكون سالمًا من الغلط في العلم، أو في العمل، أو في الرأي، فمن أهل العلم من أخطأ، ورُد عليه، وقد قال مالك بن أنس رضي الله عنه إمام دار الهجرة، قال: «**كُلُّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِه، وَيُتْرَكُ إِلَّا صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ ﷺ**»[1]، فكل الناس منهم راد ومردود عليه، فالخطأ لا يقر، إذا غلط من غلط من أهل العلم أو من الدعاة أو من غيرهم، فإنه يجب نصحًا للأمة أن ينبه الناس على أنه أخطأ، وهذا إذا سلمت القلوب من إيثار من دون الله ﷻ على الله ﷻ. والمرء المسلم والشاب الصالح والداعي وطالب العلم يجب عليه أن يجعل الإسلام في قلبه أعظم، فإذا كان السكوت عن غلط من كلام بعض الدعاة إلى الله أو من كلام بعض أهل العلم إذا كان السكوت سيسبب اقتداء الناس بذلك، أو تأسي الناس بهذا الغلط، فإنه يجب أن يبين الخطأ بدليله،

---

(١) انظر: الإحكام لابن حزم (٦/ ٣١٧)، ومنهاج السُّنَّة النبوية (٣/ ٥٠٣)، والبداية والنهاية (١٤/ ١٤٠)، والآداب الشرعية (٢/ ٢٩٣)، وإعلام الموقعين (٣/ ٢٨٤، ٢٨٥).

وأن ينقل في هذه المسألة كلام أهل العلم، وليس من النصح للإسلام أن يسكت عن خطأ من أخطأ ممن يتأثر الناس بخطئه؛ لأن من الناس من يخطئ وخطؤه على نفسه، فهذا يناصح فيما بين المرء وبينه، ومن الناس من ينشر كلامه بين الناس، داعية أو طالب علم يخطئ في كلام، فإني في هذا المقام أنبهه أنه أخطأ في هذا الكلام، أو يورد إشكالًا، فيصحح، أو يرسل إليه، ويقال له: أخطأت في كذا وكذا، وينبه، وإذا لم ينتبه، وجب ـ رعاية وحماية للإسلام ولأهل الإسلام من أن يتعثر الناس بالأغلاط في دين الله ـ أن يبين الخطأ، وتبيين الخطأ هذا أمر واجب في الشرع؛ لأنه من إنكار المنكر إذا أصر صاحبه عليه، فسبب هذا الكلام الذي قاله السائل سببه التعصب، ولا شك أننا اليوم نشكو من تعصبات كثيرة في صفوف الشباب من الناس؛ يعني: من الشباب من يتعصب لفلان، ومنهم من يتعصب لفلان، وإذا أتى نقاش، وجدت أن كل واحد من المختلفين يزعم أن صاحبه من طلاب العلم أو من الدعاة الذي يقدره ويعظمه، يزعم أنه لا يخطئ ألبتة، وهذا لا شك أنه بعد عن فهم حقيقة العلم وحقيقة دين الله، وأنه لم يعط أحد السلامة في الناس، بل لا بد أن يكون ثم من يخطئ، ويرد عليه؛ حتى يبقى الكمال للأنبياء، وبعدهم في الكمال لأهل العلم الراسخين وللأئمة.

فإذًا؛ التعصب الممقوت هذا هو الذي فرق الناس، إذا قال لك فلان: فلان الداعية أخطأ في كذا وكذا. قل: في أي مسألة أخطأ؟ ما دليلك؟ لماذا أخطأ في كذا؟ أو تناقش المسائل مناقشة علمية هادئة بعيدة عن الضوضاء والصخب الذي يفرق، فإذا وجد الحق، يتبع، ولا يجب أن يتعصب للأشخاص، وتقدم أقوال الأشخاص على كلام علماء السُّنَّة، أو على ما قرره أئمة الإسلام في عقائد السلف الصالح

عقائد أهل السُّنَّة والجماعة؛ لأن هذا انحراف عن المنهج الحق، فالناس في هذه المسألة ما بين غلو وما بين جفاء، ما بين إفراط وما بين تفريط، والواجب في هذه المسائل أن المخطئ يرد عليه، ولا يعني الرد عليه الشناعة به، بل كل منا يخطئ، وديدننا تحري الحق، ديدننا أننا نبحث عمن يرشدنا إلى الصواب، وليس من شرط الداعي أن لا يخطئ ألبتة، فإذا أتي آت، وقيل له: الداعية الفلاني أخطأ في كذا وكذا. قال: أنت تتهجم، وتفعل. معنى ذلك أنه لم يفهم دينه حقًا؛ لأن من أساسيات فهم الإسلام أن تقدم الحق، حتى ولو على رأيك. كم من أهل العلم من سكتوا عن أقوالهم ورجعوا عنها لما بينت لهم! والحق أغلى عليهم من أقوالهم ومن أنفسهم، هذا الذي يجب أن نكون عليه، أما أن يقال: إن فلانًا أخطأ. فتقام الدنيا، ويتهم من خطأه، ويقال: كذا وكذا. لا شك أن هذا بعد عن حقيقة ما نصبو إليه من أن نكون متعاونين على الحق والهدى، على طريق السلف الصالح، دون نظر في ما أحدثه الخلوف من التعصبات المقيتة، ومن الآراء الذميمة، ومن التعظيم للناس بغير ما أذن الله ﷻ.

أسأل الله ﷻ أن يجمع قلوبنا جميعًا وقلوب أهل العلم والدعاة إلى الله ﷻ أن يجمعنا جميعًا على الحق والهدى، وعلى طريقة سلف هذه الأمة، وعلى عقيدة سلفنا الصالح، وعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، وأن يؤلف بين القلوب على الحق والهدى، وأن يعيننا من نزغات الشيطان ونزغات الردى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

السؤال: الحمد لله، هذا سائل يقول: ما الفرق بين العقيدة والمنهج؟ وما حكم من يستدل بقوله ﷻ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] على أن الشريعة هي العقيدة والمنهاج؟ فهل يوجد فرق؟ هل هذا صحيح؟

الجواب: في قوله ﷻ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ أهل التفسير من الصحابة ﷺ فمن بعدهم على أن معنى قوله: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾؛ أي: سبيلًا وسُنَّة(١)، فالمنهاج هو العقيدة؛ لأن المنهج هو النهج الذي يسلك، والطريق الذي يسلك معلوم أنه تكون معه طرق، فإذًا هذا الطريق الذي هو المنهج هو السبيل، وسبيل الله ﷻ واحد: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فسبيل الله واحد، وهو طريقه الموصل إليه، وهو المنهاج، وكيف تفهم معنى المنهاج ومعنى المنهج؟ إذا عرفت أن الأمة تفرقت إلى فرق شتى، وإلى طوائف كثيرة، وتلك الطوائف وتلك الفرق كل فرقة وطائفة اتخذت لها سبيلًا، واتخذت لها طريقًا، ومعلوم أن مجموع ما عليه تلك الطوائف والفرق هو عقائدهم، ولهذا قال أهل العلم: إن منهج أهل السُّنَّة والجماعة هو طريقة أهل السُّنَّة والجماعة، وهو عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، وما يميز أهل السُّنَّة والجماعة عن غيرهم من الفرق الضالة المخالفة لطريق سلف هذه الأمة من صحابة رسول الله ﷺ فمن بعدهم، خذ مثلًا في أبواب الإيمان لهم منهج، لهم عقيدة في أبواب القدر، لهم منهج ولهم عقيدة في أبواب الصفات، وأسماء الله ﷻ لهم فيها منهج ولهم عقيدة؛ يعني: لهم عقيدة، التي هي المنهج مما يميزهم عن غيرهم، كذلك في أبواب الغيبيات لهم طريقة، ولهم منهج، ولهم عقيدة، وكذلك في التعامل مع الخلق، التعامل مع الأئمة، مع ولاة الأمر، ومع الحكام لهم منهج، ولهم طريقة، التعامل مع الناس مع المسلمين لهم منهج، ولهم طريقة،

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٢٦٩)، وزاد المسير (٢/ ٣٧٢)، والقرطبي (٦/ ٢١١)، وابن كثير (٢/ ٦٧).

التعامل مع أهل العلم لهم منهج، ولهم طريقة، ولهم عقيدة، هذه كلها مسطرة في كتب علماء أهل السُّنَّة والجماعة، فإذا قيل: عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة؛ يعني: منهج أهل السُّنَّة والجماعة، ومن الناس من قد يخالف عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، والمخالفة على قسمين:

القسم الأول: إما أن تكون المخالفة لأصل من أصول أهل السُّنَّة والجماعة، فمن خالف في أصل من الأصول، فهو مبتدع خرج عن أهل السُّنَّة والجماعة، فمثلًا يخالف في أصل الإيمان، ويقول: الإيمان قول واعتقاد، دون عمل. فهذا يكون خارجًا عن عقيدة السلف الصالح من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، يقول في القدر بالكسب، وأن المرء المكلف محل لفعل الله، وأن الفعل ليس بفعل حقيقة، وإنما هو محل له؛ كقول الأشاعرة[1]، ونحو ذلك، فهذا قول بالجبر، فهذا مخالف لعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الأصل، صاحبه ليس من أهل السُّنَّة والجماعة، كذلك في أبواب الإمامة يخالف في وجوب السمع والطاعة للإمام المسلم، يخالف في أصل المسألة، فهذا ليس من أهل السُّنَّة والجماعة، كذلك إذا خالف في المسائل المتعلقة بالصحابة، فقال: أنا أترضى عن الصحابة جميعًا، إلا واحدًا.

(١) نسبة إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم الأشعري، ولد سنة ستين ومائتين، وتوفي سنة عشرين وثلاثمائة، نشأ على مذهب المعتزلة، وتتلمذ على أبي علي الجبائي من أكابر المعتزلة، ومضى على ذلك صدرًا من حياته، ثم ترك مذهبهم وتبرأ منه وسلك طريقة ابن كلاب، وانتشر مذهبه، ثم رجع عنه إلى مذهب أهل الحديث، وانتسب إلى الإمام أحمد، وألف في مذهب أهل السُّنَّة: الإبانة، والموجز، إلا أنه بقيت عليه بقايا من مذهب ابن كلاب. توفي ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، قاله الذهبي، ويقال: بقي إلى سنة ثلاثين وثلاثمائة. انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٣٤٦)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٥)، والبداية والنهاية (١١/ ١٨٧)، وشذرات الذهب (٢/ ٣٠٣).

هذا خالف في أصل من أصول أهل السُّنَّة والجماعة، فليس منهم من هو مبتدع.

والقسم الثاني: من يوافق في الأصل، ولكن في بعض أفراد الأصل يبدو له وجهة يتأوَّلها، مع إقراره بالأصل، فهذا نقول فيه: هذا مخالف لطريقة أهل السُّنَّة والجماعة، هذا مخطئ، هذا مباين لطريقتهم. ولا يقال في تلك المسألة ببدعته، ولا بفسقه؛ لأنه أقر بالأصل، ولكن خالف في فرع تحت ذلك الأصل لشبهة عنده، مثل ما حصل للإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ حين خالف في حديث الصورة المعروف: «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبْ الْوَجْهَ، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**»[1]، وفي رواية: «**لَا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمنِ**»[2]، هذا الحديث الذي صححه الإمام أحمد وإسحاق وجماعة من أهل العلم.

قال بعض أهل العلم: «**عَلَى صُورَتِهِ**»؛ يعني: على صورة المضروب[3].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السُّنَّة (١/ ٢٦٨)، والدارقطني في الصفات (ص٣٥، ٣٦)، واللالكائي في اعتقاد أهل السُّنَّة (٢/ ٤٢٣، ٤٢٣)، وابن أبي عاصم في السُّنَّة (١/ ٢٢٨، ٢٢٩)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٨٥)، وابن بطة في الإبانة (٣/ ٢٥٨)، والطبراني في الكبير (١٣٥٨٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وقد صححه جمع من أهل العلم منهم: الإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه، والذهبي، والحافظ ابن حجر، وشيخ الإسلام ابن تيمية. انظر: الإبانة لابن بطة (٣/ ٢٤٤ وما بعدها)، وفتح الباري (٥/ ١٨٣)، وميزان الاعتدال (٤/ ٩٦)، وعقيدة أهل الإيمان (٧٣ ـ ٧٦).

(٣) انظر: صحيح ابن حبان (١٢/ ٤٢٠)، وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص٢١٩)، وإيضاح الدليل لابن جماعة (١٥٣، ١٥٤)، وتفسير القرطبي (٥/ ٣٩٢).

ونازع ابن خزيمة في ذلك، وخالف أهل السُّنَّة، وخالف بقية الأئمة في ذلك، هو مسلم بأن باب الصفات مداره على التسليم، وأننا نمر الصفات كما جاءت، وأننا نسلم لا ننكر، وابن خزيمة له كتابه التوحيد؛ لذلك فهو من أئمة أهل السُّنَّة والجماعة[١]. ولكن في هذه المسألة غلط، وتأول تأولًا أبطله أهل العلم، ولشيخ الإسلام في رد قوله أكثر من مائة صفحة ضمن رده على الرازي في كتابه (نقض أساس التقديس)، فرده، وبيَّن أنه خالف طريقة أهل السُّنَّة والجماعة في ذلك، هو مسلم بالأصول، لكن بدا له فهم في ذلك، فهنا يخطَّأ[٢]، وقد قال الذهبي: زل زلة عظيمة. ونحو ذلك مما يبين فيه خطأ هذا العالم، أو خطأ هذا الرجل، أو خطأ من ذهب هذا المذهب، ويشنع على ذلك القول؛ حتى لا يقتدى به[٣]، لكن يبقى للرجل المسلم لنصوص أهل السُّنَّة والجماعة وبدعوتهم وبأصول اعتقادهم، يبقى من أهل السُّنَّة والجماعة، لا يخرج عنهم، بخلاف من يخالف في أصل من الأصول مثل: الإيمان، أو القدر، أو صفات الله، يزعم أن العقل مقدم، وأنه إذا خالف النقل العقل، وجب تقديم العقل، وأن العقل حاكم لا محكوم، ونحو ذلك من الأصول، أو خالف في أبواب الإمامة، وقال: لا تلزم

---

(١) انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة ﵀ (ص٣٧ ـ ٣٩).

(٢) نقل كلامه الشيخ التويجري ﵀ في كتابه: (عقيدة أهل الإيمان) (ص٥٠)، وكذا الشيخ عبد الله الغنيمان في شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/ ٥٠٦ ـ ٥٦٨)، وعزاه إلى نقض التأسيس (٢/ ٢٣٦)، وكذا عزا لنقض التأسيس المخطوط (٣/ ٢٢٣، ٢٧٣ ـ ٢٨٥) ملخصًا.

(٣) قال الإمام أحمد ﵀ لما قيل له: فلان يقول: «عَلَى صُورَتِهِ» يعني على صورة آدم. فقال: (من قال: إن الله خلق آدم على صورة آدم، فهو جهمي، وأيُّ صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه؟). انظر: الإبانة لابن بطة (٣/ ٢٦٥)، ولسان الميزان (٢/ ٣٥٦)، وميزان الاعتدال (٢/ ٣٧٤، ٣٧٥)، وطبقات الحنابلة (١/ ٣٠٩).

الإمامة، أو لا يلزم السمع والطاعة، أو يرى الخروج على الولاة، أو نحو ذلك، فهذا كله يكون خارجًا عن أهل السُّنَّة والجماعة، فهذا تحرير هذا المقام، والله الموفق إلى الصواب.

السؤال: ما حكم من يتكلم في الجماعات دون مبرر إلى ذلك، ودون فائدة تذكر من وراء ذلك، لكنه شغل المجالس؟ أفيدونا جزاكم الله خيرًا.

الجواب: هذا مما تعطلت به جهود كثيرة من الشباب عن واجب الدعوة إلى الله، فتجد أنهم يقضون أوقاتًا كثيرة في الكلام عن هذه الجماعة وتلك الجماعة، وفلان وفلان، مما يتجاوزون به ما أذن به شرعًا من ذلك، فشغل الأوقات بمثل ذلك الكلام هذا ليس بمأذون به شرعًا؛ فإنه يجب على الشباب أن يكون همهم أن يدعوا إلى الله ﷻ على بصيرة، وأن يسعوا في هداية الخلق إلى الله، نعم الشخص الشاب ربما يجد في نفسه أنسًا وتسلية أن يمضي وقتًا طويلًا في الكلام، بل بعضهم يرى أن هذا من الثقافة، وأنه إذا عرف كذا وكذا وفلانًا والجماعة الفلانية، وعرف الجماعة الفلانية أن هذه ثقافة تزيد من شأنه، وإذا نظر في حاله، وجد أنه ليس بذي بذل في الدعوة إلى الله، ولا في تعلم العلم، أو في تعليم العلم، أو نحو ذلك، لا شك أن هذا من مكايد الشيطان التي دخل بها على كثير من الناس، الكلام في تلك الأمور له حد مأذون به، وهو أن يعرف المسلم، يعرف الشاب، يعرف طالب العلم مَن على السُّنَّة من تلك الجماعات والفئات ممن ليسوا على السُّنَّة، من يخالفونه في أصول الاعتقاد ممن لا يخالفونه، إذا بحث في هذا وعرف بدون إسهاب فيه ولا كثرة نظر، عرف، فلزم، فإنه يكون موفقًا، أما إذا كان في ليله ونهاره يشغله بهذا الأمور، وإذا أتى إلى أحد

طلاب العلم، سأله بسؤال، وإذا ذهب إلى غيره وإلى الثالث والعاشر والعشرين من أهل العلم، تراه يكرر المسائل نفسها، هذا لا شك أنه من مجاوزة ما أذن به، نعم أن تعرف من حولك، وأن تعرف الاتجاهات هذا من الأمر المحمود، لكن إن تسبب ذلك في مجاوزة ما أذن به في تلك الأمور، لا شك أن هذا ليس بمقرر، ولهذا أوصي الأخوة جميعًا بأن يكون همهم في حياتهم **أولًا**: أن يلتزموا طريقة أهل السُّنَّة والجماعة، وأن يحرصوا على معرفة الاعتقاد.

والثاني: أنهم إذا كانوا في بلد إسلام، في بلد ولايته إسلامية، ألا يتحزب إلى فئة ما، وألا ينتمي إلى فئة ما، وقد أفتى العلماء بأن الانتماء إلى جماعة غير الجماعة التي هي السواد الأعظم في بلد الإسلام أنه لا يجوز، وكسر هذه الأُطر وتلك التحزبات هذا يجعل الشباب ينطلقون في الدعوة إلى الله ﷻ بدون حواجز، لا شك أنه ربما كانت في الترتيب فوائد، لكن المعلوم عندنا من دلائل الكتاب والسُّنَّة أن التجمع على الحق وفي الدعوة إلى الله لا بأس به، لكن يكون تجمعًا فيه تطاوع، وليس فيه طاعة؛ لأن الطاعة إنما هي للإمام، أو إذا كان في سفر، فإنه لأمير السفر، وأما في الحضر، فالطاعة للإمام فيما يختص به، والطاعة للوالدين إذا أمروا المرء المسلم بمعروف، وأما غير ذلك، فلا طاعة، ما الواجب أن يكون؟ يكون تطاوعًا، وهذا السُّنَّة به بينة، واضحة جلية، فقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال لمن أرسلهما إلى اليمن: **«يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا»**(١)، فأمرهما بالتطاوع، وأن يطيع بعضهم بعضًا، هذا أساس السُّنَّة في العمل الذي يكون مجتمعًا عليه، التعاون على البر والتقوى أمر واجب شرعًا، وأما التعاون إذا كان

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣).

فيه طاعة ملزمة ـ كما عليه بعض الجماعات ـ، فإن هذا خارج عن السُّنَّة، وليس من طريق أهل السُّنَّة والجماعة.

الأمر الثاني: أن يكون في الدعوة إلى الله نظام، وأما التنظيم، فهو محدث وبدعة، ولا يجوز في دار الإسلام. النظام لا بد منه، لا ينجح عمل إلا بنظام، الدعوة الفوضوية، ودعوة على سبيل الأفراد، كل واحد يعمل بمفرده، هذا لا ينجح، عمل لا يؤتي ثماره، إنما تؤتى الثمار من جهة العمل الذي يكون فيه تعاون على البر والتقوى بنظام، وليس بتنظيم، وثم فرق عظيم بين هذا وهذا، فإذًا الدعوة التي في التعاون الجماعي دل على صحتها السُّنَّة، وفعل السلف، فعل الصحابة ﭫ، فعل التابعين، وفعل الأئمة، هو هذا، أن يكون هناك اجتماع على الحق ودعوة إلى الخير والهدى، ولكن بشرط أن يكون ثم تطاوع، وليس ثم طاعة، والثاني: أن يكون هناك نظام، وليس هناك تنظيم.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى.

السؤال: هذا سائل يقول: كثر الكلام في تحديد الأيام في الدعوة إلى الله، أو ما يسمى بالخروج للدعوة، وهل الشخص الذي يخرج هذا الخروج يكون مبتدعًا؟ بينوا لنا الحق في هذه المسألة مأجورين.

الجواب: الدعوة إلى الله ﷻ مأمور بها، وإذا كانت مأمورًا بها، فإنها عبادة؛ لأن العبادة هي: ما أمر بها، من غير اقتضاء عقلي، ولا اطِّراد عرفي[1].

والدعوة إلى الله يحبها الله ﻷ، ويرضاها إذا كانت على وفق السُّنَّة، وهي داخلة في العبادة بالتعريف الآخر، تعريف شيخ الإسلام ؒ

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/١٤٩)، والتحبير شرح التحرير (٢/١٠٠١).

الذي قال فيه: (**إن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة**)[1]، فهي عبادة، وإذا كانت عبادة، لا بد لقبولها أن يتوفر فيها شرطا قبول العبادة، وهما: الإخلاص، والمتابعة.

الإخلاص: أن يكون الداعي مخلصًا في دعوته، لا يريد إلا الدعوة إلى الله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨]، قال إمام هذه الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: في قوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ (التنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيرًا ولو دعا إلى الحق، فهو يدعو إلى نفسه)[2]، فإن كثيرين، ولو دعوا إلى الله، فإنهم يدعون إلى أنفسهم، أو إلى شيخهم، أو إلى طريقتهم، فإن الدعوة تكون مخلصة، تقصد إنقاذ الناس من حبائل الشيطان، وأن تدل الناس إلى الله ﷻ، دون نظر في أن يكون هذا معك أو مع غيرك، أن يكون هذا يعظمك، أو يعظم أخاك فلانًا، وإنما تقصد أن تخلصه من طاعة الشيطان إلى طاعة الله ﷻ الملك الديان.

والشرط الثاني: **المتابعة**، والمتابعة تعني: أن تكون الدعوة على وفق السُّنَّة، وهنا نأتي إلى هذه الصورة التي ذكرها السائل، وهي الخروج في الدعوة في أيام محددة، من المعلوم أن الخروج في الدعوة يعني: الانتقال من البلد التي يسكنها الداعي إلى غيرها، والتجول في البلاد بغرض الدعوة، إن هذا من الأمور المطلوبة؛ لأن الدعوة إلى الله ﷻ مأمور بها، فإذا رافق هذا تحديد من تحديدات المكان أو الزمان، فإن أنواع التحديدات على الأمور العبادية يجب أن تستقى من الشرع، ولا يجوز أن يحدث الناس تحديدات لم يأذن بها الله ﷻ؛ لأن التحديد

(١) انظر: رسالة العبودية ضمن مجموع الفتاوى (١٠/١٤٩).
(٢) انظر: كتاب التوحيد مع شرحه فتح المجيد (ص٨٦).

في أي أمر من أمور العبادة يجب أن يكون مرجعه إلى الشرع، فمثلًا أن يحدد ذكرًا معينًا، يقول: اذكروا الله ﷻ بعد صلاة العصر بالتسبيح ثلاثمائة واثنين وثلاثين مرة. أقول: هذا تحديد، وإن كان التسبيح قد جاء في النصوص ما فيه من الفضل، لكن لما حُدد بهذا العدد، صار بدعة؛ يعني: صار التحديد بدعة؛ لأن التحديد من الشرع يجب أن يكون من كلام الله ﷻ أو من كلام رسوله ﷺ، كذلك في أي تحديد، يحدد يومًا معينًا بأن يفعل فيه كذا، ويستمر على ذلك، يحدد زمنًا معينًا، ساعةً يفعل فيها كذا، ويستمر على ذلك دون أصل من الشرع لهذا العمل، فإنه يكون عمله بدعة؛ لهذا نقول: هذه الصورة التي سأل عنها، وهي أنه إذا خرجوا - كما هو حال من بعض الفئات -، وإذا خرجوا قيدوا خروجهم بأيام، بثلاثة أيام، أو بعشرة، أو بأربعين، أو بأربعة أشهر، هذا التحديد من البدع؛ لأن الدعوة عبادة، والعبادات لا يجوز أن يدخل فيها التحديد؛ لأن التحديد يجعل لها هيئة تضاهي هيئة ما أذن شرعًا، وهذا من جملة البدع؛ يعني: هذا الأصل الذي نص عليه من كتب في البدع كالشاطبي وغيره[1].

السؤال: يقول السائل: آمل من فضيلتكم كلمة توجيهية تقدمونها لهؤلاء الشباب أمامكم تحذرونهم فيها من الاختلاف وتفرق الصف بسبب خلافات في الفروع؛ حتى لا تتفرق قلوبهم مما يؤدي إلى بغض بعضهم لبعض، وجزاكم الله خيرًا.

الجواب: في ضمن ما تكلمت به تعرضت لشيء مما ذكر، ولكن نكرر، والمكرر أحلى، فنقول: إن الشيطان يرضى أن تتفرق قلوب الموحدين، ويحزن أن تجتمع قلوبهم؛ ولهذا قال النبي ﷺ مخبرًا: «إنَّ

---

(١) انظر: الاعتصام للشاطبي (١/ ٣٦١)، ومجموع الفتاوى (٢١/ ٣١٨)، (٢٦/ ١٧٢).

الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»(١). وقال أهل العلم: الشيطان أيس، ولم يُؤيس؛ يعني: أيس هو، ولم يؤيسه الله ﷻ من المصلين في جزيرة العرب، فلما رأى عز الإسلام وانتشار الإسلام في جزيرة العرب وقوة المسلمين في عهد النبي ﷺ أيس أن ترجع عبادة الأوثان مرة أخرى إلى جزيرة العرب، قال ﷺ: «وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»؛ يعني: إنه إذا أيس من أن يعبد المصلون غير الله ﷻ، فإنه لن يذهب، ولكن يسعى في أسباب يمكنه معها أن لا تكون قوة لأهل الخير، لأهل الصلاة، لأهل التوحيد، وذلك في التحريش بينهم، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣]، أمر ﷻ نبيه ﷺ أن يأمر العباد بأن يقولوا التي هي أحسن، لا أن يقولوا الحسن فقط، أو يقولوا الحسنى، ولكن يقولوا التي هي أحسن، فأحسن ما تجد، خاطب به إخوانك، وهذا فيما يُحتمل من الأخطاء، فيما يُحتمل من الآراء ـ كما ذكر في السؤال ـ من اختلافات في الفروع، فهذا ينظر إلى هذا، وهذا ينظر إلى هذا، لماذا لا تفعل كذا؟ ولماذا لا تفعل كذا؟ مما يسوغ الأقوال فيه، وقد ذكر ياقوت الحموي في كتابه «معجم البلدان» في بعض مدن فارس أنه اجتازها، يقول في رحلته: (اجتزت تلك البلد، ووجدت...) اجتاز البلد التي ترجم لها، وذكر شيئًا من وصفها ـ قال: فوجدت فيها منافسة شديدة، وتنافرًا شديدًا بين الحنفية والشافعية في بلد، حتى أن كل طائفة تبغض الأخرى، قال: فلم يطب لي المقام على ذاك، فذهبت إلى غيرها، ورجعت إليها ـ أظنه قال: بعد سنين ـ، فوجدتها خرابًا، فسألت من

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٢).

حولها، فقال قامت بين أهلها مقتلة عظيمة، قُتِل من قُتِل فيها، وتفرق الآخرون في البلاد[1].

السؤال: ما السبب أنهم لم يقولوا التي هي أحسن؟

الجواب: خلاف يحتمل في فروع، في أقوال، هذا يرى كذا، وهذا يرى كذا، هذا يرى البسملة، وهذا لا يراها، هذا يرى أن يقبض، وذاك يرى ألا يقبض، هذا يرى أن يرفع يديه، وهذا لا يرى أن يرفع يديه، ونحو ذلك، هذه خلافات لا يسوغ ولا يجوز أن تفرق بين المؤمنين، كانت هذه وأعظم منها في الفروع بين صحابة رسول الله ﷺ، وهم فيما بينهم متحابون إلى الغاية، فمثل هذا لا يجوز الخلاف فيه، ويجب على المرء إذا سمع من عالم شيئًا لم يألفه، أو لم يسمع بمثله، أو نحو ذلك، أن يلين القول في ذلك، وألا يضلل، وألا يجازف بكلمات يوغل فيها، ويغذوها الشيطان؛ حتى تفترق القلوب، ويفرق بين الأفئدة.

هذا قسم، أما القسم الثاني: فأن تكون الخلافات في السُّنَّة والبدعة، لا يعني ذلك أننا نجعل كل مسألة من المسائل من الخلاف الذي يُعذر أصحابه به؛ كقول ذلك الجاهل: نجتمع فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه. اختلفت الأمة في صفات الله، وقامت الحرب بين أهل السُّنَّة وبين غيرهم في هذه المسائل، وضللوا، وحكموا على من سلك طريق غير أهل السُّنَّة بأنه من الفرق الضالة التي توعدها النبي ﷺ بالنار، تفرقت الأمة في أبواب الإمامة، فظهرت الخوارج والمعتزلة[2]، وطائفة من الفقهاء، فقالوا بجواز الخروج عن

(١) انظر: معجم البلدان عند حديثه عن مدينة الريّ (٣/ ١١٧).

(٢) هي إحدى الفرق الضالة المخالفة لأهل السُّنَّة والجماعة، ورأس هذه الفرقة واصل بن عطاء الغزال، كان تلميذًا في مجلس الحسن البصري، فأظهر القول بالمنزلة =

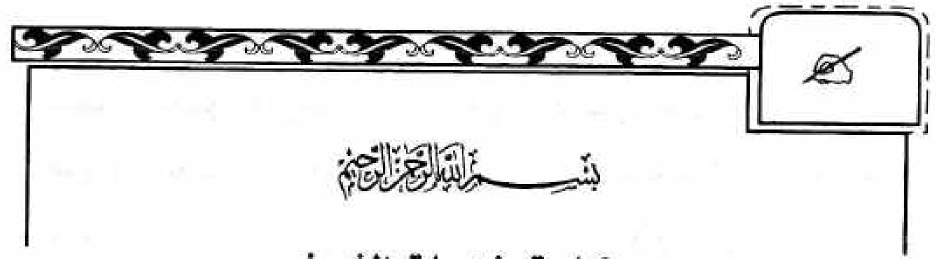
الأئمة إذا كان ثم مصلحة، وأنه ينصر الإسلام بذلك، ويعلي الحق، فجاء أهل السُّنَّة، وبينوا الحق في ذلك، وردُّوا عليهم، واتهموهم، وقالوا: فلان كان يرى السيف، فلان كان يرى السيف يقدحون بذلك في عدالتهم، وأمروا في عقائدهم ـ من مثل ما في الطحاوية ـ أمروا بالسمع والطاعة، وإمضاء البيعة للأئمة والدعاء لهم، وهذا منصوص عليه في كتب أهل الاعتقاد ـ كالطحاوية وغيرها ـ[1]، وترك الدعاء عليهم ونحو ذلك، فكانوا في هذه المسائل أهل وضوح وبينة؛ لأن هذه من المسائل إذا كان المخالف فيها يخالف في أصلها، فإنها من المسائل التي لا يسع الخلاف فيها؛ لأن السُّنَّة فيها ظاهرة، ومسائل العقائد ليست بمسائل راجعة إلى الاجتهاد. إذا حصل من ذلك، فالمؤمن الشاب طالب العلم والداعية يسدد ويقارب، يدل على السُّنَّة؛ كما قال الْهَيْثَمُ بْنُ جَمِيلٍ: **«قُلْتُ لِمَالِكِ بْنِ أَنَس: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، الرَّجُلُ يَكُونُ عَالِمًا بِالسُّنَّةِ أَيُجَادِلُ عَنْهَا؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ يُخْبِرُ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ قُبِلَتْ مِنْهُ وَإِلَّا سَكَتَ»**[2]، يخبر بالسُّنَّة، تبين ذلك، توضحه بدلائله، فإن قُبل ذلك منك، وإلا سكت؛ لأنه ربما كان ثم فسادٌ عريض من جراء المجادلات، التي لا تحدث نتيجة طيبة، تكرر مرة اثنتين ثلاثة، تهدي الرسائل، تبين مخالفة المخالف في هذه المسألة.

وصلى الله، وسلم، وبارك على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

= بين المنزلتين وأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر، وانضم إليه عمرو بن عبيد، واعتزلا مجلس الحسن، فسموا بالمعتزلة لذلك، ويلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وإنكارهم القدر فيها، ومذهبهم في الصفات التعطيل كالجهمية.
انظر: الملل والنحل (١/ ٣٠ ـ ٣٢)، والفرق بين الفرق (ص١٨، ٩٣، ٩٤)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٤)، ووفيات الأعيان (٦/ ٨).

(١) انظر: العقيدة مع شرحها لابن أبي العزّ (ص٥٤٠)، ومجموع الفتاوى (٢٩/ ١٧٩ ـ ١٨١).

(٢) انظر: جامع العلوم الحكم للحافظ ابن رجب رحمه الله (١/ ٩٣).



كلمة فضيلة الشيخ
صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ
وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
ألقاها معاليه في حفل توزيع جوائز المسابقة الثانية لحفظ المتون بمسجد شيخ الإسلام ابن تيمية

الحمد لله، والصلاة، والسلام على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين،

أما بعد:

فأسأل الله ﷻ أن يجعلني، وإياكم من أهل العلم النافع، والعمل الصالح، والقلب الخاشع، والدعاء المسموع، ربنا لا تكلنا لأنفسنا طرفة عين، وافتح لنا من فواتح رحمتك، واصرف عنا ما تكره، وتأبى يا أرحم الراحمين.

ثم إني لأشكر الله ﷻ شكرًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا، ويرضى على ما أنعم به من الحرص على الخير، والإقبال على الديانة، والاندفاع في سبيل العلم الذي هو ميراث محمد ﷺ، وأحمده ﷻ على سوابغ النعم، وجوازل الفضل، وأسأله المزيد من ذلك للجميع، وأن يجعلنا من المتسابقين في ذلك، وممن منحوا الخير، والهدى، والسداد.

ثم إني لأشكر الإخوة الكرام ممن جدوا، واجتهدوا، فنفعوا أنفسهم، ونفعوا غيرهم، وهم الإخوة القائمون على تنظيم الأعمال الدعوية، والعلمية في هذا المسجد المبارك: مسجد شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -، وأخص منهم بالذكر الأخ الكريم الأستاذ فهد الغراب، والإخوة الذين معه يعملون؛ لإنجاح هذه الأعمال التي تجمع ما بين العلم، والدعوة، وما بين النصح، وتعميق الديانة، كما أني أشكر الإخوة في المكتب التعاوني للدعوة، والإرشاد، وتوعية الجاليات في سلطانة على تعاونهم الكبير في إنجاح أعمال هذه المسابقة، وإنجاح أعمال الدورات العلمية، والمحاضرات التي تقوم في هذا المسجد، وفي كل ما يدخل في نطاق عمل مكتبهم الخير، كما أني أشكر كل من أسهم في إنجاح أعمال هذه المسابقة السنوية لحفظ المتون العلمية من الآباء الكرام الذين اجتهدوا في التربية، فنجحوا - أقر الله أعينهم، بأبنائهم، وبناتهم -، وكذلك ممن أسهم بمال، أو جهد، أو رأي، وأشكر، وأدعو الله ﷻ لكل من حضر من أصحاب الفضيلة المشايخ، والإخوة الحضور جميعًا أن يجعلنا دائمًا ممن كتبت له الحسنات، ومحيت عنه الزلات.

أيها الإخوة:

ما من شك أن العلم النافع هو ميراث النبي ﷺ، فقد رفع الله ﷻ شأن العلماء في هذه الأمة بنص القرآن؛ حيث قال ﷻ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، ولم يأمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يزداد من شيء شيئًا إلا العلم، قال ﷻ لنبيه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وصح عنه أنه ﷺ قال: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ،

إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[1].

ومسجد رسول الله ﷺ في الزمن الأول، زمن الرسول ﷺ، وزمن الخلفاء كان فيه العلم الكثير بما يُتلى فيه من القرآن، وما يُعلم فيه من دين الله ﷻ، ثم صارت فيه بعد ذلك حِلَق العلم؛ لإقراء الحديث، ولإقراء القرآن، وإقراء الحديث، وحفظ ذلك، واعتنت الأمة لما ضعف الحفظ فيها اعتنت بالحفظ أينما عناية؛ لأن العرب كانوا أهل حفظ بمقتضى طبيعتهم، في أغلبهم؛ لهذا كانوا يحفظون الأشعار، ويحفظون الوقائع، ويتنقلونها بينهم، ولما نزل كتاب الله ﷻ أمر الله أن يتبع قرآنه؛ أي: قراءته، قال ﷻ: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ [القيامة: ١٨، ١٩]، واتباع قرآنه أي: أن تتبع القراءة، وفي ذلك حفظه، ومماثلة قراءته، كما ألقي؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦﴾ [القيامة: ١٦]، ومضى على ذلك السلف من الصحابة ﷺ، وكان الحفظ فيهم كثيرًا، وكان الأكثر يحفظون ما يسمعون، وخاصة القرآن الكريم، وسُنَّة النبي ﷺ، ثم مضى الأمر، والحفظ قوي، حتى بدأ تدوين الكتب، فلما بدأ تدوين العلم في كتب، وأوراق، ضعفت الحافظة؛ لاشتغال الناس بما دون على الأوراق عن أن يكرروا، ويحفظوا ما ألقي إليهم، وهكذا مضى الزمن، وكلما امتد الزمن، وتوالت القرون، ضعفت الحافظة حتى صار يعد الحفاظ شيئًا فشيئًا، ومن تأمل كتاب «تذكرة الحفاظ» للحافظ الذهبي رحمه الله، وجد كيف أن الحفاظ

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد في المسند (٥/ ١٩٦)، والدارمي (٣٤٢)، والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٢٢٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٦٢) من حديث أبي الدرداء ﷺ.

المتقدمين في الطبقات الأولى أكثر، وأكثر من الحفاظ الذين تأخرت بهم طبقاتهم، وتأخر بهم زمانهم؛ ولهذا حرص العلماء أن يتجه العلماء إلى حفظ العلم؛ لأنهم علموا أن سبب نبوغ السلف في العلم، وحفظ الشريعة، وحفظ الديانة، أنهم بعد الاستقامة حفظوا، ثم فهموا، ثم فهموا ما حفظوا، وهذا نتطرق لأجله في كلمة سريعة عن سبب نبوغ السلف الصالح في العلم؛ حيث إنه يذكر عنهم أشياء قد يستغربها من لا يعي حالهم، فيذكر عنهم البراعة في الحفظ، والعلم، وجودة النظر في الفقه، والمداولات العلمية حتى اشتهر ذلك في البيوت، وبين النساء، فكثر المتعلمون من الكبار، والصغار رجالًا، ونساء.

فمن أسباب نبوغهم:

أولًا: صدق الإخلاص لله ﷻ في العلم، والإخلاص قد يكون في شأن المتعلم، وقد يكون في شأن من وجهه إلى العلم من الوالد، والمعلم، والشيخ، ونحو ذلك؛ ولهذا قال بعض الأئمة: «**طَلَبْنَا الْعِلْمَ وَمَا لَنَا فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النِّيَّةِ، ثُمَّ رَزَقَنَا اللهُ تَعَالَى فِيهِ تَصْحِيحَ النِّيَّةِ**»[1].

وقال آخر: «**من طلب العلم لغير الله يأبى عليه العلمُ حتى يصيره إلى الله**»[2]، ومعنى كلامهم هذا: أنهم حينما توجهوا للعلم لم يكن عندهم من الفهم؛ بحيث يتجهون إلى تصحيح النية في القصد؛ لصغر سنهم، أو لأجل التنافس بين الأقران في الحفظ، والعلم، وملازمة المشايخ، لكن لأجل صحة التوجه، وصحة العمل، فإن النية جاءت

(١) أخرجه الخطيب في الجامع (٧٧٣)، والبيهقي في المدخل (٥٢١)، وابن عبد البر في الجامع (١٣٨٠)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٦١).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١/ ٢٥٦)، والخطيب في الجامع (٧٧٤، ٧٧٥)، والبيهقي في المدخل (٥١٩)، وابن عبد البر في الجامع (١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩).

بعد، فطلبوا العلم كما قال: «لغير الله»، لا يعني: أنهم يتجهون به لغير الله، ولكن بغير استحضار النية، فأبى أن لا يكون إلا لله؛ لأنهم تعلموا في العلم: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»[1] وتعلموا في العلم الإخلاص لله ﷻ، وتعلموا أن هذا العلم إنما هو ميراث النبوة، فحينئذٍ لن يفلح فيه، ولن يستقيم عليه إلا من أخلص فيه، وقد سئل الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى، ورفع درجته ـ عن الإخلاص في العلم كيف هو؟ والنية في العلم كيف هي؟ فقال الإمام أحمد: «النية في العلم أن تنوي رفع الجهل عن نفسك». فقال: إن احتجت إلى أن أعلم؟ فقال: «تنوي رفع الجهل عن نفسك، ورفع الجهل عن غيرك». وهذا مقصد صحيح شرعي؛ لأن رسالة الأنبياء ـ عليهم صلوات الله، وسلامه ـ كانت لرفع الجهل عن الناس، ونفع الناس بالعلم بالوحي المطهر من عند الله ﷻ.

لهذا أوصي جميع المتعلمين أن تكون همتهم حين يتعلمون في أن يرفعوا الجهل عن أنفسهم، وإذا آنسوا من أنفسهم رشدًا، وطلبوا علمًا؛ لينفعوا به غيرهم، ولو كان ذلك الغير صغارًا، أو ضعفاء في العلم، أو كانت حاجتهم قليلة جدًا، ولكن يشتركون في الحاجة إلى العلم أن ينوي ـ أيضًا ـ رفع الجهل عن غيره، فيتخلص من قصد الدنيا في رغبه، وتوجهه للعلم، ومن صابر نفسه، وألزم نفسه بهذه النية، فإنها لا مثل لها في تحصيل بعد توفيق الله ﷻ.

أما السبب الثاني لنبوغ السلف الصالح في العلم، والتعليم: فإن السلف توجهوا إلى العلم، والدنيا عندهم، فانفتحت الدنيا في عهد الدولة الأموية، بل وفي أواخر عهد الصحابة، وفي الدولة الأموية،

---

(١) أخرجه البخاري (١) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

والعباسية وهكذا بشيء كثير؛ حيث كانت كنوز الدنيا تصب في بلاد المسلمين، ومع ذلك كان العلماء يرشدون الناس إلى طلب العلم، لا إلى الالتفات إلى الدنيا؛ لأن الدنيا يعطيها الله ﷻ من يحب، ومن لا يحب[1]، ولأن الدنيا لا تحفظ بها الأمة؛ ولأن الدنيا مهما بلغت، فهي تأتي، وتذر، تأتي، وتذهب كموج البحر تارة يمتد، وتارة يقصر، أما العلم، فإن بقائه في الأمة سبب قوتها، وسبب نبوغها؛ لأن معناه الحفظ على الدين، والله ﷻ فتح الخيرات على هذه الأمة؛ بسبب ما منَّ الله به عليها من رسالة محمد ﷺ، فتوجه العلماء إلى أن يحثوا الناس إلى العلم النافع، فتجد أنه حتى في حال وجود الفتن، والحروب، فإن العلماء يشتغلون بالعلم أيما اشتغال، فانظر ـ مثلًا ـ في وقت فتنة خلق القرآن كم صُنف فيها، في أثناء تلك الفتنة التي امتدت أكثر من عشرين عامًا، كم صنف في تلك الفترة من كتاب، بل إن عددًا من أئمة الحديث كتبوا كتبهم الكُبيرة في أثناء تلك المدة، وكذلك من رأى في زمن تسلط العبيديين على مصر كم صنف في تلك الفترة الطويلة من مؤلفات لأهل العلم كبارًا، وصغارًا يحفظون بها الديانة على الأمة، ويشرحون فيها كلام الله ﷻ، وكلام رسوله ﷺ.

فإذًا؛ سبب النبوغ أنهم لم يلتفتوا عن العلم إلى غيره؛ لعلمهم أن العلم أثره باق، وأن غيره قد يأتي، وقد يذهب.

أما السبب الثالث: فهو أن المجتمعات الإسلامية في ذلك الزمان

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد في المسند (٦/ ١٨٩)، واللفظ له، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٠٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٨٨) من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللهَ ﷻ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ**»... الحديث.

فيها نهضة علمية قوية، وكان للعلماء، ولأهل الحديث بخاصة نشاط كبير، وعمل عظيم في حث الناس على سماع سُنَّة النبي ﷺ، والتفقه في ذلك، وإذا كان البيت مع المسجد مع المدرسة يحث الناس على العلم، فإنه سينشط الناس في الإقبال عليه، والناس إذا نشطوا في شيء، وحثوا على الإقبال إليه، فإنهم سيظهر منهم نوابغ، وأذكر ما ذكره عدد من مشايخنا أن علماء الدعوة من قريب كانوا لا يقبلون ممن يحضر الدروس إلا ممن يحفظ المتون العلمية، وكان الآباء في البيوت يحثون أبناءهم على الحفظ، وملازمة المشايخ، فصار الخير الكثير مما عرفتم فيما قرب، وهكذا كان في زمن السلف، فإنه كان إذا تواصى الجميع، فبعضهم يحث بعضًا؛ ولهذا كان في البيت الواحد يخرج عدد من أهل العلم، فهؤلاء أربعة إخوة يطلبون العلم، وهؤلاء خمسة، وهناك ثلاثة، وهكذا، مثل آل بن عجلان أربعة، وأبناء ابن عمر ثلاثة، وهناك خمسة. . .، وهكذا ففي البيت الواحد يكثر العلم، وينتشر؛ لحث أهله عليه، وظهرت هناك بيوت في العلم مشت على مدى الزمن قرون متعددة، والعلم ينقله، أو يتواصى الجميع بالعلم في شأن تلك الأسر، فامتدت أسر علمية من القرن الأول إلى زماننا الحاضر معروفة في أمصار المسلمين؛ لأجل هذا الاهتمام بالعلم.

فإذًا؛ من أسباب نبوغهم: أن الجميع يتعاونون، وتعاون الجميع مبني على أمر مهم، وهو إدراك الجميع من الآباء، والأمهات، ومن أهل المسجد، ومن المعلمين، والمربين، ومن المشايخ إدراكهم بأهمية العلم، وأهمية الحفظ، وأهمية القوة فيه، وأن هذا فيه النفع العظيم للأمة، فإذا أدركوا وجهوا، وصابروا على ذلك، وقد رأينا ـ ولله الحمد ـ أمثلة فيما سمعنا من القراءات.

السبب الرابع: من أسباب نبوغ السلف في العلم: أن السلف اهتموا بالمنهجية في العلم، أولها: الحفظ، وأن تحفظ المتون القصيرة قبل الطويلة، وبعد الحفظ يأتي الإقراء، والدرس على المشايخ الذين يأتمون في شرح تلك العلوم، فحينئذٍ تقدم الحفظ، ثم جاء البيان بعد، وهذا أخذه العلماء من قول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٨، ١٩]، فقدم الحفظ، ثم أخر البيان، والحفظ مهم للغاية، ولا يستهان به، بل هو الأساس في العلم؛ لأن الفهم عرض يطرأ، ويزول، ففهم المسائل يأتي، ويذهب، حتى إننا في بعض المسائل نحتاج إلى مراجعتها كل سنة؛ لأجل أنه لا توجد في المتون المعروفة، ونحو ذلك، وتلتبس بين الحين، والآخر، فتحتاج إلى مراجعة؛ حتى تستقر، أما إذا كان المحفوظ قائمًا، وواضحًا في الذهن، ثم بعد ذلك جاء الشرح، ففهم ما حفظ، وحافظ على محفوظه، فإنه في الغالب يستقر العلم، ولا يذهب، وهذا من مميزات علم السلف، وحلق العلم القديمة على المدارس الحديثة، أنهم كانوا يعتنون بالحفظ، ثم يأتي الفهم، أما الآن، فالفهم أولًا، ثم الحفظ ثانيًا، ولذلك لا يهتم بالحفظ؛ لانشغال الناس بالفهم عن غيره، وظنهم أن هذا لوقت، ثم لا حاجة له فيما بعد؛ ولهذا أقول: إنه لا بد لنا أن نعتني بهذه المسابقات المهمة في حفظ المتون العلمية التي كان يتعلمها العلماء، وبها بعد فضل الله ﷻ نبغوا، وظهروا، فإذا قرأت كتب تراجم أهل العلم من القرون الأولى إلى الآن، فإذا قرأت في ترجمة العالم الفلاني - مثلًا - في القرون المتوسطة، أو الأخيرة لا تجد أنهم يخصونه في الترجمة بأنه قرأ الكتب المطلوبة، ولا تجد - مثلًا - أنهم يقولون: قرأ «المغني»، أو قرأ «المحلى»، أو قرأ «فتح الباري»، أو قرأ «الجمع بين الصحيحين»، وإنما يذكرون العالم بأنه درس العلم على مشايخه بقولهم:

إنه قرأ النبذة الفلانية، والمختصر الفلاني على اختلاف المذاهب، ففي الحنابلة يقول الأوائل ـ مثلًا ـ قرأ «مختصر الصيرفي» على شيخه فلان، وفلان، أو قرأ «العمدة» على فلان، وفلان، أو قرأ «الزاد»، ونحو ذلك بحسب اختلاف الزمان، وكذلك في الفقه الشافعي، قرأ «التنبيه»، وكذلك في الفقه الحنفي، والمالكي، وهكذا.

فإذًا؛ قراءة العلم بالنظر في تراجم أهل العلم، كانت العناية فيها بالمتون حفظًا، ثم دراسة، فإذا جاءت المطولات بعد ذلك كانت خيرًا إلى خير، بعد أن أسس النظر في ذلك، هذه المسابقات العلمية مهمة جدًا جدًا؛ لأجل أنها تحيي في الناس روح حفظ العلم، وكما ترى، وممن سمعنا بعض قراءتهم للمتون التي حفظوها، منهم من هم من أهل البلد، ومنهم من الإخوة الذين أقاموا في البلد، وهؤلاء ربما منهم من يذهب إلى بلده، فيرجع عالمًا به قرأ حافظًا له، ويدرسه، فيكونون دعاة خير، وإرشاد، ونشر للعلم في بلادهم، ولا يستهان بهذا الأمر؛ لأن هذا أمر في الحقيقة لنشر العلم الشرعي بقدره.

نعم: يجب على طالب العلم كبيرًا كان، أو صغيرًا أن يتواضع للعلم، فالعلم لا يصلح إلا بالتواضع، والعلم له شهوة، وطالب العلم ـ أيضًا ـ له شهوات، وقد كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله رسالة قوية من حيث ما اشتملت عليه في المسألة التي نتكلم عنها، وهي فيما إذا عمل المسلم عملًا له فيه شهوة، فما الحكم في ذلك؟

هل يؤجر، أو لا يؤجر، ومثل له بأن يكون يتجه إلى العلم، وهو يشتهي العلم، ويجد فيه لذة، ويشتهي أن يسهر فيه، ويشتهي أن يكتب، ويندفع إليه عن شهوة يجدها في نفسه، وقد لا يستحضر التعبد في ذلك المقام، وكذلك رجل يتصدق، ويعطي، ويكرم، وهو له فيه شهوة في

داخله؛ أي: أنه يرتاح لذلك، وينشرح صدره بذلك؛ بحيث أنه لو لم يعمل هذا الأمر لم تنشرح صدره لذلك، وهكذا الرجل الشجاع، تجد أنه يقدم، ويتكلم، ويعمل لشيء يجده في نفسه، والعمل الذي عمله عبادة، وخير في نفسه، وكان من كلامه ﷺ أنه بنى ذلك ـ أي: بنى نظره في المسألة ـ على قول النبي ﷺ فيما رواه أبو داود وغيره: «**يا بِلَالُ أَقِمْ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بها**»[1]، فجعل الصلاة مع أنها عبادة، وعللها بأن فيها راحة له ﷺ.

فإذًا؛ من طلب الشيء، وله فيه رغبة، وله فيه نهمة في ذلك، أو عمل العمل، ويجد في نفسه ذلك الشيء، فينبغي له أن لا يحبط نفسه، بأن يقول: ليس لي نية، وأخشى أن أكون آثمًا، ونحو ذلك، وقد قال العلماء في كتب الفقه: إن من دعا الأضياف إلى بيته؛ لئلا يتهم بالبخل، فإنه مأجور؛ لأن البخل مذموم شرعًا، وهو يعمل ما يتخلص به مما يذم شرعًا، فهو مأجور، وهكذا في مسائل متنوعة من ذلك.

فالعلم له شهوة، ولا شك العلم له حركة في النفس، ولكن ينتبه طالب العلم إلى أن هذه الرغبة الجامحة التي تكون في النفس لا توجهه في العلم إلى غير منهج العلماء في التعلم، مثلًا: يأخذ في فترة الشباب، وفترة القوة، يأخذ مسائل يطيل النظر فيها، ويحققها من بعض مسائل ـ مثلًا ـ مصطلح الحديث، أو السيرة، أو أصول الفقه، أو بعض مسائل الفقه، أو بعض مسائل التوحيد، وهو يعلم منه أنه لم يجد العقيدة، أو كتب العقيدة من أولها إلى آخرها، أو كتب الفقه ما مر عليها، أو كتب الحديث المختصرة، أو كتب المصطلح، فيعلم من نفسه أنه يقبل على العلم، ولكن مع تفريط في العلم ـ أيضًا ـ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٨٥) من حديث سالم بن أبي الجعد ﷺ.

فإذًا؛ هو قادته الشهوة إلى شيء كان الأولى به أن تكون شهوته قائدة له إلى العلم كله؛ لينفع نفسه، وينفع غيره، وهذا وجدناه ـ أيضًا ـ، وقل من يتخلص من ذلك؛ لأنه تنشرح نفسه إلى تحقيق مسألة، أو إلى كتابة، فيمضي فيها الشهر، والشهرين، أو أكثر من ذلك، ويجد في نفسه بعد ذلك أن هناك مسائل مهمة من التوحيد، والعقيدة، أو في التفسير، أو في فهم الحديث، ولا يعلمها، وهذا لا شك قصور.

إذًا: فيحمد من أمره أن تكون همته في العلم موجهة كما توجه السلف الصالح إلى العلم على منهاج العلماء في درسه، وفي تأصيله، وحفظ متونه، وفهم ذلك، فإنه سيجد نفسه وقد بلغ الثلاثين من العمر، وقد حصل جملة وافرة قد لا تكون تفصيلية في المسائل كلها، ولكنه عم نفسه في العلم من أوله إلى آخره، فيكون متصورًا للعلم مدركًا له.

وهذا النظر ينبغي أن نحاسب أنفسنا عليه، وأن تكون همتنا في العلم شاملة للعلم كله بقدر ما أعطى الله ﷻ العبد من ذلك، وما فتح عليه من هذا الأمر.

وفي الختام:

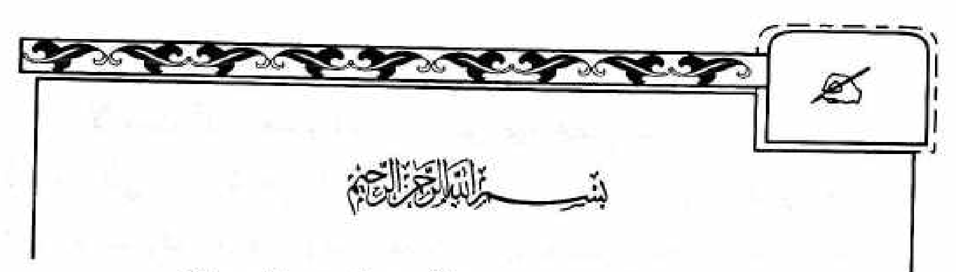
إنني أهنئ الإخوة المشاركين في هذه المسابقة جميعًا، وأخص بالتهنئة من فاز فيها، وأهنئ والديهم، وأقاربهم، وإخوانهم، كما أني أهنئ الإخوة في هذا المسجد على ما بذلوا في هذا الأمر.

المهم: الذي نرجو أن يكونوا فيها كما قال النبي ﷺ: **«مَنْ سَنَّ في الإِسْلام سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ من عَمِلَ بها بَعْدَهُ، من غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ من أُجُورِهِمْ شَيْءٌ»**[1].

(١) أخرجه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

اللَّهُمَّ إنا نسألك أن توفقنا إلى ما تحب، وترضى، وأن توفق ولاة أمورنا إلى الخير، والهدى، والسداد، وأن يجعلنا، وإياكم من المتعاونين على البر، والتقوى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللَّهُمَّ، وسلم، وبارك على نبينا محمد.





محاضرة: تطوير الذات لدى الدعاة

الحمد لله الذي هدى عباده لأفضل الفرائض، والأحوال، والأعمال، أعمال القلوب، وأعمال الجوارح، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله، ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله، وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فأحب في مناسبة ابتداء هذا البرنامج أن أتوجه بالشكر لجميع الأخوة أصحاب الفضيلة، والسعادة في هذا البرنامج، والإخوة الدعاة المستفيدين من هذا البرنامج ممن حضروا، كما أني أشكر زملائي في وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف، والدعوة، والإرشاد بجميع الوكالات، خاصة وكالة الدعوة، واللجنة المرتبة للمعرض، وجميع من شارك في الإعداد، والتنفيذ لمعرض وسائل الدعوة الثالث، ولتنفيذ هذا البرنامج، برنامج تطوير الذات لدى الدعاة.

كما أنني أشكر - أيضًا - المسؤولين في مؤسسة الأمير سلمان على إتاحة هذه القاعة بجميع الوسائل المساعدة فيها؛ لإنجاح هذا البرنامج، فللجميع منا الشكر، والتقدير، سائلًا المولى التوفيق، والسداد لجميع من أسهم بقليل، أو بكثير.

أيها الإخوة:

لا شك أن العصر الذي نعيش فيه عصر متجدد متغير، وينبغي للدعاة إلى الله ﷻ في الميدان، وللقائمين على شؤون الدعوة من جهة الإدارة أن يكونوا على وفق العصر الذي يعيشون فيه، فالعصر معقد في اتصالاته، معقد في حواراته، معقد في قناعات الناس فيه، معقد بكثرة الواردات من الأقوال، والآراء، وهذا يتطلب من الداعية، ومن المشارك في الدعوة في أي مجال أن يكون مهيئًا للسان الناس، ولاستيعابهم العقلي، والميداني.

ولا غرو أن رأينا في كتاب الله ﷻ، فوجدنا أن الله ﷻ وصف الأنبياء بأنهم كانوا يخاطبون أقوامهم بلسانهم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٤]، **وفي هذه الآية عدة فوائد:**

منها: أن كل رسول أرسل بلسان قومه، واللسان كما قال العلماء[(١)]: يشمل المعاني النقلية، ويشمل المعاني العقلية التي يحاور بها، ويصل بها الرسول، والداعي إلى الله إلى الناس.

لهذا تجد أن قصص الأنبياء في القرآن، وقصص الرسل اختلفت مناهج الحوار، واختلفت فيها مناحي الجدل، وكثير من أهل العلم خاصة من المعاصرين كتبوا في الجدل في القرآن، والحوار في القرآن، وأخذوا منه أن أساليب الحوار مختلفة من جهة المقدمات، ومن جهة نوع الحجة المقامة، وذلك لاختلاف المتلقين، وإذا كانت الدعوة دعوة لمخاطبة الناس للهداية إلى طريق الله ﷻ، فلا بد أن تراعي حال المخاطبين في عقولهم، وفي ألفاظهم، وفي استعداداتهم.

---

(١) انظر: تاج العروس (٣٦/١١٣)، ولسان العرب (١٣/٣٨٦).

الفائدة الثانية من الآية في قوله: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾، والبيان هو وظيفة الرسل، والأنبياء في بيان ما أنزل الله عليهم، والبيان إضافة على مقتضى اللسان، وما يحويه من معان، ومبان، وهذا البيان يتجدد بتجدد الزمان، وباختلاف المكان، فإذا كانت الاستعدادات اليوم لدى الناس مختلفة، فلا بد أن يكون البيان مختلفًا، فالداعي إلى الله ﷻ في منطقة فيها جهل، أو يكثر فيها الجهل بنصوص الشريعة، والناس قريبون من الفطرة من جهة عدم تعقيد الخطاب اللفظي، وعدم تدقيق القناعات العقلية، يختلف عن الخطاب الذي يوجه اليوم في مثل الفضائيات، في مثل الصحف، في مثل المحاضرات العامة، وباختلاف المخاطبين يختلف الخطاب؛ ولهذا كان من الواجبات التي نعتني بها في هذه الوزارة، ونوصي جميع الدعاة أن يهتموا بها أن يكون هناك استمرار في تطوير الداعي من الناحية العلمية، ومن الناحية الإدارية، ومن الناحية الاتصالية؛ أي: وسيلة الاتصال، ومهارات الاتصال.

أما من الناحية العلمية، فالداعي هو داعي إلى الله، ولا دعوة إلا بعلم، فلا بد أن يكون عالمًا بما تيسر له من العلم؛ حتى ينقل هذا العلم للناس بوسيلة مناسبة.

أما المجال الإداري، فهو الذي تعرض له هذا البرنامج، والبرنامج لم يتعرض لكل ما ينبغي للداعية أن يهتم به، فالإدارة اليوم هي أساس بناء الشخصية المتكاملة، فإذا كانت شخصية الداعية مطلوبًا فيها الكمال، فإن من كمالها بعد العلم، والدين أن يكون مستوعبًا للإدارة بأنواعها، والإدارة ليس معناها إدارة مكتب، إدارة معاملات، هناك إدارة للذات، وهناك إدارة للوقت، وهناك إدارة للتعامل مع الآخرين، إدارة للحي الذي تعيش فيه، إدارة في المسجد الذي تكون فيه، إذا كان الزمن معقدًا،

فالإدارة تحل جزءًا من الإشكالات في هذا الزمن؛ ولهذا ينبغي للداعية أن يهتم بنفسه بإدارة ذاته، هذه لها مجالات، وكتب متخصصة، ومحاضرات كثيرة فيها.

كذلك في إدارة وقته، إدارة الوقت تجعلك تنتج أكثر، ومن صار في وقته على وفق رغباته، فإنه سيكون إنتاجيته للناس محببة عنده، ولنفسه ستكون أقل، فإدارة الذات، وإدارة الوقت مهمة.

كذلك الإدارة المتعلقة بفهم أساليب التنظيم المتكامل لإيصال الدعوة للناس، الدعوة اليوم لا يكفيها عدد الدعاة الموجودين، كم عدد الدعاة؟ مائتان، ثلاثمائة، ألف ألفان ثلاثة، خمسة آلاف؟!!

الناس يحتاجون إلى أكثر، وأكثر، فإذا كان المجال فيه قصور على المستوى العام، فإنه من الحلول أن تتطور أنواع الأداء لدى الداعية، وأنواع مخاطبته، أو إدارته لمخاطبته للناس.

بين الدعوة، والإعلام اشتراك في أن كلًا منهما إذا لم يخاطب الناس بطريقة إدارية عالية، فإنه سيكون هناك ضعف في النتيجة، والإدارة إدارة التنظيم لكل ما يتصل بحياتك، تنظيم وقتك مع الكلمات، والمحاضرات، تنظيم وقتك مع أهلك، تنظيم وقتك مع الناس، مع التليفون، مع عملك. . . إلى آخره.

لا يصح أن نشكو من قلة الوقت، وإنما لا بد أن نصحح كيف نستفيد من عمرنا، كيف نستفيد من وقتنا بحسب الحال.

الجزء الثالث في تنمية مهارات الاتصال.

الداعية لا يمكن أن يصل إلى الناس بدون ما يسمى في العلم الحديث مهارات الاتصال، ومهارات الاتصال هذه لها أسماء شرعية موجودة، فطريقة، ومهارة الاتصال تطلب من الداعية أن يعد لها، طريقته

في لباسه، طريقته في لفظه، في شكل قسمات وجهه وهو يخاطب الناس، في ابتسامته في موضعها، في بذله، في كلامه المهم حين يتكلم.

من الدعاة من يعتقد أن وسيلته في الدعوة هي الكلمة، وأنه إذا تكلم أثر، وهذا ليس بصحيح، الكلمة لا بد أن يكون معها مهارة: كيف توصل هذه الرسالة؟، كيف توصل هذه الكلمة بنوع من التأثير؟، لاحظ أن الشخص الذي له قدرة على الاتصال، والتأثير، كلامه ولو كان قليلًا يؤثر، شخص آخر ليس له القدرة على التأثير، والاتصال، تجده ربما تكلم بكلام حسن في نفسه، لكنه لا يستطيع التأثير به.

من مهارات الاتصال مسألة الحوار: الاتصال بالعقول.

الداعية ما ينبغي أن يقول ما لديه هو فقط، بل لا بد أن يقول ما لديه تحت مظلة فهم عقول الناس، وعقول الناس تختلف باختلاف الوقت، واختلاف المكان؛ ولذلك ينبغي أن ينظر إلى الحوار، ليس معنى الحوار الذي يكون بين اثنين هذا يورد، وهذا يورد، لا، هو يوطن نفسه وهو يتكلم أن المستقبل يحاوره بعقله، وليس بلفظه، فإذا توطن لذلك، فإنه ستكون كلماته مختلفة عما إذا كانت سردًا مجردًا.

فالحوار العقلي مهم، بمعنى: مخاطبة العقول بما تفكر به، الداعية لا يحسن منه أن يقول الذي يعيشه هو فقط، بل ما يؤثر به على الناس، النبي ﷺ، والأنبياء جميعًا تدرجوا في دعوتهم، خاطب الناس النبي ﷺ في مكة بما لم يخاطبهم به في المدينة، لماذا؟ لأن الاستعدادات العقلية، والنفسية مختلفة، فالتدرج في التشريع نوع من مهارات الاتصال، التدرج في مسائل العبادة، والتوحيد نوع من مهارات الاتصال، توطين الناس على قبول الحق نوع من مهارات الاتصال، وهذا كله يحتاج إلى تعليم، ليس صعبًا أن نرضى بواقعنا، بل هذا هو

الأسهل، نقول: ليس في الإمكان أبدع مما كان، لكن الصعب هو: كيف نقر بأن كل واحد منا لديه نقص في جانب من الجوانب لا بد أن يكمله؟، ولا يصح أن يقرن النجاح بالكمال، فهذه دعوة مردودة، وحيلة من حيل الشيطان النفسية التي يقدح بها في جهد الإنسان في نفسه حتى يضمحل من جهوده، وأيضًا: من جهود الناس، لا.. النجاح ليس قرين الكمال، النجاح قد يكون معه كمال، وقد يكون نجاحًا نسبيًا، نجاح معه نقص، لا يشترط أنه إذا نجح الداعية في شيء أن يكون فيه كمال.

ولذلك يأتي بعض الدعاة، أو يأتي بعض العاملين في أي حقل من الحقول، فيظن أن هناك تلازمًا بين نجاحه، وبين الانتقاد الموجه له، أو بين الرغبة في التطوير، وهذا لا تلازم بينه، ولذلك هناك ناجح، ويقوم، ناجح، ويطور، ناجح، وينقد، وليس معنى أنه إذا نقد أنه فاشل، أو أنه لم ينجح في أي عمل من أعماله، هذا هو الذي وطن نفوسنا عليه الشرع المبارك، وهكذا كان سيرة الخلفاء والصحابة ﷺ في أن كل واحد منهم يعرف أن الكمال منوط بنبي الله ﷺ الكمال البشري منوط بالنبي ﷺ في جميع المجالات، لكن هنا تنظر دائمًا إلى أنك كيف تنجح، وكيف تطور أداءك، كيف تنجح، وكيف تنمي معلوماتك، كيف تنجح، وتنمي إدارتك لنفسك، ووقتك، وأعمالك في جميع المجالات، كيف تنجح، وتزيد من مهاراتك، كيف تنجح، وتطور مهارات الحوار عندك، ... وهكذا.

فإذًا؛ دائمًا لا بد أن ننظر إلى الأمور بأننا محتاجون إلى ازدياد، لسنا راضين عن واقع نعيشه، ولا يقول أحد أنه دائمًا الوضع جيد، وكل شيء ممتاز، في مستوى الدعاة، في مستوى الإدارة، في مستوى الوزارة. هذا لا يقوله أحد، وإنما هناك نجاح نسبي، هناك رضا نسبي، والناقص يكمل.

ولهذا يحتاج الداعية أن يوطن نفسه حتى على انتقاد الناس، ربما تنتقد، يقال: والله أنت عندك ألفاظ غير صحيحة، أتيت بقصة غير جيدة، وعندك في عملك غير صحيح، المطلوب أن تطور من نفسك، وتعمل، لا يعد هذا قدحًا في الإنسان، في ذاته، أو في منهجه، أو في طريقته، لا.. هو رغبة في الكمال، والكمال مطلوب، والكمال لن يصل إليه، ولكن مزيد من النجاح مع تطوير الذات، والمهارات المختلفة.

هذا البرنامج بداية لبرامج أخرى سوف تقام؛ لأنه لا شك أنه أول برنامج لتطوير مستوى الدعاة، وهذا يحتاج إلى تقويم دائم، ومستمر؛ حتى نرى كيف نصل إلى برنامج آخر بقدرات أكبر، وبأهداف أكثر دقة.

ما دام المجال مجال برنامج التطوير الإداري، ونقول للأخوة الدعاة بأن لا يقتصروا على هذا البرنامج، هناك معاهد تدريبية تدرب في حلقات خاصة خبرات خاصة، دورة في إدارة الوقت، دورة في مهارات الاتصال، دورة في الخطابة، دورة في كذا، ليس عيبًا أن تأخذ الحكمة ممن هي لديه، الحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها، فهو أحق بها، حتى لو علمك شخص ربما ترى عليه ملاحظات، لكنه بوسيلة علمية صحيحة، ومقررة، ومجمع عليها؛ كطريقة المعهد المعين، أو بالدورة المعينة، فلا بد أن تدخل فيها.

هذا من تنمية قدراتك بنفسك، وسوف ترى أثر هذا التطوير العلمي، والإداري، والدعوي لنفسك، سوف ترى أثره في المستقبل.

ختامًا:

الوزارة لديها مشروع إنشاء مركز إعلامي دعوي، وهذا المركز سوف يكون واسعًا في كل أنواع المؤثرات الدعوية على الناس في جميع المجالات، سواء أكانت من الجهة العلمية البحتة؛ كالدروس،

والمحاضرات المتخصصة الشرعية، ونحو ذلك، أو كانت من ميدان التربية السلوكية، مثل: قصص الأنبياء، وما يستفاد منها، سيرة النبي ﷺ، سيرة الخلفاء، سيرة أعلام الصحابة ﭫ، أعلام أئمة الإسلام، ونحو ذلك، أو في المجالات المساندة، مثل: الاستفادة من المتخصصين في العلوم النفسية، والاجتماعية، أو المتخصصين في الطب النفسي، أو غيرها من أنواع العلوم، حتى يكون عندنا أرضية لخطاب دعوي متنوع يشمل الناس بما يحتاجه العصر، لا بد أن ننوع بحسب حاجة الناس، لكن هذا يحتاج من الذين سيلقون هذه الكلمات، أو المحاضرات، أو الندوات، أو المشاركات في مثل هذا المركز، وتسجل لهم، وتبث في القنوات، أو تزود بها جميع الجهات، سواء القنوات، أو المراكز الدعوية، أو الدعاة، ونحو ذلك، لا بد أن يكون عندهم ارتفاع في مستوى مهارات الإقناع، مهارات الحوار، مهارات الاتصال، وإلا سوف نخاطب أنفسنا، ولا نريد أن نخاطب أنفسنا، لا بد أن ننتقل من مخاطبة أنفسنا إلى مخاطبة الآخرين، واليوم ترون أن الناس يخاطبهم من لا يؤمن على عقيدة الناس، ولا على دينهم، وعلى. . .من أنواع الناس ـ هداهم الله ـ.

فلا بد أن نؤدي دورًا، الدعاة لا بد أن يشاركوا، كيف يشاركون؟

لا بد من تنمية لمهاراتهم، وتطوير لإدارتهم لأنفسهم، وخطابهم، ولفظهم، الكتابة، كيف تكتب، طلبنا من عدد من الدعاة كتابة مقالات؛ لننشرها في الجريدة، الكتابة كأنها تنشر في مجلة في جامعة إسلامية، أو في معهد شرعي، ونحو ذلك، ليس كذلك، الخطاب يختلف، الذي ينشر في الصحيفة يختلف عن غيره، المقصود الشرعي لا بد أن يكون مضمنًا، والدليل يكون مضمنًا، لكن كيف تقنع، كيف تعمل مقدمات؟

كيف الأسلوب، قصر الفقرات، الأسئلة التي ترد، والإجابة عليها، تحيط بالمخاطب، لا تكتب لنفسك؛ كأنه يحاورك لماذا قلت كذا، فتورد بالسؤال، ثم تجيب عنه، حتى يكون القارئ متفاعلًا معك، أما إذا كان السرد شرحًا نصيًا كما يقال، فإنه ينتفع منه فئة من الناس الذين هذا هو أسلوبهم، ولكن نريد أن نؤثر على أكبر عدد من الناس.

كذلك في الخطاب اللفظي، خطابك في المحاضرات، ونحوها، إذا أنا أحاضر لطلبة علم يختلف الكلام، إذا أردت أن أحاضر عند أناس ـ مثلًا ـ عصريين، أو اقتصاديين إلى آخره، لكن الفحوى العامة ما هي؟

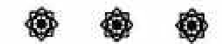
هي: تقريب الناس إلى دين الله، أو الوصول بهم إلى المنهج الصحيح، الوصول بهم إلى الالتزام بالشرع إلى محبة الدين.

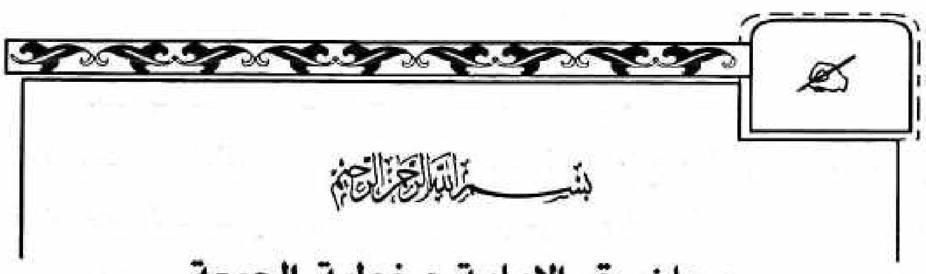
والخواطر كثيرة يقتضيها هذا المقام، ولكن فيما ذكر إشارة إلى ما لم يذكر، وأسأل الله ﷻ للجميع التوفيق، وأكرر شكري، وتقديري للجميع ممن شكرتهم آنفًا، وأسأل الله ﷻ أن يجعلني وإياكم من المتعاونين على البر، والتقوى، والوزارة ترحب كثيرًا، بل وتشكر كل من يبدي لها رأيًا، أو فكرة، وقد تنفذ الآن، قد تنفذ بعد حين، قد يناسبها الزمن الحالي، قد تناسب بعد زمن، المهم أن نجمع الأفكار، وأن ندرس، ونختار جيدًا، ثم ننفذ ما ننفذ الآن، وبعد حين ينفذ غيره، ولهذا أغتنم الفرصة للتأكيد على ضرورة التواصل القوي مع وزارتكم وزارة الشؤون الإسلامية؛ لأن هذه الوزارة مثل ما قررتم في عدد من اللقاءات، نحن في هذه الوزارة إذا سئلنا كم عدد منسوبي الوزارة نقول له: ما نعرف عدد منسوبينا، وإذا سألنا أحدًا من المسؤولين، كم عدد المنسوبين لكم، أو الموظفين أقول: ما أعرف، ما عندكم إحصاءات؟

أقول: عندنا إحصاءات لفئة، لكن منسوبي الوزارة هم كل من

يحب الخير، كل من عنده اهتمام بالدعوة، كل من يريد أن ينقل الناس، ويقربهم إلى الخير، اليوم الوضع صعب، الوضع صعب جدًا جدًا، وكل من عنده غيرة على دين الله، وغيرة على الاستقامة، وغيرة على حرمات الله لا بد أن يفتح المجال أكثر، وأكثر للتعاون؛ لكي نصل قدر المستطاع للتأثير بحسب ما آتانا الله ﷻ.

أسأل الله للجميع الإعانة، والتوفيق، وصلى الله، وسلم، وبارك على نبينا محمد.





محاضرة: الإمامة وخطبة الجمعة

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلِّ اللَّهُمَّ، وسلم، وبارك على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين، **أما بعد:**

أيها الإخوة:

المسجد هو أفضل بقاع الله في الأرض، كما أخبر بذلك جبريل عليه السلام عن ربه عز وجل: «**أَحَبُّ الْبِقَاعِ إِلَى اللهِ الْمَسَاجِدُ**»[1]، والمسجد هو أول صرح اهتم به النبي ﷺ لما أقام دولة الإسلام في المدينة مهاجرًا، فكان أول ما بدأ به المسجد: بناء، وإعمارًا، واهتمامًا، والله عز وجل يقول لنبيه ﷺ: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة: ١٠٨]، وهذا فيه المديح لقيام الأئمة، وولاة الأمور، وقيام الناس بشأن المسجد قبل أي شيء آخر؛ ولذلك ذكر عدد ممن صنفوا، وكتبوا في التخطيط العمراني في بلاد المسلمين في صدر الخلافة الراشدة في العراق، والشام، وفي مصر أنه عند تخطيط أي مدينة أمر الخلفاء أن يجعلوا مرتكز ذلك المسجد، ثم تكون البيوت حوله، وتوضع الطرق التي توصل إليه، وذلك أن المسجد - كما هو معلوم - فيه إعلان التوحيد في الأذان، وإعلانه عمليًا في الصلاة، وعبادة الله وحده لا شريك له هي أساس الإسلام الذي بُعث به

(١) أخرجه البزار (٨/ ٣٥٢)، والشهاب القضاعي (٢/ ٢٥٣)، وأبو يعلى (٨/ ٢٧٩).

الأنبياء جميعًا، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، والمسجد فيه التعبد بأعظم أركان الإسلام العملية ألا وهي: الصلاة، ولذلك لم يترك نبينا ﷺ الإمامة، والخطابة مع كونه نبيًا، ومع كونه رسولًا، ثم مع كونه إمامًا للمسلمين، فهو ﷺ النبي الرسول، وهو الإمام، وولي الأمر، وهو ـ أيضًا ـ إمام جامع المدينة، وخطيبه، وإمامته، وخطابته ﷺ ليست لأجل كونه نبيًا رسولًا؛ لذلك أخذ من هذا أهل العلم أن القيام بالإمامة، والخطابة أفضل من الأذان، وهي عمل رسول الله ﷺ، وما اختاره ﷺ، فهو الأفضل في حقه ﷺ في هذا المقام، وفي حق من اقتدى به من أمته، وإذا كان الأمر كذلك، فإنك ترى أن الإمام، والخطيب يقومان بمهمة شرعية عظيمة، يقتدي فيها برسول الله ﷺ، فهو صاحب أثر، واقتداء بالإمام، والخطيب الأول ﷺ، وأول ما يظهر لك قوله ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بها، وَعَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ**»[1]، وحري في اقتفاء السُّنَّة في ذلك هو من نظر في حاله ﷺ في الخطبة، وحاله ﷺ في الإمامة.

أما الإمامة:

فإنك تنظر إلى ما جاء في صحيح الأحاديث أنه ﷺ كان يحافظ على وقت الصلاة، وكان يتابع المؤذن في أداء الصلاة في وقتها، ويأمره، وينهاه في أداء الأذان في وقته، ويأمره، وينهاه، وذلك أن من مهمات الإمام أنه يتعاون مع المؤذن في مراقبة الوقت، وعدم التأخير

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (٤٢، ٤٣)، وأحمد (٤/١٢٦، ١٢٧)، والدارمي (٩٥)، وابن حبان (١/١٧٨، ١٧٩) من حديث العرباض بن سارية ﷺ.

فيه، فالله ﷻ قال: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، وقد أجمع أهل العلم على أن الأخذ بالحساب في أوقات الصلاة سائغ، وإذا كان الأمر كذلك، فإن الحساب هو ما اعتمده أهل العلم في العمل بالحساب، وقد اختلف الحسابون في بعض الوقت ـ كما هو معلوم ـ، وعندهم معادلات معروفة يحسبون بها الوقت، وقد تختلف الدرجة التي تكون في المعادلة، وقد تزيد، وتنقص قليلًا، ومؤذن المسجد، والإمام يتابعه في ذلك ليس له أن يخالف ما عليه العمل في عامة بلادنا، ولذلك لا يترك الوقت للاجتهاد، يقول هذا: الفجر لا يطلع إلا وقت كذا، خلافًا لما في التقويم، والآخر يقول: العصر لا يكون إلا كذا إلا بحساب كذا، بل قد قال لي بعضهم: إن الظهر فيه غلط في الحساب، مع أن الظهر، وهو: زوال الشمس من أظهر الأوقات؛ لكونه ما بين طلوع الشمس إلى غروبها، تحسب الزمن، ثم تقسمه على اثنين؛ لأن زوال الشمس يكون بذلك.

فواجب المؤذن، والإمام أن ينتبهوا للوقت، وألا يكون بين المساجد خلاف، هذا يؤذن مبكرًا، وهذا يؤذن متأخرًا، وهذا يقول كذا، وهذا يقول كذا، وخاصة في وقت الفجر، فلا يلتفت إلى من خالف رأي الجماعة في ذلك؛ لأن المسألة اجتهادية، والأخذ بما عليه الفتوى، والاعتماد من ولاة الأمر أولى من المنازعة في ذلك.

أما الأمر الثاني، فهو: أن الإمام السُّنَّة فيه، وفي حقه: أن يكون مراعيًا للمأمومين، فإن كانوا يحبون الإطالة أطال بهم على ما جاء في السُّنَّة، وإن كانوا يحبون التخفيف المنضبط بالسُّنَّة ـ أيضًا ـ خفف بهم؛ امتثالًا لقوله ﷺ: **«فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ المَرِيضَ،**

وَالضَّعِيفَ، وَذَا الحَاجَةِ»[١]، فهناك ضعيف، وكبير، وصاحب حاجة، وتعلمون قوله ﷺ لمعاذ لما أطال: «أَفَتَّانٌ أَنْتَ يا مُعَاذُ»[٢].

فالإطالة إذا كان في الجماعة من هو ضعيف، أو كبير، أو كان ذا حاجة، فإنها لا تشرع، فيؤخذ بالأدنى من السُّنَّة، مثل: أن يقرأ في المغرب بقصار المفصل[٣]، وفي العشاء بأواسطه[٤]، وفي الفجر بطواله[٥]، أو أوساطه، أو قصاره، والإمام يرعى حالة الناس في ذلك.

ومما هو في حق الإمام مرعي، ومن السُّنَّة: أن يكون الإمام مؤثرًا في جماعة المسجد، لا يصلح أن يكون الإمام منعزلًا عن جماعة المسجد، لا يحدث عليهم الأحاديث النافعة، في الأوقات التي اعتاد الناس على سماع الأحاديث فيها؛ كبعد صلاة العصر، وقبل صلاة العشاء، أو ما أشبه ذلك، وفي تتبع المتخلف منهم، وفي معرفة

---

(١) أخرجه البخاري (٩٠)، ومسلم (٤٦٦) عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ ﵁ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ، لَا أَكَادُ أُدْرِكُ الصَّلَاةَ مِمَّا يُطَوِّلُ بِنَا فُلَانٌ، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِئِذٍ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مُنَفِّرُونَ، فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ المَرِيضَ، وَالضَّعِيفَ، وَذَا الحَاجَةِ».

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥).

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٢١٤) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، ﵁ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ بِصَلَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مِنْ فُلَانٍ. قَالَ بُكَيْرٌ: فَسَأَلْتُ سُلَيْمَانَ، وَقَدْ كَانَ أَدْرَكَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فَقَالَ: «كَانَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِقِصَارِ الْمُفَصَّلِ».

(٤) كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي (٣٠٩) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، «أَنَّهُ قَرَأَ فِي العِشَاءِ الآخِرَةِ بِالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ» وَرُوِيَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَنَّهُ «كَانَ يَقْرَأُ فِي العِشَاءِ بِسُوَرٍ مِنْ أَوْسَاطِ المُفَصَّلِ نَحْوِ سُورَةِ المُنَافِقِينَ، وَأَشْبَاهِهَا».

(٥) كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي (٢/ ١٠٨) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، «أَنَّهُ قَرَأَ فِي الصُّبْحِ بِالوَاقِعَةِ»، وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ «كَانَ يَقْرَأُ فِي الفَجْرِ مِنْ سِتِّينَ آيَةً إِلَى مِائَةٍ».

أحوالهم، وأحوال المصلين، وها هنا يظهر لنا بجلاء أهمية دور الإمام في ملاحظة الناس في المسجد، فإذا لاحظ من الشباب - مثلًا - من يميل إلى فكر منحرف؛ كأفكار التكفيريين الذين يميلون إلى الانعزال، ويكفرون الناس، أو يكفرون بعض الناس، أو يكفرون في الدولة، أو يكفرون بعض أهل العلم، أو ما أشبه ذلك، فإن عليه أن ينتبه لذلك؛ لأنه وهو ينظر إلى الناس في المسجد، ويراهم فيعرف أن هذا من حاله كذا، وكذا في الغالب، إذا كان نبيهًا، فيأخذه مع من يعاونه من أهل المسجد من طلبة العلم، أو من أهل الوجاهة، فينصحون هؤلاء؛ لأنه كما هو ظاهر، وبيِّن، فإن الكثيرين ممن مالوا، واختطفتهم يد الإرهاب، ويد الغلو، كانوا يصلون في المسجد، وبدأ الأمر شيئًا فشيئًا، فلم ينتبه لهم، فذهبوا مع أصحاب الغلو، والتكفيريين - والعياذ بالله -؛ ولذلك من واجب الإمام أن ينتبه للحركة في مسجده، وأن يكون مراعيًا لما عليه أهل السُّنَّة، والجماعة، وأن ينصح بذلك، وإذا كان قد عجز لا بد أن يبين للمسؤولين في هذه الوزارة؛ حتى يبعثوا دعاة، ويبعثوا الناصحين لهؤلاء، فيرشدوهم إذا ضلوا.

هذا يتفرع عنه مهمة كبيرة للمسجد، ولإمام المسجد، ولخطيبه؛ لأن هذا الفكر فكر التكفير، والتفجير - والعياذ بالله - الذي حل بالناس منذ عقدين من الزمن، وظهر بقوة في الآونة الأخيرة، هذا المعتقد الباطل الفاسد، والمذهب الرديء، والضال يجب أن يلاحق، أن يلاحقه الإمام، وأن يلاحقه الخطيب بتكرار ما يتصل به من النصوص التي تحذر من الغلو، وتحذر من التكفير، وتدعو إلى لزوم الجماعة، وإلى الأخذ عن أهل العلم، وإلى لزوم السُّنَّة، وعدم الانفراد، والشذوذ، وما أشبه ذلك، وهذا يحتاج إلى تكرار؛ لأنه إذا قلته مرة، فقد يأتي التقصير من

هؤلاء، فمرة أخرى ينسون ما قلت لهم، ولهذا تجد أن النبي ﷺ في مسألة لزوم الجماعة: أبدع فيها، وأعاد، فهناك ثلاث مسائل أبدى فيها ﷺ، وأعاد، وكررها في مناسبات مخلفة:

المسألة الأولى: هي توحيد الله ﷻ، والبعد عن الشرك، ووسائله، والنصوص في ذلك كثيرة.

المسألة الثانية: هي مسألة الاتباع، اتباع النبي ﷺ، وعدم الابتداع، ولزوم السُّنَّة.

المسألة الثالثة: لزوم الجماعة، والسمع، والطاعة، بل قال الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مسائل الجاهلية بعد أن ذكر هذه المسائل الثلاث، قال بعدها: ولقد أبدى فيها ﷺ وأعاد[1]، وهذا ظاهر من السُّنَّة؛ لظهور شأن هذه المسائل، والحاجة الماسة إليها، ولأنها قد تنسى، ويتنسخ العلم، وينسى العلم، فتذهب، ويقع الناس في ضدها في الباطل، إما للوقوع في بعض الشرك، ووسائله، أو ضعف التوحيد في القلوب، أو بترك السنن، وإتيان البدع، أو بترك الجماعة، والذهاب إلى الشذوذ ـ والعياذ بالله ـ؛ ولذلك كان من الواجب على الخطيب، والإمام في المسجد أن يتنبه لذلك، وأن يبدع فيه، ويعيد في المناسبات المختلفة؛ حتى يقر ذلك في الأذهان، ويصبح حقيقة واضحة لا لبس فيها، وينقلها الحاضر لمن سيأتي بعده من أبنائه، وأحفاده إلى آخره، فتبقى السُّنَّة، وتذهب البدعة.

أما الخطيب، فإنه يملك زمام الدعوة، وزمام تبليغ الدين، والتأثير بالقرآن، وما فيه من الترغيب، والترهيب، والوعد، والوعيد، والجنة،

---

(١) انظر: مسائل الجاهلية (ص٧).

والنار، والدنيا، والآخرة، وهذا الذي في يده، ويمتلكه يمكن به إذا وفقه الله أن يجعل القلوب القاسية رقيقة، وأن يجعل الأفئدة مستيقظة، وأن يجعل المبتعد عن الطريق مقبلًا، إذا أحسن الدليل، وأحسن الوسيلة، والأسلوب، وهذا هو الذي يجعلنا نتأثر من البعض، ولا نتأثر من البعض الآخر، ويجعل الله ﷻ القبول لفلان، ولا يجعله لآخر، وذلك لصدق الحرص في الإخلاص، وصدق النية، والقصد أساس في ذلك، وهذا يعني أن الخطبة ليست وظيفة يؤديها المرء، ويحضر لها الخطيب ساعة، أو ساعتين. . .إلى آخره، أو أكثر، أو أقل، أو بعضهم يصعد المنبر، وهو ليس في باله شيء، وتأتي الخطبة شوهاء، أقيمت أركانها، وشروطها، ولكن الانتفاع بها قليل.

هنا يكمن التأثير؛ ولذلك قال أهل العلم في عقائد أهل السُّنَّة، والجماعة: إن الله ﷻ يكرم بعض عباده بوضع القبول لكلامه، وجعلوا هذا من كرامات الأولياء في أنه يقبل الحق الذي جاءوا به.

إذا نظرنا إلى السير نتذكر ـ مثلًا ـ العلامة، والفقيه الحنبلي ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتوفى نحو سنة خمس وتسعين وخمسمائة، كان إذا وعظ، أقبل الناس عليه، وصدروا من عنده ما بين باك، وتائب، ومسترجع، والخطيب الذي يلتقي بالناس كل جمعة، وكما تلحظون كم عندنا من مساجد في المملكة؟ عندنا نحو خمسة وسبعين، أو ثلاثة وسبعين ألف مسجد، والجوامع منها نحو أربعة عشر ألف جامع؛ أي: أن التأثير لو أردنا به إصلاح الناس كبير، والاستفادة من الجمعة، ولكن الاستعداد لها، ومعرفة أحوال الناس، ورفع المستوى الثقافي للإنسان الذي به يخاطب الناس بما يعقلون، هذا يؤدي إلى عدم الاستعداد، وضعف مستوى الخطبة.

ولذلك أوصي إخواني أن لا ينظروا للخطبة على أنها وظيفة، بل ينظر إليها كل جمعة على أنها عبادة، وأن الخطيب الأول في هذه الأمة هو محمد بن عبد الله ﷺ، وأن التأثير على الناس كل جمعة يكون عن طريق الخطبة، وأنا استغرب من بعض الناس إذا أراد أن يلقي محاضرة دعي لها في مكان ما في مسجد، استعد لها يمكن ثلاثة، أو أربعة أيام، يستعد، ويرتب إلى آخره، أما الجمعة، فلو أراد أن يخطب كفاه ساعة، هذا خلاف الأصل، الأصل: أن خطبة الجمعة عبادة عظيمة؛ ولذلك قال جمع من أهل العلم: إن خطبتي الجمعة بدل عن ركعتي الظهر، فقصرت صلاة الجمعة إلى ركعتين؛ لأجل الخطبتين؛ كما قاله جمع من أهل العلم[١].

وهذا يعني شدة أمر هذه الخطبة، فالعناية بها، وبالإلقاء، وبالتأثير على الناس، وصدق القصد، وادعُ ربك فيما بينك، وبينه، ادعوه كثيرًا في أن يلهمك الرشد، والصواب، والتأثير على هؤلاء الناس، لو كل هذه المساجد في كل جمعة يحضرها ملايين أحسنا الاستفادة من المنبر، لأثرنا على الناس، وصارت أعظم وسيلة لإصلاح الناس، اليوم نتشكى مما يبث، ونتشكى من الانصراف، ونتشكى من.. كذا وكذا، ونقول:

---

(١) سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين ؒ: ما الحكمة من كون الجمعة ركعتين؟

فأجاب ؒ فقال: الحكمة ـ والله أعلم ـ في قصرها هو: التيسير على المصلين، فإن منهم من يكون مبكرًا، ثم الخطبتان تستغرقان وقتًا على المصلين، فلو كانت الجمعة أربعًا، لطال عليهم الوقت. وهناك حكمة ثانية، وهي: الفرقان بين الجمعة، وبين الظهر. وهناك حكمة ثالثة، وهي: أن الجمعة عيد الأسبوع، فمن الحكمة أن تكون صلاتها قريبة من صلاة العيد. وهناك حكمة رابعة ذكرها بعض العلماء، وهي: أن الخطبتين بدل عن ركعتين، ولا يجمع بين البدل، والمبدل ـ والله أعلم ـ.

انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين المجلد السادس عشر كتاب صلاة الجمعة.

الدعوة ضعفت، وعندنا هذا الكم الهائل، والحضور الهائل، فإذا كان عندنا أربعة عشر ألف مسجدًا كم سيحضر؟ سيحضر الصلاة البالغون من المسلمين، أو أكثر البالغين في هذه البلاد، وهذا يعني أن العدد على مستوى المملكة بالملايين، وهذا يعني أن عدم الاهتمام بالخطبة، والتأثير فيها هو إضاعة لوسيلة عظيمة من وسائل التأثير الشرعي افترضها الله ﷻ فريضة، ولم يجعلها نافلة؛ كالدعوة، والمحاضرات إلى آخره.

الخطيب ينبغي له، وفي حقه أن يكون فاعلًا، وليس مفاعلًا، وأن يكون مؤثرًا، وليس متأثرًا فقط، وأن يعيش الماضي، والحاضر، والمستقبل، وألا يستغرق في اللحظة الحاضرة، وفي مدة مسؤوليتي في الوزارة في السنوات الماضية تبين لي بجلاء أن الخطب التي يكون فيها حماس غير منضبط، أو يكون فيها معالجة غير ناضجة لأحداث وقعت في بلاد المسلمين، أو نحو ذلك، أو في الإنكار على بعض المنكرات الواقعة، وجدت أن الإشكال هو في هذا المأخذ النفسي الخفي وهو: الاستغراق في اللحظة الحاضرة بحسب تعبير أهل العصر، وفي عبارة أهل العلم يقولون: عدم إدراك المآلات، والحكمة بإجماع من عرفها، من عرف الحكمة ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، بإجماع من عرف الحكمة: أنها النظر في المآل، أو من أعظم معالمها النظر في المآلات، فالمستغرق في اللحظة الحاضرة حماسًا، واندفاعًا، وتأثرًا، وتفاعلًا، هذا يفوته الحكمة، ويفوته التأثير على الناس التأثير الشرعي المطلوب؛ ولذلك فإنه من المطلوب على الخطيب أن يكون أكثر استيعابًا لواقع المسلمين، ماض، وحاضر، ومستقبل، وأكثر استيعابًا لحال المخاطبين، فإن الخطبة كلمة توجه إلى مخاطب، فلا بد من أن تكون الكلمة صحيحة، وأن يكون المتلقي لها قابلًا، كلمة حكيمة صحيحة، والمتلقي لها قابل صالح لذلك.

انظر إلى الكف، تفعل بها فعلًا واحدًا، وينتج نتيجتين مختلفتين، تنفخ فيها، فتحدث في الصيف برودة، وتنفخ فيها، وتحدث في الشتاء حرارة، فالفعل واحد، ولكن المحل مختلف، فاختلف الأثر، فمرة أنتج النفخ برودة، ومرة أنتج النفخة حرارة؛ ولذلك من لم يع حال المستقبل للكلام، أعني: حال المصلين، أو مستواهم، أو حال فهمهم، وحال استيعابهم، فإنه يبعد عن الصواب، الناس ماذا يحتاجون إليه؟ يحتاجون إلى كلام موزون هادئ ينتفعون منه.

أما أن تشحن الناس هذه القنوات الفضائية بأخبارها، وكثير منها، والكثير منها يكون صحيحًا، ولكن نكون معه مؤثرين بعد التأثر، مؤثرين بالحكمة، ومنفعلين فاعلين بعده بالحكمة، أما الاستغراق في اللحظة، ثم الحماس، ثم الكلام غير المتزن، فإنك لا تدري ماذا سيحدث بعدك، ولا شك أن الهدى فيمن اهتدى جاء بتوفيق الله ﷻ، وهدايته، ثم بالكلمة التي سمعت، وكذلك الضلال فيمن ضل جاء بعدل الله، ثم بالكلمة التي سمعت، فالكلمة تهدي، أو تضل؛ ولذلك رسالات الأنبياء إنما هي بكلمة، رسالات الأنبياء تُسمع، ودلائل نبوتهم تُرى، ولهذا تعظم يا أخي أثر الكلمة التي يقولها الإمام، والخطيب، ولا تظن أنها سهلة، فكيف إذا اتجهنا إلى رؤية مستقبلية قوية يكون فيها الإصلاح عبر رسالة المسجد، ويكون فيها الإصلاح عبر الخطبة الحكيمة المتزنة التي تنقل الناس شيئًا فشيئًا من مرتبة إلى أخرى في مدارج ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ [الفاتحة: ٥]، وفي مدارج العلم، وفي مدارج الوعي، وفي مدارج الفقه، والسلوك، والخلق الكريم، والتربية المحمدية المعمولة.

لهذا ينبغي أن يتأمل الخطيب دائمًا في مآلات الكلام، يقول: هذه

الكلمة تنفع، أو لا تنفع، هذه الكلمة ماذا سيفهم منها، إذا كان سيفهم منها شيء غير جيد، فاللغة واسعة، فأْتي بكلمة من مشكاة النبوة، فإنها أبرك، وأعظم.

من المسائل المتعلقة بالخطباء، ومهمة الخطيب مسألة مهمة، وهي: مسألة الدعاء.

الدعاء في الخطب، أو في القنوت في رمضان، أو في قنوت النوازل، أو ما أشبه ذلك، الدعاء عبادة عظيمة، بل: «**الدُّعَاءُ هو الْعِبَادَةُ**»[1]، كما صح ذلك عن النبي ﷺ، وإذا كان الأمر كذلك، فإننا نتذكر قول عمر رضي الله عنه: «**إِنِّي لَا أَحْمِلُ هَمَّ الْإِجَابَةِ، وَلَكِنْ أَحْمِلُ هَمَّ الدُّعَاءِ**»، فإذا وفقت للدعاء، جاءت الإجابة، ما يحمل هم الإجابة؛ لأن الله جل وعلا قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ولكن متى يكون الدعاء صوابًا غير معتد فيه؟ يقول الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥]؛ أي: المعتدين في الدعاء، والفقيه إذا سمع كثيرًا من الأدعية يعلم أنها اعتداء، ليس الأكثر، ولكن عدد كثير من الأدعية فيها اعتداء، اعتداء إما على حكمة الله جل وعلا، أو اعتداء على قدر الله، وقضائه، أو اعتداء على حق خلقه بما أوجبه تعالى على نفسه، وأشباه ذلك.

مثل: الدعاء بالحصاد العام، الحصاد، والموت العام على فئة،

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩، ٣٢٤٧، ٣٣٧٢)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٥٠)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٦٧)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ١٧٢)، والإمام أحمد في المسند (٤/ ٢٦٧)، (٤/ ٢٧١)، (٤/ ٢٦٧) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه. قال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح). وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). وقال الحافظ في الفتح (١/ ٤٩): (أخرجه أصحاب السنن بسند جيد).

أو على بلد، أو ما أشبه ذلك، هذا اعتداء، وإنما أذن فيه لنوح عليه السلام، وأما محمد ﷺ، فإنه قال: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَومِي؛ فإنَّهم لا يَعْلَمُونَ**»[(١)].

ومثل: الدعاء بالذلة على العصاة؛ كدعاء من يقول: «اللَّهُمَّ أبرم لهذه الأمة أمر رشد، يعز فيها أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك».

هذه أول ما أُثِرت عن الفقيه أبي محمد العز بن عبد السلام، ولم يوفق فيها، وسبب ذلك: أن المعصية لا تفارق المؤمن، المؤمن مؤمن بطاعته، وعاص بمعصيته، كل أحد يعرف فيما بينه، وبين ربه أنه أذنب، فلا ينفك أحد من الذنب، بل النبي ﷺ قال الله له: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، وكان يستغفر في المجلس الواحد مائة مرة كما في صحيح مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وغيره[(٢)]، ولذلك أن يقول الإنسان عن نفسه، وعن من يماثله: أن يذل أهل معصيتك، فكأنه يقول: أذل اللَّهُمَّ الأمة كلها؛ لأن الأمة ذات معصية، أكثر الناس من أهل المعاصي، والذنوب، ووجود المعصية حكمة من الله عز وجل، قال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ**»[(٣)]؛ لأن من أسماء الله عز وجل الحسنى: «الغفور»، و«الغفار»، فلا بد أن يظهر أثر اسمه جل جلاله: «الغفور» و«الغفار» في خليقته، كما أنه هو «الرزاق»، فلا بد أن يظهر أثر هذا الاسم في خليقته، و«الرزاق» عم الرزق للإنسان، ولغير الإنسان، وللمؤمن،

---

(١) أخرجه ابن حبان (٢/ ٢٥٤)، والطبراني في الكبير (٦/ ١٢٠)، والطحاوي في شرح المشكل (٦/ ٢٨٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٥) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٢) من حديث ابن عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ، فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ، مَرَّةٍ**».

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وللكافر، وللصالح، والطالح؛ لأن أثر الاسم عام، فمن أتى بدعاء، أو نظر فيما يعارض فهم الأسماء الحسنى، والصفات العلى، فقد اعتدى في الدعاء؛ ولذلك نرى الكثير لا تجاب أدعيتهم؛ لأنه لا فقه فيها، ونحن نتذكر قول عمر ﷺ: «**إِنِّي لَا أَحْمِلُ هَمَّ الْإِجَابَةِ، وَلَكِنْ أَحْمِلُ هَمَّ الدُّعَاءِ، فَإِذَا وُفِّقْتُ لِلدُّعَاءِ جَاءَتِ الْإِجَابَةُ**»، فإذا أراد المرء أن يتخلص من ذلك، فلا يبتدع أدعية من عنده، فعليه بأدعية النبي ﷺ، وما أُثِرَ عن الخلفاء، أو العلماء في الأدعية الجامعة، فإن فيها تحقيقًا لمراد الدعاء، أما في قول: «اللَّهُمَّ أبرم لهذه الأمة أمر رشد»، فمثلًا: فمن الاختيار أن يقول: «اللَّهُمَّ أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة، ويعافى فيه أهل المعصية».

فتسأل الله العافية لمن عصى، وتحتاط لنفسك في ذلك، أو تقول: «ويهدى فيه أهل معصيتك». تسأل الله الهداية للجميع، وهذا ـ مثلًا ـ من الدعاء الشائع.

مثلًا؛ في الأدعية الشائعة من يقول في الدعاء على عامة الكفار: «اللَّهُمَّ أمتهم، وجمد الدماء في عروقهم، واجعلهم غنيمة للمسلمين»، ومن تأمل هذا الدعاء من أهل العلم وجد أنه دعاء غير فقيه، وفيه أنواع من الاعتداء.

ومثل؛ أن يدعو المرء في الاستسقاء، وقد دعا الملك ـ حفظه الله ـ بإقامة صلاة الاستسقاء يوم السبت القادم ـ كما تعلمون ـ، ويجب أن ينبه الناس في خطبة الجمعة على أن يحضروا لصلاة الاستسقاء، وأن يعظموا الرغب عند الله ﷻ، وأن يطلبوه طلب إلحاح، وأن يستغفروا، وينيبوا؛ حتى يقبل الله الدعاء، وهذا أحب التذكير به؛ لتؤكدوا على الناس في هذا الأمر، ولكن من الأدعية ـ مثلًا ـ أن يدعو في الاستسقاء

في الجمعة، أو غيرها: «بأننا قد أصابنا قحط، وكذا، وماتت الأنفس، وهلكت البهائم» إلى آخره، فتنكر فضل الله ﷻ عليك؟ ما ماتت، ولا هلكت، فليس معنى وجود هذا اللفظ في الكتب أن يقال في كل مكان، أو زمان، إنما يقال في وقته المناسب له، فكأنك تقول: يا ربي ابتليتنا بكذا وكذا، والله قد عافاك، وهذا مما قد يكون من الاعتداء، ويمنع من الاستجابة للدعاء، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وفي ظني، أو في تقديري أن الالتفات إلى الدعاء من أهم المطالب اليوم؛ لأنه ـ وكما تعلمون ـ السلاح اليوم لدى المؤمن في كثير من الحالات هو الدعاء، لا يملك إلا الدعاء، فحسن أن يكون الدعاء خالصًا صوابًا، وأن يكون سالمًا من القوادح فيه.

المسألة الأخيرة: الوزارة فيما بينها، وبينكم كما ذكر فضيلة الدكتور توفيق السديري في كلمته تواصل محبة، وأواصر إخوة، فبيننا، وبين الإخوة طلبة العلم، والأئمة، والخطباء من الأواصر، والمحبة، والشأن الشيء الكثير، وهذا هو الرابط بيننا في أداء رسالة المسجد، فإذا جاء توجيه لإمام المسجد، وللخطيب من الفرع ـ مثلًا ـ لا يظن أنه اجتهاد عاجل، فهناك لدينا في الوزارة لجان كثيرة من أهل العلم الذين يؤتمن قولهم، ويستشيرون ـ أيضًا ـ أهل العلم فيما يوجهون به في المسائل؛ ولذلك فالوزارة فيما تبلغكم به تبلغكم بأمر شرعي، دائمًا تقول: إن المصلحة الشرعية فيه، وأن السُّنَّة ـ إن شاء الله تعالى ـ فيه، والمآلات المحمودة فيه، هذا يكون للبعض إمام ـ مثلًا ـ واحد، أو خطيب، أو أكثر اجتهاد مخالف، يقول: والله، الأحسن لو قالوا كذا، ولم لم يعملوا كذا، هذا له أن ينظر؛ لأن كلام الناس، أو ما يبلغون به ليس معصومًا، ولكن ما الحل؟

نحن في الوزارة نجتهد أن يكون الأمر شرعيًا، ووفق السُّنَّة، ووفق كلام أهل العلم، ومعتقد أهل السُّنَّة، والجماعة ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا، ببعد عن الرأي الفردي، لا يصدر برأيي أنا وحدي، ولا برأي وكيل، وإنما هناك عدد يمر عليهم حتى نأمن أن يكون القول صوابًا، وقد يكون عند واحد، أو اثنين، أو أكثر، أن الأولى لو قالوا كذا، أو الأولى لو عملوا كذا، فمن حيث أصل الموضوع، لا من حيث تبليغه هذه قضية عامة، وهذه نقول: إنه قد يكون مصيبًا في ذلك، وقد يكون المعترض غير مصيب، ولكن الأولى أنه إذا ظهر له شيء من ذلك أن يكاتب به الفرع، ويبلغونا به، وهذا ينفع، أما الذي يجتهد في مسجده بخلاف ما عليه الولاية على المساجد، فليس له ذلك؛ لأن ولاية الإمام على مسجده ولاية صغرى بإجماع أهل الفقه، ومن له الولاية الأكبر منه هو المسؤول الأولى، فالولاية الصغرى تندرج تحت الولاية الكبرى، وإذا كان الأكبر منه الفرع، أو الوزارة إلى غير ذلك، فإن عليه السمع، والطاعة، وليحتسب في الطاعة حتى ولو كان في رأيه أن هذا مخالف لما يراه صوابًا، فإذا كانت المسألة شرعية، وله رأي فيها، فليكاتب فيها، وقد برئت ذمته بذلك؛ ولذلك لا يصلح المجال اثنين وسبعين، أو خمسة وسبعين ألف مسجد في المملكة كلها مسرح للاجتهادات، ولا يمكن أن يصلح بذلك، ولا نرضى بذلك؛ لأنه لو فتح الباب لذلك، كان عندنا اجتهادات لا حصر لها، اجتهادات مذهبية، واجتهادات طائفية، واجتهادات حركية، واجتهادات رأي بحث، واجتهادات فكرية إلى آخره، وستكون المساجد حينئذٍ فوضى، واجتهاد من يجتهد مقبول، وفي محله، ولكن يبلغنا إياه، فإن كان رأى من يدرس عليه، وأن هذا صواب، فليؤخذ به، وله أجر، وإلا فله أجر السمع، والطاعة في ذلك؛ لأنه قد برئت ذمته - ولله الحمد -.

أسأل الله ﷻ لي ولكم التوفيق، والسداد، وأن يبارك لي ولكم في القول، والعمل، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وأن يجعل التوفيق حليفنا فيما نقول، وفيما نفعل، اللَّهُمَّ إنا نعوذ بك من مضلات الفتن، ونعوذ بك أن نضل، أو نُضل، أو أن نذل، أو نذل، أو أن نجهل، أو يجهل علينا.

وفي الختام فإني أشكر لجميع الإخوة أئمة المساجد، وخطبائها في منطقة جازان هذا الحضور المكثف، وأسأل الله ﷻ أن يسددهم، وأن يبارك فيهم، وأن يتقبل منهم صالح العمل في أداء هذه الوظيفة الشرعية العبادية، وهي: الأذان، والإمامة، والخطابة، جعلكم اللَّهُمَّ جميعًا مباركين، وصلِّ اللَّهُمَّ، وسلم، وبارك على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.



المناسبة، فإني لأشكر لوزارة العدل، ولمعالي وزيرها الدكتور عبد الله بن محمد آل الشيخ الذي طرأ له عارض منعه من المشاركة في هذا الاحتفال، وأشكر لجميع أصحاب الفضيلة رؤساء المحاكم، والقضاة الجهد المبذول؛ لإنجاح هذا الواجب الشرعي، والمحافظة على الأوقاف، والحرص على صرفها في مصارفها، ومحاسبة النظار عليها.

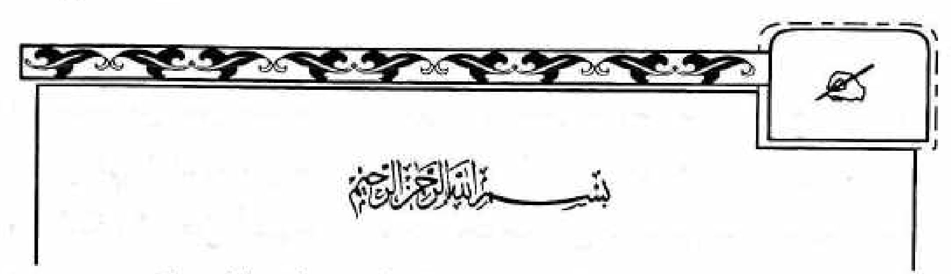
كما أشكر لسماحة مفتي عام المملكة، وسماحة رئيس مجلس القضاء الأعلى حرصهما على المشاركة معنا في هذه الندوة.

ولزملائي في وكالة الوزارة لشؤون الأوقاف الشكر، والتقدير على الجهود الكبيرة المبذولة، وكذلك الشكر، والتقدير موصول لزملائي أعضاء مجلس الأوقاف الأعلى، والمجالس الفرعية، واللجان الاقتصادية المتخصصة، كما أشكر اللجنة العلمية، وجميع اللجان العاملة الأخرى لتنظيم هذه الندوة، ولزميلي الكريمين الدكتور عبد الرحمٰن المطرودي، والدكتور محمد التركي الشكر، والتقدير على جهدهم المبذول.

وختامًا:

فإنني أكرر شكري لكم صاحب السمو على رعايتكم لهذا الحفل نيابة عن سمو ولي العهد، وأشكر جميع الإخوة الباحثين من أصحاب الفضيلة على جهدهم المقدم، سائلًا المولى ﷻ أن يوفق الجميع، وأن يحقق ما نصبو إليه اقتفاءً بسُنَّة نبينا ﷺ، وأداءً للأمانة، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله، وسلم، وبارك على نبينا محمد، والسلام عليكم، ورحمة الله، وبركاته.

❁ ❁ ❁



حوار مع معالي وزير الشؤون الإسلامية نشر بواسطة: موقع السكينة ١٣ يوليو، ٢٠١٠م الموافق: ١٤٣١/٨/١هـ

أكد وزير الشؤون الإسلامية، والأوقاف، والدعوة، والإرشاد معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ أن الإرهابيين الذين أهدروا الدماء المعصومة، وروعوا الآمنين بأعمال تخريبية في بلاد الحرمين أشد خطرًا على الإسلام، وأهله من أعدائه من المشركين، والكفار؛ لأنهم يأتون من حيث يأمن الناس، فيقتلونهم غيلة في مضادة صريحة بمقاصد الشريعة الداعية للأمن، والمحافظة على الدماء، والأموال، وأعراض المسلمين.

وأضاف في حديث نشرته مجلة: «الإرهاب» التي أصدرتها الإدارة العامة للعلاقات، والإعلام بوزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف، والدعوة، والإرشاد بمناسبة مرور عام على تفجيرات الرياض الآثمة: إن علاج ظاهرة الإرهاب يتم عبر ثلاثة محاور: وقائية، وعلاجية، ورادعة، مؤكدًا إن مسؤولية المواجهة ليست قصرًا على رجال الأمن، بل هي على كل مسلم يعيش في بلاد الإسلام، كل في حدود استطاعته، ومحذرًا من يسعى لتبرير الأعمال الإجرامية، ومرتكبيها من الدخول في دائرة الإثم، وفيما يلي نص الحوار:

السؤال: على مدار عام كامل تعرضت بلادنا لعدد من العمليات الإرهابية من قبل جماعات التفجير، والتكفير، بخلاف ما نجحت أجهزة الأمن في إفشاله من مخططات، فما المخرج من ذلك من وجهة نظر معاليكم؟ وهل أصبحت الأمة بحاجة إلى تأصيل ما يعرف بفقه: الأزمات، والفتن؟

الجواب: إن أول ما يظهر لنا في أصول النظر في فقه الأزمات، والفتن: العناية بفقه المرجع، فلا بد للناس من مرجع يرجعون إليه، وهذا هو الأصل في قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [النساء: ٨٣، ٨٤].

والآية الكريمة دلت على عدة أمور:

الأمر الأول: أن أمر الخوف، وهو زمن التقلبات، والفتن، والأزمات يجب ألا يذاع كل ما يتعلق به، وهذا استنكار، وكراهة لهذا الأمر.

الأمر الثاني: أن المرجع في زمن الخوف للإمام؛ كما في قوله ﷻ: (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم) والرسول ﷺ جاء ذكره في هذه الآية؛ لأجل منصب الإمامة، وليس لأجل الرسالة، لأن ما يرجع فيه في النص، أو في فهم الصحابة إلى النبي ﷺ نبيًا، ورسولًا مبلغًا عن ربه الموحى إليه، وتارة لكونه الإمام الأعظم للمسلمين، وتارة يتعلق بكونه ﷺ قاضيًا فاصلًا في الخصومات، وهكذا.

والمقصود من هذا: أن أفعال النبي ﷺ، وما ينسب إليه،

وما يضاف إليه يتنوع بتنوع الحال، وقد قال أهل التفسير: إن أولي الأمر في الآية هم أهل العلم[1]؛ وذلك لأن ولي الأمر الذي هو الإمام المقصود به، ذكر في المقام الأول في قوله: (ولو ردوه إلى الرسول) وهذا يعني أن المرجعية في أحداث الخوف، والأزمات، والفتن، كما في حال الأمن، لكن لا بد من وضوح المرجعية، وأنها لأهل الاختصاص، ولي الأمر الذي هو الإمام فيما يخص به من الأمر العام حيال المسلمين، والدفاع عنهم، والنظر في ذلك، وأهل العلم الشرعي فيما يتعلق باستنباطهم من النص، وما يتعلق بإيضاحهم الشرع، وهذا ظاهر بين، والخروج عن هذه المرجعية نبهت الآية الكريمة إلى عواقبه، قال ﷻ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، فإنه لولا حصول هذا التوجيه، لكان هناك خروج لاتباع الشيطان ـ والعياذ بالله ـ.

السؤال: يستند أصحاب الأفكار المنحرفة من المتطرفين إلى بعض آيات القرآن الكريم، أو الأحاديث النبوية الشريفة؛ لتبرير أعمالهم الإجرامية، بعد أن أنزلوا هذه الآيات على غير مواضعها، فماذا تقول معاليكم في ذلك؟

الجواب: عند الحديث عن هذا الأمر لا بد من الرجوع إلى الأصول الشرعية مع النظرة الواقعية في زماننا هذا، فعلى سبيل المثال مادة «رهب»، والتي يشتق منها لغويًا كلمة الإرهاب تعني الخوف[2]، قال ﷻ: ﴿كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]، والرغب هو الإقبال، والمحبة، والرهب هو الخوف، وهذا

(١) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٢٧٥)، وتفسير القرطبي (٥/ ٢٩١).

(٢) انظر مادة «رهب»: مقاييس اللغة (٢/ ٤٤٧)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٨٠)، وتاج العروس (٢/ ٥٣٧)، ولسان العرب (١/ ٤٣٦).

الخوف، أو الإخافة جاء محمودًا في إخافة الأعداء في سورة الأنفال لقوله ﷻ: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

والمعنى ـ والله أعلم ـ هو: إرهاب العدو في أرض المعركة، وهو أمر محمود باتفاق أهل العلم، لكن العمليات الإجرامية، والإرهابية التي ارتكبها هؤلاء الضالون في بلادنا المباركة، أوجدت معنى خاصًا لهذه المادة مادة «رهب»، وهو إخافة المسلمين، والمعاهدين والمستأمنين بغير وجه حق، وهو أمر مذموم، وإن كانت هذه المادة لم تأت في الكتاب، والسُّنَّة إلا أنها موجودة في معناه، فالله ﷻ يسمي من أرهب مسلمًا بغير حق، يسميه مفسدًا في الأرض، ومحاربًا لله ورسوله، قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟﴾ [المائدة: ٣٣]، ولا نجد من الناحية الفقهية أي إشكال في تعريف الإرهاب المذموم الذي يوصف فاعله بأنه محارب لله، ورسوله، والذين يحاولون تبرير جرائمهم الإرهابية بإنزال آيات القرآن الكريم، والسُّنَّة في غير مواضعها، يتجاهلون عن عمد آيات كثيرة، وأحاديث كثيرة، تحرم ترويع الآمنين، وتحرم قتل الأنفس المعصومة، وتحرم إهدار أموال المسلمين، وتحرم إطلاق التكفير، وإخلال الأمن، وهذا لا شك يرجع إلى زيغ في العقل، ومرض في النفس، وأغراض حجبت حقيقة الإسلام عن هؤلاء، فضلوا، وأضلوا، بل والأدهى أنهم باعتبارهم من المنتسبين للإسلام، أعطوا أعداء الإسلام فرصة أكبر؛ لشن حملاتهم المغرضة لتشويه صورة ديننا الحنيف، فأصبحوا بذلك أدوات لتنفيذ مخططات أعداء الدين، بل إنهم أشد خطرًا من الأعداء من المشركين، والكفار.

السؤال: وما الذي يجعل من الإرهاب الذي يرتكبه المحسوبون على الإسلام أشد خطرًا من مخططات أعداء الدين؟

الجواب: أعداء الإسلام من المشركين، والكفار نعرفهم جيدًا، وأهدافهم معروفة، والمؤمن يتيقظ لهذا الجانب، أما هذه الفئات التي تنتسب للإسلام، وتزعم ـ أيضًا ـ دفاعها عنه، وترفع راية الجهاد، وأنها تقتل لنصرة الإسلام، وتدمر لرفعة الإسلام، وتخيف لعزة الإسلام، فإن خطرها أشد؛ لأن شرهم من حيث يأمن الناس، ولأنهم جاءوا على جهة مأمن، فالناس في مأمن، وهم يعتدون عليهم، فالمسلم لا يتوقع شرًا من أخيه المسلم، فكل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه؛ كما جاء في الحديث الشريف[1].

وهذه الفئات الإرهابية الضالة رفعت راية الجهاد زعمًا، وقتلت المسلمين، والمعاهدين، والمستأمنين عمدًا؛ ولهذا نقول: إن هؤلاء الإرهابيين لم يحاربوا الدول، والمجتمعات الإسلامية، أو المسلمين، لكنهم في الحقيقة حاربوا الله، ورسوله، ذلك أن مراد الله ﷻ، ومراد رسوله ﷺ من نزول الشريعة أن يعبد الناس ربهم وحده لا شريك له؛ ليتحقق لهم الأمن في البلاد التي استخلفهم الله ﷻ فيها، قال ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾ [النور: ٥٥].

وهذه الآية دلت على أن تحقيق الدين عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له، وما يتضمنه ذلك من امتثال الشريعة بكاملها، هذا نتيجة الأمن، والنبي ﷺ وصف هذا الأمر الذي هو الدين بالتمام؛ لتحقيق الأمن، فقال ﷺ **«فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تَخْرُجَ الظَّعِينَةُ مِنَ الْحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فِي غَيْرِ جِوَارِ أَحَدٍ»[١].

وقال ﷺ: «والله لَيُتِمَّنَّ هذا الأَمْرَ حتى يَسِيرَ الرَّاكِبُ من صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إلا الله»[٢].

فحقيقة تمام الدين هي تمام الأمن؛ لأنهما متلازمان، وبالتالي، فإن الإخلال بأمن المسلمين هو مضادة لإرادة الله، وانتقاص للدين، وهو محاربة لله ﷻ، ولرسوله ﷺ، وليس أدل على ذلك من قتل رجال الأمن.

السؤال: وهل يستوي في ذلك من يرهب المسلمين مع من يرهب غير المسلمين من المقيمين في بلاد الإسلام؟

الجواب: الظاهر اليوم من العمليات الإرهابية التي وقعت في بلادنا المباركة أنها لا تفرق بين دماء المسلمين، أو غير المسلمين، والقتل من أعظم الذنوب بعد الشرك بالله، ثم قتل الإنسان لنفسه بالانتحار، أو قتله للغير[٣]، وهذا الغير إما أن يكون مسلمًا، أو أن يكون غير مسلم معصوم

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد (٣٠/١٩٧)، وأبو داود (٢٦٤٩)، وابن ماجه (٨٧)، وقد أخرجه البخاري في صحيحه (٣٥٩٥) من طريق سعد الطائي، عن محل بن خليفة، عن عدي بن حاتم ﷺ مرفوعًا بلفظ: «قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الحِيرَةَ؟ قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللهَ، - قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا البِلَادَ».

وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٥١٨ ـ ٥١٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٤٣)، وابن أبي عاصم في السُّنَّة (١٣٥)، والطبراني في الكبير(٤/١٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١٢، ٣٨٥٢، ٦٩٤٣).

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٤٧٧، ٦٠٠١، ٦٨١١، ٧٥٢٠)، واللفظ له، ومسلم (٨٦) من حديث ابن مسعود ﷺ قَالَ: «سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ =

الدم، ومعلوم أن الديار في تقسيم الفقه أربعة أنواع: دار الإسلام، ودار العهد، ودار الحرب، ودار مختلطة يحكم على كل واحد فيها بحكمه، وبلادنا دار إسلام فيها الحقوق كاملة، وشاملة لكل من يعيش فيها من مسلمين، وغير مسلمين، من جهة عصمة الدم، والمال، وهذه الحقوق كاملة مستوفاة، سواء كانوا أهل ذمة لهم الحق في الأمن، أم كانوا أهل أمان، وعهد، وميثاق، وهؤلاء ـ أيضًا ـ لهم الحق في الأمن، حتى إن الشريعة جاءت بأن المسلم الواحد لو أعطى الأمان، فإن المؤمنين يسعى بذمتهم أدناهم، قال رسول الله ﷺ: **«الْمُؤْمِنُونَ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ»**[(١)]، ولهذا فإن الاعتداء بمأمن على معصوم الدم مسلمًا كان، أو غير مسلم على الوصف الذي ذكرت، فإنه إرهاب؛ لأنه إخافة بقتل، أو ما دونه من صور التخويف، والترويع بغير وجه حق، والفقهاء ـ رحمهم الله تعالى ـ خاصة الفقهاء الحنابلة، وغيرهم يقولون: إن قتل الغيلة لا يقبل فيه عفو أولياء القتيل[(٢)]، وإنما الذي يقبل فيه العفو القتل الذي يكون عن مواجهته خصومة غضب؛ كأن يتشابك رجلان، فيقتل أحدهما الآخر، ويقول الفقهاء في قتل الغيلة، إن هذه الحالة لا يقبل فيها العفو؛ لأنه إذا قبل فيها العفو صار الفساد العريض في الاعتداء على هذه الوجه.

= أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ». قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ».

(١) أخرجه أبو داود (٢٧٥١)، وابن ماجه (٢٦٨٣)، والنسائي في المجتبى (٤٧٣٥، ٤٧٤٥، ٤٧٤٦)، وفي الكبرى (٦٩١١، ٦٩٢١، ٦٩٢٢، ٨٦٢٨)، وأحمد (٢/ ٢٨٥، ١١/ ٥٥٥)، وأبو يعلى (١/ ٤٢٤).

(٢) انظر: مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه (٧/ ٣٣٦٩)، والمغني لابن قدامة (٨/ ٢٧٠)، والمبدع في شرح المقنع (٧/ ٢٤٣).

السؤال: لكن توالي العمليات الإرهابية يؤكد أن هناك خلطًا كبيرًا في مفاهيم الجهاد، وشروطه، وأن هناك من لا يزال يعتبر الإرهاب الإجرامي جهادًا، فهل تسلطون الضوء على هذه الإشكالية من المنظور الشرعي؟

الجواب: الجهاد له شروطه الشرعية، وأحكامه، وله تفاصيل نص عليها العلماء، وهو عبادة؛ لأنه دفاع عن الحق، ورد للمعتدين، وإعلاء لكلمة الله، ومن أحكامه: أنه لا بد أن يدعو له الإمام وولي الأمر؛ لأنه هو المخاطب بإقامة الجهاد الشرعي، أما آحاد الناس، فلا يصح منهم الجهاد مع وجود الحاكم وولي الأمر، وأدلة هذا في الشريعة كثيرة، قال ﷻ: ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [النساء: ٨٤]، والخطاب للنبي ﷺ، والخلفاء، وولاة الأمر يقومون مقامه في ذلك، وكان الصحابة يستأذنون النبي ﷺ في الجهاد، وربما ردهم عن الجهاد إلى نوع آخر من العبادة[١]، فمصلحة الجهاد، وظروفه راجعة إلى الدولة؛ أي: إلى ولي الأمر، فهو أدري بذلك، وهو المرجع في ذلك شرعًا، ومن جاهد من تلقاء نفسه، فقد افتئت على ولي الأمر.

والإرهاب اعتداء بغير حق، وتخويف، وليس تحت راية شرعية؛ ولهذا فقتال المعصومين في بلاد الإسلام، وقتلهم، وجرحهم، والفتك بهم، وبأموالهم ليس جهادًا، ولا إنكارًا للمنكر بإجماع الأمة أهل السُّنَّة، والجماعة، وغيرهم، لكن خرج من شذ عن هذا الإجماع لفتاوى باطلة، وشبهات لا يجوز اتباعهم، قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٠٠٤، ٥٩٧٢)، واللفظ له، ومسلم (٢٥٤٩) من حديث عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَمْرٍو ﷺ، قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ أُجَاهِدُ؟ قَالَ: لَكَ أَبَوَانِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ».

تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، فالجهاد عبادة، ودفاع عن الحق، ورد للمعتدين، أما الإرهاب، فاعتداء، وظلم، وجور، وقتل، وتخويف، وسلب للأمن، وبث الفرقة، وترويع للصغير، والكبير، وهو جرم كبير يفسد ما أمر الله به من نشر الأمن، ومحاربة الإجرام، والسعي في الأرض، والفساد ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٦].

السؤال: كثيرون يعزون تسلل الفكر المتطرف إلى شبابنا إلى مرحلة الجهاد ضد الاحتلال السوفيتي في أفغانستان، أو بفعل استقطابهم من قوى تضمر الشر للإسلام، وأهله، فماذا تقولون في ذلك؟

الجواب: ليس هذا صحيحًا على الإطلاق، فالشباب الذين عملوا هذه الأعمال الإرهابية لم يشاركوا في الجهاد في أفغانستان، لكنهم ذهبوا بعد ذلك، وأعمارهم تدل على ذلك، ومن غير المستبعد أن من يرتكبون الأعمال الإرهابية من الشباب في بلادنا خدعوا من قبل جهات تريد الإساءة للإسلام، والمسلمين، ونحن نعلم جميعًا ما تضمره الصهيونية العالمية من حقد، وما تدبره من مكائد للنيل من الإسلام، لكن ثمت دروسًا نستخلصها من ذلك، ومنها:

الأول: أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، فإذا كان أمر الجهاد في بعض البلدان يقوم عليه من لا يمثلون الجهاد الشرعي بجميع شروطه، فلا يجوز التساهل في بعث شبابنا إليهم، أو السماح لهم.

الثاني: بالتجربة وجد أن بعض من ذهب للجهاد في أي مكان،

وهو لم يتسلح بالعلم الشرعي، والمعرفة تأثر بأفكار التنظيمات الإرهابية، والاجتماعات السرية، ثم جاء بها إلى هذا البلد، فعمل ما لا يحل.

الثالث: هناك أسباب نفسية، وشرعية تجعل تأثر الشباب السعودي كبيرًا، أما النفسية، فهي أن عواطفهم جياشة، وقوية في الحق، ويذهبون إلى من يستغل هذه العواطف بغرس أفكار، ومبادئ ضالة؛ كالتكفير، والحزبية. . . إلى آخره.

والعاطفة يجب أن تكون في إطار الشرع، والعقل، وإلا جرفت صاحبها، أما الأسباب الشرعية، فذلك أن الشباب السعودي متدين بالفطرة، ونشأ في مجتمع يحب الدين، ويحرص على الحق، فإذا صاحب ذلك جهل، وعدم ثبات بمنهج السلف، والقواعد السلفية في العقائد، والاتباع، فإنه يلقن، ويربى على الأفكار البدعية، والحزبية التي يظنها الحق، ثم يدخل في خلايا، وجماعات ترسخ تلك المبادئ الضالة فيه، ومع وجود هذه العوامل إلا أن الاتجاه التوعوي، والعملي لعلاج المشكلة لم يكن كافيًا، لا سيما في المجال الشرعي؛ لوجود إشكالات، وشبهات، وانعزال هؤلاء عن أهل العلم، ومحاضرات المساجد، وانغلاقهم على أصحابهم، وقادتهم.

السؤال: كثير من المنظمات الإرهابية هي في الأساس حركات سياسية تتستر تحت شعار الدين، ألا تعتقدون أن توعية الشباب مبكرًا بهذا الجانب كان ضعيفًا من قبل المشايخ، والدعاة مما جعل كثيرًا منهم يسقط فريسة سهلة لأصحاب الأيدلوجيات السياسية الهدامة؟

الجواب: التيارات، والجماعات الإرهابية التي تبني منطلقاتها، وسياساتها، وأعمالها على الاعتداء على الناس، لها مفاهيم ضلت فيها،

فأفكارها، ومعتقداتها محصورة، وفي أساسها لا وجود لها في بلادنا، وإنما نبتت في بلاد أخرى، والأمر يتطلب حصرًا شاملًا من أهل العلم لجميع شبههم، والجواب عليها، والرد بأدلة، وقواعد مفصلة مقنعة شرعًا، وتزويد كل الجهات، وطلبة العلم، والخطباء، والدعاة بها؛ ليكونوا على بينة منها، وليردوا على تلك الأفكار، فالمطلوب حصر الشبهة، والرد عليها، «التكفير ـ الجهاد، وضوابطه ـ التولي والموالاة ـ المواثيق الدولية ـ الحكم بغير ما أنزل الله ـ العلاقات السياسية ـ الشريعة والتنظيم ـ الاغتيالات ـ التكفير باللازم ـ إنكار المنكر بالقتل، وسفك الدم ـ إقامة الحدود، والتعزيزات لمن؟ ـ التنظيمات السرية ـ كفر الدولة... إلخ»، وحقيقة كثير من طلبة العلم، والدعاة، والمعلمين، والخطباء لا يحسن منهج أهل السُّنَّة والجماعة، أو اتباع السلف الصالح في هذه المسائل، فإذا طرقت لم يرد عليها بجواب كاف؛ ولهذا تعظم الشبهة، وتزيد في الشباب، فحصرها من أهل العلم، والرد عليها؛ لتكون كالمرجع لكل حملة العلم، والمدرسين في الجامعات، والمدارس، والمساجد، ووسائل الإعلام مهم جدًا؛ تحذيرًا من انتشار هذا الفكر، وردًا عليه، وبالتالي كانت توعية الشباب ضعيفة، وذلك يرجع إلى أسباب منها:

المجاملة الدينية، فالمصارحة ضعيفة، والمجاملات قوية، والواجب النصح، فالدين النصيحة، كما جاء في الحديث الصحيح: **«الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»**[1].

(١) أخرجه مسلم (٥٥)، من حديث أَبِي رُقَيَّةَ تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ ﷺ، وأخرجه البخاري معلقًا في كتاب الإيمان ـ باب قول النبيِّ ﷺ: الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

كذلك ظن الكثير إن هذه الاتجاهات الإرهابية ملاحقة داخليًا، ودوليًا، وهذا سيقضي عليها، فلم يكلف نفسه القيام بالواجب، وبعضهم يخشى أن يكون مع أعداء الأمة على هؤلاء، فيحجم عن البيان، وتوعية الشباب لذلك، ويضاف لذلك نقص الشجاعة في بيان الأحكام الشرعية، وأداء الأمانة، ولنا في ابن عباس ﵄ قدوة؛ حيث ذهب إلى الخوارج، وناقشهم، وجادلهم بقوة حجة، ورباطة قلب، فرجع منهم طائفة الى الجماعة، كذلك غياب المشروع المتكامل الذي تنفذه، الجهات العلمية، والتعليمية، والدعوية، فيحتج البعض بالمتناقضات في ذلك، فإذا رأى جهدًا يصب في التحذير، وجد جهة أخرى تسهل، وإذا حاضر بمحاضرة، أو كتب كتابًا، لم يجد له التشجيع، وكما أن العقوبة سبب لتضييق الدائرة، فتشجيع من يقوم بالواجب سبب لكثرة من يقوم به، وتكاتف الجميع ضمن مشروع متكامل للتوعية، والإرشاد بحظر هذه الأيدلوجيات السياسية، والجهادية المنحرفة التي ضادها أهل العلم على جميع فئاتهم، وعلى مختلف بلدانهم.

السؤال: يحاول البعض تبرير الأعمال الإرهابية بالأوضاع السياسية العالمية، وما يتعرض له المسلمون من معاناة في أماكن كثيرة من العالم، فإلى أي مدى ترون صحة ذلك؟

الجواب: هذه المبررات غير مقبولة، سواء كان فيما يتعلق بالاعتداء على الشركات، والأفراد غير المسلمين المقيمين في بلاد الإسلام، أو الاعتداء على المدنيين الآمنين الذين لا يحاربون الإسلام، وأهله، وتبرير مثل هذا الاعتداء، أو التعاطف مع مرتكبيها مشاركة في هذه الجريمة، وتشجيع عليها، والعجب كل العجب أن بعض من يدعمون الفكر الإرهابي يفتون بجواز قتل النساء، والأطفال، إذا كانوا تابعين لمن

يجوز قتلهم بحسب فكرهم، وآرائهم، ومواقع الإنترنت تزدحم بهذا النوع من الفتاوى التي تنافي مقاصد الشريعة جملة، وتفصيلًا، فالإسلام لا يأخذ أحدًا بجريمة أحد، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨].

وهؤلاء الذين يفتون بجواز قتل النساء، والأطفال ألم يطلعوا على وصايا الرسول ﷺ لقواد الجيوش الإسلامية، والتي يأمرهم فيها بألا يقتلوا طفلًا، ولا امرأة، ولا شيخًا، ولا راهبًا، بل ولا يقطعوا شجرة، أو يردموا بئرًا، أو يذبحوا دابة إلا لمأكلهم[١].

ثم تعال ننظر فيما فعله الإرهاب، وهل رفع معاناة المسلمين، وأعاد إليهم حقوقهم، أم كان سببًا في معاناة أكبر بعد أن استعدى العالم بأسره ضد الإسلام، والمسلمين، وساعد أعداء الإسلام من المشركين على ترسيخ علاقة الإسلام بالإرهاب، ونتساءل أليس في هذه العمليات الإجرامية صد للناس عن سبيل الله، وتعطيل لجهود الدعوة إلى الله، والعمل الخيري، وتنفير لغير المسلمين من الإسلام.

إن الموازنة المنطقية العادلة بين المصالح، والمفاسد، تؤكد أن الأعمال الإرهابية جرَّت ويلات كثيرة على أمة الإسلام على كثير من الشعوب الإسلامية، ومن يحاول تبرير هذه الجرائم الإرهابية، أو يتعاطف معها، أو يفرح بها، فعليه إثم فاعلها، كما قرر العلماء، والفقهاء ذلك عند قوله ﷻ: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، فالسكوت عمن يدبرون هذه الأعمال مع العلم بذلك، أو الاشتباه نوع من التعاون

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٢٦١٤) من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللهِ وَبِاللهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللهِ، وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا وَلَا طِفْلًا وَلَا صَغِيرًا وَلَا امْرَأَةً، وَلَا تَغُلُّوا، وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ، وَأَصْلِحُوا وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**».

على الإثم، والعدوان، ووقوف مع المجرمين المحاربين لله ﷻ، ورسوله ﷺ.

السؤال: لكن البعض ممن يحاولون إيجاد مبررات لهذه العمليات الإرهابية يقول: إن محركها الأول عند مرتكبيها هو الطاعة، والرغبة في نصرة الإسلام، فماذا تقولون في ذلك؟

الجواب: هذه المبررات تعد دفاعًا، وامتدادًا لفكر الخوارج الذين وصفهم الرسول ﷺ: **«شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، وَخَيْرُ قَتِيلٍ مَنْ قَتَلُوا، كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ، قَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ مُسْلِمِينَ فَصَارُوا كُفَّارًا» قُلْتُ: يَا أَبَا أُمَامَةَ، هَذَا شَيْءٌ تَقُولُهُ؟ قَالَ: بَلْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ»**[1].

وفي حديث آخر قال في وصفهم: **«يَحْقِرُ أحدكم صَلَاتَهُ مع صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مع صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ من الدِّينِ كَمُرُوقِ السَّهْمِ من الرَّمِيَّةِ»**[2].

وقال ﷺ: **«فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، لَئِنْ لَقِيتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»**[3].

والخوارج في زمن الرسول ﷺ كما في الحديث: **«... أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اعْدِلْ»**، دون أدنى مبرر لهذه المقالة السيئة سوى زيغ النفوس، ومرض القلب، وضلال

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه (١٧٦) عَنْ أَبِي غَالِبٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦١١، ٥٠٥٧، ٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦) من حديث علي رضي الله عنه، وفيه: **«فَإِنَّ في قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**.
وأخرجه البخاري (٣٣٤٤، ٤٣٥١، ٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه: **«يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»**.

العقل، وضعف الإيمان، «فَقَالَ: وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ»، بعدها يأتي الاحتجاج بالأدلة من الآيات المتشابهات قال: ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧].

والمتشابه في القرآن الكريم، والسُّنَّة المطهرة، هو ما يشتبه علمه إلا على العلماء الراسخين.

والخوارج[1] هم قتلة عثمان بن عفان خليفة المسلمين رضي الله عنه دون مبرر إلا ما ظنوه هم من بعض التصرفات التي لولي الأمر حق التصرف فيها، ولكنهم أقنعوا أنفسهم بصحة رأيهم، فقتلوه، وهو يقرأ القرآن الكريم، فأي طاعة في هذا، والخوارج - أيضًا - هم قتلة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأي طاعة في هذا، فالرغبة في الطاعة إن وجدت لدى هؤلاء تتحول إلى معصية؛ بسبب الجهل بالعلم الشرعي، فهذه الأعمال الإرهابية لا مبرر لها شرعًا، أو عقلًا، وهؤلاء الخوارج الجدد كفروا الحكام، والعلماء، وأهدروا الدماء المعصومة دون مبرر، فأي طاعة في هذا؟

السؤال: منذ حدوث أول التفجيرات بمدينة الرياض منذ ما يقرب

---

(١) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة، وفيهم قال النبي ﷺ: «**يَحْقِرُ أحدكم صَلَاتَهُ مع صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مع صِيَامِهِمْ يَمْرُقُونَ من الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ**». أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. انظر: مقالات الإسلاميين (ص٤، ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص٥٤)، والملل والنحل (١/ ١١٤).

من عام، طالبتم بمشروع وطني لرعاية الوسطية، ونبذ الغلو، فما مصير هذا المشروع؟

الجواب: ترسيخ، ورعاية الوسطية ليست مطلبًا آنيًا يرتبط بحادث يقع هنا، أو هناك، بل إن ذلك واجب شرعي؛ لأن الله ﷻ وصف هذه الأمة بأنها الأمة الوسط فقال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وسمات هذه الوسطية موجودة في كل كتب العقائد كتب أهل السُّنَّة، والجماعة، وأهل الحديث، والأثر، والتي ينصّون فيها على أن هذه الأمة وسط، وعلى أن أتباع المنهج الصحيح وسط - أيضًا - بين الغالي، والجافي، وهذه السمات موجودة في سلوك الصحابة ﷺ، وفي سلوك الصحابة ﷺ، وفي سلوك أئمة الإسلام، فالوسطية، والاعتدال هي سمة الشريعة بنص القرآن الكريم، وهذه الشريعة متسمة بأنها شريعة السماحة، ورفع الحرج يقول ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] ومنهج الوسطية، والاعتدال موافق للشرع؛ كما يقول العقل السليم، والفطرة السوية؛ لأنه يراعي اختلاف القدرات، والإمكانات، واختلاف الأزمنة، والأمكنة، ومشروع رعاية الوسطية، والاعتدال الذي نطمح إليه ليس بناء، ولكنه جهود تناسق وتتكامل؛ لبيان ماهية الوسطية في الإسلام، وأثرها في حياة المسلمين بعيدًا عن الإفراط، أو التفريط بين العقل والعاطفة بين الحماس والخمول، فالأمر وسط في أن نعمل جهدنا وفق المنهج الشرعي، وحقيقة، فإن العمليات الإرهابية بما نتج عنها من تخريب، ودمار، وترويع للآمنين، وقتل للأبرياء، كشف خطر التطرف، والغلو، وما يترتب عليه من إضرار بمصالح الأمة بدرجة لا تقل عن خطر التفريط في الدين، ولعل هذا يكون البداية لمزيد من الاهتمام

بترسيخ الوسطية، والاعتدال في مدارسنا، وجامعاتنا، وجميع أمور حياتنا؛ تطبيقًا لتعاليم القرآن الكريم الذي جعلنا أمة وسطًا.

السؤال: كيف يمكننا تحقيق التوازن بين ثوابت دولتنا، ومجتمعنا؛ كدولة تقوم على الشريعة الإسلامية، ومجتمع محافظ متدين بحيث لا تتحول النقمة على تيار متطرف محدود إلى زعزعة للدعائم الأساسية التي يستند عليها نظامنا السياسي، والاجتماعي؟

الجواب: هذا السؤال مهم جدًا، وكأني ألمح في السؤال استعراضًا لكثير من الكتابات، والمقالات، والمقابلات المقروءة، والمنظورة في تحليل الحدث الذي جعل كثيرين يهجمون على المتدينين، وعلى المبادئ الإسلامية الثابتة، أو الاجتهادية، ومع أن كثيرين من أولئك يؤمنون بالرأي، والرأي الآخر، ويدعون للحوار، ولكنهم مع هذه القضية هاجموا من يحكم على الإرهاب، وما حدث بأنه جريمة، فلم يقتصروا على مهاجمة المجرمين، بل جعلوها فرصة للهجوم على جميع أصحاب الأفكار، والأطروحات حتى ولو كانت مقبولة كلًا، أو بعضًا.

والواجب: أن يحافظ جميع المواطنين مهما اختلفت اتجاهاتهم النفسية، والفكرية على وحدة الوطن؛ كما قال صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز: «أمران لا مساومة عليهما: الدين، والوطن».

والنيل من أساسات الدين في البلد لا يخدم جمع الكلمة، ولا وحدة الوطن، بل هو زرع للفتن في النفوس، والإنصاف مطلوب، وتوحيد الجهود في الوقوف ضد الإرهاب بجميع صوره يتطلب العقل، والحكمة، وأن لا يصطاد في الماء العكر كما يقال؛ ولهذا فإني أنصح جميع الفئات أن نكون منصفين في هذه المرحلة مجتمعين تحت راية

واحدة، ولتحقيق الأساس الذي قام عليه هذا البلد، وتمكنت بسببه الدولة، وهو كتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ، وأمور الشريعة منها ما هو مجمع عليه، فليس لأحد أن يناله بنقد، أو رد، واجتهادات متنوعة، فهذه فيها البحث، والحوار مع الرفق، والهدوء، والإنصاف، ورعاية المصالح، والمفاسد، والمآلات.

السؤال: من وجهة نظركم كيف السبيل الى مواجهة الإرهاب بجميع صوره، وأشكاله؟

الجواب: هذا السؤال رغم قلة كلماته، وبساطة طرحه، فإن الجواب يحتاج إلى توافر الجميع من السياسيين، والعلماء، والإعلاميين، والمفكرين للجواب عن مثل هذا السؤال السهل بألفاظه الصعب بفحواه، ولكن نقول: إنه ينبغي لهذه المواجهة أن تكون ثلاثية المحاور:

المحور الأول منها: أن يكون لدينا برامج وقائية تحد من انتشار هذا الفكر الضال، فلا يتأثر به، أو يسقط في براثنه المزيد من الشباب.

والمحور الثاني: برامج علاجية.

أما المحور الثالث: فالقضاء، والحكم، والتأديب بالقوة، والوقاية مسؤولية الجميع، فمن أعظم أسباب وجود الأفكار الضالة في تقديري سببان:

الأول: وجود الجهاد في بعض أرض الله، وذهب له من هو غير مؤهل للجهاد، لا سنًا، ولا تفكيرًا، ولا تربية، ولا وصفًا، فصار هناك انتقام باسم الجهاد بحركة رجوعية، وهنا لا بد من الوقاية؛ حتى لا يتسع في هذا الجانب، وخصوصًا في المناطق التي يكون فيها الجهاد مظنونًا.

والأمر الثاني: يكون هناك تكثيف لمحاربة الغلو في الدين؛ لأن الدين دين اعتدال لا يقبل بالغلو، والتطرف، والتزمت، كما لا يقبل

بالميوعة في الدين، والتفريط في الحقوق، وأصول الشريعة، والوقاية تكون بمواجهة الغلو بجميع أنواعه، وكذلك مواجهة التميع، والتغريب - أيضًا - بحسب المقدرة.

أما المحور الثاني الذي يتعلق بعلاج الإرهاب، فلا بد أن يستهدف مخاطبة من وقعوا فريسة لهذه الأفكار الضالة، أو من يتأثر بها، وأن يفتح باب الحوار، وهو المسمى في الشرع المجادلة بالتي هي أحسن، والحوار، والمجادلة، والبحث في هذه الأمور مقبول، ومطلوب إلا من حمل السلاح ضد المسلمين، واستخدمه ضدهم.

وكثير ممن صار معهم ميادين مراجعة رجعوا عن أفكارهم الضالة، وصدرت كتيبات في هذه المراجعات بعد حوار مع المتخصصين من أهل العلم، والعلماء؛ ولهذا المنهج العلاجي القائم على الحوار يعطينا - أيضًا - بعدًا وقائيًا من التأثر بهذه الأفكار؛ لأن الشبه، والمبررات التي يسوقها الغلاة، والمتطرفون واهية، وغير مقنعة، ولكن لا بد من تفنيدها بالحجة، والدليل من خلال الحوار.

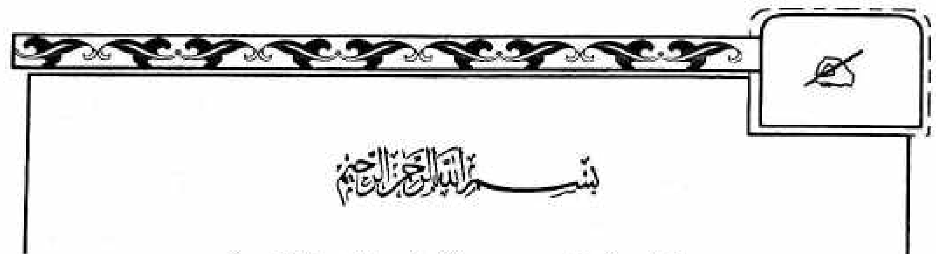
والمحور الثالث في مواجهة الإرهاب: هو القوة، والحزم.

والقوة أولى درجاتها عدم التساهل مع هؤلاء، لا في لفظ، ولا في تبرير، أو تعاطف؛ لأن ذلك يوقع كثيرًا من العامة في الاشتباهات؛ ولهذا يجب المعاملة بحزم، وقوة، وأول من يجب أن يعامل هؤلاء بحزم، وقوة من ائتمنهم الله ﷻ على الأمن العام، ثم من ائتمنهم الله على الكلمة، والبيان، والحجة الشرعية، وهم العلماء؛ لأن الله ﷻ أخذ الميثاق على أن يبين أهل العلم بالبيان الكافي، لا يدارون في ذلك، قال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ

﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وهذا واجب أهل العلم، كذلك المواجهة بحزم، وقوة من جميع من عنده قدرة على المواجهة؛ ليتم ردع هؤلاء المنحرفين الضالين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.





كلمة توجيهية لمعالي الشيخ
صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ
وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
للدعاة، وطلبة العلم بشأن الأحداث الأربعاء ١٤٣٥/٢/٨هـ
الموافق: ٢٠١٣/١٢/١١م

في كلمة توجيهية لطلبة العلم، والدعاة، قال معالي وزير الشؤون الإسلامية، والأوقاف، والدعوة، والإرشاد الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ - حفظه الله -:

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمد بن عبد الله رسوله، وصفيه، وخليله، أرسله الله بين يدي الساعة بشيرًا، ونذيرًا، مبشرًا بالجنة لمن اتقى الله ﷻ، وأطاع الرسول ﷺ، ومنذرًا، ومخوفًا من عذاب الله، والنار لمن خالف أمر الله ﷻ، وعصى الرسول ﷺ، سائلًا الله أن يجعل الجميع ممن منَّ عليه بالبصر النافذ عند حلول الشبهات، وبالعلم النافع الذي هو للقلوب حياة، ومدد؛ ولهذا جعل الله ﷻ الوحي في القرآن ممثلًا بالماء؛ لأن به حياة القلوب؛ ولأن به صحة النظر، والإدراك عند حلول، وظهور المشتبهات.

إن مقتضى هذا اللقاء هو التواصل الذي هو قائم على العناية، والتشاور ما بين طلبة العلم، والدعاة، والوعاظ، والمرشدين، والمسؤولين عن ذلك كله، وأيضًا: اقتضاه ما جد في زمن أراد الله به،

وقدر أمورًا ضخمة كبيرة مبتدؤها، ومنتهاها أثرها عظيم على الناس، وعلى هذه الأمة بخصوصها.

إن الواجب على أهل الإيمان بعامة، وعلى طلبة العلم، والدعاة، والمرشدين، والوعاظ، والمسؤولين عن الأمور الدينية بخاصة، أن يكونوا قدوة للناس حين تحدث الحوادث، وتختلط الأمور، ولنا في سلفنا الصالح الأسوة الحسنة، فإنهم ـ رحمهم الله ـ من تابعين، ومن بعدهم، والصحابة ﷺ قبلهم ـ أيضًا ـ كلما أتت الفتن، أو تقلبت الأمور، أوصوا فيها بما هو الحق، البعيد عن طرفي الغلو، والجفاء، وهذا أصل من أصول أهل السُّنَّة والجماعة ـ كما هو معلوم ـ، أنهم أهل وسطية في الأمور، ليسوا مع أهل الغلو في غلوهم، وليسوا مع أهل الجفاء في جفائهم، وليسوا مع أهل الخوف حين يخاف الناس إلا من الله ﷻ، وليسوا مع أهل الأمن من مكر الله ﷻ حين يأمن الناس، ويكونون في دعة.

وهذا كما وصف عمر بن عبد العزيز رحمه الله الصحابة ﷺ، وسادات التابعين بقوله: **«قِفْ حيثُ وَقَفَ القومُ، فَإِنَّهُم عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا، وبِبَصَرٍ نافِذٍ كَفُّوا...»**[1].

---

(١) رواه أبو داود في سننه، باب لزوم السُّنَّة، (٤٦١٢) مطولًا، ورواه ابن بطة في الإبانة الكبرى ـ كتاب الإيمان [(ح١٦٤) (١/ ٣٢٢)]، وذكره المؤلف في كتابه ذم التأويل [(١/ ٣٤) (ح٦٨)]، ورواه أيضًا فيه عن عبد العزيز الماجشون (٦٧) قالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ﷺ: **«قِفْ حيثُ وَقَفَ القومُ، فَإِنَّهُم عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا، وبِبَصَرٍ نافِذٍ كَفُّوا، وَلَهُمْ عَلَى كَشْفِها كانوا أَقْوَى، وبالفَضْلِ لوْ كانَ فيها أَحْرَى، فَلَئِنْ قُلْتُمْ حَدَثَ بَعْدَهُم، فَمَا أَحْدَثَهُ إلا مَنْ خَالَفَ هَدْيَهُمْ، وَرَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِمْ، ولقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ ما يُشْفِي، وتَكَلَّمُوا مِنْه بما يَكْفي، فَما فَوْقَهُم مُحَسِّرٌ، وما دونهم مُقَصِّرٌ، لَقَدْ قَصَّرَ عَنْهُم قَوْمٌ فَجَفَوْا، وَتَجاوَزَهُمْ آخَرُون فَغَلَوْا، وإِنَّهُمْ فِيما بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مستقيمٍ».**

حين نقول: إنه يجب على طلاب العلم أن يتعرفوا على منهج السلف عند تقلب الأحوال، والدهر، والله ﷻ يبتلي عباده، لا بد أن نرجع إلى منهج السلف متعرفين على هذا المنهج، متفقهين في الكتاب، والسُّنَّة؛ لأن هذا فيه النجاة، وهذا أصل أصيل لا شك فيه.

إن هذه التقلبات التي حصلت، تسمعون الكلام الذي تكلم الناس فيه، وقد تكلم فيه من ينتسب إلى الإسلام، وتكلم فيه المسلمون بجميع طبقاتهم: من علماء، ومن دعاة، ومن متحمس، ومن متعجل على أصناف الأقوال التي قيلت.

وتكلم فيه أصحاب الإرجاف من أصحاب القنوات الفضائية المختلفة التي يخشى على من أدمن النظر إليها، والمتابعة فيها أن ينحرف عن المنهج إلا إذا كان قوي الصلة بالقرآن، والسُّنَّة، وبمنهج السلف الصالح، وهذا يتطلب مني أن أذكر لكم، وأن أتشاور معكم، وأبحث معكم في ذلك، مبتدئًا بأصول مهمة من نصوص الكتاب، والسُّنَّة ومنهج السلف، وهدي العلماء في هذا الأمر العظيم:

أما الأصل الأول: فإن المسلم يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه[1]، والقضاء والقدر ماضيان، ولكن قضاء الله ﷻ، وقدره مرتبط بالعلل: العلل الكونية، والعلل الشرعية، فيصيب الله ﷻ أمة الإسلام بسبب ذنوبها تارة، وابتلاءً، واختبارًا تارة، ويصيب الله ﷻ - أيضًا - الأمم غير المسلمة، أو أمة منها، أو طائفة منها يصيبها بما يصيبها عقوبة تارة؛ لما هي عليه من مخالفة لأمر الله ﷻ،

(١) كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي (٢١٤٤) من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ**».

أو لتكون عبرة لمن اعتبر، أو يكون فيها ابتلاء للناس، هل ينجون، أو لا ينجون؟

قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وهذا في العقوبات التي أصيبت بها الأمم، العقوبات الاستئصالية العامة، وكذلك العقوبات التي يكون فيها نكاية، أو يكون فيها إصابة لهم.

إن هذا الأمر مما يحصل مرتبط بالتعلل بعلل، ومن معتقد أهل السُّنَّة والجماعة: أن القضاء من الله ﷻ معلل بعلل كونية، وعلل شرعية نعلمها، وهذا ظاهر في الحال.

وهناك أمر آخر متعلق بهذا الأصل، وهو: أن الأمة الإسلامية ـ أيضًا ـ والمسلمين يبتلون بهذه الأمور، وهذا الابتلاء؛ لينظر في الأمر من يرجع فيه إلى أمر الله ﷻ معتصمًا بالله، متجردًا، متابعًا لهدي السلف، ممن تصيبه الفتنة قلَّت، أو كثرت، فهو ابتلاء عظيم من أنواع الابتلاء للأمة، والأمة يبتليها الله ﷻ بالتفرق فرقًا، وأن تكون أحزابًا، وشيعًا إذا تركت أمر الله ﷻ.

يدل على ذلك ما قصه الله ﷻ علينا من خبر الأمم التي قبلنا، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩].

كان عندهم العلم النافع، ولكن تفرقوا لا بسبب عدم وجود العلم النافع، ولكن بسبب بغي بعضهم على بعض، وعدم رجوعهم إلى هذا العلم العظيم الذي أنزله الله ﷻ، تفرقوا في العمل، وتركوا بعضه.

ومنهم الذين اتبعوا المتشابهات، قال الله ﷻ في شأنهم: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧]، فأثبت وجود الزيغ في قلوبهم أولًا، ثم اتباع المتشابه ثانيًا؛ ولذلك جاء مرتبًا بالفاء.

ففي النصوص ما يشتبه، لكن من في قلبه زيغ يذهب إلى النص، فيستدل به على زيغه، وليس فيه مستمسك له في الحقيقة، لكن وجد الزيغ، فذهب يتلمس له، وهذا هو الذي ابتلي به الناس في زمن الصحابة ﷺ، وفي زمن التابعين حصلت فتن كثيرة في هذا الأمر وصلت حد القتال، والملاحم، مما هو معلوم في التاريخ، والسير.

إن ما جرى لهذه الأمة ـ أيضًا ـ ابتلاء عظيم، فهل ترجع إلى الأصل الأصيل، وهو: كتاب الله ﷻ، وسُنَّة رسوله ﷺ، وهدي السلف الصالح، وكلام أهل العلم الراسخين فيه؟ أم أنها لسبب عدم رجوعها إلى العلم يحصل في قلبها زيغ، فتتبع المتشابه، فالمسألة ابتلاء كبير في هذا الأمر العظيم.

الأصل الثاني: أن كل مسلم، وأهل العلم، والدعاة بخاصة، في قلوبهم العقيدة التي هي أغلى عليهم من كل شيء؛ لأنها سبب النجاة، ومن معتقدنا: تحقيق الشهادتين: شهادة أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، بل هذا أساس المعتقد، وفيها موالاة الله ﷻ، ورسوله ﷺ، والدين، والبراءة من الكفر، والشرك، وهذا يستلزم عقد الموالاة بين أهل الإيمان.

وهذا الأصل، وهو: عقيدة الولاء، والبراء يجب على كل مسلم أن يستمسك به؛ لأنها أساس دينه، وأساس الملة؛ لكون النبي ﷺ كان محققًا لها وهو في مكة، وكان محققًا لها وهو في المدينة، فكان محققًا لها ﷺ، وهو الأسوة، والقدوة في كل أحواله.

وفي قصة الحديبية لما أتى النبي ﷺ مريدًا مكة، وجاءه المشركون، وهم في ذلك الوقت أضعف، فأرادوا من النبي ﷺ أن يرجع، وحصل بينه، وبينهم عهد غليظ أقره ﷺ، حتى إنه كان فيه: «فَاشْتَرَطُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكُمْ، وَمَنْ جَاءَكُمْ مِنَّا رَدَدْتُمُوهُ عَلَيْنَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَكْتُبُ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ سَيَجْعَلُ اللهُ لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا»[1]، وهذا استنكره عمر رضي الله عنه وقال: «أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَهُمْ عَلَى البَاطِلِ؟ أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الجَنَّةِ، وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ، وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا، فَقَالَ: يَا ابْنَ الخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللهُ أَبَدًا»[2]. فكان الحق ما أمر به النبي ﷺ، وعمل به الصحابة رضي الله عنهم.

قال ﷻ في شأن بعض المسلمين: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ [الأنفال: ٧٢].

قال ابن كثير رحمه الله في التفسير: «وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ هؤلاء الأعراب، الذين لم يهاجروا في قتال ديني على عدو لهم، فانصروهم، فإنه واجب

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٤) عن أنسٍ رضي الله عنه، «أَنَّ قُرَيْشًا صَالَحُوا النَّبِيَّ ﷺ فِيهِمْ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَلِيٍّ: اكْتُبْ، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا بِاسْمِ اللهِ، فَمَا نَدْرِي مَا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مَا نَعْرِفُ بِاسْمِكَ اللهُمَّ، فَقَالَ: اكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ، قَالُوا: لَوْ عَلِمْنَا أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ لَاتَّبَعْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبِ اسْمَكَ وَاسْمَ أَبِيكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، فَاشْتَرَطُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكُمْ، وَمَنْ جَاءَكُمْ مِنَّا رَدَدْتُمُوهُ عَلَيْنَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَكْتُبُ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ سَيَجْعَلُ اللهُ لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا».

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٤٤)، ومسلم (١٧٨٥).

عليكم نصرهم؛ لأنهم إخوانكم في الدين، إلا أن يستنصروكم على قوم من الكفار ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾؛ أي: مهادنة إلى مدة، فلا تخفروا ذمتكم، ولا تنقضوا أيمانكم مع الذين عاهدتم، وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما[(١)].

ولذلك يجب الاستمساك بهذا الأصل، ومعرفة أن كماله هو الرجوع إلى هدي النبي ﷺ في أحواله كلها، فالنبي ﷺ، وصحابته كانوا هم القدوة، والأساس في الولاء، والبراء، وهم في مكة، وكانوا هم القدوة وهم في المدينة، وفي جميع الأحوال، وهذه مسألة يجب على الدعاة أن ينظروا فيها، وليس دائمًا الأشد، والأغلظ في كل زمان ومكان، هو المحقق لمعتقد الولاء، والبراء.

وتفاصيل الكلام في هذه المسائل لا يطرح على العامة، سواء في الخطب، أو في الوسائل المختلفة، وإنما يبحثه العلماء.

قال الشيخ العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب: «**وخضتم في مسائل من هذا الباب ـ كالكلام في الموالاة، والمعاداة، والمصالحة، والمكاتبات، وبذل الأموال، والهدايا، والحكم بغير ما أنزل الله عند البوادي، ونحوهم من الجفاة ـ لا يتكلم فيها إلا العلماء من ذوي الألباب، ومن رزق الفهم عن الله، وأوتي الحكمة، وفصل الخطاب**»[(٢)].

إن العلماء من جميع الأمصار من أهل العلم، والفقه، والنظر الصحيح، أجمعوا على أن إزهاق الأنفس بغير حق مخالف لهذه الشريعة، وأن الاعتداء على الأنفس المعصومة، سواء كانت عصمتها

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٨٥ ـ ٨٦).

(٢) انظر: عيون الرسائل والأجوبة على المسائل (١/ ١٦٦).

بالإسلام، أو كانت عصمتها بالعهد، والأمان، مخالف لشريعة الإسلام، بل مخالف لكل الشرائع التي جاءت من عند الله ﷻ.

والعقلاء - أيضًا - يتفقون على هذا؛ لهذا حصل ما تعلمون من نفي أن يكون ما حصل في أمريكا من الاعتداء موافقًا للشريعة، أو أنها تقره، أو أنه يرضاه الإسلام، أو أهل الإسلام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

ويجب على الجميع النظر في هذا الأصل نظرًا بالغًا، وقد قال ﷻ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

وإن أمريكا قادرة على أن تعطي أهل الحق حقهم، ثم هي لم تعط للمسلمين في فلسطين الحق الثابت لهم، وهذا - أيضًا - مخالف لشرائع الله ﷻ جميعًا؛ لأن الله - تعالى - يأمر بالعدل، وينهى عن البغي.

إن العدل مطلوب من المسلم، ومن غير المسلم، والعدل مأمور به في كل حال، ولا بد من التعامل على أساس إحقاق الحق، وإبطال الباطل.

إن الظلم، والعدوان على المسلمين في فلسطين، والإرهاب الذي يمارسه العدو اليهودي عليهم، وكثرة القتلى، والجرحى فيهم لمدة سنة كاملة نمط من التساهل الأمريكي مع قضايا المسلمين.

إننا في ذلك ننطلق من شريعتنا، وهذا أمر بين ظاهر، فلا نجعل هذا الأمر يزيد عن الحد، ونذهب إلى أمور غير مقبولة من التكفير، ومن إساءة الظن بعلماء المسلمين، وولاة أمورهم، وتحميل الأمور فوق ما تحتمل.

ولا بد من الحذر من اللوبي العالمي الإعلامي الذي يعتبر مصدر المعلومات التي تنشرها القنوات الفضائية، وعلى المسلمين أن يقفوا وقفة تأمل، ما الذي يراد شحنه في نفوس أهل الإسلام حتى يوصل إليه؟

والحذر الحذر أن يقع بأس الأمة بينهم، فتنشب الأمة في نفسها، وكل بلد تكون فرقًا، وأحزابًا؛ ليبغي بعضها على بعض، ويقتل بعضها بعضًا، ولذلك، فإنه بالتوسط الذي هو معتقد أهل السُّنَّة، والجماعة، والتأني، والرفق تدرك الأمور.

الأصل الثالث: أننا واثقون بوعد الله ﷻ؛ لأن وعد الله ﷻ لا يرد، ولا يتخلف، وقد قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح: ٢٨].

فدين الإسلام انتشر في السنوات الأخيرة انتشارًا بينًا، وصارت الأعمال الإسلامية من إنشاء المساجد، والدعوة، وتبيين معالم الدين في العالم كله لها صوت كبير، وقوي، وهذه البلاد بخاصة كان لها بتوجيهات ولاة أمورنا ـ وفقهم الله ﷻ لكل خير ـ النصيب الأكبر من حمل الدعوة الإسلامية إلى الغرب، وأوروبا، وأمريكا، وإلى مشارف الأرض، ومغاربها، وهذا يعني أن المحافظة على نشر هذا الدين أصل من الأصول العظيمة؛ لأنه جهاد دائم ماض، وهو جهاد الحجة، والبيان.

إن هذا الحدث قلب الأمور، وقد يكون من آثاره في الصد عن الدعوة، وعن الدخول في دين الله ﷻ ما الله به عليم، لكن يجب علينا الثقة بوعد الله، وحسن الظن به ﷻ، وأن نمضي في دعوتنا بعيدين عن أهل الغلو في غلوهم، وعن أهل الجفاء في جفائهم، نحن أمة وسط، نرشد، ونعلم ما ينفع الأمة، ولا يضرها.

الأصل الرابع: أن يحذر دعاة الإسلام من أن يكون أحدهم ممن يقذف حجرًا يسبب فرقة هذه الأمة؛ لأن هذا أعظم، فإيغار الصدور في داخل بلاد الإسلام بكثرة الطرق عليها عبر وسائل الإعلام المسموعة، والمقروءة، والمرئية، ثم يأتي دعاة الإسلام، فلا يوجهون الناس إلى ما ينفعهم، بل يزيدون على نفس الوتيرة التي تقولها القنوات؛ لجعل النفوس تغلي، فتارة باسم الولاء والبراء غير المنضبط شرعًا، وتارة دعوة للجهاد في سبيل الله، وأخرى بغير ذلك، فهذا كله يشحن النفوس دون توجيه صحيح فيما ينفعها، والنتيجة هي أنها ستتشاحن، وتتفرق.

إن جر المعركة إلى داخل البلاد الإسلامية أمر جلل عظيم، سوف يكون كل بلد فيه مصيبة، وسوف يترك الناس يتطاحنون، مثل: ما حصل في أفغانستان في نفسها، عندما انتهت الحرب مع الاتحاد السوفيتي، وطحن بعضهم بعضًا، وبقيت الخلافات، ولم يجتمع الأفغان على ولاية واحدة حتى الآن، هذا لا يقر لهذا، وهذا لا يقر لهذا، وإن كان هناك ولاية أغلبية حصلت، لكن ليس هناك اتفاق من الجميع، بل فيه تنازعات، وقتل، وحتى حصل قتل الكثير من زعماء الفرق، والفصائل الموجودة.

فلهذا واجب على كل داعية من دعاة الإسلام، وكل مرشد، وواعظ، وعلى كل طالب علم أن يحافظ على حماية بيضة المسلمين، وعدم تفرقهم بعد اجتماعهم على ولاة أمرهم؛ لأن في هذا من تحقيق المصالح، ودرء المفاسد الشيء الكثير، ويفوت الفرصة، أو الغرض على أعداء الإسلام ممن يتربصون الدوائر بهذه الأمة.

وعلى الدعاة الانتباه، والحرص في كلماتهم على ما ينفع الناس، والحذر من شحن النفوس، وهم لا يعرفون ما ستكون الأبعاد لهذا

الشحن الذي قد لا يكون منضبطًا بالضابط الشرعي، فإرشاد الناس، أو بيان الواقع يحصل إذا كانت النفوس خالية من الشوائب، والآثار السلبية، لكن إذا كانت النفوس مليئة، وذلك بسبب جلوس الناس أمام هذه القنوات، يسمعون منها ليلًا، ونهارًا، فيأتي الداعية الخطيب، ويشعلها زيادة، أين سيتجه الناس؟ ليس ثمت اتجاه إلا إلى زيادة ما في النفوس من اختلافات، وسوء ظن، وترك الجماعة؛ لأن الناس اليوم يختلفون عن ذي قبل.

فالحذر من أن يدعو الداعية إلى ما يضر الناس، ولا ينفعهم، وفي عهد صحابة رسول الله ﷺ في زمن علي، ومعاوية رضي الله عنهما حدثت وقعة صفين، ووقعة الجمل، ومما سطره أئمة الإسلام في معتقد أهل السُّنَّة والجماعة: أن هذه الحروب التي دارت بين الصحابة رضي الله عنهم ليس الصحابة رضي الله عنهم طرفًا فيها، فالصحابة رضي الله عنهم وجدوا أنفسهم يتقاتلون، وهم لم يشعروا؛ لأن الخوارج أشعلوها، كما ذكره العلماء في كتب المعتقد، وقد ذكره شيخ الإسلام في مواضع، وبين من خلالها كل ما يتعلق بهذه الفئة من المعتقدات، وما أحدثوه من الفتن، والشرور بين أبناء الأمة الإسلامية، وذكره شارح الطحاوية.

فالخوارج سعوا بين الطرفين؛ ليقع هذا، فسعوا هنا بشيء، وسعوا هناك بشيء آخر؛ ليحدث القتال، فيتقاتل الصحابة، ويعلو ما يزعمونه حقًا من رفع راية ظاهرها حق، وباطنها باطل، وهي: لا حكم إلا لله.

فتقاتل الصحابة رضي الله عنهم في أعظم مصيبة في التاريخ الإسلامي، وصار من عقائدنا: سلامة ألسنتنا، وقلوبنا من الغل، والنيل ممن حصل بينهم القتال، وما أشبه الليل بالبارحة، فالنفوس إذا زادت وزادت، فإنه يحصل من فئة إما بإدراك، أو بغير إدراك، إما بقصد، أو بغير قصد أن توقع

الناس في صراعات، ومقاتل، ومعارك، وهم لا يشعرون، ولن ينتبهوا إلا إذا وقعت، وإذا وقع السيف، فمتى يرفع؟

الحذر.... الحذر... من هذا الأمر، والتنبه، واليقظة إلى هدي السلف، وإلى الفتن، والمقاتل التي حصلت في ذلك.

الأصل الخامس: أن الجهاد في سبيل الله ﷻ من صفة هذه الأمة، كما ذكره ﷻ في كتابه، وبينه النبي ﷺ في سنته قولًا، وفعلًا، وله أحكام مدونة في كتب العلماء، والتفاسير، وشروح الأحاديث، فالله ﷻ يقول: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾ [النساء: ٨٣، ٨٤].

وجاء رجل إلى النبي ﷺ كما في الحديث الصحيح المعروف، يستأذنه في الجهاد فقال له ﷺ: **«أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»**[1].

وأجمع أهل السُّنَّة والجماعة على أن الجهاد ماض مع كل إمام إلى قيام الساعة[2] هذه أدلة من ثلاثة أصول: الكتاب، والسُّنَّة، وإجماع أهل السُّنَّة في معتقداتهم نأخذ منها أمورًا:

أولًا: أنه ليس للأفراد مهما كانوا أن يدعوا إلى الجهاد، فالذي يدعو إلى الجهاد هو ولي الأمر؛ لقول الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿وَحَرِّضِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٤، ٥٩٧٢)، واللفظ له، ومسلم (٢٥٤٩) من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما.

(٢) انظر تفاصيل هذا البحث في: شرح الطحاوية لشيخنا صالح آل الشيخ ـ حفظه الله ـ (١٨٦/٢ ـ ١٨٩)، واللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية (٤٨٩/٢ ـ ٥٠٤).

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤] ولفهم الصحابة ﷺ؛ حيث أتاه رجل يستأذنه، ولم يذهب بدون إذن.

وكذلك فيما أجمع أهل السُّنَّة عليه: أن الجهاد ليس مع فئات، أو جماعات، الجهاد مع ولي الأمر، مع الإمام، إذا دعا إليه، ولذلك، فإنه ليس لأحد من الناس أن يفتئت على ولي الأمر فيما أعطاه الله.

والجهاد من أعظم، وأكبر ما يختص به ولي الأمر، فإذا كان آحاد الناس سيدعون إليه، فإنه بذلك تحل الفوضى.

ومتى يدعو الناس إليه، أو العلماء، أو طلبة العلم؟

إذا دعا إليه ولي الأمر؛ لهذا قال ﷻ: ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤]، فالمؤمنون تبع لولي أمرهم في ذلك.

وهنا مسألة أصولية مهمة، وهي: أن تصرفات النبي ﷺ، وأعماله تحمل على أمور: تارة يقول، ويعمل، ويتصرف لكونه رسولًا نبيًا، وهذا فيما يخص الوحي، وتبليغه، والتشريع، والنهي، والحلال، والحرام، وما يتعلق بذلك.

وتارة يتصرف، ويفعل، ويقول ﷺ باعتباره وليًا للأمر، وإمامًا للمسلمين، فيحمل القول، والتصرف على هذا الاعتبار.

وتارة لكونه قاضيًا، وتارة لكونه مفتيًا، وتارة لكونه مرشدًا، وناصحًا[1]، وهكذا؛ لهذا قال الله ﷻ لعموم الأمة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

---

(١) انظر: أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية للدكتور محمد سليمان الأشقر.



محاضرة

منهج لإصلاح العقل في الفكر الإسلامي في الملتقى الثقافي لسمو الأمير تركي بن طلال بن عبد العزيز آل سعود

المقدم:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أهلًا وسهلًا بمن حلّوا ومن زاروا	أهلًا وسهلًا أتاك السعد يا دارُ
جاءت وفود إلى صرح العلا فأتى	نورٌ يشع وخلف النور أنوارُ

في ليلة أخرى من ليالي رمضان المبارك، ليلة نحتفي بحفيد من أحفاد المجدد العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ صاحب دعوة التوحيد، وهل هناك أعظم من توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ، وهو الذي من أجله خُلِقَ الثقلان، وبه جاءت دعوة الرسل والأنبياء كافة.

نعم، نرحب نحن وإياكم بمعالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، وأكتفي بهذا التعريف؛ فهو علمٌ، وأخشى أن أعرف المعرف، فأنقص من حقه، نرحب به في هذا المجلس الطيب المبارك، الذي امتد على مدى عقدين من الزمن، عشرون عامًا نلتقي فيها بالعلماء والأدباء والمفكرين، ننهل مما لديهم، فنحمد الله، ونشكر لصاحب الفضل فضله أن أتاح لنا هذه الفرصة، لا أطيل في المقدمة، وأترك المجال لفضيلة شيخنا، ونرحب به، حياكم الله شيخنا!



الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله رسوله وصفيه وخليله، أشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، حتى تركها على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعده ﷺ إلا هالك، اللَّهُمَّ، صل وسلم عليه في هذه الليالي المباركة، وطول الليالي كلما صلى عليه المصلون، اللَّهُمَّ صل وسلم على عبدك ورسولك محمد كلما غفل عن الصلاة عليه الغافلون، **أما بعد:**

سمو الأمير، أيها الإخوة الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في فاتحة هذا اللقاء أشكر لصاحب هذا الملتقى الثقافي سمو الأمير الودود، **تركي بن طلال بن عبد العزيز** الذي حرص على أن يكون للقلب نصيب من الإحياء، وأن يكون للعقل - أيضًا - نصيب من الإحياء.

وهذه الملتقيات والليالي الرمضانية المباركة الثقافية والدينية مفاتيح لرؤية يراها المسلم، يراها الإنسان فيما يصلحه في دنياه وفي آخرته، ولا شك أن المرء لا يمكن أن يضيع نفسه؛ لأنه إذا ضيع نفسه بترك إصلاحها - في روحها، وفي عقلها، وبدنها -، فإنه قد فرط تفريطًا كثيرًا، فلسمو الأمير الشكر والتقدير على عقد هذه اللقاءات بعامة، وله مني الشكر الخاص على دعوته الكريمة لي واتصاله وحسن التنسيق لهذا اللقاء.

أيها الإخوة الكرام، لا شك أن الموضوعات الثقافية والموضوعات الشرعية كثيرة جدًا، واليوم العصر الحاضر هو عصر المعلومات، وعصر الحوار، وعصر تجاذب الأفكار، حتى إن كل أحد ممن لديه بعض المعلومات يورد، ويجادل، ويحاور بقدر ما عنده من ذلك، وتجاوز الأمر الإيرادات بما يعلم الإنسان، إلى أن يكون كثير ممن يحاورون، ويجادلون، ويؤثرون فيمن حولهم، أو في مجتمعاتهم بأنواع من التأثير، آل الأمر إلى أن يكونوا - أيضًا - مصدرين لأحكام، أو موجهين للعقول، أو موجهين للمجتمع بأسره، وهذا له شق إيجابي، ولكن له شق يحتاج إلى نظر وتبصر، من هنا جاء اختيار الموضوع الذي سأتحدث عن بعض أطرافه، وهو اجتهاد مني فيما رأيت فيه بعض الحاجة للتعرض له.

جزء مهم في الحياة - بل هو الحياة - كيف يفكر الإنسان في كل حياته، فضلًا عن التفكير في أعز ما في الحياة، وهو الدين والإسلام والتلقي عن الله وعن رسوله ﷺ.

هذا التفكير يسبح فيه الناس في مناح شتى، يفكرون بأنواع من التفكير، فأصبحت نصوص الكتاب والسُّنَّة أو المواد الشرعية أو العلوم الشرعية من الفقه والحديث أصبحت مسرحًا لكل أحد ينظر فيها، ويفكر، ويستنتج، ويحكم بدون معرفة بمنهج التفكير في ذلك.

العقل في تعاطيه للتفكير فيما يُنتج أنواعًا من الفكر؛ لأن التفكير عملية، والفكر نتيجة، والعقل وسيلة، فيما ينتج هذا الفكر الذي قد يسمى فكرًا إسلاميًا، أو قد يسمى فكرًا ثقافيًا، أو قد يسمى فكرًا اجتماعيًا بأنواعه، عملية العقل في التفكير هذه تحتاج إلى مقدمات؛ حتى نضمن بها أن يكون العقل يصل إلى صواب النتيجة في تفكيره. وهذه

الزاوية لم أر فيها البحوث، ولا المقالات، ولا الاهتمام من ذوي الشأن ما تستحقه من العناية.

الملاحظ أن لدينا حَرَاك إسلامي كبير - معنى إسلامي يعني: في العالم الإسلامي، وليس بخصوص الفكرة الإسلامية أو العلوم الإسلامية -، حاليًا عندنا في بلدنا حراك كبير متنوع، لكن تلحظ أن التفكير يأخذ في كل منحى، وكأنه لا منهج يربط طريق التفكير حتى يكون هناك تقارب في التفكير للوصول إلى النتيجة؛ لأن التفكير وسيلة، والعقل أداة، والنتيجة هي الفكر، منتجات الفكر التي هي تخدم الناس في الوصول إلى ما يريدون الوصول إليه من الأهداف.

هذا ينبني على مقدمات لا بد أن نقدم بها، وهي أهمية العقل في بنية الإنسان، في خلق الإنسان، وأهمية العقل في الشرع بنصوص الكتاب والسُّنَّة، وأهمية العقل في فقه دين الله - التفقه -، وأهمية العقل في التشريع والاجتهاد، وأهمية العقل في نواحي الحياة كلها: الحياة الاجتماعية، الحياة الأسرية، الحياة الوظيفية، حتى في المال والأعمال، ليس العاقل كغيره؛ لذلك مدار الحياة على قدرة العقل على التفكير الصائب.

العقل يتعرض له بعض الناس بأن العقل هذا ليس مهمًا، وإنما اهتم به المناطقة، واهتم به الفلاسفة، واهتم به من يتكلمون في اللاهوت وعلوم الكلام ونحو ذلك. هذا ليس صحيحًا، بل العقل هو مناط التشريع، وهو لب خلق الإنسان، الإنسان يميزه عن الحيوان هذا العقل القوي، قال ﷻ: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن: ٣، ٤]، البيان: ألفاظ صادرة عن عقل مدرك[1].

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ٢٠٥)، والقرطبي (١٧/ ١٥٢)، وابن كثير (٧/ ٤٥٢).

هذا يعطينا اهتمام الكتاب والسُّنَّة الكبير بالعقل، قال الله ﷻ في آيات كثيرة يعظم من عقل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٢﴾ [النحل: ١٢]، وقال ﷻ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ٤٣﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ٣٧﴾ [ق: ٣٧]. فقوله: ﴿قَلْبٌ﴾؛ أي: عقل. والآيات في هذا المجال كثيرة.

السُّنَّة النبوية: النبي ﷺ قال في حجة الوداع، وهو يخاطب الأمة: **«نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»**[١]، هذه وسيلة ناقل، ثم قال: **«فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَا فِقْهَ لَهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»**.

ولهذا كان العقلاء في أي أمة أقل من عامة الأمة، العقلاء الذين هم النخبة، أو ما يسمى بالحكماء هم النخبة؛ يعني: من يعقلون الأمور على ما هي عليه، إما تمامًا أو كمالًا، هذا يعطي أهمية الاهتمام بالعقل، وتنميته، وتدريبه، والاهتمام بتعليم العقل كيف يعقل، وكيف يفكر في الأمور الشرعية حيث هي.

إبراهيم الخليل عليه السلام لما ناظر المشركين، أحيا فيهم الفكرة العقلية في رد الشرك، قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام: ٧٧]؛ يعني: أهذا ربي؟! يخاطبهم.

وإبراهيم الخليل عليه السلام - كما في عقائد أهل السُّنَّة والجماعة - كان مناظِرًا، لا ناظِرًا[٢]؛ يعني: إنه كان يحتج عليهم بأمرٍ عقلي بسيط؛ ليصل به إلى النتيجة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٥٦)، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه (٢٣٠).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩٣).

فإذًا؛ استخدام العقل في التفكير، وتميز من يعقل على من لا يعقل له شأن كبير في نصوص الكتاب والسُّنَّة وفي سير الأنبياء.

إذا نظرنا إلى سُنَّة الحياة كذلك، مما أجمع عليه الناس مدح العاقل وذم غير العاقل، بهذا نلخص المقام في أن الإنسان بكله يوصف بأنه كائن عاقل؛ لهذا قال ﷻ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد: ١٠].

التجديد مطلوب شرعًا، قَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**»[١]؛ يعني: يوضح لها دينها، يبيِّن لها دينها، يجعله بعد ما خلط وصار غير واضح للناس واضحًا.

هذا التجديد في الدين لا بد معه من تجديد وسيلة فقه الدين، ووسيلة تلقي الدين، والوسيلة هي العقل، ولذلك نرى أن كثيرًا من الوسائل المتجددة بحسب العصور لا يمكن الاستفادة منها إلا بعقل يميز ما بين مناسبها من عدمه، وقويها من ضعيفها.

التجديد مهم، بل هو جزء مما مدحه النبي ﷺ، وطلبه، لكن لا يمكن التجديد إلا بتجديد العقل؛ يعني: بإصلاح العقل؛ لذلك صار منهج إصلاح العقل مهم في نتيجته، وهي تجديد الدين الإسلامي.

أحد الفلاسفة الفرنسيين «هنري لاوست» له عدة كتب، من ضمن ما قال: «إن ابن تيمية وتبعه ابن عبد الوهاب صححا العقل الإسلامي بتخليصه من الخرافة؛ ولذلك قبل الناس هذا التجديد، وهذا التغيير في الحياة».

فأولًا: تخليص العقل من قبول الخرافة هذا جزء مهم من التجديد،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩١)، والطبراني في الأوسط (٦/ ٣٢٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦٧، ٥٦٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

الذي عمله فيما سبق؛ حتى يكون هناك قبول للتجديد العام في فهم الشرع والالتزام به.

هذه مجرد لفتة فيما قال، وهذا صحيح؛ لأن - وبالتجربة - لا يمكن أن يدخل في التجديد الصحيح للدين إلا من كان عنده حسن تجديد لنمط تفكيره وعقله لذلك.

إذًا رأينا أن تجديد الدين يحتاج إلى أمرين:

الأول منهما: الثبات على الأصول، والتجديد معناه: تجديد ما هو موجود؛ يعني: جعل ما هو موجود جديدًا؛ يعني: جعل ما عندنا جديدًا.

الذين يهاجمون الموروث بإطلاقه بعيدون كل البعد عن التجديد المطلوب.

ثم إن للتجديد وسيلة أو وسائل متنوعة، من وسائله - مثلًا - في المجال الديني: تجديد الخطاب الديني، أو تجديد الخطاب الإسلامي، تجديد الخطاب الديني معناه: تجديد وسائل إيصال الدين إلى الناس.

فإذًا؛ عندنا لا بد أن يكون هناك نقاء في الأصول، ثم وضوح فيها، ثم بعد ذلك يكون هناك تجديد للوسائل في ذلك.

الوسائل ليس معناها الوسائل التي هي الآلات؛ يعني: استخدام موقع الكتروني، أو استخدام كتاب، أو استخدام شريط، أو نحو ذلك، لا. الأمر أكبر من ذلك، وإنما هي وسائل التأثير على الناس، فمثلًا؛ الحماس، التحميس، التهييج، الانتقاد، الإحباط، العناصر التي تستخدم كوسائل للفت الناس لنظر ما في الأمر الديني أو الشرعي، هذا يعطينا الكثير من التفريق في الوسائل ما بين الوسائل المقبولة والوسائل غير المقبولة؛ يعني: تجديد الوسائل كان أمرًا مهمًا أن ينظر فيه، وتجديد الوسائل له صلة مهمة في صناعة العقل.

مثال: تجربة مررنا بها في العمل - مثلًا - عقلية الخطيب والداعية، كيف يتعامل الخطيب، أو كيف يتعامل الداعية مع الأمور التي تحصل فيما حوله؟

كان هناك عدة وسائل يستعملونها لتنبيه الناس على القضايا التي يريدون معالجتها، من ضمنها - مثلًا - وسيلة التهييج على المنابر على الخطب، بمعنى جعل الناس مشحونين مشحونين، إما بأمور معاصرة، وإما حتى بالقصص التاريخية، إما للصحابة أو الأنبياء أو نحو ذلك مما يجعل تفكير المتلقي العقلي في الأمور غير منضبط، هو يعطي وسيلة، لكن نتيجة غير منضبطة، فتعطي عقلًا للشرع غير منضبط، ومن ذلك ظهر الكثير من الجماعات والأفكار والمدارس المتنوعة الغالية والمنحرفة نتيجة لعدم عقل الوسيلة في بينونتها ما بين الملقي والمتلقي، هناك دائمًا فرق بين الملقي والمتلقي، فإذا كان عقل الملقي يختلف عن عقل المتلقي، فلا بد من أن تختار الوسيلة التي توصل الفكرة؛ حتى لا يقع المتلقي في شيء أوسع مما أراده الملقي.

تجديد العقل أو منهج إصلاح العقل بهذه الكلمات مدخل للتفكير في منهج إصلاح العقل، لا تستطيع أن تغطي كل ذلك، لكن هي تفتح التفكير لمنهج لإصلاح العقل في الفكر الإسلامي.

العقل والنقل هذه كلمة دائمًا نسمعها، أهل السُّنَّة والجماعة يقولون: إن العقل وسيلة لفهم النقل - يعني: لفهم النصوص -، فلا يفرط في استعمال العقل، حتى يلغى مدلول النص، ولا يفرط في العقل بحيث لا يكون هناك مجال لفهم النص بالعقل؛ يعني: ما بين مدرسة الظاهرية التي تلغي العقل في فهم أبعاد الكلمات، وما بين مدرسة الإفراط في العقل التي تؤول الواضحة.

العقل عند أهل السُّنَّة والجماعة ثابت، وعند بعض المدارس الكلامية في العلوم الإسلامية يجعلون العقل حاكمًا على الشرع، يجعلون العقل هو القاضي، والنقل شاهد[١]، وهذا أوقع خللًا في تلقي المعارف الإسلامية في العقيدة والشريعة وفي السلوك، فأنتج أنواعًا من الفرق والمذاهب، سواء الفرق الكلامية، أو الفرق الإسلامية، أو حتى المذاهب السلوكية والتعبدية المختلفة.

فهناك ثنائية مهمة في طريق إصلاح العقل، هذه الثنائية لأن الإنسان مخلوق من عقل وعاطفة؛ يعني: روح الإنسان أكثر ما يميزها العقل والعاطفة، عقل الأشياء هو بالروح، والأجهزة التي في البدن هذه وسائل لعملها، المشاعر العاطفة هذه أساسية، فهناك صراع دائم ما بين العقل والعاطفة، ما بين العقل المدرك، وما بين الشعور المحسوس، في الغالب إن حظ الجماهير في التأثير عليها والتأثير على عواطفها وحظ النخب في التأثير عليها هو التأثير على عقولها؛ ولهذا ووجه الناس في الصراع الكبير والأكبر على الإنسان في الصراع على هاتين الصفتين - صفة العقل، وصفة العاطفة -، فهناك تنافس شديد منذ القدم على العقل المدرك والعاطفة المسيرة، ولما جاء الإسلام، ووازن ما بين العقل والعاطفة، وجعل لكل منهما نصيبه الأوفر، فجعل العاطفة مجال التمسك والإقبال على الله ﷻ ورؤية الآخرة، وجعل للعقل التمييز ما بين ما يضره وما ينفعه، قال ﷻ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد: ١٠]: طريق الخير، وطريق الشر.

(١) قال أبو حامد الغزالي في فاتحة كتابه المستصفى (ص٣): (فقد تناطق قاضي العقل، وهو الحاكم الذي لا يعزل ولا يبدل، وشاهد الشرع، وهو الشاهد المزكى المعدل، بأن الدنيا دار غرور لا دار سرور...).اهـ.

فالصراع في كل إنسان ما بين عقله وعاطفته يومي دائب في هذا الشأن، هنا لا يمكن إصلاح العقل إلا بتوازن العاطفة إذا كانت العاطفة جياشة، فإن العقل سيضعف؛ ولذلك جاء في الحديث الصحيح: «**لَا يَحْكُمْ أَحَدٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ**»[١]، وحتى الطلاق ـ عند طائفة من أهل العلم والفقهاء ـ لا يقع إذا كان في غضب شديد مغلظ، ولا في فرح شديد مذهب للإدراك، لماذا؟ لأن الإرادة العقلية المحددة التي فيها صالح الإنسان اختيارها تؤثر عليها العواطف.

فإذًا؛ الصراع ما بين العقل والعاطفة هذا صراع كبير جدًا، فمن كانت عواطفه متأثرة، فلا تقبل أحكامه العقلية ـ لا لنفسه، ولا تحليلاته، ولا دراساته... إلى آخره ـ؛ لأننا نريد حكمًا صحيحًا. القاضي لا يقضي حين يقضي وهو غضبان؛ لأننا نريد في المسائل الخلافية وفي مسائل الخصومات نريد حكمًا عادلًا، إذا كان هناك مؤثر نفسي على الحكم، على عقل القاضي، فإنه لن يكون عادلًا، سوف يذهب إلى شيء آخر ربما.

هنا يجب أن نقف وقفة في أن القرارات المهمة في حياة الإنسان يجب لصوابها في منهج التفكير أن تكون خالية من قوة المؤثرات العاطفية، المؤثرات النفسية. الجماهير يؤثر عليها بالعاطفة، ما تعرف الحقائق. الجماهير مثل ما قال ـ أيضًا ـ (لاوست)، يقول في أحد كتبه: «كم نفذت سياسات هي من الخرق بمكان في ظل ألفاظ حسنة الانتقاء»، ويقول: «الجماهير تصنع بالخطابة، وأما العقلاء فيصنعون بالبرهان.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٧) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: كَتَبَ أَبِي، وَكَتَبْتُ لَهُ إِلَى عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، وَهُوَ قَاضٍ بِسِجِسْتَانَ، «**أَنْ لَا تَحْكُمَ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَأَنْتَ غَضْبَانُ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: لَا يَحْكُمْ أَحَدٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ**».

العقلاء يصنعون بالبرهان، وأما الجماهير، فتصنع بالعاطفة، جاءت الماركسية تبعها - هو يمثل - عشرات الملايين، أو مئات الملايين يفدون بأنفسهم تجاه هذه الفكرة، لكنها فكرة عاطفية، وليست لها نصيب من موازنة العقل في كل مجال».

لذلك نرى في هذا العصر الذي نعيشه صراعًا قويًا على العقل وعلى العاطفة من كل القوى المؤثرة في العالم الخارجي أو العالم الداخلي، فكل يستبق إلى أنواع المؤثرات على عاطفة الإنسان، وعلى عقله، وبالتالي فإن المنهج الذي يكون فيه وقاية، أو فيه حماية، أو فيه تأصيل وبناء لمثل هذا الركام الكبير الموجود في الصراع على عقل الإنسان وعلى عاطفته، هذا يحتاج إلى بناء منهج للعقل في التفكير.

إذا نظرت اليوم إلى العقل الإسلامي - العقل الإسلامي يعني: العقل في التفكير الإسلامي -، نجد أن كل أحد خاض في هذا الغمار على اختلاف تنوعه: من المتقدمين خاض الفلاسفة، وخاض الحكماء، وخاض أيضًا العلماء، وخاض المجددون، جددوا الفقه... إلى آخره، وخاض، وخاض؛ لإصلاح منهج العقل.

هناك كتب كثيرة في علم المنطق، وهو يختلف عن موضوعنا، لكن - مثلًا - عرفوا المنطق بأنه: العلم الذي يُعصم به الفكر عن الخطأ. ويقصدون بالفكر: الفكر الفلسفي الكلامي، وليس عموم الفكر الإسلامي.

اليوم الكل خاض في صراع على العقل، فمثلًا البناء النفسي للأمة عبر المؤثرين على عقولها في رؤية الأمور والأوضاع الداخلية والخارجية، وفي رؤية ما يتصرفون وما لا يتصرفون فيه بناء عقلي متدرج؛ لإعطاء الناس قناعة عقلية بأن هذا الواقع صحيح، أو غير

صحيح؛ لأن هذا حق أو غير حق، حتى في مسائل يستغرب العاقل فيما بينه وبين نفسه كيف يقتنع الناس بهذه الفكرة؟! كيف عقولهم تؤديهم إلى أن هذه الفكرة صائبة؟! ولكن هذا الذي صار.

كيف يقتنع أمم من الناس بالأفكار الانتحارية؟! كيف يقتنع أمم من الناس بما يسمونه الفوضى الخلاقة؟! كيف يقتنع أمم من الناس بالثورات؟! وكيف يقتنع أمم من الناس بالإحباط النفسي، وأنه وسيلة للإصلاح؟!

أيضًا العقل في تلقي الشرع نجد أن المدارس الإسلامية مدارس متنوعة، فيها المدرسة السلفية في تلقي النصوص وإعمالها، وهناك مدارس فقهية - أيضًا - متنوعة، وهناك مدارس تنويرية، وهناك مدارس - أيضًا - هي في سلك الصف الإسلامي ليبرالية إسلامية، وكلها تذهب إلى استعمال العقل وتغيير نمط التفكير في التعامل مع النصوص أو التعامل مع الشرع، بل آل الأمر إلى أن يكون من أهداف الحركة الليبرالية والعلمانية في المملكة العربية السعودية أو في غيرها - طبعًا كانت في غيرها، وجاءت عندنا مؤخرًا - إلى الاهتمام بتشويش العقل المسلم في علاقته بالنص.

فكان مثلًا من أقوالهم: «أديموا النقد للموروثات الدينية والتاريخية؛ حتى لا يكون عند الناس غضاضة في نقد أي شيء»، يكون في العقول قابلية، عقل ناقد، أن تصنع عقلًا ناقدًا دائمًا يحجبك عن الصواب؛ ولذلك الفلاسفة في التاريخ لم يحكموا مع أنهم حكماء فيما يوصفون به.

قال أحد الفلاسفة: «لا يصلح الفلاسفة للحكم؛ لأن العقل عندهم عقل حكمة ناقد، والعقل الناقد - غير عقل القرار - غير العقل الصائب»؛

يعني: كل شيء قابل للنقاش، كل شيء للنقد لا يمكن أن الناس يمشون في حياتهم من دون أمور مقطوع بها، إذا كان كل شيء يقبل النقاش، ويقبل التفكير، والعقل له دخل في كل شيء، فإنه لا يمكن للناس العيش في أصول واحدة، إلا بلا تفكير غيبي ديني، وإنما يكون التفكير دنيويًا بحتًا.

علماء الإسلام أصلحوا العقل بالاهتمام بنقطتين أساسيتين:

أولًا: فتح باب الاجتهاد، فتح باب الاجتهاد أحد وسائل التجديد، فتح باب الاجتهاد معناه: عدم التعصب، باب الاجتهاد مفتوح، كان من أساسيات الدعوة السلفية التجديدية في وقت ابن تيمية وابن القيم، ثم في تجديدها الثاني في عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب من أساسياتها عدم التعصب للمذاهب، والتجديد في الدين، والتجديد في الفقه، وعدم التعصب، وفتح باب الاجتهاد، حتى أنه مما أثاروه على الشيخ قالوا: إنك تفتح باب الاجتهاد، وباب الاجتهاد أغلق من ثلاثمائة سنة؛ لعدم وجود مجتهد. فقال: «لا يغلق باب الاجتهاد إلى قيام الساعة».

هذا تحرير للعقل من التبعية للماضي، ولكن التبعية للماضي كما أنها لها سلبيات، فلها إيجابيات، وهنا الموازنة ما بين الانتماء للأصل وما بين الانتماء للعصر.

هذه الثنائية الأصل، التاريخ، الجذور، وما بين العصر، الصراع ما بين هاتين الثنائيتين: القديم والجديد، أو العصر والأصل، التاريخ، الدين، العقائد، المنهج وما بين العصر بوسائله ومعطياته أوقع الكثير في خلل في منهج العقل، فلا يدري أيسير مع العصر أم يسير مع الأصل؟ فضاع في الموازنة، فأنتج نتائج خاطئة - لا في الرؤية - في الفكر الإسلامي في التفكير الإسلامي، أو حتى في المسائل المعاصرة في الفقه والتجديد وغير ذلك.

من الأمثلة ـ مثلًا ـ: نظام الحكم في الإسلام ـ سبق أن ألقيت كلمة في محاضرة في وزارة الخارجية عن نظام الحكم في الإسلام ـ من الأمثلة نظام الحكم في الإسلام، لا يوجد نظام منصوص عليه؛ يعني: لا يكون النظام إسلاميًا حتى يكون ملكيًا، أو لا يكون النظام إسلاميًا حتى يكون جمهوريًا، أو لا يكون النظام إسلاميًا حتى يكون إمبراطوريًا، أو لا يكون النظام إسلاميًا حتى يكون ديمقراطيًا، إلى آخره، الشرع لا يبحث في وسيلة النظام في شكله، إنما يبحث في المضمون، الشكل هل هو ملكي، هل هو جمهوري، هل هو، هل هو؟ هذا لا قيمة له؛ لذلك كان من الأنبياء ملوك، وأيضًا يكون النظام بغير ذلك بأنواع منه، فهذا مرتبط بالنظرية السياسية في الإسلام، وهي أن الاهتمام بالمضمون لا بالشكل، المضمون ما هو؟ إقامة حكم الله، العدل، قال ﷻ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ الآية [ص: ٢٦].

إقامة العدل، أداء الأمانة، المساواة بين الناس، عدم التفريط في الحقوق، الحريات، . . . إلى آخره بحسب قواعد الشرع في ذلك، هذه الأصول وجودها هو المضمون، لكن الشكل غير مهم. الوصول للشكل لتحقيق المضمون هل هو بحكم تغلبي، أو بحكم انتخابي، أو بحكم قصري، أو بأنواع الحكم، أيضًا الشرع لا ينظر له، كيف شكل الوصول للحكم؟ وإنما القصد حياة الناس في عقلها، ومدركاتها، ومعيشتها، في أنها تكون حظية بالحياة الكريمة للإنسان، بأنواع الحياة الكريمة، أما الشكل، فهذا نوع من الوسائل، وليس من المقاصد.

هذا يعطيك أن التجديد في العقل الإسلامي يجب أن يسبق التفكير، بمعنى أنه إذا خضنا في التفكير في كل ما يلقى علينا، أصبحنا

أهل تلقي، ولا يصح أن يكون عندنا التلقي أن نكون أصحاب ردود أفعال، وإلا ستكون هذه الأمة دائمًا أمة غير فاعلة، دائمًا أمة صاحبة ردود أفعال؛ ولهذا كان هناك من المهم أن يكون هناك وعي في التفكير، في إصلاح العقل؛ لأجل أن نصلح التفكير، فكما أن التجديد في الدين مطلوب، فكذلك التجديد في العقل؛ لأنه وسيلته في ذلك.

في المجالات إذا نظرنا إلى ما سبق، فمجالات إصلاح العقل كانت متنوعة، وبها يُنتج، أو تكون النتيجة صائبة ومهمة، فمثلًا؛ إصلاح العقل في النظر إلى الكون يبعدنا عن درن الإلحاد وإنكار الربوبية، حتى على نظرية الاحتمالات، فإنه إذا تساقطت الاحتمالات، فإنه يبقى احتمال الأكبر والأقوى هو أن للكون خالقًا مدبرًا له.

فإصلاح العقل في التفكير ينتج عنه في مجال الربوبية الإيمان بالله ﷻ، أما الفوضى في العقل وفي التفكير، فينتج عنها أن الحياة مادة، ينتج عنها أن الحياة شهوانية، ولا وجود... إلى آخره، وجد الإنسان ولا غير ذلك.

إصلاح العقل من الخرافة، من الأوهام، ومن الغيبيات التي لا أصل لها يُبعد كل أنواع الشرك ـ الشرك الأكبر، والأصغر ـ، والخرافات، والبدع... إلى آخره، فإذا فكرت في صنع إنسان يأتي إلى ميت، ويطلب منه أشياء، يطلب منه أن يزوجه ابنته، أو يطلب منه أن يشفي مرضه، أو يطلب منه رزقًا وفيرًا، أو أن يقضي دينه، هذا خلل في العقل، خلل كبير في العقل في أنه إنسان يفكر بأن هذا الغائب الميت له مثل هذه القدرة، بل آل الأمر في بعض الطوائف الإسلامية أنها تعتقد أن الصورة، صورة الإله البشرية في التجسد هي في علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفي آل البيت؛ كما هو معتقد طائفي، أو في الأقطاب الأربعة؛ كما هو

معتقد طائفي، أو في حكام الكون السبعة؛ كما هو معتقد طائفي. هذا يدخل في خلل كبير جدًا؛ يعني: خلل العقل يدخل في خلل كبير جدًا في الدين، بل في الوقوع في الكفر - والعياذ بالله - بوحدانية الله ﷻ.

الإيمان بأنواع الشرك وبالغيبيات وبالمبالغة مثل: الآن عقل بعض الناس، كان عقل الناس سليمًا، والآن دخلت فيهم أمور الغيبيات، هناك أمور الجن، وأمور السحرة، أمور الكهنة، والإيمان بأشياء... إلى آخره، العقل إذا فسد، دخلت فيه كل الأفكار غير الصحيحة؛ لأن صلاحه مرتبط بعضه ببعض.

إصلاح العقل في الفقه هذا ضروري جدًا؛ لأن لا تجديد، إلا بالتجديد الفقهي، التجديد في الفقه معناه إحياء روح الاجتهاد من عالم قادر على الاجتهاد؛ لأن اليوم كل أحد يدعي الاجتهاد، والاجتهاد معناه: أن تقول في نازلة: إن هذا حكم الله ﷻ فيها، هو الأقرب إلى ما يعلمه من الشرع، وهذه مرتبة تحتاج إلى علم غزير، وليس فقط قراءات، وإنما علم مكون بعلم بالقرآن والتفسير، وعلم بالنصوص وكلام العلماء، والقواعد... إلى آخره، ففتح باب الاجتهاد أحد مجالات العقل السليم، وأحد مجالات إصلاح المنهج العقلي في النظر الفقهي.

أيضًا من إصلاح العقل أن أنواع الفقه يُمكن أن تتجدد، بمعنى أن اليوم نرى - مثلًا - بعض أنواع الفقه في الشرع، نرى أنها غائبة أو ضعيفة التأثير، مثلًا في الحس الإسلامي أو حس الدعاة أو في المجالات التي نتعاطى بها، مثلًا فقه المآلات، فقه القوة والضعف، فقه المقاصد، فقه المصالح والمفاسد، هذه أنواع من الفقه مهمة جدًا، هي صنعة المجتهدين، لكن اليوم لكثرة تعاطي الناس للمسائل الشرعية في شأن الأمة الكبير، وفي الشأن الصغير، لا بد أن تُحيا مجالات من الفقه

ـ يعني: فقه القوة والضعف ـ، لا يمكن أن ننزل قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١﴾ [النساء: ٧١]، في كل حالة من حالات وقوع المصائب في الأمة، أو قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ﴾ [التوبة: ١٢٣]، أو قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٩﴾ [التحريم: ٩].

هذا حق، لكن هذا جاء في زمن قوة النبي ﷺ، فهو حق؛ كما أن قوله ﷻ: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٨٩﴾ [الزخرف: ٨٩] حق، والإعراض كما في قوله ﷻ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ﴾ [الأعراف: ١٩٩] حق.

فإذًا؛ كيف تنزل النصوص كل نص في بساط حاله الذي جاء به النص؟ هذا يحتاج إلى عقل فقهي تجديدي، وهنا أخطأ العدد اليوم في تنزيل أحكام ليست في مجالها، فيجعلون أحكامًا للمسلمين في أمريكا أو في أوروبا هي نفس الأحكام للمسلمين في الرياض، أو يجعلون للمسلم حديث الإسلام في اليابان أو في الصين هي نفس الأحكام الموجودة للمسلم في الخليج، أو في مصر، أو في باكستان. ليس الأمر كذلك، وهنا يتنوع الأمر بتنوع الحاجة إلى أنواع من الفقه جديدة.

فقه المآلات: كنت دائمًا في لقائي بالخطباء في مناسبات مختلفة أوصيهم بكثرة التأمل في فقه المآلات؛ يعني: ما يؤول إليه كلامه، هل الكلام الذي سيقوله الداعية أو الخطيب سيؤول إلى خير أو إلى غيره؛ لأن المشكلة في عقل الداعية، أو في عقل طالب العلم، أو في عقل من لديه معلومات أنه يُحب أن يلقي المعلومات التي عنده، إذا كان عنده قدرة على التحليل الفلسفي، سيتكلم فيه، إذا عنده قدرة على التحليل

النفسي، سيتكلم فيه، إذا كان عنده القدرة على التحليل الشرعي أو فقه الفتوى، سيتكلم فيه، إذا كان عنده القدرة على إثارة العواطف وإثارة الناس وإظهار الإعجاب، سيتكلم فيه، لكن ليس الشأن في ذلك، القرآن ما نزل مرة واحدة، قال الله ﷻ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦﴾ [الإسراء: ١٠٦]، فهنا لا بد أن يُنزل كل أمر بحسب الاستفادة منه. هنا النظر في المآلات هذا نوع من الفقه، فقه المآلات لا بد أن يحيا في الأمة لإصلاح العقل؛ لأنه لا يمكن أن يصل العقل إلى تفكير سليم، وهو لا ينظر إلى ما سيؤول إليه تفكيره أو عقله في هذه الأمور، ما سيؤول إليه تصرفه، ما سيؤول إليه منهجه مما لا يؤول. المهم أنه ينتج بهذه النتيجة دون النظر في المآلات، هذا ينتج خطأ في منهج التفكير، جزء من صوابية العقل في التفكير أن ينظروا في المآلات.

أيضًا في المقاصد من العلوم الشرعية المهمة - الوقت يزاحم، والمعلومات تتزاحم أيضًا - من العلوم الشرعية المهمة في النظر الاجتهادي لإصلاح العقل في النظر للعلم الشرعي علم المقاصد الشرعية.

المقاصد الشرعية: وهو علم مهم يعلمه أهل الاجتهاد في عصرنا الحاضر، غلا أناس في المقاصد، حتى ألغوا النصوص في مقابل المقاصد والقواعد الكلية، وآخرون ألغوا المقاصد، حتى صار النص عندهم يطبق بدون النظر إلى ما هو أولى منه، وهذا يحتاج إلى نظر عقلي إسلامي صحيح، فالاجتهاد الفقهي في أن تنزل المقاصد منزلتها، فلا يبالغ فيها في النظر المقاصدي، ولا يلغى النظر المقاصدي، فلا بد أن ننظر إلى المقاصد، وتحترم المقاصد الكلية للشرع؛ حتى نفهم روح الشرع، ولا يبالغ في ذلك بحيث لا يكون هناك قيمة لوزن الشرع.

المصالح والمفاسد أيضًا مهمة في صياغة العقل، وهنا هل تسبق النتائج التفكير، أو يسبق التفكير النتائج؟ هذه أيضًا إشكالية نفسية، فأحيانًا تفكير الإنسان يتبع للنتيجة التي يريد أن يصل إليها، ولكن المنهج الصحيح هو العكس: أن تفكر، ثم تصل إلى النتيجة وفق أصول العقل وأصول التفكير، لكن ـ مثلًا ـ أن تقول: الأمر هو كذا. وبعد ذلك تفكر كيف تصل إلى هذه النتيجة؟! هذا غلط في منهج العقل في التفكير الإسلامي، لا بد أن يكون هناك التفكير بدون ـ مثلما يقول أهل العصر ـ بدون مقررات سابقة؛ يعني: بدون نتائج مبيتة؛ حتى يكون العقل في تفكيره سليمًا، أما إذا كان الهوى يسير الإنسان: أنا أريد كذا، فيذهب دائمًا يفكر بطريقة كيف يبرر لهواه، يفكر كيف يبرر لمبتغاه، هناك تأتي التأثيرات عليه، فيصبح عقله تبعًا للتبرير، ومن كان عقله تبريريًا، فليس بعاقل؛ لأن العقل التبريري هذا عقل فاشل؛ يعني: يبرر دائمًا ما يريده، يبحث، يفكر كيف يُخَرِّج ما يريده، أو الواقع يبحث يبرر للمخارج العقلية لتبرير الواقع. هذا ليس صحيحًا، وليس منهجًا للتفكير السليم.

السلوك أيضًا من مجالات إصلاح العقل كيف؟ هذه مسألة مهمة لا بد من التأمل فيها أكثر وأكثر منكم.

الأخلاق الذاتية للإنسان هل لها أثر على صحة تفكيره من عدمه؟ على صحة عقله من عدمه؟ على صحة حكمته من عدمها؟ على وصوله للنتيجة السليمة أم لا؟ الأخلاق نحن ذكرنا أولًا: العواطف، لكن هذه الأخلاق غير، مثل: الكبر والتواضع، مثل: العجلة والأناة، مثل: الحلم والتهور، مثل: الحكمة والجهل، مثل: الصدق والكذب، هذه أمور أخلاقية عظيمة وعبادات، تحري الصدق عبادة، تحري الحكمة عبادة، تحري التواضع يُقرب إلى الله ﷻ، البعد عن الكبر يُقرب إلى الله ﷻ، وهكذا.

هل لهذه الصفات أثر في صياغة عقل الإنسان؟ نعم، وأكبر أثر، فالذي يتحرى الصدق في كلامه، سينتج عنه تحري الصدق في عقله، فالذي يكذب، يكذب، ويكذب دائمًا، عقله يكذب؛ لأن الإنسان على حسب ما يتجه إليه، فالكذب في اللسان هو ينتج عنه التمرين، التمرين، تمرين العقل على عدم تصور الأشياء على حقيقتها؛ لذلك جاء في الحديث: **«وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»**[1]، يكذب في كل شيء، حتى تفكيره سوف يكون أغلبه غير صواب.

تحري الصدق يعني: الأمانة مع النفس، وهذه لها أثر كبير في صوابية التفكير العقلي في الإنسان، مثلًا؛ الدقة في أخذ المعلومات، الأمانة: طبيب، مهندس، عالم في أي تخصص إذا كان هو يتلقى المعلومات؛ حتى يفهمها بدقة، هذا ينتج عنه صحة عقله في التفكير، لكن إذا كان يأخذ الأمور دائمًا بظاهرية، ولا يهتم بجودة تلقي العلم، ولا بجودة المنتج بعمله - جودة التعلم وجودة العمل -، سينتج عنده منهج عقلي غير متزن في أموره، وسيخطئ، وسوف يكثر من الخطأ، وسيرى الأمور دائمًا غير صائبة.

الكبر والتواضع: التواضع صفة يحبها الله ﷻ؛ كما جاء في صحيح مسلم: **«وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»**[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»**.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي ﷺ.

والتواضع خصلة يحبها الله ﷻ، والتواضع حالة نفسية وعبادة قلبية عظيمة، فيها تواضع لله ﷻ، ينتج منه تواضع للخلق؛ لذلك قال بعض السلف: «**ما قابلت أحدًا من المسلمين، ولا اجتمعت به، إلا ظننت أنه خير مني**»، هذا تواضع عظيم، مع أنه متعبد، وصاحب عبادة، ولكن عنده تواضع، وما عنده كبر على أحد، أو ترقي لنفسه، أو جعل نفسه أعظم من غيره.

هذه العبادة ينتج عنها أثر في العقل في منهج التفكير؛ لأنه يكون دائمًا غير مؤثر لرأيه على الحق؛ لأنه متواضع، لكن المتكبر على الناس هو سيتكبر - أيضًا - فيما يراه، فيغالط في ما لا مجال للمغالطة فيه، فيأتي يدافع عن رأيه، ويحلل... إلى آخره، وهو عند الناس غلط، أو عند العقلاء غلط، أو عند الحكماء غلط، ولكن هو لأنه يوجد شيء من الكبر والمجادلة بالباطل عنده، فينتج عنها التفكير الخطأ.

الحلم: النبي ﷺ مدح أَشَجَّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ**»[1].

هل الحلم والأناة مهمة؟ هل هي لحق الآخر أحلم أنا على الآخرين؟ يعني: لأجل العلاقات الاجتماعية والعلاقات الإنسانية فقط؟ هذا مطلوب، وأثر من الآثار الإيجابية للحلم، لكن المهم هو أن الحلم هو سبيل الحكمة، دائمًا الطائش لا يكون حكيمًا، الحليم يكون حكيمًا، والحكمة قال الله ﷻ فيها: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، والحكمة عصمة للعقل - أيضًا - من الغلط في النظر للأشياء، فإذًا الأخلاق التي ذكرت بعضًا منها - أنا عندي عدد كبير مثل هذا المنوال - لها أثر على عقل صاحب هذه الأخلاق وجودًا وعدمًا، كمالًا أو ضعفًا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥) (١٧) من حديث ابن عباس ﷺ.

أنا لا أريد أن أطيل أكثر من ذلك، هذه إشارات في هذا الموضع المهم جدًا في الرقي والنضج بنا في هذا المجتمع المسلم - المجتمع السعودي - وبالمسلمين جميعًا، أرجو أن يكون فيها فتح الباب لإشارات ومفاتيح لمزيد التفكير منكم ومن المهتمين لأكثر من ذلك.

أكرر شكري لسمو الأمير ولجميع الإخوة الحاضرين على إنصاتهم واهتمامهم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المقدم:

الحمد لله ربِّ العالمين، أيضًا نشكر لمعاليكم - ضيفنا - ما أتحفتنا به، هذا الطرح العلمي المُؤصّل، هذا الطرح الهادي والهادف، والذي استمتعنا معه، وتمنينا ألا ينقطع، لكن ضرورة الوقت تجبرنا أن نقف عند حد معين من الوقت.

هذا الطرح - معالي الشيخ - أرى أنه رسم لنا، وخط لنا منهجًا وسطيًا، نستطيع من خلاله إصلاح أو استصلاح العقل في الفكر الإسلامي، بل أعتقد في الفكر عمومًا، هذه المادة العلمية الدسمة تفتح لنا بابًا إلى حوار نحاول من خلاله أن نسير.

أستأذن راعي هذه الندوة في أن نبدأ بأخذ المداخلات والأسئلة، ونسمع تعليق ضيفنا عليها، مذكرًا بضرورة ذكر الاسم، وعدم الإطالة، وأيضًا الدخول مباشرة في المداخلة، السؤال بدون مقدمات، فليتفضل الإخوة، هل أحد عنده مداخلة؟

أحد الحضور: بسم الله الرحمٰن الرحيم، نشكر معالي الشيخ، أنا عبد الرحمٰن بن عبد العزيز، نشكر معالي الشيخ على المحاضرة القيمة والمعلومات التي سردها لنا جميعًا، وأود التساؤل: ألا ترى - معالي

الشيخ ـ أن تجديد الخطاب الإسلامي لا يقتصر على تجديد الوسائل فقط ـ كما ذكرتم معاليكم ـ، بل إن تجديد الخطاب الإسلامي هو التزام أهل العلم والفكر بتصحيح المسار نحو النموذج الإسلامي المطلوب، وكذلك يجب أن يتضمن استنكار أسباب ضعف الأمة، وضياع مكامن القوة فيها؟ وجزاكم الله خيرًا.

معالي الشيخ الوزير: اتفق مع الأخ، لكن التجديد في الوسائل ـ مثلما ذكرت ـ، وليست هي الوسائل التي هي وسائل النقل، تجديد الخطاب الإسلامي هو تجديد لوسائله، التي تؤثر في الدين، من الوسائل الأشياء التي ذكرتها أنا، أدخلها في الوسائل؛ لأنها هي مقدمة للنتيجة، أي شيء مقدمة للنتيجة أنا اعتبرها وسيلة، عندنا دائمًا شكل ومضمون، الشكل قد يكون وسيلة مباشرة، وقد يكون وسيلة مساندة، والمضمون هو الذي اتفقنا عليه أنه هو الشرع.

إحياء الأمة ونهضة الأمة جزء مهم من صياغة الفكر الإسلامي الشامل؛ لأنه بدون التفكير العام للأمة لا يمكن أن تصل إلى فهم حقيقي للكلام في النصوص، ولا الكلام في الشرع، ولا إلى عمومية الرسالة، ولا إلى أن النبي ﷺ بُعِثَ إلى الناس كافة، هذه كلها من خلال الوسائل، وأنا اتفق معك حتى لو لم تدخل في الوسائل، هي مقصودة بالذات ومهمة.

المقدم: نأخذ مداخلة أخرى.

أحد الحضور: بسم الله الرحمٰن الرحيم، عبد العزيز بن تركي بن طلال. نشكر معاليكم لقبول دعوة الوالد، ونشكر الوالد للإصرار على حضور معالي الشيخ، ثلاثة أسئلة ـ الله يطول في عمركم! ـ:

السؤال الأول: ما المقياس للعالِم لكي يكون مؤهلًا للاجتهاد في مسألة شائكة؟

السؤال الثاني: بعض من طلبة العلم يشعر أنه قد أصبح مؤهلًا للاجتهاد، وفعليًا هو ليس كذلك من يقيمه، ومن يوقفه، ما هي الآلية في هذه الحالة؟

السؤال الثالث: لنقل ـ فضيلة الشيخ ـ: إن إنسانًا قد أخذ فتوى من شيخ ليس مؤهلًا للاجتهاد أو للحكم في مسألة ما، ثم علم هذا الشخص أن هذا الشيخ ليس مؤهلًا، هل يجوز له أن يأخذ فتوى أخرى من شيخ آخر، وشكرًا.

معالي الشيخ الوزير:

شكرًا للأمير على مداخلته، وأما ما تفضل به من أسئلة ثلاثة، **فأولًا:** شروط الاجتهاد موجودة في كتب أصول الفقه، ومنها على سبيل المثال:

- العلم بالقرآن وتفسيره.
- العلم بقدر كبير من السُّنَّة وشرحها، وخاصة مسائل العقائد والأحكام.
- العلم باللغة العربية ومجالاتها؛ مثل: النحو، والمفردات.
- أن يكون عالمًا بالأصول الصناعية المساعدة في تحقيق هذه العلوم.

وهناك شروط أُخر وضعها الفقهاء.

لذلك لما صار في العصر الحاضر هناك ضعف عام في المنتسبين للعلم في تحقيق هذه المناطات الكبيرة للاجتهاد، التي ذكرها أهل العلم، اتجه علماء الأمة ـ لأجل براءة الذمة ـ إلى إيجاد المجامع والهيئات العلمية الجماعية؛ مثلًا: هيئة كبار العلماء، المجمع الفقهي الإسلامي الدولي، المجمع الفقهي في دولة كذا، المجلس الأعلى للإفتاء، المجالس العلمية للإفتاء ـ مثلًا ـ مثلما في المغرب وغيرها؛ لأنه قد

لا تتوافر في شخص صنعة الاجتهاد كاملة، لكنها في مجموعة من العلماء يمكن أن توجد، يساعد بعضهم بعضًا، ويكمل بعضهم نقص بعض، وهنا يأتى التكميل في أن شروط الاجتهاد هي لم توجد في شخص، هي توجد في المجموع، هذا يؤدينا إلى نتيجة أن النوازل الكبيرة في الأمة لا تؤخذ من واحد من أهل العلم في الحكم عليها، بل لا بد أن يجمع لها جمع من أهل العلم يؤمن دينًا وشرعًا سلامة ما ذهبوا إليه من الغلط في الحكم الشرعي، فكانت نوازل كبيرة جديدة في الأمة، ليست مما نص عليها، هي ليست من المسائل المعتادة التي يجري الكلام فيها؛ مثلًا: مسألة اشتراط النية للطهارة لا تحتاج إلى اجتهاد؛ لأنها ليست نازلة موجودة، شروط الصلاة لا تحتاج إلى اجتهاد، لكن مسألة طفل الأنابيب تحتاج إلى اجتهاد، مسألة التبرع بالأعضاء تحتاج إلى اجتهاد، مسألة بعض المعاملات المالية المتنوعة ـ التأمين، وغيره ـ تحتاج إلى اجتهاد؛ لأنها نوازل، هذه النوازل نأمن أن يكون الاجتهاد فيها جماعيًّا عن أن يكون فرديًّا؛ لأنه إذا اجتهد فيها جماعة من أهل العلم، فهم بمجموعهم أقدر على إدراك الصواب من أحدهم؛ لعدم استكماله ـ ربما ـ لشروط الاجتهاد فيه. ولكن أيضًا الاجتهاد الصحيح فيه أنه يتجزأ، لا يشترط في الاجتهاد أن يكون اجتهادًا كليًّا في كل المسائل أو في كل علوم الشرع، بل الصواب من قول الأصوليين في ذلك أن الاجتهاد يتجزأ؛ فيصح أن يكون هناك مجتهد في مسائل، أو مجتهد في باب لتوسعه فيه وبلوغه فيه الغاية في فهمه بجميع أحواله، هذا السؤال الأول.

السؤال الثاني في من يمنع الذين اجتهدوا، وهم ليسوا أهلًا للاجتهاد: وهذا ليس سؤالًا شرعيًّا، هذا سؤال سلطة، وفعلًا من اجتهد، وليس أهلًا للاجتهاد، يجب أن يخوف نفسه بالله ﷻ؛ لأنه

يتكلم عن الله ﷻ، وهو ليس أهلًا لذلك، وعليه إثمها إن كان غير مؤهل، هذا أمر.

ثانيًا: أن ينصح بأن يترك الفتوى، وهو ليس أهلا لذلك، وأن يترك توجيه الناس في المسائل العظيمة النازلة، وهو ليس أهلًا لذلك.

المرحلة الثالثة: أن يوقف السلطان من تعدى ضرره على الناس في الدين.

السؤال الثالث: إذا أخذت فتوى، فإنه يجب عليك إذا وقعت بك نازلة أن تسأل من تثق بدينه وعلمه وأمانته، إذا سألت من تثق بدينه وعلمه وأمانته، فأفتاك، فليس عليك إثم إذا أخذت بكلامه، حتى ولو صار مخطئًا بعد ذلك، فقد برئت ذمتك؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وأنت لا تعلم، فسألت أهل الذكر، فأفتاك، فعملت بما أفتاك من وثقت بعلمه ودينه وأمانته، والذمة برئت.

سؤال الله يمسيك بالخير، معالي الشيخ.

الشيخ: مساك الله بالنور والسرور.

السائل: شكرًا على هذه المحاضرة الطيبة، أنا حمد بن محمد آل خليفة، من البحرين، دكتور في الإدارة العامة. واليوم موضوع المحاضرة منهج إصلاح العقل في الفكر الإسلامي، الموضوع يطول الحديث فيه، ويجب أن نعرف أن تجديد المنهج، وتجديد أسلوب الحياة مع ما للحياة من سرعة التطور أيضًا تواجهنا مشكلة فيها، فأسلوب الحياة يجب أن يتغير، فضيلتكم ذكرتم العقل والعاطفة، والعقل هم الناس القليلون، والعاطفة هي القاعدة، إذًا أصحاب العقل هم الشاذون عن القاعدة، دعنا نقل ذلك، فكيف نستطيع أن نؤهل أصحاب العاطفة لفكر

إسلامي إيجابي؟ كيف نجعلهم يفكرون تفكيرًا إيجابيًا، ينظرون إلى الجزء المليء من الكأس؟ طبعًا هناك أساليب كثيرة، واليوم المجتمع مع التطور، ومع الانفتاح، ومع وسائل الاتصال، ووسائل التواصل الاجتماعي يحتاج إلى تغيير في أسلوب حياته إلى أسلوب حياة دينية، أو أسلوب حياة يتفق مع الإسلام، وهو غير موجود عندنا حاليًا بالمعنى الصحيح. والتغيير أعتقد ـ شخصيًا ـ أنه يجب أن يكون تغييرًا غير مباشر، غير ديني؛ يعني: يجب أن نشجع العمل، نشجع التفكير الإيجابي، نشجع زيادة الولاء للمكان، وللزمان، للعمل، للوزارة، للمحكمة، القضاة المحامون المهندسون الأطباء كيف أننا نقدر نشجع ولاءهم، ولكن لا نقل لهم: إذا أنتم ما عملتم كذا، تروح النار. لا دعنا نشجعهم بطريقة أخرى، طريقة حلوة، طريقة جميلة؛ لأن إتقان العمل هو النجاح، وبعد ذلك يجب أن نزيد من جرعات حب الذات؛ لأنني إذا أحببت نفسي، أحب أن الناس تراني بطريقة حلوة، أحب أن الناس تمدحني؛ إذن سأحترمهم، سأتقن عملي، سأكون صادقًا معهم، سأكون نظيفًا، وأيضًا يجب أن نزيد من جرعات عذر المخطىء؛ يعني: المخطىء يجب ألا نلومه، بل يجب أن نصححه، ونقومه، هذه كلها أعتقد أنها ستوصلنا إلى الصدق، ستوصلنا إلى النظافة، ستوصلنا إلى التعاون، ستوصلنا إلى التواضع، وأهم شيء ستوصلنا إلى العمل الجاد في كل مجال، العمل الجاد في كل مجال هو الذي سيزيد الإنتاجية، وسيجعل لنا قيمة بين الناس أكبر، والتي نستحقها فعلًا.

البيئة تستحق منا اهتمامًا، الطرق تستحق منا اهتمامًا، الصحراء تستحق منا اهتمامًا، أكرمكم الله! الحيوانات تستحق منا اهتمامًا، فيجب أن يكون عندنا غيرة على ما نملك من نِعَمْ، ويجب أن نحافظ عليها،

ونطورها، ونفاخر بها، وهذه التي يجب أن نعمل عليها كلنا، وكلنا يجب أن نزيد جرعة الحب والولاء، يجب أن المرء يحب الحياة، يحب كل شيء حوله، ويحافظ عليه؛ لأنه إذا لم يحبه، فلن يحافظ عليه. فكيف أعلم الناس أن يحبوا؟ وشكرًا طال عمرك!

الشيخ: مثل ما تفضل الشيخ حمد، والذي تكلم عن عدد من العوامل النفسية، التي تؤثر في الحياة، وهي كلها صحيحة، ومتفق عليها.

وآخذُ بعض ما ذكره الشيخ حمد؛ فقد ذكر الاستقرار النفسي وأثره في صحة التفكير في التعامل مع معطيات الحياة؛ لأن الاستقرار النفسي ينتج استقرارًا في التعامل، إذا لم يستقر الناس نفسيًا، ولم يشعروا بالكرامة، فالنتيجة عدم محبتهم لما حولهم؛ فالذي يشعر بالاضطهاد لن يكون محبا للمكان الذي يضطهد فيه، والذي يشعر بالفقر لن يكون محبًا للمكان الذي يُفضل عليه من لا يستحق فيه، الذي يشعر بأنه لا يأخذ حقه لن يشعر بأهمية هذا المكان له.

لهذا فالاستقرار النفسي لا يمكن أن يُطلب؛ هو ليس مسألة قناعة، هو مسألة وجود؛ الاستقرار النفسي يوجد، ولكن لا يقنع به الإنسان وهو في واقع مخالف، ولكنك تقنع الإنسان بألا يتصرف تصرفًا خاطئًا في وضع هو فيه غير مستقر، أو ليس عنده كمال استقرار نفسي، أو كمال الحياة؛ لذلك يتعرض الكثير في حقوق الإنسان في الدولة الإسلامية وفي أي دولة لموضوع كرامة الإنسان، وحريته، ومبدأ المساواة، والعدالة، وتساوي الفرص، وعدم التفضيل... إلى آخره. هذه نقاط مهمة؛ لأنه مع ازدياد العلم وازدياد المعرفة كل أحد يرى أنه أحق بأن يكون عنده حياة كريمة، فإذا حرم منها، سبَّبَ له ذلك عدم احترام من حوله، ولذلك

المواطنة - التي تفضلت بها في أول الكلام - بمعنى حب الوطن والانتماء للوطن هي نتيجة لتكريم الوطن للإنسان، كلما زاد تكريم الإنسان في وطنه، كلما زاد حبه له؛ لأنه يشعر بأنه له قيمة في وطنه، فالمكان الذي يشعر فيه الإنسان أن قيمته فيه أكثر سوف يكون ولاؤه له أكثر، وهذا يرتبط بشيئين: شيء مقدور عليه، وشيء غير مقدور عليه.

فأما المقدور عليه، فهو أن يكون هناك حرص على التواصل مع الناس، وعلى العدالة ما استطاع أهل السلطة إلى ذلك سبيلًا.

أما غير المقدور عليه، فهو الإمكانات، قد لا يكون هناك إمكانات تهيئ هذه المعادلة الصعبة بحيث يكون هناك استقرار.

لذلك إذا وجدت العدالة يمكن أن تقنع الإنسان بنقص الإمكانات، لكن إذا لم توجد العدالة، فلا يمكن أن تقنعه بنقص الإمكانات. فهناك - مثلًا - فرق ما بين البطالة في أمريكا وأوروبا والبطالة في دول متخلفة، لم؟ لأن البطالة هناك ناتجة من عدالة اجتماعية في الجملة، لكن البطالة في مكان آخر ناتجة عن أسباب كثيرة، ومنها عدم العدالة الاجتماعية.

اليوم نحن نتحدث في موضوعات ما كنا نتحدث فيها فيما سبق، لم؟ لأنه لا بد في مثل هذا المجلس الراقي - الذي فيه نخب وفيه عقول - أن توضع النقاط دائمًا على الحروف. أمامنا طريق طويل لتحقيق ما يكون فيه استقرار حقيقي للإنسان في هذه الدول.

من الأشياء المهمة أن هناك حركات إسلامية وقومية ومذهبية -... إلى آخر أنواعها - تغذي في الناس عدم الإحساس بالوطنية، فالمحور الأول الذي تحدثنا عنه بشأن العدالة والمساواة مهم، ولكن هناك من يغذي في الاسلام عدم الإحساس بالوطنية، وأن الوطن ليس مهمًا، وأنه لا انتماء، وأن كل واحد يذهب إلى ما ينتمي إليه.

فمثلًا؛ من أفكار بعض الحركات الإسلامية الموجودة أنه لا قيمة للوطن في الإسلام؛ بمعنى أن في الإسلام الوطن هو الوطن الإسلامي العام، أما الوطن الذي يعيش فيه الإنسان، فهذا وطن خاص لا يقدمه على الوطن الإسلامي العام. إن هذه النقطة كانت موجودة عندنا في سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية في إحدى المواد منذ خمس وأربعين سنة، تنص المادة على: تعزيز انتماء الطالب إلى الوطن الإسلامي العام ثم الوطن الخاص (المملكة العربية السعودية).

طبعًا هذا جزء من تفكير حركي، تفكير جماعي ليس شرعيًّا بالنظرة الفقهية الصحيحة. الوطن الخاص جزء من كل، ولا يقدم في الانتماء كل على جزء؛ لذلك النبي ﷺ قال في حب الوطن عن مكة: «**مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ**»[(١)]، فهو مورس عليه الضغط، مورس على النبي ﷺ السلطة والإذلال... إلى آخره - وهو العزيز المكرم ﷺ -، لكن ما تغير حبه لبلده، لكن قال: «**مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ**»؛ يعني: أحب له من المدينة التي هاجروا إليها، لماذا؟ هذا يعزز أن الحب في الشرع لا غضاضة في أن يكون للوطن الذي عاش فيه الإنسان، فيجب الإكثار من الطرح الشرعي والفكري في أهمية الوطن وخدمته وأن كرامة الإنسان في وطنه؛ لا يمكن لأحد أن يكرم في غير وطنه.

الصحابة ﷺ هاجروا إلى الحبشة بحثًا عن العدل، فلما صار لهم وطن، رجعوا مباشرة إلى وطنهم، ولم يستمروا في الحبشة.

مداخلة: يسمح لي الإخوة؛ فهذا سؤال يرتبط بما ذكره الشيخ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٩٢٦).

حمد، وما تفضلتم به - معالي الشيخ -، وكثيرًا ما يتكلم عنه المفكرون، وهو ما يتعلق بالحرية وعلاقتها بصلاح العقل، علاقتها بالكرامة المجتمعية التي تفضلتم بها - معالي الشيخ -، أيضًا الحرية وعلاقتها بالتفكير السليم، وقبول الرأي المخالف، وتعامل السلطة مع الحرية.

مداخلة من سمو الأمير - موجهًا كلامه للسائل -: ما رأيك لو نضم السؤالين معًا - يقصد سؤاله الذي سيسأله الآن وسؤال السائل -؟

السائل: تفضل، الله يحفظك!

سمو الأمير: فضيلة الشيخ، أرسطو عنده كلمة مهمة، قال: «إذا أردت أن تتحدث في كل شيء كل الوقت، فكأنك تحدثت عن لا شيء»، وأنا في مداخلتي لن أتحدث عن كل ما تفضلتم به، وإنما سأمسك بجزئية معينة، وسأتطرق لها، وسأعقب عليها باقتراح، إذا سمحتم لي.

الشيخ: تفضل.

سمو الأمير: أولًا: في موضوع التأصيل، فقبل أن تشرفنا - فضيلتكم - جلست أقرأ قليلًا عن موضوع العقل في الإسلام والمنهج العقلاني؛ لأعرف عل الأقل عن ماذا ستتحدثون.

الشيخ - ممازحًا الأمير -: تريد أن تحاسبني، لكن لا خلاف.

سمو الأمير: بالعكس، لا والله، يطول عمرك! نستفيد منكم الله يحفظك! لكني سأتطرق لبعض الأمور الدينية.

العرب في قديم الزمان العقل كان العقل له مكانة عندهم، حتى من أيام الجاهلية، وفي التعريفات أن العقل يعني: الحجر والنهي[1]، وهو

---

(١) قال ابن فارس في مقاييس اللغة (٤/٦٩): «الْعَيْنُ وَالْقَافُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُنْقَاسٌ =

يعني - أيضًا - الفهم والتمييز. هذه كلها أمور مجتمعة تدل على أن العقل في مفهوم العرب هو العاصم الذي يعصم الإنسان، فالحمد لله أننا أمة عقلانية منذ القدم، وليس كما يقول بعض الناس عنا.

العقل في مدلوله العام يناط به الوازع الأخلاقي؛ كما تطرقتم إليه في موضوع السلوك، وأنه أحد الأدوات التي تطور السلوك، وما أجملها! فهو في لفظه العام: ملكة يناط بها الوازع الأخلاقي. وقد تكون شهرة العقال - بهذه التسمية - مرتبطة بالعقل.

في اللغة الأجنبية العقل اسمه: (Mind) بمعنى: انتبه، احترس.

هناك كثير من الناس - وأنا لا أتفق معهم - يعتقدون بأن عدم الانطلاق العقلي في ثقافتنا بسبب انطلاقه من الأصل الحجْري، وليس الانطلاق. لكن هذا يتنافى مع المدلول الرباني الذي دعانا إلى التدبر ودعانا إلى الانطلاق، ودعانا للتفكر في آياته؛ لكي نتقرب إليه. فأنا مع المدلول الذي علمنا إياه ديننا، وليس كما يقوله الآخرون. هذا مجرد مدخل. لماذا دخلتُ من هذه الزاوية؟ وما الهدف؟ الهدف أن أقول: إن اجتهادك في مكانه فعلًا، وإن إصلاح العقل مهم لمجتمعنا في طريقة التفكير، في الجانب الإسلامي شيء مهم.

سبعون في المئة من عدد سكان المملكة هم أقل من خمس وعشرين سنة، بمعنى: أنه إذا كان عدد سكان المملكة اثنان وعشرون مليونًا، فإن منهم ستة عشر مليونًا تحت سن الخامسة والعشرين، هم في الحقيقة مستقبل البلاد، هؤلاء هم الموجه لهم هذا الحديث كله. فأنا أقول: عندما نأخذ جزئية معينة ونقترح من خلالها: موضوع المسجد

= مُطَّرِدٌ، يَدُلُّ عُظْمُهُ عَلَى حُبْسَةٍ فِي الشَّيْءِ أَوْ مَا يُقَارِبُ الْحُبْسَةَ. مِنْ ذَلِكَ الْعَقْلِ، وَهُوَ الْحَابِسُ عَنْ ذَمِيمِ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ».

ومعاليك تشرف على كافة مساجد المملكة، والله يوفقك في مهمتك، ويعينك عليها، ويجعل بجانبك من إذا نسيت ذكرك، وإن ذكرت أعانك!

الشيخ: آمين.

سمو الأمير: أنا أتمنى أن أرى هؤلاء الشباب الغارقين الآن في موضوع التواصل الاجتماعي، والأجهزة هذه كلها، والواتس أب، وكل هذه الأمور، عالم آخر. هذا الشاب كيف تجذبه من هذا العالم؟ تجذبه إلى الولاء، تجذبه للصدق في شغله، تجذبه للقيم التي ذكرتها حضرتك، وهي الصدق، التواضع، ... وكل الأمور الجميلة التي هي أساس في تراثنا، وهي منهج النبي ﷺ، منهج قائدنا.

أنا أرى أن المسجد هو منبع هذا كله، ولكن المسجد الذي أقصده هو ما كان عليه السلف من الصحابة، أنا لا أعرف كيف كان المسجد وقت الأمويين أو العباسيين، إلا من أخبار بعض العلماء، ولكن ما أعنيه أنه في وقت السلف كان المسجد يتوسط (المدينة)، ومنه تنطلق إلى الأسواق، والمقاهي قريبة منه، مكان الترويح قريب منه. الفكرة هذه كلها المجمعة بدلًا من أن تأتي (رعاية الشباب) الآن وتنشئ مشروعًا مستقلًا هناك، وتأتي (الأمانة) وتنشئ مشروعًا مستقلًا هناك، وتجد المراكز الصيفية هناك، وهكذا...، كل هذه - قدر الاستطاعة - تجمع في منطقة معينة هناك، ويتجمع الناس فيها، فيصبح المسجد تقدر تمرر منه أفكارك، الأفكار التي تريدها الدولة، تشجع على العمل الجماعي - المشاريع، المهام، الأعمال التطوعية -، تقرب المشارب بين الناس على اختلاف أماكنهم، تبادل المنافع - وهذا مطلوب -، توجيه الطاقات، والصحة العامة للمجتمع، ولا يقتصر أمر رعاية الشباب على الأندية فقط، بل تمتد إلى المجتمع كله، فالمجتمع كله لا بد أن يكون صحيًا، وأيضًا الصحة العقلية والجانب الروحي.

فأنا أرى ـ طال عمرك! ـ أنه إذا لم تجمع الشباب كلهم في مكان، وأدخلتهم في عمل جماعي، يكون جزءًا من مواعيدهم اليومية زيارة هذا المكان وهذا المسجد وهذا المجمع، الذي يجب أن ينشأ بأحدث الطرق المعماري، والذي يجب أن يرصد له ميزانية كبيرة، وليس شيئًا عاديًا، ويكون جذابًا، فتستطيع من خلاله أن تمرر المنهج الذي ترغبه وتساندك في ذلك وزارة التعليم بمناهجها، وتعمم الفكرة على كل مناطق المملكة؛ فالمملكة دولة كبيرة، دولة عظيمة بقبائلها وحضرها. هكذا نستطيع خلال عشر سنوات أن نصل لما نريد أن نصل إليه. وشكرًا.

الشيخ: شكرًا سمو الأمير، هو اقتراح مهم بلا شك، وقابل للتفكير والتطبيق.

بالنسبة للشق الأول من التعليق، فموضوع المحاضرة الخطاب فيه في الواقع ليس للشباب، الذين يمثلون نسبة سبعين بالمئة من سكان المملكة، وإنما الخطاب للموجهين للشباب، للكبار؛ لأنهم هم الذين إذا صح تفكيرهم وطريقة تعاطيهم مع الأشياء، فسينزلونها إلى الصغار؛ لأن الصغير بطبيعته يغلب هواه عقله، وأما الكبير، فهو الذي يتوازن شيئًا فشيئًا، حتى يصل إلى مرحلة أن يغلب عقله هواه، فإصلاح العقل ـ في ظني وتقديري ـ لا بد أن يتوجه إلى النخب ـ المفكرين، العلماء، ذوي التأثير، أساتذة الجامعات، المربين، مديري المدارس ـ؛ لأن هذا يمكن أن ننزله بشكل أو بآخر إلى ميدان التربية.

أنا أردت فتح باب للتفكير في هذا الموضوع المهم؛ حتى يمكن أن يكون معه كرؤية خطب تنفيذية للإصلاح، وأنا أرى أنك عندما ترى المكتبة العربية، تجد كتبًا كثيرة جدًا ـ من قريب ومن بعيد ـ تنادي بإصلاح العقل، هناك عدد من المؤلفات ليس بالقليل تنادي بإصلاح

العقل، ولكن من وجهة ثورية على الواقع، وهذا جزء من الإشكالية أنه أحس بضغط الواقع، فأراد أن يصلح العقل؛ ليعالج الواقع، ولكن هذا يعطي نتيجة غير صحيحة، وقد تستمر المعاناة.

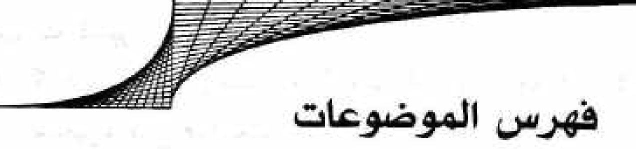
الصحيح - في ظني - أنه يصلح العقل من أجل الوصول إلى تفكير سليم، وبعد ذلك إذا علمت الناس كيف يفكرون تفكيرًا سليمًا، كيف تكون المقدمات والنتائج، كيف يوازن بين الأمور، عدم التأثر بالمؤثرات، كيف المعطيات التي تؤثر على تفكيره، ويصل فيها إلى نتيجة، ويعرف المآلات، ويعرف كيف يعطي كل ذي حق حقه. فهنا نصلح منهج التفكير، فهنا تقارب؛ لأن جزء من التباعد هو تباعد في المناهج؛ المنهج هو الذي يعطي الإنسان الاتجاه، مثل الطرق، فتقارب المناهج يجعل الطرق متقاربة، متقاطعة، يمكن أن تلتقي، هذا في ظني.

أما فكرة وجودها في المساجد، فنحن بدأناها بشكل آخر، ليس بهذا التوسع الذي ذكره سمو الأمير، بدأناها بكيفية الرقي بتفكير الخطيب في معالجة الموضوعات؛ يعني كان الخطيب - مثلًا - يتعاطى مع الموضوع بدون مراجعة بثقافته الذاتية، فلا يمكن أن تطرق موضوعات كبيرة اجتماعية وغير ذلك ببساطة تفكيرك وما تعلمته أو بالتحضير العام، بل لا بد أن يكون هناك عمق في التأصيل قبل الإلقاء. هذا يحسن جزءًا.

الثاني: البعد عن العواطف.

الثالث: أن يلقي المتفق عليه، ويبتعد عن المختلف فيه؛ لأن الخطيب لا يمكن أن يؤثر على الناس برأيه، فأنت مؤتمن على نقل الموعظة للناس بالشرع.

انتهى اللقاء



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

تم بحمد الله وتوفيقه الجزء الثاني،

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات